

الجزء الثاني

فلسفة
الحوداد
الاسلامية
عليه السلام

د. السيد محمود محمد الموسوي

دار الولاء

بيروت - لبنان



www.haydarya.com

فلسفة الجود والإيثار

لدى

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام



لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 00961 1 545133 - 00961 3 689496 - ص.ب. 307/25
www.daralwalaa.com - info@daralwalaa.com
E-mail: daralwalaa@yahoo.com

ISBN:978-9953-546-60-5

اسم الكتاب: فلسفة الجُود والإيثار لدى
الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام - المجلد الثاني
المؤلف: الدكتور السيد محمود مناف
الناشر: دار الولاء للطباعة والنشر والتوزيع
الطبعة: الأولى ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

فلسفة الجود والإيثار

لدى

الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام

المجلد الثاني

الدكتور

السيد محمود نايف



دار الولاة

بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نظام الدين انصاف ومواساة

١٥١ - قال الإمام علي بن أبي طالب: نظام الدين خصلتان: إنصافك من

نفسك، ومواساة إخوانك^(١).

١ - الظاهر أن المراد من لفظ الدين هنا ليس الدين الإلهي من حيث كونه

عقائد وشرائع ومناهج منزلة من السماء، بل المراد به الصفة الشخصية للإنسان ما

من حيث صدق ارتباطه بالدين الإلهي وتمسكه بتوجيهاته وتعاليمه، فنظام دينك

أو دياتك أيها المؤمن أن تكون منصفاً من نفسك، مواسياً لإخوانك. وقد ورد

الدين باعتباره الصفة الشخصية للإنسان ما في كثير من النصوص مثل ما جاء

في وصية الإمام أمير المؤمنين: اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ

فِي الْعَاجِلَةِ وَالْآجِلَةِ وَالْأُخْرَى^(٢). وكذلك قوله (صلوات الله عليه): وَلْيَكُنْ

فِي خَاصَّةٍ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلَّهِ دِينَكَ إِقَامَةً فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةٌ فَأَعْطِ اللَّهَ مِنْ

بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ^(٣).

٢ - عدم الانصاف من النفس والابتعاد عن مواساة الإخوان يدلان على عدم

الالتزام الحقيقي بالدين؛ لأنَّ (نظام الدين حسن اليقين)^(٤) كما يقول الإمام أمير

المؤمنين، والابتعاد عنهما يدلُّ على الابتعاد عنه. ولأنَّ الابتعاد عنهما يدلُّ على

مقاربة الهوى وعدم التنزّه عن الدنيا، علماً أن (نظام الدين مخالفة الهوى والتنزّه

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٩١١٢، والحكمة / ٩٥٢٥.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ١٢٢.

٣ - المصدر نفسه، ١٧ / ٩٠. ٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٧٢٦.

٦ فلسفة الجُودِ والإيثارِ لدى الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالبٍ (عليه السلام)
عن الدنيا (١).

٣ - قد يكون الإنسان عابداً متلذذاً بكثرة الصلاة والصيام مكباً على قراءة القرآن الكريم ولا يكون منصفاً من نفسه ولا مواسياً لإخوانه، فيدلُّ هذا على أنه غير صادق في عبادته، أو أنه على الحدِّ الأدنى غير مستوعب لروح العبادة وحقيقتها، أما إذا انعكست عبادة الإنسان على سلوكه العملي فقد دَلَّ ذلك على صدق دينه وصحة إيمانه. وأتقن وأفضل السلوك العملي ذلك الذي يدلُّ دلالةً مشرقةً واضحةً على الالتزام الديني للإنسان وعمق إيمانه وإخلاصه لله تعالى هو الانصاف من النفس، ومواساة الإخوان.

٤ - قد يحبُّ الإنسان الانصاف من النفس حباً جمياً ويتعشقه فكرةً تُقال، ومفهوماً يُدبج، وقانوناً يُسَطَّر ويُدوَّن، إلا أنه لا يطبقه على نفسه ولا يتبناه ذاتياً في مجال الواقع والممارسة، وبعيداً عن حَضيرة القُدسِ مَنْ كان صادقاً في رأيه وتفكيره، كاذباً في سلوكه ومسيره. وقد يحبُّ الإنسان مواساة الإخوان، ويدعو لها في خطبه وأقواله، ولكنه ينأى عنها أو يفرُّ منها وهو قادر على اجرائها، متمكناً من تنفيذها، ولا تدورُ عَجَلَةٌ الزمانِ حتى تكشفَ عن كاذبٍ يتزَيَّأ بزيِّ صادق، ومستهوٍ يسير في ظِلِّ عاشق، وما رأيت خادعاً أقرب إلى المخدوع، ومتكلِّفاً أشبه بالمطبوع، من مُحِبٍّ للخيرِ تاركٍ للعملِ به.

مَنْ وَصَلَ أَرْحَامَهُ، فَقَدْ عَمَّرَ أَيَّامَهُ

١٥٢ - قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): مَنْ الَّذِي يَرْجُو فَضْلَكَ إِذَا

قَطَعْتَ ذَوِي رَحِمِكَ^(١)؟

١ - صَلَّةُ الْأَرْحَامِ وَمَا أَدْرَاكَ مَا صَلَّةُ الْأَرْحَامِ بِهَا يُصْبِحُ الْعَبِيدُ كَالْأَحْرَارِ،

وَأَسْبَاهُ الْأَبْرَارِ كَالْأَبْرَارِ؛ «تَوَاباً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ»^(٢).

٢ - وماذا عساني أقول عن صلة الأرحام والإحسان اليهم ومواساتهم في

جميع الأحوال إلا هذه الكلمات البسيطة والعادية:

— أَرْحَامُكَ بَيْتُكَ الَّذِي يُؤْوِيكَ، وَمَعْقَلُكَ الَّذِي يَحْمِيكَ.

— مَنْ وَصَلَ أَرْحَامَهُ، فَقَدْ عَمَّرَ أَيَّامَهُ.

— مَنْ أَحْسَنَ إِلَى أَقْرَبِيهِ، فَقَدْ أَحْكَمَ خَنَادِقَ الدُّفَاعِ.

٣ - للإنسان خصوصاً إذا كان كبير القدر مواقف مُعَيَّنَةٌ مِنْ ذَوِي رَحِمِهِ

حسنت أم قبيحت، فقد يكون لحبل مَوَدَّتِهِمْ واصلًا وقد يكون عنها متنصلاً، وينظر

المجتمع إلى امكانية انتفاعهم واسترفادهم من ذياتك الإنسان الكبير من خلال

نوافذ متعددة من أبرزها وأهمها ما يحسن لأقربائه وينعم عليهم أو يجفونهم

ويقطع أرحامهم؛ فإذا رأوه قاطعاً لهم ومبتعداً عن تكريمهم ومواساتهم، يغلب

على ظنونهم أن لا ينتفعوا بامكانياته وقابليته من باب أولي، فهم بالتالي لا

يرجونه ولا يأملون فضله؛ لأنه قد ترك الإحسان والإنعام لمن هم أولي بهما فمن

٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أين يحسن إلى من هم دونهم مرتبة ومنزلة منه؟ ومثل هذا ما يقع من وفاء
الإنسان لذوي رحمه، أو غدره بهم وخيانتته لهم، فما إن يعرف الناس غدره
بأقاربه حتى يحذروه على أنفسهم وأموالهم، أو كما قال علي (سلام الله عليه):
مَنْ ذَا الَّذِي يَثُقُ بِكَ إِذَا غَدَرْتَ بِذَوِي رَحْمِكَ؟^(١) أو كما قال أيضاً في مورد آخر:
وَإِنَّ أَمْرًا دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ، وَسَاقَ إِلَيْهِمُ الْحَتْفَ، لَحَرِيٌّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْأَقْرَبُ، وَلَا
يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ^(٢).

٤ - أيُّ لبيبٍ حصيف الرأي، وثيق الدين، بعيد النظر، لا يرغب في عمل
جليل مبارك يسبب له إدرار سحائب الخير والنعم ودفع صواعق الشر والنقم؟ إذا
آمنت بذلك واعتقدت صحته فكن أنت ذلك اللبيب، واقتفِ الأثر الجميل الطيب
لمن قال: (صلة الأرحام تدر النعم وتدفع النقم)^(٣).

وأيُّ لبيبٍ حصيف الرأي، وثيق الدين، بعيد النظر، لا يرغب في عمل
جليل مبارك يسبب له منعمة للعدد ومثراً للنعم؟ إذا آمنت بذلك واعتقدت صحته
فكن أنت ذلك اللبيب واقتفِ الأثر الجميل الطيب لمن قال: (صلة الرحم منعمة
للعدد مثراً للنعم)^(٤).

وأيُّ لبيبٍ حصيف الرأي وثيق الدين، بعيد النظر، لا يرغب في عمل جليل
مبارك يسبب له النكاية في الأعداء والوقاية من مصارع السوء؟ إذا آمنت بذلك
واعتقدت صحته فكن أنت ذلك اللبيب واقتفِ الأثر الجميل الطيب لمن قال:

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٣٠٩.

٢ - شرح نهج البلاغة ١ / ٢٩١، الخطب والأوامر / ١٩ - ومن كلام له (عليه السلام)
قاله للأشعث بن قيس.

٣ - من كلمات الإمام علي (عليه السلام)، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٣٤٤،
وقد وردت الكلمة في غرر الحكم بلفظ المفرد (صلة الرحم)، الحكمة / ٩٣٠٥.

٤ - من كلمات الإمام علي (عليه السلام)، غرر الحكم، الحكمة / ٩٣٠٦.

(صَلَّةُ الرَّحْمِ تَسْوَةٌ الْعَدُوِّ، وَتَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ) (١).

وَأَيُّ لَيْبٍ حَصِيفِ الرَّأْيِ، وَثِيقِ الدِّينِ، بَعِيدِ النَّظَرِ، لَا يَرِغِبُ فِي عَمَلِ جَلِيلٍ مُبَارَكٍ يَسْبَبُ لَهُ التَّوَسُّعَ فِي الْأَجْلِ وَالتَّنْمِيَةَ فِي الْمَالِ؟ إِذَا آمَنْتَ بِذَلِكَ وَاعْتَقَدْتَ صِحَّتَهُ فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ اللَّيْبِ وَاقْتَفِ الْأَثَرَ الْجَمِيلَ الطَّيِّبَ لِمَنْ قَالَ:
(صَلَّةُ الرَّحْمِ تَوْسَعُ الْأَجَالَ، وَتَمِّي الْأَمْوَالَ) (٢).

إِذَا صَلَّاةُ الْأَرْحَامِ بِشَتَّى الْوَسَائِلِ الْمَتَّاحَةِ بِمَا فِي ذَلِكَ الْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ وَمَوَاسَاتِهِمْ بِالْمَالِ وَتَكَرُّمِهِمْ بِالْفَضْلِ وَالْعَطَاءِ تَوْفِيقُ إِلَهِيٍّ كَبِيرٍ، وَخَيْرٌ شَامِلٌ عَمِيمٌ. فَيَا مَنْ تَسَعَى لِادْرَاكِ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ صَلِّ رَحِمَتَكَ.

مَنْ أَقْعَدْتَهُ نَكَايَةَ الْأَيَّامِ، أَقَامَتْهُ مَعُونَةُ الْكِرَامِ

١٥٣ - قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: مَنْ أَقْعَدْتَهُ نِكَايَةَ الْأَيَّامِ، أَقَامَتْهُ مَعُونَةُ الْكِرَامِ (٣).

رَفَعٌ وَخَفَضٌ، وَبَسَطٌ وَقَبْضٌ، وَكَسْرٌ وَجَبْرٌ، وَخِذْلَانٌ وَنَصْرٌ، هَذَا هُوَ شَأْنُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَشَأْنُ النَّاسِ بِهَا فِي طَوْلٍ وَعَرْضٍ حَرَكَةِ الزَّمَنِ وَمَسِيرَةِ التَّأْرِيخِ، وَلَكِنْ مَنْ صَرَعَهُ بَطْشُ الْأَيَّامِ الْغَالِبَةِ وَمَرَّقَتْهُ خَنَاجِرُ الدَّهْرِ الْخَوَّونِ، هَلْ يَتْرَكُهُ الْكِرَامُ وَمَا يُدْمِي قَلْبَهُ وَيُقَرِّحُ أَجْفَانَهُ وَيُيْتَلِي بِهِ كُلَّ بَلَاءٍ، مِنْ دُونِ نَصْرِ مُؤَزَّرٍ، وَلَا

١ - من كلمات الإمام علي (عليه السلام)، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٣٤٩، وغرر الحكم، الحكمة / ٩٣٠٧.

٢ - من كلمات الإمام علي (عليه السلام)، غرر الحكم، الحكمة / ٩٣١٠.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ١١١٢٥.

١٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
معونة تُذكر؟ لو كان الأمر كذلك لما سُموا كراماً وما استحقوا نيل هذا الوسام
الذهبي الرفيع، وهل يُزجى الكرام في شيءٍ كما يُرجون لانتِشالِ الفريق،
واسعافِ الجريح، ومعالجةِ الدَّنِفِ السَّقِيمِ؟ وكأن شيئاً من التوازن المعقول - وإن
كان يسيراً - قد حصل في هذه الحياة الدنيا على الرغم من وقاحتها ومرارتها
وسوء عشرتها مع الناس، ومن أفضل ما يتمثل به التوازن أن أكُفَّ الكرام
المحسنين تدفع قبضات أيدي الزمان الطائشِ الجائر - في أحيان كثيرة - عن
الاستمرارية في عمليات خنق المظلومين والمحرومين ومصادرة أنفاسهم
ومنازعة أرواحهم. إنَّ أسمى الأَكُفِّ ما تكُفُّ الأسي وتكُفُّ بالندى. أو بعبارة
ثانية: أسمى الأَكُفِّ ما تكُفُّ وتكُفُّ.

ولكن الفجيرة كلُّ الفجيرة تكمن في أن عدد الأمراض والأوجاع أضعاف
أضعاف عدد الأطباء الحاذقين والممرضين المخلصين، وهل يستطيع ألفٌ سابح
ماهرٍ انقاذ ألفِ غريقٍ في يَمِّ زخارٍ متلاطمِ الأمواج؟ وعلى سبيل المثال ما
كان في السنوات الأخيرة من تفاقم درجات الهوان الاقتصادي، والتقام الأفواه
الفاغرة للجوع الوحشي العديد من البلدان الإفريقية، فإنه قامت بعض الدول
والمؤسسات الخيرية بانتشال الألف من الناس بالعطايا السخيّة المشكورة، بيد
أنه قد بقي أضعافهم بل أضعاف أضعافهم راقدين على مزلق الأخطار الفادحة،
وبالفعل فقد هلكت منهم أعداد كبيرة منتظرة انتظاراً طويلاً مجموعة من الدول
الغنيّة ذات الادعاءات الانسانية الكبرى أن تتقد وتعين وتُساهم مساهماتٍ فعالةً
في خلاصهم ولكن دون جدوى تُذكر. اللهمَّ يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ وَيَا أَرْحَمَ
الرَّاحِمِينَ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطاهرينِ وَأَعِنْ مَنْ لَا عَوْنَ لَهُ، وَأَنْقِذْ مَنْ لَا
مُنْقِذَ لَهُ، وَارْحَمْ مَنْ لَا رَاحِمَ لَهُ، بِبَحْرِ كَرَمِكَ السُّرْمَدِيِّ الَّذِي لَا تَنْضِبُهُ أَيْدِي
الْمُتَهَلِّينِ وَلَا دِيَاءُ الْمُشْتَرِقِدِينَ.

داووا الفقرَ بالحلِّ الجذريِّ الحاسِمِ

١٥٤ - قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): داووا الجورَ بالعدل،
وداووا الفقرَ بالصدقة والبذل.

١ - الجورُ جوران: جورُ الحكّام، وجورُ الأيّام. فيتجسّمُ جورُ
الحكّامِ بإعمالِ القوانينِ الباطلةِ واغتصابِ الحقوقِ واستغلالِ القوّةِ على حسابِ
المظلوم... ويتجسّمُ جورُ الأيّامِ بالمرضِ وبتحطيمِ الأمنياتِ المشروعةِ
وبالفقر... هذان هما الداءان الويّلان فما الدواء الناجع؟ أمّا علاج الداء الأوّل
فبإقامة العدل والانصاف، وأمّا علاج الداء الثاني وهو الفقر فعلاجه إذا لم يستطع
الفقير استدراك وضعه الماديّ المُجحف بنفسه وبنشاطه، فبمساعدة الأجواد
والمحسنين بذلاً من الأموال ينقذه مما هو فيه، أو صدقةً عليه يستحقّها، أو على
الحَدِّ الأَقْلِّ يُخَفِّفُ عنه ثقل كاهل الفقر والحاجة والهوان الاقتصادي^(١).

١ - هناك ألوان كثيرة من الطرق المسببة للفقر على الانسان تجنبها والعمل على اقصائها
وإزالة آثارها قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):
ترك نسج العنكبوت في البيت يورث الفقر.
والبول في الحمام يورث الفقر.
والأكل على الجنابة يورث الفقر.
والتخلل بالطرفاء يورث الفقر.
والتمشط من قيام يورث الفقر.
وترك القمامة في البيت يورث الفقر.
واليمين الفاجرة تورث الفقر.
والزنا يورث الفقر.
وإظهار الحرص يورث الفقر.
والنوم بين العشاءين يورث الفقر.

والنوم قبل طلوع الشمس يورث الفقر.

واعتیاد الكذب يورث الفقر.

وكثرة الاستماع إلى الغناء تورث الفقر.

ورد السائل الذاکر باللیل يورث الفقر.

وترك التقدير في المعيشة يورث الفقر.

وقطیعة الرحم تورث الفقر.

على أن هناك ألواناً متعددة من الطرق المسببة لزيادة الرزق على الإنسان السعي لها والعمل على

التزود منها قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

الجمع بين الصلاتين يزيد في الرزق.

والتعقيب بعد الغداة يزيد في الرزق.

وصلة الرحم تزيد في الرزق.

وكسح الفناء يزيد في الرزق.

ومواساة الأخ في الله يزيد في الرزق.

والبكور في طلب الرزق يزيد في الرزق.

والاستغفار يزيد في الرزق.

واستعمال الأمانة يزيد في الرزق.

وقول الحق يزيد في الرزق.

وإجابة المؤذن تزيد في الرزق.

وترك الكلام في الخلاء يزيد في الرزق.

وترك الحرص يزيد في الرزق.

وشكر المنعم يزيد في الرزق.

واجتناب اليمين الكاذبة يزيد في الرزق.

والوضوء قبل الطعام يزيد في الرزق.

وأكل ما يسقط من الخوان يزيد في الرزق.

ومن سحج الله في كل يوم ثلاثين مرة دفع الله عز وجل عنه سبعين نوعاً من البلاء أسرها

الفقر. انظر مشكاة الأنوار للطبرسي، ١٢٩ / ١٢٨ - ١٢٩.

درروي عن الإمام الصادق (عليه السلام): السراج قبل مغيب الشمس ينفي الفقر ويزيد في

٢ - ثم ألوان كثيرة قد طرحت في مقابل الداءين العظيمي الخطر والضرر: داء الجور، وداء الفقر، فمن بينها على سبيل المثال: عَشْرُ الحَلِّ وربع الحَلِّ ونصف الحَلِّ، ومن بينها الحَلُّ الجذريُّ الحاسم. وعلاج الداءين العظيمي الخطر طبق النظرية العلوية عن طريق الحَلِّ الجذريِّ الحاسم (داووا الجورَ بالعدل، وداووا الفقر بالصدقة والبذل). فَإِنَّ صَدَرَ الحِكْمَةِ (داووا الجورَ بالعدل) لا يقبل أنصاف الحلول فضلاً عما دون ذلك، بل لا بدُّ من الحَلِّ الكامل، إذ أن شبه العدل ونصف العدل ليس عدلاً بتاتاً بل داخلان في اطار الظلم والعدوان، وليس العدلُ إلا ما جرى كاملاً صافياً لا تشوبه شائبة من الكَدْرِ والمَدْرِ. ومن سَبَرَ أغوارَ المحكِّمةِ القَلَوِيَّةِ يَعْرِفُ جَيِّدًا أَنهَا لا تساومُ أبداً على الانصاف والعدل، ولا ترتضي أشباه الحلول، ولا تقرُّ بشيء اسمه عدل حتى يأتي كاملاً تاماً لا يعتريه الثلم والنقص في أيِّ حِذْفٍ من حِذَافيرِهِ، وهذه هي النظريةُ الاسلاميَّةُ الإلهيَّةُ التي أرادها الله ورسوله «صلى الله عليه وآله وسلم». بيد أن كثيراً من الحاكِّمين باسم الإسلام قد صنعوا ما صنعوا واجتهدوا بما ينافيها وينقضها ويقتلعها من الأساس.

«ظَهَرَ الفَسَادُ فِي البَرِّ وَالبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»^(١). «لَيْسَ مَا قَدَّمْتَ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي العَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ»^(٢).

والفهم المتقدم يلقي بظلاله الوارفة على ذيل الحكمة (داووا الفقر بالصدقة والبذل). فإذا كنَّا نتحدَّث عن دواء الفقر فهو باستئصال شأفته واجتثاث جذوره،

الرزق، إرشاد القلوب، ١ / ١٩٦.

وجاء في وصية الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) لهشام بن الحكم: إن الرفق والبر وحسن الخلق يعمر الديار ويزيد في الرزق.

ابن شعبة الحراني، تحف العقول، ٣٩٦ / ١ - الروم الآية / ٤١.

٢ - المائدة، الآية / ٨٠.

١٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وإذا كنا نتحدث عن تطيب خواطر الفقراء وتسكين آلامهم وأتراحهم ضمن
امكانيات ليست عالية، فهذا أمر آخر له ظروفه الخاصّة وآليّاته المحدّدة.

ما سألني أحد حاجة إلا كان له الفضل عليّ

١٥٥ - قال الإمام علي (عليه السلام): ما سألني أحد قطّ حاجة إلا كان
له الفضل عليّ.

١ - في مثل هذا الاسلوب التربوي الخلاق يحفظ ابن أبي طالب للسائل ماء
الوجه وسناء الكرامة، ويدراً عن المعطي الكبرياء والغرور، فأبى لذّة ومسرّة
وحبور للسائل - وإن أحرز ما يطلب ويسأل - بعد تمزّق أحشاء كرامته وبعد
جفاف ماء وجهه، وأبى أجر ومثوبة وفضل للمعطي بعد كبريائه وغروره.

٢ - يتعامل ابن أبي طالب بموضوعيّة وجدّ في حركته التربويّة والاجتماعيّة
وفي جميع مذاهبه الفكريّة، فلم يكن الاسلوب المذكور ولا غيره من الأساليب
مجرّد تطيب نفسيّة المسترفد، ولا تطمين جماح الرافد، على حساب الفكر
الصحيح والرؤية العلميّة والموضوعيّة، بل الأمر كذلك في أعماق جوهره
وحقيقته، كما قد عوّدنا في شتى فنون آرائه وأفكاره.

٣ - الناس بشكل عام يرون أن الفضل للمعطي لا للسائل باعتباره صاحب
المال، وابن أبي طالب من بين الثلثة النادرة من الكرماء يرى العكس من ذلك،
وإذا كان تحليل الناس في مقولتهم واضحاً فلم تكن المسألة كذلك بالنسبة إلى
الإمام العظيم في مقولته، بيد أننا إذا التفتنا إلى الجانب الاجتماعي والروحي فقد
يتبيّن لنا وجه الحكمة العلوية ويتّضح تحليلها، وذلك أن المجتمع يُكسِرُ ويُكسِرُ

المُعْطِي أَكْثَرَ مِمَّا يَكْبُرُ وَيَكْرُمُ الْآخِذُ، وَهَذَا السَّائِلُ هُوَ السَّبَبُ الْمَبَاشِرُ فِي تَرْجِيحِ الْمُعْطِي وَتَكْرِيمِهِ اجْتِمَاعِيًّا. وَأَمَّا الْجَانِبُ الرُّوحِي فَلِإِذَا أَعَدَّ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِمَنْ يَنْفَعُ النَّاسَ وَيَقْضِي حَوَائِجَهُمْ مِنَ الْمَغْفِرَةِ وَحَسَنِ الثَّوَابِ، وَالسَّائِلُ هُوَ السَّبَبُ الْمَبَاشِرُ فِي كَسْبِ الثَّوَابِ وَاحْرَازِ الْمَغْفِرَةِ.

٤ - كيف تتناسب مقولة الإمام (ما سألتني أحد قط حاجة إلا كان له الفضلُ عَلَيَّ) مع مقولة الصادق الأمين محمد « ص » : « الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى » ^(١) ؟ ومقولته « ص » أيضاً : « الْأَيْدِي ثَلَاثَةٌ سَائِلَةٌ وَمَنْفَقَةٌ وَمَمْسُكَةٌ وَخَيْرُ الْأَيْدِي الْمَنْفَقَةُ » ^(٢) ، بل ومع حديثه الشهير لدى الحفاظ (عن حكيم بن حزام قال سألت رسول الله « صلى الله عليه وسلم » عن هذا المال ؟ فقال : مَا أَنْكَرَ مَسَأَلَتِكَ يَا حَكِيمَ . إِنْ هَذَا الْمَالُ خَضِرٌ حَلَوٌ وَإِنَّهُ أَوْسَاخُ أَيْدِي النَّاسِ . وَإِنْ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ يَدِ الْمُعْطِي ، وَيَدُ الْمُعْطِي فَوْقَ يَدِ الْمُعْطَى ، وَيَدُ الْمُعْطَى أَسْفَلَ الْأَيْدِي ^(٣) .

والجواب لا ريب أن يد المعطي أفضل من يد الآخذ إن من حيث الكرامة الاجتماعية وإن من حيث الأجر والثوبة ، وليس في المقولة العلوية أن السائل أو الآخذ أفضل من المسؤول أو المعطي ، وإنما فيها أن السائل له الفضل على المسؤول ، وما كل من يتفضل عليك في أمر من الأمور يكون أفضل منك وأرجح قيمةً ووزناً في مجمل شخصيتك ومكانتك ، فتأمل جيداً للفارق الجوهرى الكبير ما بين المطللين ؛ فإنه (لا يصلح من لا يعقل ، ولا يعقل من لا يعلم) ^(٤) .

١ - بحار الأنوار ٧٤ / ١٣٥ ، و ٧٥ / ٢٦٧ .

٢ - المصدر نفسه ، ٧٤ / ١٥١ .

٣ - أبو بكر عبد الله بن محمد القرشي البغدادي المعروف بابن أبي الدنيا ، ت ٢٨١ هـ /

كتاب القناعة والتعفف / الرواية ٨ .

٤ - من الكلمات الحكيمية للإمام جعفر الصادق (عليه السلام) .

جواب الخبير الاقتصادي

١٥٦ - قال الإمام علي (عليه السلام): سو سوا إيمانكم بالصدقة، وحصنوا أموالكم بالزكاة^(١).

لو سألنا خبيراً مختصاً بعلم الاقتصاد عن مدى تأثير الانفاق والبذل على المستويات المالية هل يزيدا أو ينقصها (سواء كانا صدقة أو زكاة أو ..)؟ فمن المتوقع منه أنه سيجيب بحسب المعطيات العلمية للاقتصاد: من أن البذل والانفاق المذكورين سيضران ضرراً معلوماً بالمستويات المالية، وأن الزيادة من الانفاق والنوال، تستوجب النقص في الأموال.

ولو توجه السؤال هذا إلى مصادر تستوحي أجوبتها من المبادئ السماوية ومن تعاليم الرب عز وجل الذي يقدر الأرزاق، فسوف يأتي الجواب بالصورة التحديدية واليقينية التالية: «استنزوا الرزق بالصدقة». «ما نقص مال من صدقة». «ما حبس عبد زكاة فزادت في ماله»^(٢). «حصنوا أموالكم بالزكاة».

والحقيقة أنه لم تُسمَّ الزكاة زكاةً في الكتب السماوية والأحاديث والأخبار، إلا لأنها سببٌ مهمٌ جداً إلى النمو والازدهار، سواء كان نمواً وازدهاراً مادياً أو مادياً ومعنوياً وروحياً كذلك.

والإمام القائل: (حصنوا أموالكم بالزكاة). لا يتنكر بأن الانفاق بشكل عام يسبب النقص في المال، فهو القائل في وصيته المعروفة لكميل بن زياد: (المال تنقصه النفقة والعلم يزكو على الانفاق). إذ أن مثل هذا الأمر واقع ملموس لا شبهة عليه، ولكن الكلام لا عن الانفاق بتشكيلته العمومية، وإنما عن خصوص الانفاق في سبيل الله سبحانه الذي يقدر للخلائق الرزق، ويعلم بالمنفقين من أجله، وبالمسكين عن أداء الزكاة وتقديم المعونات للناس.

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨ / ٣٤٥.

٢ - قد مررت هذه الأحاديث عن رسول الله «ص».

« وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ »^(١).

أفضل المال ما قضيت به الحقوق

١٥٧ - قال الإمام علي (عليه السلام): إعطاء هذا المال في حقوق الله داخل في باب الجود^(٢).

يعتقد كثير من الناس أن الجود عبارة عن اكرام الناس وأداء حقوقهم اليهم من الأموال التي ليست متعلقة بالحقوق الشرعية، وأن اخراج الحقوق المالية الواجبة في الشريعة المقدسة ليس من الجود في شيء.

وما كل ما قاله الناس وارتأوه صحيحاً، وما كل ما أقروه وتواصوا به كان سديداً، ولدينا طائفة من الأحاديث الشريفة تدلُّ على خلاف ما رأوه وتصوّروه، والدليل على ذلك ما روي من أنهم قالوا: يا رسول الله من الجواد ومن البخيل؟ قال: الجواد من جاد بحقوق الله في ماله، والبخيل من منع حقوق الله تعالى، وبخل على ربه، وليس الجواد من أخذ حراماً وأنفق إسرافاً^(٣).

وجاء عن الإمام علي (عليه السلام) أفضل الجود إيصال الحقوق إلى أهلها^(٤). وكما جاء عنه في هذا المتن: إعطاء هذا المال في حقوق الله داخل في باب الجود. فالذي يجود بحقوق الله في ماله ليس جواداً فحسب، بل هو أجود من سواه.

والنظرية الإسلامية في الحقوق المالية تؤكد أبداً على الأهمية البالغة لأداء النوعين من الحقوق معاً، كما نرى على سبيل الأمثلة والشواهد - في النصوص

١ - البقرة، الآية / ١١٠.

٢ - غرر الحكم / ٨٤٤٦، مستدرک الوسائل ١٥ / ٢٧٦.

٣ - الترغيب والترهيب (٣٨٤٤).

٤ - غرر الحكم ودرر الكلم، الحكمة / ٨٦٤٣.

١٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

التالية المروية عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

- زوال النعم بمنع حقوق الله منها والتقصير في شكرها^(١).

- أفضل المال ما قضيت به الحقوق^(٢).

- مَنْ أعطى في غير الحقوق قصر عن الحقوق^(٣).

- إن للإسلام غاية فانتهاها إلى غايته، واخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقوقه^(٤).

وهكذا يمكننا أن نتعرف على أهمية أداء النوعين من الحقوق معاً من ثنايا الكلمات العلوية التي تتسم بالصيغ العمومية للحقوق بما فيها الحقوق المالية:

- من العقوق إضاعة الحقوق^(٥).

- جعل الله سبحانه حقوق عباده مقدمة لحقوقه [على حقوقه] فمن قام بحقوق عباد الله؛ كان ذلك مؤدياً إلى القيام بحقوق الله^(٦).

- جاهد نفسك وحاسبها محاسبة الشريك شريكه، وطلبها بحقوق الله مطالبية الخصم خصمه؛ فإن أسعد الناس من انتدب لمحاسبة نفسه^(٧).

عمودا اللؤم

١٥٨ - قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): مَنْ جُمِعَ له مع الجِرْصِ على الدنيا البخلُ بها فقد استمسك بعمودي اللؤم^(٨).

١ - اللؤم أعمدة كثيرة ومتنوعة يقوم عليها بناؤه الأثيم ويرتفع جبروته

١ - المصدر نفسه، الحكمة / ١٧٢١. ٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٢٨٣.

٣ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٦٥٨. ٤ - المصدر نفسه، الحكمة / ١٣٥٥.

٥ - المصدر نفسه، الحكمة / ٩٣٥٣. ٦ - المصدر نفسه، الحكمة / ١١٠٣٩.

٧ - المصدر نفسه، الحكمة / ٤٧٣٧. ٨ - المصدر نفسه، الحكمة / ٥٦٠٤.

التَّنْظِيرُ الْعَلَوِيُّ لِلْجُودِ وَالْإِيثَارِ ١٩

الغاشم فمن بينها على جهة التخصيص : المكابرة والصلف والتغافل عن أداء حقوق الناس ونصرة الظالم وخذلان المظلوم والجبن والغش واستغلال الضعيف .. إلا أنه يبدو من هذه الحكمة أن علياً (عليه الصلاة والسلام) قد اعتبر الحرص على الدنيا والبخل أشد أنواع اللؤم وأبعدها عن الخير والكرامة الانسانية وأعداها للمكارم الأخلاقية والسلوكية . بل يصح لنا القول أن الحرص على الدنيا لا سيّما إذا اقترن مع صفة البخل أكبر المُقوّمات وأغزر المصادر التمويلية للردائل الأخلاقية المذكورة (المكابرة والصلف والتغافل عن أداء حقوق الناس ونصرة الظالم وخذلان المظلوم والجبن والغش واستغلال الضعيف) .

٢ - قد يتصور بعضنا أن لا حاجة إلى ذكر البخل بعد ذكر الحرص على الدنيا ، لأن الحريص عليها بخيل ، وبالتالي لم يذكر الإمام علي إلا عموداً واحداً لا عمودين . وهذا الاشكال غير دقيق لأن معنى الحرص على الدنيا شدة الحب لها والاقبال عليها بشغف ولهف ، وليس من الضرورة المنطقيّة أن يكون الحريص بخيلاً ، وإن كان في كثير من الحالات كذلك^(١) . وهكذا فيما يخصّ البخل فإنه وإن كان في حالات كثيرة قد عبّر ببخله عن الحرص على الدنيا ، إلا أنه ليس من الضرورة المنطقيّة أن يكون البخيل حريصاً ، فقد يبخل لبعض الأسباب العائدة إلى

١ - سأل بعض الأدباء أحد أهل الثراء من الوزراء جملاً يهديه له فأرسل إليه الوزير جملاً ضعيفاً نحيفاً فكتب الأديب إليه : حضر الجمل فرأيته متقادماً الميلاد ، كأنه من نتاج قوم عاد ، قد أفنته الدهور ، وتعاقبته العصور ، فظننته أحد الزوجين اللذين جعلهما الله لنوح في سفينته ، وحفظ بهما جنس الجمال لذريته ، ناحلاً ضعيفاً ، بالياً هزياً ، يعجب العاقل من طول الحياة به ، ولا نبض للحركة فيه ؛ لأنه عظم مجلد ، وضوف ملبد ، لو ألقى إلى الأسد لأباه ، ولو طرح للذئب لعافه وقلاه . قد طال للكأل فقده ، وبعد للمرعى عهده ، ليس بأنثى فتحمل ، ولا فتى فينسل ، وليس صحيحاً فيرعى ، ولا سليماً فيبقى .

فقلت أنحره فأستفيد منه فقال : وما الفائدة من نحري ولم يبق مني إلا نفس خافت ، ولست بذئ لحم فأصلح للأكل لأن الدهر قد أكل لحمي ، ولا جلدي يصلح للدباغ لأن الأيام مزقت أديمي . فوجدته صادقاً في مقاله ناصحاً في مشورته . ولم أدر من أي أعجب أمن معاطلته الدهر بالبقاء ، أم من صبره على الضر والبلاء ، أم تأهيلك الصديق به مع خساسة قدره فما هو إلا كقائم من القبور ، أو ناشر عند النفخ في الصور ، والسلام .

٢٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

سوء التربية والتوجيه، كأن يأتي التأكيد التربوي عليه بمجانبة الاسراف والتبذير بأسلوب متطرّف، حتى لا تمضي الأيام عليه إلا ويصبح من البخلاء واللّسّماء. وهذا يعني أن ليس كل حريص بخيلاً ولا كل بخيل حريصاً، فبين الاثنين نسبة العموم والخصوص من وجه^(١).

٣- نلاحظ من خلال الرؤية التاريخية والاجتماعية أن من جُمع له مع الحرص على الدنيا البخلُ بها، فإنه لا يبخل على الغرباء والبعداء فحسب بل يبخل كذلك على الأقرباء نسبياً وسببياً بل وعلى نفسه وزوجه وأولاده. وَقَلَّ مَنْ يَبْخَلْ عَلَى النَّاسِ إِلَّا يَبْخَلْ عَلَى النَّفْسِ وَالْوَلَدِ.

٤- كما نلاحظ من خلال الرؤية التاريخية والاجتماعية أن من جُمع له مع الحرص على الدنيا البخلُ بها، فإنه يستجمع المال تلو المال ولا يكاد ينفق منه شيئاً إلا في الحالات الضرورية استشرافاً للمستقبل الزاهر الذي سوف يتمتع به ويأوي إلى ظلاله الظليلة فيما بعد، وحرصاً على مستقبل أهل بيته وأولاده، وتمضي الأعوام تلو الأعوام وهو على هذه الشاكلة من الاستشراف للمستقبل دون الانتفاع بالأموال شخصياً أو إنسانياً حتى يعرّكه الحِمام وتدرّكه المنية وينتقل إلى مثواه الأخير، فتقسم الأموال على الورثة ممن هم على نمط سلوكه وأفكاره، فإذا بهم يحذون حذو الأب الراحل استشرافاً للمستقبل الزاهر الذي سوف يتمتّون به ويأوون إلى ظلاله الظليلة فيما بعد، وحرصاً على مستقبل أهل بيتهم وأولادهم، وتمضي الأعوام تلو الأعوام وهم على هذه الشاكلة من الاستشراف للمستقبل دون الانتفاع بالأموال شخصياً أو إنسانياً حتى يعرّكهم الحِمام وتدرّكهم المنية وينتقلون إلى مثوam الأخير، فتقسم الأموال على الورثة ممن هم على نمط سلوكهم وأفكارهم، فإذا بهم يحذون حذو الراحلين الذين حرّموا أنفسهم وذويهم وكل من له حق معلوم من الانتفاع بأموالهم، وهكذا يجيء الدور إلى خلفائهم

١- وعلى هذا الأساس فقد ميز الإمام أمير المؤمنين ما بين الصفتين في قوله الشهير: وَلَا تَدْخُلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَغْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُّكَ الْفَقْرَ وَلَا جَبَاناً يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ وَلَا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَّ بِالْجَوْرِ فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ.
ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٧ / ٣٧.

والى خلفاء خلفائهم فيقتفون آثارهم حذو النعل بالنعل . أو كما قيل في سالف الأحقاب فأصاب القائل :

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شية منهم على ناشيء فضلا

وهكذا تردي الأفكار العقيمة أهلها وتقضي الوسوس الشيطانية على أربابها، بل وهكذا يقضى بجهل وخرق وحماسة على إيجابيات أدوار الأموال في الدار الدنيا ويوم التناد، وَخَيْرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ»^(١).

٥ - تنهى الديانة الإلهية بقوانينها وأفكارها ومناهجها عن الحرص على الدنيا وتحذّر الناس كلّ الناس من الوقوع في مزالقه وأحاييله؛ حفظاً لكرامتهم وصيانةً لأخلاقهم وسلوكهم مما يسبب لهم الانحراف والانجراف نحو الهاوية السحيقة، كما تنهى الديانة الإلهية بقوانينها وأفكارها ومناهجها عن البخل وتحذّر الناس كلّ الناس من الوقوع في مزالقه وأحاييله؛ احترازاً من ويلات شرّه، وحرائق شرّره، إذاً كم تكون شدة درجات نهي الديانة الإلهية وعمق استنكارها للخطرین العظیمین إذا اجتمعا معاً: خطر الحرص على الدنيا وخطر البخل بها؟ يكفينا أنّهما عمودا اللؤم^(٢). وهل لمن أخذ بعمودي اللؤم واستمسك بهما من

١ - غافر، الآية / ٧٨.

٢ - لقد رأيت بأمر عيني في هذه الأيام وبعد كتابتي لهذا الموضوع أحد أعلام خزنة الأموال قد تملكه الحرص على الدنيا والبخل بالأموال على المحتاجين والفقراء بعدما كان على غير هاتين الصفتين اللئيمتين فنهيته عنهما وأرشدته قائلاً:

عرفتک فی خیر ما یُعرفُ	تصونُ الحقوقَ ولا تجحفُ
تحیی العزیزَ وتؤوی الیتیم	وتقصدک الضمیرَ النُحفُ
فغیرَ منک الزمانَ الجَہولُ	محاسنَ یکبرها المنصفُ
فأصبحت من بعد صرح العلی	مِثالَ الصَّغارِ وما یخلفُ
تَدُعُ الیتیمَ وتبکی الصغیر	وتجفو الکبیرَ ولا تأسفُ
کأنک تطلبُ نأراً لِمَا	صنعتَ قديماً فلا تعطفُ
وَمَنْ يَأْلَفُ البخلَ بعد النوال	فذاك الأعمى بل أسخفُ
وَمَنْ يَأْلَفُ الجودَ بعد الفطام	بِالسَّفَةِ من كان لا يألفُ

٢٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

كرامة ترجى وسلامة طريقة تُحتذى أو هل له من خلق جميل يتعامل به مع الناس؟ إن اللئيم لا دنياً يُحرز ولا آخرة يُنال. والوَبَالُ كُلُّ الوَبَالِ، أَنْ تُجْهَدَ النَّفْسُ فِيمَا لَا تَنَالُ. وَمِنَ الْخَبَالِ، تَرْكَاضُنَا إِثْرَ الْخَبَالِ.

البخل والنفاق من أذم الأخلاق

١٥٩ - قال إمام الأئمة أمير المؤمنين (عليه السلام): تجنّبوا البخل والنفاق، فهما من أذم الأخلاق^(١).

١ - مذام الأخلاق كثيرة قد ذكرها الفلاسفة الأخلاقيون وكشفوا النقاب عن أضرارها وآثارها السيئة، وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من أكثر الناس تعرّضاً لمحاسن الأخلاق ومحامدها دعوة لها وتحريضاً عليها، ومن أكثر الناس تعرّضاً لقبائحتها ومذامها نهياً عنها وحثاً على اجتنابها، وذلك في خطبه الوارفة وكلماته القصار وغير ذلك، فمما ذكر من مذامها على سبيل الأمثلة ما جاء في أقواله (سلام الله عليه):

- إن الجاهل من جهله في إغواء، ومن هواه في إغراء، فقله سقيم، وفعله ذميم^(٢).

- لا تصغ إلى ما لا يزيد في صلاحك استماعه فإن ذلك يصدي القلوب

تُرمى جـهـاراً وتُستهدف
يسحوك القسوق ويستأنف
بـخـيل الطـبيـعة لا يرأف
تصيب الأضالع بل تقطف
بـه يسعف اللـة من يسعف
منار الدجئة أو مصحف

٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ١٠٩١.

ألم تر أن طباع اللئام
وكم من فتى مرهق في الذنوب
أحب إلى الله من عابد
فأياك إنيك من رمية
فبغذ للمكارم يابن الذي
كان محاسن أخلاقه

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٥٢١.

ويوجب المذام^(١).

- إياك والمكر فإن المكر لخلق ذميم^(٢).

- من أقبح المذام مدح اللثام^(٣).

- من أخفر ذمة، اكتسب مذمة^(٤).

- إياكم وتحكم الشهوات عليكم؛ فإن عاجلها ذميم، وآجلها وخيم^(٥).

٢ - لا يشكُّ ذو مسكةٍ من عقلٍ وعلمٍ أن البخلَ والنفاقَ، مِنْ أذَمِّ الأخلاقِ، ولكن الاقتران بينهما والجمع بين لفظتيهما له دلالة عميقة دينياً وأخلاقياً، فإن الحكمة لم تُقرن بينهما بمجرد السجع والجمال اللفظي لا أكثر، بل لغاية معنوية أكبر من ذلك وأجلّ، ولعلّها من أجل أن توحى للآخرين وتشعرهم أن في البخل غاشيةً من النفاق وملابسةً له، نعم من النفاق هذه الصفة الذميمة جداً والتي ينفر منها الصالحون أشدَّ النفور، كما ينفر منها المنافقون أنفسهم ولا يريدون أن تُشاع أو تُذكر عنهم فيسقطوا في الميادين الاجتماعية وتكسد بضاعتهم السياسية. وكيف لا يلبس البخل النفاق أو شيئاً منه وإن صلى البخيل وصام، فالبخل يدلُّ على الابتعاد عن التوكل على الله سبحانه في الرزق والتعويض عن الانفاق في مجالاته المستحسنة في العقل والشرائع، فإنَّ الامسَاكَ عن الفضلِ والانفاقِ، لَمِنْ مَوْشَرَاتِ الرِّبِّغِ والنِّفاقِ، كما يدلُّ البخل على الأنايَّة والذاتية المستحكمة في النفس وهي من صفات المنافقين، ويدلُّ أيضاً على التنكُّر للنصوص الإلهية الكثيرة جداً الداعية إلى الإحسان والفضل والمبادرة إلى الخير والسماحة، ولا يكاد يوجد مؤمن ولا شبه مؤمن لا يعرف شيئاً ولو يسيراً للغاية عنها، والتنكُّر

١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٤٢١١.

٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ٥٦٠٦.

٣ - المصدر نفسه، الحكمة / ٦٤٨٦.

٤ - المصدر نفسه، الحكمة / ٦٩٧٣.

٥ - المصدر نفسه، الحكمة / ٥٣٠٧.

للتصوص الإلهية من صفات المنافقين. إن لم يكن البخل مُناقياً فهو خديته.

وأما الجمع بين البخل والنفاق فهو الكفر والضلال المبين.

أبعد الخلائق من الله تعالى البخيل الغني

١٦٠ - يروى عن الإمام علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) القول: أبعد الخلائق من الله

تعالى البخيل الغني^(١).

١ - كيف لا يكون البخيل الغني أبعد الخلائق من الله تعالى وهو الخائن للأمانة الإلهية إذ جعله الله أميناً على الأموال، فعليه أن يؤدي الأمانات إلى أهلها ويعطي كل ذي حق حقه. وكيف لا يكون البخيل الغني أبعد الخلائق من الله تعالى وهو الكافر بالقيم الإنسانية والفضائل الأخلاقية، والذي لا يهتم بعد أن أحرز الأموال لنفسه جوع الجائعين ولا حاجة اليتامى والمساكين. وكيف لا يكون البخيل الغني أبعد الخلائق من الله تعالى وهو الذي لا يكرم عياله (عيال الله سبحانه) ولا يحسن إليهم كما يريد ربُّ العيال. ولقد روى جعفر بن محمد عن آبائه (عليهم السلام) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: الخلق عيال لله تعالى فأحبُّ الخلق إلى الله من نفع عيال الله^(٢).

٢ - لا ريب أن الإنسان إذا كان محبباً للخير والإحسان فإنه يستطيع أن يكرم ويفضل ويصنع الصنائع بحسب قدرته وإمكانيته حتى وإن كان فقيراً، إذ ليس معنى الفقير من لا يمتلك شيئاً بل من يمتلك الشيء القليل، وبالتالي فإن بمقدوره أن يسلك درب الكرماء وأن يكون من بين صفوفهم، وهل يشكُّ أحد في أنه ضمن مقدرته يستطيع أن يبلغ درجة الإيثار، مع أن الإيثار أعلى درجات الكرم

والسخاء . ومن هذا المنطلق فكما أنه من الصواب أن يُعَدَّ الفقير جواداً، كذلك من الصواب أن يُعَدَّ بخيلاً، والبخيل ممقوت في الناس بغض إلى الله تبارك وتعالى . من هذه المقدمّة نريد أن نتوصّل إلى القول أن البخيل الفقير إذا كان بغيضاً إلى الله وبعيداً عن رحمته ، فإن البخيل الغنيّ أبعد الخلائق من الله تعالى .

٣ - قد يتصوّر القارىء أن تبايناً فكرياً قد وقع بين مقولة الإمام علي (أبعد الخلائق من الله تعالى البخيل الغني) وبين مقولته الأخرى (أبغض الخلائق إلى الله تعالى الجاهل لأنه حرّمه أفضل ما منّ به على خلقه وهو العقل) (١) . ولكنه لو التفت وساءل نفسه هل أن من العلم والعقل أن يبخل الغني بماله أم من الجهل والسفه ، وهل الغنيّ البخيل عالم بالله عزّ وجلّ أم جاهل به ؟ إذا ما التفت إلى هذا المعنى ودقّق فيه فسوف يعرف أن الغنيّ البخيل من أجهل الناس كلّ الناس .

٤ - ليس ما يقوله الإمام علي من أن البخيل الغنيّ أبعد الخلائق من الله تعالى مقتصرّاً على حالات فردية أو أشخاص معينين فقط ، بل إنه طابع عام يشمل الدول الغنية التي تبخل على رعاياها والمنضمين إلى لوائها كما يشمل الأفراد ، فهناك وجوه كثيرة ومتعددة الألوان يتضح فيها بخل الدول الغنية أو سخّها على الناس من بينها : ضالة المصارف على الشؤون الثقافية والعلمية ، وهبوط مستوى الضمان الصحي ، وضعف رواتب الموظفين بما فيهم المتقاعدون ، وعدم المساهمة الفعالة في المؤسسات الشعبية الخيرية منها والخدمية ، وهلمّ جرّاً .

خَيْرُ النَّاسِ مَنْ كَانَ فِي يُسْرِهِ سَخِيّاً شَكُوراً

١٦١ - في رواية عن إمام الأولياء والمتقين علي بن أبي طالب : خيرُ الناس :

مَنْ كَانَ فِي يُسْرِهِ سَخِيحاً شَكُوراً^(١).

مَا أَكْثَرَ الْبَخْلَاءَ وَالْأَشْحَاءَ مِنْ ذَوِي الْغِنَى وَالْيَسَارِ! إِنَّ مِنْهُمْ مَنْ اغْتَنَى بَعْدَ أَنْ اِكْتَسَحَهُ الْفَقْرُ وَاجْتَا حَهِ الْعَيْشِ الْجَدِيدِ فَهُوَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ خَشِيَةً وَفَرَقاً مِنْ تَكَرَّرِ الْمَاضِي الْحَزِينِ وَمِنْ سَوْءِ الْمَعَادِ إِلَى الْوَضْعِ السَّابِقِ، وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ كَانَ غَنِيّاً مِنْذُ بَدَايَةِ الْحَيَاةِ فَهُوَ يَقْبِضُ يَدَيْهِ خَشِيَةً وَفَرَقاً مِنْ مَقَاسَاةِ أَهْوَالِ الْفَقْرِ بَعْدَ الْغِنَى وَالْعُسْرِ بَعْدَ الْيَسَارِ.

عَلَى أَنْ مِنَ النَّاسِ جَيْلاً مِمَّنْ أَلْفُوا الثَّرَاءَ وَالْيَسَارَ وَأَلْفَهُمُ النَّوَالُ وَالْإِحْسَانُ، فَإِذَا بِهِمْ يَمْتَثِلُونَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ خَيْراً عَمِيماً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً وَاسِعَةً رَحِيبةً لِلْمَجْتَمَعِ فِي الْجِلِّ وَالتَّرْحَالِ.

وَمَا أَكْثَرَ الْمُقْلِينَ جِداً مِنَ الشُّكْرِ وَالْحَمْدِ مِنْ ذَوِي الْغِنَى وَالْيَسَارِ! بَلْ وَمَا أَكْثَرَ الْجَاحِدِينَ أَوْ الْمُنْكَرِينَ لَفِيضِ كَرَمِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِمْ حَتَّى كَأَنَّ قَارُونَ وَزَيْرَ فِرْعَوْنَ قَدْ أَصْبَحَ وَأَمْسَى مِثْلاً عَمَلِيّاً وَتَطْبِيقِيّاً لِمَوَاقِفِهِمْ مِنَ الْمَفْضَلِ الْمَنْعَمِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: «قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَيَّ عِلْمٍ عِنْدِي أَوْ لَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرَ جَمْعاً وَلَا يُسْئَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ»^(٢).

عَلَى أَنْ مِنَ النَّاسِ جَيْلاً مِمَّنْ أَلْفُوا الثَّرَاءَ وَالْيَسَارَ قَدْ أَلْفَهُمُ النَّوَالُ وَالْإِحْسَانُ كَمَا قَدْ أَلْفَهُمُ الشُّكْرَ وَالْحَمْدَ فَإِذَا بِهِمْ يَمْتَثِلُونَ فِي وَاقِعِ الْحَيَاةِ خَيْراً عَمِيماً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً وَاسِعَةً رَحِيبةً لَأَنْفُسِهِمْ فِي الْجِلِّ وَالتَّرْحَالِ وَالْدُنْيَا وَالْآخِرَةِ. «أُولَئِكَ عَلَيَّ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٣).

١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٤٧١.

٣ - البقرة، الآية / ٥.

٢ - القصص، الآية / ٧٨.

وأخيراً نَوَدُّ الفات النظر إلى عدم وجود لمسة من التعارض والاختلاف ما بين حكمة الإمام علي (خير الناس: مَنْ كَانَ فِي يُسْرِهِ سَخِيًّا شَكُورًا) أو ما هو قريب منها قوله (صلوات الله عليه): (خَيْرُ النَّاسِ مَنْ تَحَمَّلَ مَوْوَنَةَ النَّاسِ). وبين كلماته الأخرى في تحديد خير الناس وتثبيت صنفه مثل قوله: (خير الناس مَنْ طَهَرَ مِنَ الشَّهَوَاتِ نَفْسَهُ وَقَمَعَ غَضَبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ)^(١). أو قوله: (خير الناس مَنْ أَخْرَجَ الْحِرْصَ مِنَ قَلْبِهِ، وَعَصَى هَوَاهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ)^(٢). وذلك لأن الحديثين الأولين يشيران إلى خير الناس للناس فهما نظيران للحديث النبوي الشريف «خير الناس مَنْ انْتَفَعَ بِهِ النَّاسُ»^(٣). وأما الحديثان العلويان الأخيران فهما يشيران إلى خير الناس لنفسه وأنفعهم لذاته في غير منكر ولا حرام.

من جاد فقد أجاد

١٦٢ - قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (سلام الله عليه): الكريم يعفو مع القدرة، ويعدل مع الإمرة، ويكف إساءته، ويبدل إحسانه^(٤).

إن مَنْ يبذل ماله ويقدم إحسانه لا أكثر من ذلك فإنه قد أصاب في عمله وأجاد في صنيعه كما تقدّم، أو كما قلنا: مَنْ جَادَ فَقَدْ أَجَادَ. إلا أنه قد أحسن في شيء رائع رائقٍ واحدٍ يُنتظر منه أمثاله من المواصفات الإيجابية الشائقة حتى يطلق على صاحبها ذلك الاطلاق البديع الزاهي الأقرم (الكريم)، وهذه المواصفات الأخرى للكريم هي أن يعفو مع القدرة، ويعدل مع الإمرة، ويكف إساءته.

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٤٨٤٥. ٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ٤٨٧٣.

٣ - مشكاة الأنوار / ٢١٢، وأعلام الدين / ٣٢٣، وبحار الأنوار، ٧٤ / ١١٥.

٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٠٢٥.

٢٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 إن هذه المواصفات لا تقلُّ أهمية عن الجود، بل العدل مع الإمرة أجل منه
 وأعظم عند الله وعند أولي الألباب، ولقد قال محمد بن الحنفية (رضوان الله
 عليه): قال أمير المؤمنين (صلوات الله عليه): سمعت رسول الله «ص» يقول:
 قال الله تبارك وتعالى: لأعذبنَّ كل رعية دانت بطاعة إمام ليس مني وإن كانت
 الرعية في نفسها برّة، ولأرحمننَّ كل رعية دانت بإمام عادل مني وإن كانت الرعية
 في نفسها غير برّة ولا تقية^(١). فهنيئاً مريئاً للعاملين، وألف تحية وسلام لكل من
 أتموا أعمالهم وأكملوا مشاريعهم وواصلوا المسيرة الكريمة الطيبة.

المعروف أفضل الكُنوز وأحصن الحصون

١٦٣ - قال علي أمير المؤمنين كما جاء في كنز العمال للمتقي الهندي:
 المعروف أفضل الكُنوز وأحصن الحصون، لا يُزهدنك فيه كفرٌ من كفر، فقد
 يشكرك عليه من لم يستمتع فيه منك بشيء، فقد تُدرك بشكر الشاكر، ما يضع
 الجحود الكافر^(٢).

وقد ورد النص في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد منسوباً لعلي (عليه
 السلام) أيضاً بهذه الصورة من جمع الشريف الرضي: لا يزهدنك في المعروف
 من لا يشكره لك فقد يشكرك عليه من لا يستمتع بشيء منه، وقد يُدرك من
 شكر الشاكر أكثر مما أضرع الكافر، والله يحبُّ المحسنين^(٣).

قال المؤرخ العباسي عز الدين ابن أبي الحديد شارح نهج البلاغة وهو

١ - المجلسي، بحار الأنوار، ٣٦ / ٢٢٧.

٢ - كنز العمال (١٧٠١٦).

٣ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٩ / ٢٤، الحكمة / ٢٠١.

يعلّق على هذه الحكمة : قد أخذت أنا هذا المعنى فقلت من جملة قصيدة لي
حكيمية :

لا تسدينّ إلى ذي اللؤم مكرمةً فإنه سيخ لا ينبت الشجرا

فإن زرعت فمحفوظ بمضيعة وأكل زرعك شكر الغير إن كفر

ورأى العباس بن المأمون يوماً بحضرة المعتصم خاتماً في يد إبراهيم بن
المهدي فاستحسنه فقال له : ما فصّ هذا الخاتم ومن أين حصلته ؟ فقال إبراهيم :
هذا خاتم رهنته في دولة أبيك ، وافتككته في دولة أمير المؤمنين . فقال العباس :
فإن لم تشكر أبي عليّ حقنه دمك ، فأنت لا تشكر أمير المؤمنين عليّ فكّه
خاتمك . وقال الشاعر :

لعمرك ما المعروف في غير أهله

وفي أهله إلا كبعض الودائع

فمستودع ضاع الذي كان عنده

ومستودع ما عنده غير ضائع

وما الناس في شكر الصنيعة عندهم

وفي كفرها إلا كبعض المزارع

فمزرعة طابت وأضعف نسبتها

ومزرعة أكدت على كل زارع

هل أن المعروف أفضل الكُنوزِ وأحصنُ الحُصُونِ في حالة شكره والثناء على
فاعله من قِبَل من أسديت إليه النعمة ، أم في حالة شكره وعدم شكره معاً ؟ وإذا
كان في حالة شكره وعدم شكره معاً كما لعلّه من الواضحات ، فلماذا الزهد بأفضل
الكنوزِ وأحصن الحُصُونِ لمجرد أن فلاناً لا يشكر ويحمد وينشر طراز المحاسن ،

٣٠ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وفلاناً لا يثني ويمدح ويخلع أجمل الحلل على المحسن؟ إنَّ جُحُودَ النُّعْمَةِ لَا
يُحِيلُ البَحْرَ الزَّاحِرَ إِلَى سَرَابٍ، وَلَا الزُّهُورَ الخَضْرَاءَ إِلَى تُرَابٍ.

(أهل المعروف حقاً من يفعل الخير لمجرّد صاحب الخير؛ فالكريم لا يبالي
كفر الناس نعمته أم شكروها، ويكفي أن يستمرىء حلاوة الصنيعة حين اسدائها،
فهو يصنع الجميل ولو كان يعتقد أنه ليس في العالم قلب شكور، وليس اسداء
المعروف من باب التجارة، ولا من حساب الدخل والخرج، وما له إلا باب
واحد، وهو باب الخروج والانفاق، فإن دخل فيه شيء من الشكران كان ذلك
ربحاً، وإن لم يدخل فيه شيء فلا خسارة فيه، ولا يجوز إذاً لمحسن أن يقول
يوماً: خسرت الجميل، وقد استمرراً لذّته عند الاسداء)^(١).

سَاحَةُ الكَرِّ وَالْفَرِّ

١٦٤ - قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): مَا أَدْرِي أَيُّ النِّعْمَتَيْنِ
أَعْظَمُ عَلَيَّ مِنْ رَبِّي: رَجُلٌ بَدَلَ مُصَاصٍ^(٢) وَجْهَهُ لِي فَرَأَنِي مَوْضِعاً لِحَاجَتِهِ،
وَأَجْرَى اللّٰهَ قِضَاءَهَا أَوْ يَسَّرَهُ عَلَيَّ يَدِي، وَلَتُنَّ أَقْضِي لِمَرْءٍ مُّسْلِمٍ حَاجَةً أَحَبُّ
إِلَيَّ مِنْ مِائَةِ الأَرْضِ ذَهَباً^(٣).

١ - لقد أدهشتني كثيراً وأثارت منتهي استغرابي تلك الساحة الميّدانيّة
الكبرى سَاحَةَ الكَرِّ وَالْفَرِّ حيث رأيت أفواجاً من الناس يتراجعون وينهزمون
بخوفٍ وقلبي وذعري وارتباكٍ واضطرابٍ شديد، كما رأيت أفواجاً من الناس

١ - محمد جاد العولقي، الخلق الإسلامي الكامل / ٤١٩، وقد هذّب الكتاب وفسّر غريبه

٢ - المصاص: الخالص من كل شيء.

وعلق عليه يوسف علي بدوي.

٣ - كنز العمال (١٧٠٤٩).

يُقَدِّمُونَ وَيَقْتَحِمُونَ بِحُبُورٍ وَابْتِهَاجٍ وَأَمِنْ وَطْمَأْنِينَةٍ وَانْدِفَاعٍ شَدِيدٍ، وَمَا زَلَّتْ أَنْظَرُ
إِلَى هَوْلَاءَ وَهَوْلَاءَ مُسْتَعْرَباً، وَأُكْرِرُ النَّظْرَاتِ ذَاهِلاً، وَأُجِيلُ دَقَّةَ الْبَصْرِ وَالْبَصِيرَةَ
مِنْ دَهْشاً، وَأَلْحُ بِإِرْسَالِ قَوَائِمٍ مِنْ عِلَامَاتِ الْاسْتِفْهَامِ إِلَى هَذَا وَذَلِكَ مُتَسَائِلاً، حَتَّى
أَدْرَكَتْ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ بِمُظْهِرِهِ وَجَوْهَرِهِ: أَنَّ الْأَفْوَاجَ الْأُولَى أَفْوَاجَ نَمَطٍ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ
وَالْمُتَرَفِّينَ أَبَتْ نَفُوسُهُمُ الْمَرِيضَةَ، وَأَنْفَاسُهُمُ الْبَغِيضَةَ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا هُرَاباً وَفُرَاراً
مِنْ كُلِّ طَالِبٍ مُحْتَاجٍ، وَقَاصِدٍ مُهْتَاجٍ. وَأَنَّ الْأَفْوَاجَ الثَّانِيَةَ أَفْوَاجَ نَمَطٍ مِنَ الْكِرَامِ
الْمُحْسِنِينَ أَبَتْ نَفُوسُهُمُ الْغَرَاءَ، وَأَنْفَاسُهُمُ الْغَنَاءَ، إِلَّا أَنْ يَكُونُوا أَنْصَاراً وَأَعْوَاناً لِكُلِّ
فَقِيرٍ وَمُسْكِينٍ، وَمُعِيلٍ مَدِينٍ.

٢ - جَاءَ فِي الدَّعَاءِ الْمَعْرُوفِ بِدَعَاءِ الْإِفْتِتَاحِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ قَاصِمِ الْجِبَارِينَ،
مُبِيرِ الظَّالِمِينَ، مَدْرِكِ الْهَارِيِّينَ، نَكَالِ الظَّالِمِينَ، صَرِيخِ الْمُسْتَصْرِخِينَ، مَوْضِعِ
حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ^(١)،

إِذَا يُمْدِحُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَيُمَجِّدُ وَيُقَدِّسُ بِأَنَّهُ مَوْضِعُ حَاجَاتِ الطَّالِبِينَ،
فَكَيْفَ لَا يَكُونُ الْإِنْسَانُ جَلِيلَ الْقَدْرِ عَظِيمِ الشَّأْنِ يَسْتَحِقُّ الْمَدْحَ وَالْإِكْبَارَ إِذَا مَا
كَانَ مُؤَمَّلاً لِقَضَاءِ كَثِيرٍ مِنْ حَوَائِجِ النَّاسِ وَكَشَفِ ضُرَائِهِمْ؟ وَعَلَى هَذَا الْأَسَاسِ
وَبَشْكَالٍ عَامٍ فَإِنْ مِنْ قَصْدِ انْسَاناً مُؤَمَّلاً مِنْهُ قَضَاءَ حَاجَتِهِ، فَقَدْ أَكْبَرَهُ وَأَجَلَّهُ بِاعْتِبَارِ
أَنَّهُ رَأَى فِيهِ الْأَهْلِيَّةَ وَالْجِدَارَةَ لِقَضَائِهَا. أَوْ كَمَا قَالَ الْإِمَامُ: مَنْ انْتَجَعَكَ مُؤَمَّلاً فَقَدْ
أَسْلَفَكَ حُسْنَ الظَّنِّ بِكَ فَلَا تُخَيِّبْ ظَنَّهُ^(٢).

٣ - انْطِلَاقاً مِنْ رِحَابِ الْحَدِيثِ الْعَلَوِيِّ الْآتِفِ الذِّكْرِ فَإِنْ مِنْ قَضَى حَاجَةَ
مِنْ أُمَّلِهِ أَوْ قَامَ بِتَيْسِيرِهَا فَقَدْ اقْتَطَفَ الثَّمَارَ الْيَانِعَةَ الطَّيِّبَةَ لِنِعْمَتَيْنِ كَبِيرَتَيْنِ مِنْ نِعْمِ
اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ: نِعْمَةٌ تَبْجِيلِ الْقَاصِدِ وَالطَّالِبِ لِشَخْصِهِ الْكَرِيمِ، وَنِعْمَةٌ الْإِنْجَازِ

١ - ابن طاووس، إقبال الأعمال / ٥٩.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٧٢٥، والعقد المفصل، ١ / ٤٣.

الفعلي للحاجة أو تيسير الله لها علي يديه .

٤ - لا أحسب أن من قال فيه الرسول الأعظم «ص»: «أنا مدينة العلم وعليّ بأبها فمن أراد المدينة فليأت الباب»^(١). لا يدري - بحسب الحقيقة والواقع - أيّ النعمتين المذكورتين أعظم عليه من ربه، وإنما طرح الأمر بصيغة المتجاهل الفنّان المتمرّس بلغة الكلام وأسرار العربية ليؤكد تأكيداً قوياً علي الأهميّة القصوى لكلّ من النعمتين، ويبرز لأولي الألباب غاية الاعتبار لهما معاً.

كافل اليتيم أثير عند الله

١٦٥ - قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «كافل اليتيم أثير عند الله»^(٢).

من نافلة القول ان من يحظى بالإحسان الى اليتيم ويسدّ عوزَه في الطعام والشراب والكساء وتوفير الدواء وغير ذلك فإنّه يحظى باكتساب أجر الله تبارك وتعالى وثوابه الجسيم، يروى عن رسول الله «ص»: «أشبع اليتيم والأرملة، وكن لليتيم كالأب الرحيم، وكن للأرملة كالزوج العطوف؛ تُعطى كلّ نفس تنفست في الدنيا قصرًا في الجنة كلّ قصر خير من الدنيا وما فيها»^(٣). كما يروى عنه «ص»: «كن لليتيم كالأب الرحيم واعلم أنك تزرع كذلك تحصد»^(٤).

١ - الشريف المرتضى، تنزيه الأنبياء (ع) / ١٦١، والشيخ المفيد، الفصول المختارة /

١٣٥، ٢٢٠، ٢٢٤، والشيخ المفيد أيضاً، الإرشاد / ١ / ٣٤، وابن الأثير، أسد الغابة / ٤ / ٢٢.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٣٩٩.

٣ - مشكاة الأنوار / الفصل السادس عشر في ذكر الأيتام.

٤ - بحار الأنوار / ٧٤ / ١٧٣.

مع أن من الواضحات أن مجرد الاحسان إلى اليتيم لا يعني بالضرورة ايواءه وكفالاته بل هكذا الأمر في غالبية الأحوال. وأما كفالة اليتيم واعتباره واحداً من العيال والرفق به والابتعاد عن ضربه والإساءة إليه فهو المسبب للأجر العظيم الذي يقل نظيره في صالحات الأعمال وكرائمها، وإنه لعصارة الكرم السامي والجدود المرضي كل الرضا عند الله عزَّ وَجَلَّ، وحسب كافل اليتيم ثواباً أن يحشر في أعلى عليين.

كفالة اليتيم في السنة

قال رسول الله « صلى الله عليه وآله » : مَنْ ضَمَّ يَتِيماً بَيْنَ أَبْوَيْنِ مُسْلِمِينَ حَتَّى يَسْتَعْنِي فَقَدْ وَجِبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةُ (١).

وعن أنس بن مالك عن رسول الله « ص » : أَلَا مَنْ كَانَ فِي مَنْزِلِهِ يَتِيماً فَأَشْبَعَهُ أَوْ كَسَاهُ وَلَمْ يُوْذِهِ وَلَمْ يَضْرِبْهُ يَقْبَلْ مِنْهُ عَمَلُهُ (٢).

وقال « ص » : خَيْرُ بَيْتٍ فِي الْمُسْلِمِينَ بَيْتٌ فِيهِ يَتِيمٌ يَحْسُنُ إِلَيْهِ ، وَشَرُّ بَيْتٍ فِيهِ يَتِيمٌ يَسَاءُ إِلَيْهِ ثُمَّ قَالَ : أَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ (٣).

وعن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال : أَرَبْعٌ مِنْ كُنْ فِيهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَسْكَنَهُ اللَّهُ فِي أَعْلَى عِلِّيِّينَ فِي غَرْفٍ فَوْقَ غَرْفٍ فِي مَحَلِّ الشَّرَفِ كُلِّ الشَّرَفِ : مَنْ آوَى الْيَتِيمَ ، وَنَظَرَ لَهُ فَكَانَ لَهُ أَباً (٤).

وقال الصادق : إِنْ أَبِي حَدَّثَنِي : أَنْ شِيعَتَنَا أَهْلَ الْبَيْتِ كَانُوا خِيَارَ مَنْ كَانُوا

١ - مشكاة الأتوار / الفصل السادس عشر في ذكر الأيتام.

٢ - المصدر نفسه / الفصل السادس عشر في ذكر الأيتام.

٣ - المصدر نفسه / الفصل السادس عشر في ذكر الأيتام.

٤ - بحار الأتوار ٧١ / ٧٢.

٣٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

منهم إن كان فقيه كان منهم، وإن كان مؤذن كان منهم، وإن كان إمام كان منهم، وإن كان كافل يتيم كان منهم^(١). والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وفيما ذكرناه منها كفاية لمن شرح الله صدره ورغب رغبة حقيقية في كفالة اليتيم والاحسان إليه قربة إلى الله تبارك وتعالى.

يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكْتَسِبَ بِمَالِهِ الْمَحْمَدَةَ

١٦٦ - قال الإمام الأكبر أمير المؤمنين (عليه السلام): ينبغي للعاقل أن يكتسب بماله المحمّدة، ويصون نفسه عن المسألة^(٢).

١ - لقد كان الإمام أمير المؤمنين كثير الاهتمام والرعاية لقضايا السخاء والجود، كثير الأكبار للفضل والاحسان، ولهذا فإنه (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يحثُّ على ذلك ويحرّض عليه تحريضاً شديداً في شتى الأساليب المشروعة والممكنة. ولم يكتفِ بأن يخاطب المؤمنين والصدّيقين وطالبي ثواب الآخرة في المجال المذكور، بل يخاطب وينصح بذلك العاقل بما هو عاقل مؤمناً كان أو غير مؤمن صالحاً كان أو طالحاً. إن مسألة رئيسية على صعيد مجرى الحياة ومنهج التربية والأخلاق كمسألة الجود والسخاء، والاحسان والفضل والسماح، لا ينبغي أن يقتصر فيها الخطاب التعبويّ على فئة من الناس وإن طابت وكرمت مثل فئة المؤمنين والصالحين، بل لا بُدَّ من اشراك ومساهمة أكبر عدد ممكن فيها، في سبيل نشر أريج الانعام والإحسان، في كلِّ زمان ومكان، وإذكاء عبير الخير والبرِّ، في كلِّ بحرٍ وبرّ.

١ - مشكاة الأنوار / الفصل السادس عشر في ذكر الأيتام.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨١٩٩.

٢ - لا يحمد العاقل ولا يُشاد بذكره على طعام يأكله وإن تنوَّق فيه وطاب له، ولا على شرابٍ يحتسيه وإن راق وعذب في فمه، ولا على ثياب يكتسيها وإن أُجيد نسجها، وإنما يُحمَد ويُمَجَّد على ما يبذل وينفق من الأموال في تلك المواطن الكثيرة التي تستحق البذل والانفاق.

٣ - العاقل من يشتري الحمْد، ويبتغي المجد، فيسهر لأجل ذلك الليالي الطوال وينفق الأموال الغزار ويبذل الجاه والمكانة الاجتماعية ويشدُّ على يد حركيَّة السعي والجِد؛ وُصُولاً إلى خير ينال بفضلٍ يُنيل، واحتضاناً للأفق الجميل السَّاحر من آفاق المجدِّ والمكارم. وإن لم يجعل اللبيب من ماله نصيباً موفوراً لكريم النفس فلا لبَّ له، إنَّ أجملَ جمالِ الأموال أن تنفق في أحسن الإحسان والافضال. وهيهات أن تكون القطوف دانيةً يومَ الدين، لمن لم تكن قُطوفه دانيةً من اليتيم والفقير والمِسكين.

قدرة نكبات الدهر في منع تكديس الثروة

١٦٧ - قال الإمام أمير المؤمنين لابنه الحسن (ع): يَا بَنِي لَا تُخْلَفَنَّ وِرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تَخْلَفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعَتْ لَهُ، فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْتِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَمُرْوَى هَذَا الْكَلَامِ عَلَى وَجْهِ آخَرَ وَهُوَ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ: رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ

٣٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيَتْ بِهِ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهَا جَمَعْتَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَّ بِمَا
جَمَعْتَ لَهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤَيِّرَهُ عَلَى نَفْسِكَ أَوْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ،
فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى (١).

١ - نظر الحكيم اليوناني ريسموس الى جنازة رجل من الأغنياء كان محباً
لجمع المال فقال: هذا لم ينتفع بعمره، وخلف عمره لغيره (٢).

٢ - لا يُخْلَقُ الْمَالُ مِنْ لاشيء وإنما هو الدنيا يتوارثها الناس ويتناهبوها
قبل أن يتواهبها القريب منهم والبعيد، ويتعاقبون على اقتطاف زهرتها فيما بينهم،
وإنما مثل المال مثل الخلافة أو الرئاسة لا تصل الى اللاحق حتى يتركها السابق
طوعاً أو كرهاً. على الخليفة أو الرئيس أن يعتبر بمن قبله كيف تغشته المنية
وأدركه قدر لا مفر منه ولا نجاة، فسواء أصلح أم أفسد وأساء أم أحسن فإن له
يوماً لا يعدوه، فعليه الانتفاع بتجاربه ونتاج أعماله أو بعبارة أدق عليه الانتفاع
بتجارب الزمان فيه، فلا يجعل الخلافة أو الرئاسة إلا وسيلة لنيل الخير والفضيلة
والتزلف الى الحي القيوم تبارك وتعالى، قبل أن ينتقل الأمر منه الى غيره كما انتقل
من غيره اليه. وهكذا بالنسبة الى صاحب المال في تصويب نظراته الى المالكين
من قبله ومن انتقل الملك منهم اليه من الأحياء والأموات، إنه ينبغي للمالك أن
يتفكّر ليعتبر، ويتأمل ليزدجر، فسواء أصلح المالك قبله أم أفسد وأساء أم

١ - شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٥٤، الحكمة / ٤٢٤، وغرر الحكم، الحكمة / ٨٣٣٤. قال
ابن أبي الحديد في شرحه لهذه الوصية: روي فإنك لا تخلفه إلا لأحد رجلين، وهذا الفصل نهي
عن الادخار وقد سبق لنا فيه كلام مقنع. وخلاصة هذا الفصل أنك إن خلفت مالاً فإما أن تخلفه
لمن يعمل فيه بطاعة الله أو لمن يعمل فيه بمعصيته فالأول يسعد بما شقيت به أنت والثاني يكون
معاناً منك على المعصية بما تركته له من المال وكلا الأمرين مذموم وإنما قال له فارج لمن مضى
رحمة الله ولمن بقي رزق الله لأنه قال في أول الكلام قد كان لهذا المال أهل قبلك وهو صائر
إلى أهل بعدك.

٢ - صوان الحكمة / ٢٥٤.

أحسن فإنَّ لماله يوماً لا يعدوه، بل إن لروحه التي بين جنبيه يوماً لا يعدوها ومصيراً لا يتجاوزها.

٣ - إن صاحب المال في جمعه للأموال وأدخاره لها لواقع بين جدارين سميكين من خيارين لا ثالث لهما وهما بحسب مقولة أمير المؤمنين (عليه السلام): إما رجل عمل فيما جمعت بطاعة الله فسعد بما شقيت به، أو رجل عمل فيما جمعت بمعصية الله فشقي بما جمعت. إلا أن السؤال الذي يواجهنا: أي واحد من الخيارين المذكورين تقع عليه ميول صاحب المال واختياره محض ارادته؟ ولا ريب أنه سواء اختار هذا أو ذلك فإنه ليس أولى بتوجيه المال وجهة صحيحة من نفسه ولا بتوظيفه توظيف الكرام المحسنين النافعين للناس والراغبين فيما عند الله تعالى (وليس أحد هذين أهلاً أن تؤثره على نفسك ولا تحمل له على ظهرك).

٤ - وقال (عليه السلام): إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللَّهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَانْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلَ بِه النَّارَ^(١).

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان: السعيد ابن الشقي، وذلك أن عبد العزيز بن مروان ملك ضياعاً كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله بل بسُلطان أخيه عبد الملك وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها، ثم تركها لابنه عمر فكان ينفقها في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البِرِّ والقربات، إلى أن أفضت الخلافة إليه فلما أفضت إليه أخرج سجلات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزَّقها بمحضر من الناس وقال: هذه كتبت من غير أصل شرعي وقد أعدتها إلى بيت المال.

٣٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٥ - قال المنصور لعمر وبن عبید رحمہ اللہ تعالیٰ: عظمی. قال: بما رأیت أم بما سمعت؟ قال: بما رأیت. قال: رأیت عمر بن عبد العزیز وقد مات فخلف أحد عشر ابناً وبلغت تركته سبعة عشر ديناراً كفن منها بخمسة دنانير واشتري موضع قبره بدينارين وأصاب كل واحد من ولده دون الدينار، ثم رأيت هشام بن عبد الملك وقد مات وخلف عشرة ذكور فأصاب كل واحد من ولده ألف ألف دينار ورأيت رجلاً من ولد عمر بن عبد العزيز قد حمل في يوم واحد على مائة فرس في سبيل الله، ورأيت رجلاً من ولد هشام يسأل الناس ليتصدقوا عليه^(١).

٦ - إنه مهما نظرت المذاهب الاقتصادية الراغبة في التكافل الاجتماعي والانساني وعدالة التوزيع والرادعة عن تكديس الثروة بيد أفراد معينين بما فيها المذهب الاقتصادي في الاسلام، ومهما عملت على تطبيق ذلك فإنها لا تبلغ من قوة العمل والتنفيذ لهذه الأفكار القيمة مبلغ نكبات الدهر وعواصف الزمان وتقلب الأحوال واقتحام المنايا في تشيتها للثروة ومنعها من تكديس الأموال. فلينظر ناظر برحمة ورأفة لنفسه ولتفكر بسداد وبعد غور في ماله وليتق الله ربّه حقّ تقاته أو فليثق الله ربّه ما استطاع^(٢).

الأخ في الله ظلُّ الله فأكرّمه

١٦٨ - قال الحسين بن سعيد الأهوازي في كتابه «المؤمن» عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: لئن أطعم أخاك لقمةً أحبُّ إليّ من أن

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٢ / ١٠١.

٢ - قال بعض الحكماء: لن تصبح في شيء من الدنيا إلا وقد كان له أهل قبلك ويكون له أهل من بعدك وليس لك من الدنيا إلا عشاء ليلة وغداء يوم فلا تهلك نفسك في أكلة وصم عن الدنيا وأفطر على الآخرة فإن رأس مال الدنيا الهوى وربحها النار.

التنظيف العُلوي للجُود والإينار ٣٩
أَتَصَدَّقُ بِدَرَاهِمٍ، وَلَئِنْ أُعْطِيَهِ دِرْهَمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعَشْرَةٍ، وَلَئِنْ أُعْطِيَهِ
عَشْرَةً أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً^(١).

ورد التأكيد الكثير على الصدقة وفضلها وأهميتها الخاصة في السنة المطهرة،
وقد جرّبها المجرّبون في دفع أمواج البلاء واستنزال الرزق الحلال، إذا كيف يكون
اطعام الأخ لقمة واحدة أحبّ إلى الامام أمير المؤمنين من التصدق بدرهم،
والدراهم آنذاك يكفي لشراء وجبة غنيّة من الطعام؟ ولا يعرف الجواب إلا من بعد
معرفة المقصود من الأخ في هذا الكلام، فإن له الأصناف التالية:

١ - الأخ في الانسانية فإنه خلق كخلقنا وله عقل ومشاعر وأحاسيس كتلك
التي لنا، وله ازاءنا حقوق لا تنكر، والله ربّنا وخالقنا وإليه مصيرنا وتحت أريكته
نلتقي جميعاً في يوم الدين.

٢ - الأخ في الاسلام فمن شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله
«صلى الله عليه وآله وسلم» فهو أخونا في الاسلام، وله علينا حقوق وثيقة حتى
وإن لم يكن صحيح الايمان سليم المعتقد قويم السلوك.

٣ - الأخ في الله وهو المؤمن التقيّ الملتزم بأحكام الدين والذي ليس في
أخوته شوب من المكر والغش والدجل، بل إنه الصادق في المودّة، الزكيّ في
الأخوة.

إن الصنف الثالث من هؤلاء الأخوة هو المقصود من الخبر الشريف، بحيث
أن اطعامه لقمة واحدة خير بأضعافٍ وأضعاف من التصدق على غيره بمثلها؛
باعتباره الأفضل والأمثل والأكثر قرباً لنا. إن الأخ في الله ظلُّ الله، أفلا يكرمُ

١ - المؤمن / باب ثواب من أطعم مؤمناً أو سقاه أو كساه أو قضى دينه، الحديث (٧)

نسخة خطيّة عند والد المؤلف.

٤٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
عباد الله ظلّ ربّهم المتعال؟ إن اطعام الأخ في الله لقمة واحدة أحبّ إلى الإمام
أمير المؤمنين من التصدّق على غيره بأمثالها وأضعافها سواء كانت من أجل
التخفيف عن جوعه أم من أجل تكريمه وتبجيله والاعتناء بالمزيد من كسب
موذّته (١).

وهذا الأخ بالذات هو الذي قدّمه الإمام تقدماً كبيراً على من سواه من سائر
الأخوة قائلاً: ولئن أعطيه دِرْهَمًا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَتَصَدَّقَ بِعَشْرَةٍ، بل إنه (سَلَامُ اللَّهِ
عَلَيْهِ) قد ذهب إلى ما هو أشدّ من هذا في التكريم للأخ في الله وأبلغ في العناية
والرعاية حيث يقول: ولئن أعطيه عَشْرَةَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُعْتِقَ رَقَبَةً.

نعم نعم قد ذهب إلى ما هو أشدّ في التكريم وأبلغ في العناية والرعاية إن من
حيث الجانب المادي باعتبار أن القيمة الشرائية للرقبة أضعاف العشرة من
الدرهم، وإن من حيث الجانب المعنوي المتمثّل بتحرير نفس بشريّة من الرقّ
وانتقالها من ذل العبوديّة، الأمر الذي كان الإمام نفسه يلحّ على إبراز أهمّيّته
البالغة في أحاديثه وأفعاله حيث اشتهر عنه القيام بتحرير ألف نفسٍ من شتى
الرقاب بأموال من كدّ يمينه كما ذكرنا ذلك في هذا الكتاب. ولكنه الأخ المؤمن
الملتزم وتكريمه واعطاؤه ما يحتاج إليه واعانتته بالقدر الممكن على شقّ
طريقه في الحياة وتحسين حالته المعاشية ولو بِدِرَاهِمٍ معدودةٍ وأن لا نُكُونَ فِيهِ
مِنَ الزَاهِدِينَ.

١ - ويتضح معنى الأخوة بشكل أوفى وأدقّ في كثير من الكلمات العلويّة الرشيدة من

قبيل:

- أخوك في الله من هداك إلى رشاد ونهاك عن فساد وأعانك على إصلاح معاد.
- أخوك الصديق من وقاك بنفسه وآثرك على ماله وولده وعرسه.
- أخوك مواسيك في الشدة.
- خير إخوانك من إذا احتجت إليه كفاك وإذا احتاج إليك أعفك.

الجَوَادُ مَنْ بَدَلَ مَا يُضَنُّ بِمِثْلِهِ

١٦٩ - قال الإمام الأكبر أمير المؤمنين (عليه السلام): الجَوَادُ مَنْ بَدَلَ مَا يُضَنُّ بِمِثْلِهِ (١).

هذا تعريف جميل للجواد في تعبير مختصر مفيد إنه: مَنْ بَدَلَ مَا يُضَنُّ بِمِثْلِهِ. فالذي يجود بالشيء الجليل القيمة الكبير الأهمية الذي يبخل الباخلون وأشباههم أن يجودوا بمثله هو الجواد الذي لا ريب فيه ولا نزاع في معناه. فالغني الذي يهب مثلاً مائة مثقال من الذهب أو ألف مثقال يعتبر من الأجواد لدى مختلف الناس من حيث ارتفاع قيمة مائة مثقال من الذهب أو ألف مثقال، والبخلاء مهما كان لهم من الثراء والغنى لا يصنعون ذلك طائعين بل يفرّون فرار العبيد المأجورين والمُدْرَبِينَ على المسابقات في المسافات الطويلة عن الاقتراب أو شبه الاقتراب من ساحته المحرّجة وميدانه الصعب الساخن.

وإذا ما رمينا الطرف نحو الناس الطيّبين جماعات ووحداً نتخيّلهم - ونحن غير متأكّدين - وهم يسبحون في شواطئ بحر الجود والسخاء، وآخرين في الأعماق البعيدة من البحر يجودون بما ملكت أيديهم وإن كانوا لا يمتلكون إلا شيئاً يسيراً، غير أنهم في حاجة لما يبذلون وأن أمثالهم من أهل الحاجة والخلة لا يجودون به، فهل نعدّهم من الأجواد مع قلته المبدول وعدم ارتفاع قيمته السوقية؟ الواقع أن ما ينفقون ثمين وجليل الأهمية بالنسبة إليهم، ولهذا فهم من الأجواد، لأن ما يجودون به يضنُّ أمثالهم بمثله. فليس اعتبار القيمة السوقية للشيء المبدول هو المقياس الوحيد للجود، بل كلُّ من جاد بما يضنُّ مثله بمثله

٤٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فهو جواد في القانون الأخلاقي الدقيق الذي كتب مبادئه وأعلنها الإمام أمير
المؤمنين وطبقها بنفسه، فهو يجود بما يملك ويضن بمثله سواء كان عظيم الثمن
في الاعتبار السوقية أم لا، ولكنه على كل حال محتاج إليه حاجة شخصية
كبيرة.

مَنْ وَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ وَجِبَتْ مَعُونَتُهُ عَلَيْكَ

١٧٠ - يروى عن الإمام الأكبر أمير المؤمنين القول: مَنْ وَجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ
وَجِبَتْ مَعُونَتُهُ عَلَيْكَ (١).

وجوب معونة الراغب إليك في مساعدته وتكريمه إنما هو وجوب أخلاقي
وإنساني لا يتهدَّبُ منه كرام الناس وأفاضلهم ما استطاعوا اجراءه وتنفيذه،
ويكون في بعض الحالات وجوباً أخلاقياً وإنسانياً وشرعياً في نفس الوقت، ومن
أهم مفردات هذه الحالات أن لا يجد المضطر وصاحب الحاجة المهمة والماسة
معيناً له من الناس قادراً على إنجازها غيرك.

من غير البعيد إذا ما أردنا تعليل الوجوب تعليلاً أخلاقياً - إضافة لما أشرنا
إليه - أن نقول: إنما يجب ذلك لأنَّ من وجَّهَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ فقد قرَّرَ ابتداءً أو لاح في
أفق تفكيره أنك أهل لقضاء الحاجة وجدير بتدليل المطلب واستجابة دعوة
المنادي، ففي هذا مدح مضمرك وتبجيل لشخصك وإبراز لصفحة من صفحات
مجدك وعلاك، يقول الإمام أمير المؤمنين: مَنْ انتجعك مؤملاً فقد أسلفك حسن
الظن بك فلا تخيَّبْ ظنَّه (٢). هذا أولاً، وثانياً لما بيَّنه إمام الحكماء علي (عليه
السلام) أيضاً: يَتَّبِعِي لِمَنْ لَمْ يُكْرِمْ وَجْهَهُ عَنِ مَسْأَلَتِكَ أَنْ تُكْرِمَ وَجْهَكَ عَنِ

رَدُّهُ^(١). وثالثاً لما يقوله الإمام أمير المؤمنين كذلك: من قَبِلَ عَطَاءَكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الْكَرَمِ، ولو لا من يقبل الجود لم يكن من يجود^(٢).

إِنَّ الْكَرَمَ خَيْرٌ عَمِيمٌ وَنُورٌ مُبِينٌ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِمَا مَثَلٌ رَفِيعٌ لِرَحْمَةِ السَّمَاءِ بِالْمَحْسَنِ الْكَرِيمِ.

لا ينبغي أن يقال إن هذا الذي وجَّهَ رغبته إليك إنما أراد بذلك قضاء حاجته وحلَّ مشكلته لا تكريمك وسوق النعمة إليك. فإنه سواء أراد التكريم عن سابق نية أو لم يرده بتاتاً فقد أجرى الله تبارك وتعالى نعمته الجزيلة عليك وجعله سبباً لمدحك وجلالك من حيث يشعر الطالب والسائل بذلك أو لا يشعر، ومن كان سبباً للتوفيق، فهو بالشكر والثناء حقيق.

اقتصدوا على أنفسكم وجودوا على شعوبكم

١٧١ - يُروى عن الإمام علي بن أبي طالب أنه قال: مَنْ اقْتَصَدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، فَقَدْ اسْتَعَدَّ لِنَوَائِبِ الدَّهْرِ^(٣).

لقد كان علي بن أبي طالب من أجود البشر وأحسنهم آثاراً في البذل والاحسان والتضحية والمواساة، كما انه قد نظر للجود والكرم وأوصى بهما وحثَّ عليهما في مئات من الأحاديث والخطب والكلمات القصيرة المروية عنه (سلام

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣١٤، الحكمة / ٥٩٣. وقريب منه ما في

عيون المواظ والحكم عن علي كذلك الحكمة / ٧٢١١؛ من لم يصن وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن رده. وفي بعض الروايات: من لم يصن وجهه عن مسألتك فصن وجهك عن رده.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٦٥٧، والعقد المفصل، ١ / ٤٣.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٠٧٠.

٤٤ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الله عليه)، إذاً لماذا يجب العمل بالاعتقاد وما حدود اقتصادياته^(١)؟

أما تحييد الإمام للاقتصاد فلأنه يشكّل نصف مئونة العيش، (الاقتصاد نصف المئونة). ولأن الاقتصاد مهبط مبارك لما يريد الله تعالى من الخير بالإنسان (إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والإسراف^(٢)). ولأن الاقتصاد له الأثر الطيب الكبير في إدامة الغنى إن كان، وسدّ ثغرات الفقر والعوز ما كانا (من صحب الاقتصاد دامت صحبة الغنى له، وجبر الاقتصاد فقره وخلله). ولأنه يدل على التفكير السليم والعقلية الناضجة في سياسة الأموال (كفى بالمرء كيساً أن يقتصد في مآربه، ويجمل في مطالبه)^(٣). ولأنه سنة جميلة لما عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وأهل بيته «ع» فمن اتبعها فقد هُدي إلى صراط مستقيم (طريقنا القصد وسنتنا الرشد)^(٤).

أما عن حدود الاقتصاد في الانفاق حسب منهاج الإمام علي بن أبي طالب فيتمثل في حالة الإنسان الشخصية أي أن من المفروض أن كل واحد منا يكون مقتصداً في نفقته على نفسه في مطعمه ومشربه وملبسه وغير ذلك من شؤونه الخاصة، فلا إسراف ولا تبذير بل اقتصاد وتدبير، (عليكم بالقصد في المطاعم فإنه أبعد من السرف وأصح للبدن وأعون على العبادة). والاقتصاد في حدوده

١ - من جملة ما قاله الإمام علي حول الاقتصاد ما جاء في غرر الحكم عنه (عليه السلام): لن يهلك من اقتصد. ليس في اقتصاد تلف. الاقتصاد نصف المئونة. إن منع المقتصد أحسن من عطاء المبدّر. عليك بالعدل في الصديق والعدو والقصد في الفقر والغنى. عليك بالقصد فإنه أعون شيء. على حسن العيش. من صحب الاقتصاد دامت صحبة الغنى له وجبر الاقتصاد فقره وخلله. من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٢٩٥٢.

٣ - المصدر نفسه، الحكمة / ٦٥٥٣، وغرر الحكم، الحكمة / ٨٠٦١.

٤ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٥٥٩.

الشخصية يعبر عن لون متألّق من ألوان الزهد والتقشّف، كما يتمثّل الاقتصاد في حالة الانسان إذا لم يشأ أن يكون جواداً كريماً كما ينبغي له ليرتفع شأنه في الدنيا والآخرة، فإنه يعمل بالاقتصاد متجنباً البخل واللؤم (كن جواداً مؤثراً أو مقتصداً مقدراً وإياك أن تكون الثالث). فالتعامل هنا تعاملاً اقتصادياً مع أبناء المجتمع بلا بخل أو شحّ عليهم بما ملكت اليمين وأنما في طبق وضع قائم ما بين الجود وبين البخل.

وقد لاح لنا أنه في حالات معيَّنه تطلق كلمة الاقتصاد في الأحاديث الشريفة ولا يراد بها الوسطية في الانفاق بين الجود والبخل، بل المراد بها الوسطية بين الاسراف والتبذير وبين الجود الخالي منهما وإن كان جوداً فيّاضاً ودفاقاً، ومن هذا القبيل ما جاء عن الإمام علي في الحديث السابق: إذا أراد الله بعبد خيراً ألهمه الاقتصاد وحسن التدبير وجنبه سوء التدبير والاسراف. بدليل أنه قرن الاقتصاد بالتدبير، وبدليل أنه جعله مقابل الاسراف والتبذير. وهكذا قوله (عليه السلام): من الاقتصاد سخاءً بغير سرف، ومروءة من غير تلف^(١). فقد جعل السخاء قسماً من الاقتصاد لا قسيماً له.

ما يقوله الإمام الأكبر حول المسار الاقتصادي وآثاره النافعة (من اقتصد في الغنى والفقر، فقد استعدّ لنوائب الدهر) إنما تتحقق منافعه فيما إذا طبّق بشكل صحيح، وأما إذا ما عمل به بصورة خاطئة فشأنه شأن مختلف التعاليم والقوانين القويمة إذا لم تُفهم فهماً دقيقاً أو لم يعمل بها ضمن الاطار السليم، وذلك اذا اعتقد من يخرج عن دائرة الاقتصاد ويقع في الاسراف بأنه مقتصد في نفقاته (من لم يحسن الاقتصاد أهلكه الإسراف)^(٢). أو يقع انسان ما في مطبات البخل - عمداً أو خطأ - وهو يدّعي أن مسيرته المعيشية مسيرة اقتصادية منتظمة حسب المنطق

٤٦ فلسفة الجود والابتكار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) والعقل والشريعة والذوق الرفيع. إنَّ أوباً وديانِ البخلِ لوادي البخلِ المُنظَّم.

لقد كان رسولُ الله والإمامُ علي بن أبي طالب (سلامُ الله عليهما) أكرمَ الخلقِ وأجودَهم على الناس، في الوقت الذي كانا فيه من أشدِّ الناس اقتصاداً على نفسيهما في كلِّ أدوار حياتيهما الكريمتين، فَمَنْ أَحَبَّ الذِّكْرَ السَّنِّيَّ العاطِرَ في دنيا المُثَلِّ السامية والأخلاقِ الرشيدة العُليا، وأراد الفوزَ والسعادةَ في النشأةِ الآخرة فليشرِّف منزلهُ وليكرمُ نفسه بالاعتدائِ بهما واقتفاء تلك الآثارِ الإلهية الجميلة.

مَنْ قَابَلَ الإِحْسَانَ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ فَقَدْ جَازَاهُ

١٧٢ - قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ قَابَلَ الإِحْسَانَ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ فَقَدْ جَازَاهُ^(١).

يصدر الناس عن مواقف أخلاقية مختلفة اختلافاً كثيراً إزاء المحسنين اليهم والمفضلين عليهم من شتى الناس، فهم يتوزعون ضمن المحاور الرئيسية التالية إذ أن كلَّ قطاع اجتماعي منهم لا يخلو من الانضمام إلى أحدها:

المِحْوَرُ الأول : مَنْ قَابَلَ الإِحْسَانَ بِالسُّكُوتِ عَنْهُ وَلَمْ يَصْدُرْ عَنْهُ أَيُّ شَيْءٍ يَدُلُّ عَلَى شُكْرِ أَوْ كُفْرِ لِلنِّعْمَةِ أَوْ الْمُنْعَمِ، وَيَعْتَبَرُ مِثْلَ هَذَا السُّكُوتِ مَوْقِفًا سَلْبِيًّا مِنْ قِبَلِ الْمُحْسِنِ إِلَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ أَدْنَى الْمَوَاقِفِ سَلْبِيَّةٍ وَشُرُورًا.

المِحْوَرُ الثاني : مَنْ قَابَلَ الإِحْسَانَ بِنَوْعٍ مِنْ إِسَاءَةٍ مُمَثِّلَةٍ بِجُحُودِ النِّعْمَةِ

وانكار احسان الطرف المحسن ، من دون أي قدح فيه أو ذمّ لشخصه .

المِحْوَرُ الثالث : مَنْ قَابِلَ الْإِحْسَانِ بِنُوعٍ مِنْ إِسَاءَةٍ مَتَمَثِّلَةٍ بِجُحُودِ النِّعْمَةِ

وانكار احسان الطرف المحسن ، مع القدح فيه والذمّ لشخصه . ويعتبر مثل هذا العمل الإجرامي أشدّ المواقف سلبيةً وخبثاً وشروراً وأدّ لها على الظلم واللؤم والغدر والخيانة .

المِحْوَرُ الرابع : مَنْ قَابِلَ الْإِحْسَانِ بِطَرَفٍ مِنَ الشُّكْرِ أَوْ بِإِحْسَانٍ دُونَ

إِحْسَانِ الْمَقَابِلِ كَمَا أَوْ كَيْفَاً ، وَمَنْ سَبَرَ أَعْوَارَ النَّاسِ وَأَطَّلَعَ عَنْ كَتَبِ عُلَى كَثِيرٍ مِنْ مَوَاقِفِهِمْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ قَدِيمَاً وَحَدِيثَاً رَضِيَ بِهَذَا الْمَقْدَارِ مِنْ مَقَابِلَةِ الْإِحْسَانِ وَالصَّنِيعَةِ ، بَلْ فَرِحَ بِهِ وَهَشَّ لَهُ .

المِحْوَرُ الخامس : مَنْ قَابِلَ الْإِحْسَانِ بِإِحْسَانٍ نَظِيرٍ لَهُ فِي الْكَمِّ أَوْ

الْكِيفِ ، فَهَذَا يُشِيرُ إِلَى وَفَاءٍ وَحُسْنِ تَصَرُّفٍ وَإِلَى خُلُقٍ جَمِيلٍ ، بَعِيدٍ أَنَّهُ دُونَ الْمُرَادِ ، إِذْ يَبْقَى لِلجِهَةِ الْمَقَابِلَةِ الْفَضْلَ وَالتَّفُوقَ عَلَى إِحْسَانِهِ ، لِأَنَّ لَهَا فَضِيلَةَ السَّبِقِ لِلْمَعْرُوفِ وَالابْتِدَاءِ بِهِ ، وَبِالتَّالِيِ فَإِنَّ هَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْإِحْسَانِ دُونَ حُدِّ الْجَزَاءِ .

المِحْوَرُ السادس : مَنْ قَابِلَ الْإِحْسَانِ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ ، فَإِنَّ صَنْعَ ذَلِكَ فَقَدَ

جَازَاهُ بِالمِثْلِ ، وَهُوَ أَفْضَلُ المِحَاوِرِ كُلِّهَا وَأَسْمَاها أَعْلَاقاً . أَمَا تَعْلِيلُ كَوْنِ الْمَقَابِلَةِ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ جَزَاءً لِأَنَّ كَثْرَةَ جَزَاءٍ مِنْ جَزَاءٍ ؛ فَلِأَنَّ الكَمِّيَّةَ أَوْ الكَيْفِيَّةَ الرَّاجِحَةَ الَّتِي يُقَابَلُ بِهَا المَبْتَدِئُ بِالإِحْسَانِ قَدْ عَوَّضَتْ عَنْ فَضِيلَةِ الْإِبْتِدَاءِ بِهِ ، كَمَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذَا المَعْنَى مِنَ الفِلسَفَةِ الأَخْلَاقِيَّةِ لِلإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (مَنْ قَابِلَ الْإِحْسَانِ بِأَفْضَلٍ مِنْهُ فَقَدْ جَازَاهُ) .

لَيْسَ لِبَخِيلٍ حَبِيبٌ

١٧٣ - قال الإمام أمير المؤمنين: لَيْسَ لِبَخِيلٍ حَبِيبٌ (١).

تطلق كلمة الحبيب في آداب اللغة العربيّة على طرفي المَحَبَّةِ معاً وهما المُحِبُّ والمُحَبُّوب. ولسنا نعلم على جهة القطع والجزم أيُّهما مراد الإمام أمير المؤمنين ولهذا فسوف نتحدّث عن الحكمة في صورتين معاً:

الصورة الأولى

لقد شغل الجانب المادي من الحياة قلبَ البخيل وتفكيره ومشاعره، حتى قد أصبح لا يؤدُّ شيئاً ويهواه حقيقة الود والهوى إلا من خلال الدراهم والدنانير، فمن أكسبه ربحاً وأفاده مالاً فهو المحبوب المودود، ومن سبّب له نقصاً في ممتلكاته وأمواله فهو البغيض له البعيد عن أحاسيسه ومتطلّعاته. وهناك حالات محدودة يحبُّ فيها البخيل أشخاصاً معينين محبّة لا ريب فيها وذلك مثل محبّته لأولاده وبعض أصدقائه، ولكن الأساس الأكبر والدافع الأقوى لحبّه الأولاد - في كثير من الأحيان - من جهة شدّة حرصه على الأموال التي سوف تبيد أو تنتقل إلى الآخرين بمجرد هلاكه لولا استيراثهم لها ورجاء تمكّنهم من تثميرها وبقائها امتداداً تاريخياً لوجوده. كما أن الأساس الأكبر والدافع الأقوى لحبّه بعض الأصدقاء - في كثير من الأحيان - لأنهم علّة من علل نماء ثروته أو الاحتفاظ بها أو مشاركتهم له في البيع والمبادلات التجاريّة أو نحو ذلك مما لا يخرج عن الأطار المالي وصيانتته واستثماره. ولقد قلنا في موضوع البخل في ميزان العقل فيما سيأتي من هذا الكتاب: البخل يأمر تلقائياً بجفاء الأصدقاء وبقطيعة

الأقرباء، والبخيل حتى وإن ادعى الصلة معهم فإن بخله يكذبه ويفضح علاقاته واتصالاته، وقد يعوض البخيل عن ذلك أحياناً ببعض المواصفات الأخرى مثل لين الكلام، والمجاملات، وإصلاح ذات البين، إلا أن ثمّ أموراً جمّة لا يرتفعها أو يصلحها إلا سبيل الجود والإحسان أو شيء يُعتدُّ به من ذلك على الحد الأدنى؛ ولقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ليس لبخيل حبيب، كما قال (سلام الله عليه): ليس لشحيح رفيق.

إن حقيقة الحبِّ ما كان لذات المحبوب وليس لأيّ عامل من العوامل الأخرى، وهذا لا ينطبق على البخيل في محبته لبعض الأفراد، ما دام أنه لا ينطلق من صميم تلك الحقيقة الناصعة المشار إليها، على الرغم من كونه يشاطرهم الأفراح والأتراح ويزورهم ويزورونه ويتعاقبون في الأعياد والمواسم البهيجة. وفي هذه المناسبة نقول إنه حتى حبّ عدد كبير من الناس لله تبارك وتعالى ذلك الحبّ العائد لما يعدهم به من الجنة العالية والأنهار، أو لما ينجيهم من عذاب الجحيم، فإنه ليس حبّاً له سبحانه على الحقيقة، بل هو حبّ لعطايا الجسيمة أو ليجنبهم من النار، ولذا يقول الإمام أمير المؤمنين: إن قوماً عبدوا الله سبحانه رغبة فتلك عبادة التجار وقوماً عبدوه رهبة فتلك عبادة العبيد وقوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار^(١).

فحب البخيل لأحد من الناس - كما هو المعتاد منه - لا يخلو أن يكون في دائرة حب التجار أو في دائرة حب العبيد. والحب بمعناه الصحيح هو ما ذكره الجنيد قائلاً: سمعت الحارث المحاسبي يقول: المحبة إقبالك على المحبوب بكليتك ثم إيثارك له على نفسك ومالك وولدك ثم موافقتك له في جميع الأمور

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٣٩٣٤. ورواها في تحف العقول / ٢٤٦ عن الإمام الحسين (عليه السلام): إن قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وإن قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار وهي أفضل العبادة.

٥٠ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
سراً وجهاً ثم اعتقادك بعد ذلك أنك مقصر في محبته . وقال الجنيد أيضاً : سمعت
السري يقول : لا تصلح المحبة بين اثنين حتى يقول الواحد للآخر يا أنا .

الصورة الثانية

بما أن الجانب المادي من الحياة قد شغل قلب البخيل وتفكيره ومشاعره ،
حتى قد أصبح لا يود شيئاً ويهواه حقيقة الود والهوى إلا من خلال منظار الدراهم
والدنانير ، فهو لا يحبّ الناس حباً صادقاً منبثقاً من ينباع الفؤاد ، وعلى هذا
الأساس فإن الآخرين لا يحبونه من صميم قلوبهم ، لأن القلوب شواهد كما هو
معروف ، فمن لا يحبنا بقلبه ومن أعماق نفسه لا تحبه قلوبنا ولا توذّه أعماق
نفوسنا ، إن الحُبّ من نوع مقابلة الجميل بالجميل من حيث يشعر الإنسان أو لا
يشعر . وأين أين البخيل ، من الجميل أو شبه الجميل .

أَنْفِقْ بِسَخَاءٍ مِنْ خَزَائِنِ الْجَاهِ

١٧٤ - قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام) : من الواجب على ذي الجاه

أن يبذله لطالبه^(١) .

لا تترك المضطّرّ ناحيةً والضعيف جانباً

أخي الكريم استمع لقولتي وتقبل نصيحتي عسى الله تبارك وتعالى أن

ينفعك بها :

١ - فيما آتاك الله من الأموال قضاءً للواجب، وتكريمًا للراغب، وقضاءً لحق الطالب.

٢ - أنفق بسخاءٍ من خزائنه الجاه إن لم تُسِعِفَكَ خزانةُ الأموال.

٣ - ملكٌ جائرٌ من يملك الأموال والجاه ولا ينقذُ بهما المَحْرُومِينَ والمَظْلُومِينَ.

٤ - شيانٍ إن وزنا لم يترجح أحدهما على الآخر: طبلٌ فارغ، ووجيةٌ لا ينفع.

٥ - بيد أنك لو لم تكن من أصحاب الأموال في ذلك اليوم الذي رأيت فيه المحتاج والفقير والعاني لا سيِّماً في حالاتهم الاضطرارية، فما ينبغي لك أن تترك المضطَّرَّ ناحيةً والضعيفَ جانباً، إن كنت من ذوي الجاه الكريم، والتأثير الاجتماعي الكبير. قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «مَنْ كَانَتْ لَهُ وَسِيلَةٌ سُلْطَانٍ فَدَفَعَ بِهَا مَغْرَمًا، أَوْ جَرَّ بِهَا مَعْتَمًا، تَبَّتْ لَهُ قَدَمِيهِ يَوْمَ تُدْحَضُ الْأَقْدَامُ»^(١).

سَفِينَةُ الْجَاهِ

لا أكثر الله بين الناس أمثالي

إن كنت أبخلُ في جاهي وأموالي

الجاه ما الجاه إحسانٌ ومكرمةٌ

تُدني البعيد وتُحيي المَطلَبَ الغالي

ضَرَبُ مَنْ اللُّؤْمِ إِنْ قَالَ الْفَتَى لَفَتَى

تَسْمَعُ أَمْرَكَ آهَاتِي وَأَشْفَالِي

سَفِينَةُ الْجَاهِ قَدْ جَادَتْ بِأَمَالِ

إِنْ شَقَّتْ الْبَحْرَ أَيْغَالاً بَايغَالِ

كفى بجزيل الثناء جزاءً

١٧٥ - روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: أشرف

الصنائع اصطناع الكرام^(١).

إنَّ للكرام القدرة الكبيرة على أن يصطنعوا بأموالهم مختلف الكرام

واللثام^(٢) لما للبذل والعطاء من قابليَّة على الجذب والاستقطاب، غير أنَّهم إن

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٨٩٠.

٢ - عن زرارة بن أعين عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) قال: سألته عن قول الله عز

وجل «الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ» قال: هم قوم وحدوا الله عز وجل وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله

وشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وهم في ذلك

شكاك في بعض ما جاء به محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» فأمر الله عز وجل نبيه «صلى

الله عليه وآله وسلم» أن يتألفهم بالمال والعطاء لكي يحسن إسلامهم ويثبتوا على دينهم الذي

دخلوا فيه وأقروا به، وإن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يوم حنين تألف رؤساء العرب

ومن قريش وسائر مضر منهم: أبو سفيان بن حرب وعيينة بن حصين الفزاري وأشباههم من

الناس فغضبت الأنصار واجتمعت إلى سعد بن عبادَةَ، فانطلق بهم إلى رسول الله «صلى الله

عليه وآله وسلم» بالجعرانة فقال: يا رسول الله أتأذن لي في الكلام؟ فقال: نعم. فقال: إن كان

هذا الأمر من هذه الأموال التي قسمت بين قومك شيئاً أنزل الله علينا وإن كان غير ذلك لم

نرض.

قال أبو جعفر (عليه السلام): فلما كان في قابل جاءوا بضعف الذي أخذوا وأسلم ناس كثير،

يتسارعوا إلى اصطناع الكرام لأنهم أشباههم ومن جنسهم، فلن يتسارعوا إلى اصطناع اللثام لأنهم ليسوا من جنسهم فحسب، بل لأنهم لا يحسنون الشكر والثناء، ولا يقدّرون المُكرِّمين، ولا يجازون بالتي هي أجمل، فهثمهم الاستغلال البشع والانتفاع الذميم لا أكثر ولا أفضل من ذلك. وأما اللثام فليس لهم القدرة الكبيرة على أن يصطنعوا بأموالهم الكرام أو اللثام؛ لأن الكرام ليسوا من جنسهم فحسب، بل لأن أيديهم المقبوضة والمشلولة لا تسمح باصطناعهم واجتذابهم، وهكذا بالنسبة إلى عدم امكانياتهم على اصطناع نظرائهم وأمثالهم للسبب ذاته.

كما أنه لا بدّ للسحب المثقلة من الانصباب والانهيار كذلك لا بدّ للأكارم والأجاود من النوال والانعام والاصطناع، ولكن لمن يحسنون وبأيّ البقاع من الأرض الفضاء تنهمر سحائبهم؟ من الخير والسعادة أن تعطف عن البقاع الحجرية والقيعان الرملية، وتتجه صوب التربة العذبة والسهول الخصيبة الطيبة، فما أحرأها وأجدرها أن تُعشب وتزدهر وتُثمر. ولو لم يقابل الكرام الكرام إلا بحسن الشكر وجميل الاعتراف وجزيل الثناء، فكفى بالشكر أجراً، وبجميل الاعتراف معروفاً، وبجزيل الثناء جزاءً. ولنقرأ بتأمل قصّة حرقه ابنة النعمان بن المنذر ملك الحيرة الأسبق مع سعد بن أبي وقاص، وكيف قد شكرته وأثنت على معرفه شكراً جميلاً، وثناءً جزيلاً، حينئذٍ عرف باتقان أن جمال الشكر من المواهب الكريمة، وجلال الثناء من أجزل العطاء:

روي أن حرقه ابنة النعمان استدعاها سعد بن أبي وقاص لما كان أميراً في العراق فحضرت في لمة من نسائها كلهن عليهن زيّها فقال: أيتكن حرقه ابنة النعمان؟ فقالت: وما استنكارك إياي يا سعد والله لقد أمسينا دواءً فأصبحنا داءً،

فتقام رسول الله خطيباً فقال: هذا خير أم الذي قلتم أ قد جاءوا من الإبل يكذا وكذا ضعف ما أعطيتهم، وقد أسلم لله عالم وناس كثير. والذي نفس محمد بيده لو ددت أن عندي ما أعطي كل إنسان دينه على أن يسلم لله رب العالمين.

ولقد كنا نملك هذا المصر يطيعنا أهله ويجبى إلينا دخله .

فبينما نسوس الناس والأمر أمرنا

إذا نحن فيهم سوقة نتصّف

فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها

تقلب بنا تاراتها وتُصَرّف^(١)

ثم بكت فبكى لبيكاتها وقال :

إن للدهر دولة فاحذرنها

لا تبيتن قد أمنت الدهورا

قد يبيت الفتنى معافى فيودي

ولقد كان آمناً مسرورا^(٢)

ثم قال : اذكري حاجتك يا سيدة العرب . فقالت : بنو النعمان وأهله أجرهم علي عوائدهم . فقال لها : اذكري حاجتك لنفسك . فقالت : خدم النعمان وعبيده وجواريه أجرهم علي عوائدهم . فقال لها : اذكري حاجتك لنفسك خاصة فقالت : له يدُ الأمير بالعطية أطلق من لساني بالمسألة . فأعطأها وأجزل . فقالت له : شكرتك يد افتقرت بعد غنى ، ولا ملكتك يد استغنت بعد فقر ، ولا جعل الله لك إلى لثيم حاجة ، وأصاب الله بمعروفك مواضعه ، ولا أخذ الله من كريمٍ نعمة إلا

١ - لما فتح خالد بن الوليد عين النمر سأل عن الحرقة بنت النعمان فدلَّ عليها فأتاها وكانت عمياء فسألها عن حالها فقالت : لقد طلعت علينا الشمس ما شيء يدب تحت الخورنق إلا تجت أيدينا ، ثم غربت وقد رحمنا كل من يدور به ، وما بيت دخلته حبرة إلا دخلته عبرة . ثم قالت البيهقي المذكورين علي قافية الفاء .

٢ - البيهقيان من قصيدة لعدي بن زيد الشاعر الجاهلي .

وجعلك السبب في ردّها إليه . فقال : اكتبوها في ديوان الحكمة^(١) .

أَقْبَحُ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ الْمَنَعِ

١٧٦ - يُروى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال : أقبحُ أفعالِ الكريمِ منَعُ عطائه^(٢) .

للكريم معنيان أو مصطلحان مختلفان فأحدهما يعني الجامع لشمائل الخير والفضيلة بشكل عام مثل الوفاء والإباء والعزّة وسموق النسب وشرف القبيلة والجرأة والسخاء وحب الإحسان للناس... فالكريم بهذا المصطلح يقابل اللئيم . ومن هذا السياق ما روي عن التابعي الكبير أُوَيْسُ الْقَرْنِي أن علياً (عليه السلام) قال لولده الحسن السبط (ع) : يا بني الكرم في ثلاث : في حُسن العطية ، وحفظ الجوار ، وصلة الرحم^(٣) .

والكريم بالمعنى الثاني من يجود بالمال ولا يبخل ، ويقابله البخيل . فأَيُّ واحد من هذين المعنيين يقصده الكلام العلوي الشريف حالياً ، وكيف يتمُّ فقه ذلك ومعرفته ، مع أن الكريم إذا ما منع عطائه وجبائه تنتفي منه صفة الكرم فلا يعود كريماً ؟

والجواب انه يتمُّ فقه ذلك ومعرفته على فرض قصديّة الإمام (عليه السلام) لأَيِّ مصطلح من المصطلحين بالذات . أما المصطلح الأول فاعتبار أن هذا الفرد الذي حاز اجتماعياً سمة الكريم ، فلأنه مترمّل بشمائل الخير والفضيلة بشكل عام أو بصورة مجملة ، لا بمعنى أنه مترمّل بها جميعاً ، فلا تختلُّ في

٥٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) شخصيته ولا واحدة من الشرائع. وأما المصطلح الثاني فباعتبار أن هذا الفرد الذي حاز اجتماعياً على سمة الكريمة أي الجواد فإنه جواد في الأكثرية من أوضاعه وحالاته، وهو يمتنع من الجود في حالات أخرى؛ فهو جواد حيث تلك الحالات الكثيرة والغالبة على شخصيته وسلوكه. وفي ظلال هذا الفهم من السياق، فإن أجمل أفعاله هي التي أنفق فيها وأكرم الآخرين، وإن أقبح أفعاله هي التي منع فيها خيرها، وضمن برفده وعطائه^(١).

الإيثار وثر الإيمان العميق ووثق السلوك العريق

١٧٧ - جاء في الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام): من كمال المرء المؤمن تركه ما لا يجمل به، ومن حياته أن لا يلقي أحداً بما يكره، ومن عقله حسن رفقته، ومن أدبه علمه بما لا بُدَّ له منه، ومن ورعه غُضُّ بصره وعَفَّةُ بطنه، ومن حسن خلقه كفه أذاه، ومن سخائه برُّه بمن يجب حقه، ومن دينه إثارته على نفسه..^(٢).

لم يكن الإمام أمير المؤمنين في صدد تعداد أو تحديد جميع مصاديق

١ - لقد قلنا في معنى كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أقبح أفعال الكريمة منع عطائه.

أقبح أفعال الكريمة منع	وضمُّه لماله وجمعه
ما هكذا قد كان فينا طبعه	وبذله ما يشتهي وصنعه
لكنه لما تناهى زرعته	وزاد عما يشتهي شبعه
غره سلطان الهوى وخدعه	فضاق منه رخبه ووسعته
إن هوى النفس شديد نزعته	ذلك أمر مستبد صدعه

السخاء ومفردات العقيدة والدين التي يتَّصف بها المؤمن الرسالي العميق الايمان، وإنما أراد هنا أن يبرز مصداقاً من أكبر وأسنى مصاديق كلِّ منهما، فإذا به يتمثل في البرِّ بمن يجب حقُّه عليه، وفي الإيثارِ على النفس. غير أن الفرق يتبغى أن يكون لدينا واضحاً في المنهاج التربوي والأخلاقي للإمام علي ما بين مرمى السخاء ومرمى الإيثار في سخاء المؤمن وإيثاره، فإنه (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) حينما تعرَّض الى سخاء المؤمن اعتبر أنَّ من سَخَّاه بِرُّهُ بمن يجب حقُّه، ونوَّكَّد هنا على التعبير بـ مَنْ يجب حقُّه، وحينما تعرَّض الى الإيثار لم يحدِّده بمن يجب حقُّه، وإنما أطلق العبارة (ومن دينه إِيثَارُهُ على نفسه) التي تشمل الإيثار على من يجب حقُّه كالوالدين والأقربين والمحسنين له المفضلين عليه، ومن ليس كذلك. وهذا ما كان الإمام وأهل بيته يعملون به ويجسِّدونه تطبيقياً «وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً» * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً»^(١). فإنه مما لا ريب فيه لدى مفسري القرآن الكريم والمؤرخين والحفاظ أن لا رحم ولا قربي ما بين ذلك المسكين أو اليتيم أو الأسير وبين آل محمد «ص»، كما أنه لا إحسان ولا فضل لهم على آل محمد «ص». ومع هذا فقد آثروهم على أنفسهم أحسن الإيثار بما أكَّد عليه كتاب الله المجيد وبما نصَّ عليه أئمة المسلمين.

لما كان الدين السماوي العظيم في ينابيعه الإلهية الصافية الأولى الأصيلة هو الذي يرسم بريشة الإمام علي بن أبي طالب هذه الروائع الحسان المتسقة والمتجسِّمة في الخطوط العريضة للمنهاج التربوي والأخلاقي العلوي إذاً لا بدع

٥٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أن يعتبر الإيثار الذي هو من أسمى وأعلى السجايا الأخلاقية ديناً يُدان الله
سيحانه به، وأن من دين المؤمن إيثاره على نفسه. ويقول أمير المؤمنين (عليه
السلام) في هذا السبيل أيضاً: الإيثارُ أحسنُ الإحسانِ وأعلى مراتب
الإيمان^(١). كما يقول كذلك: الإيثار سجية الأبرار وشيمة الأخيار^(٢).

ولما كنا قد عرفنا قبل قليل أن الإيثار في المنهاج العلوي مصداق من أكبر
وأسمى مصاديق دين المؤمن، إذاً علينا أن نسأل سيدنا الباري تبارك وتعالى
التوفيقَ المُطَرَّدَ وأن لا يحرمننا من خُلق الإيثار على أنفسنا فنخسر عماداً سامياً
من أعمدة الرشاد والهداية والتقوى، فإنَّ الإيثارَ وتَرُّ الإيمانِ العميقِ، ووتدُّ
السلوكِ العريقِ، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

تضحيات الحُبِّ المُتَوَهَّجِ والاخلاصِ الثابت

١٧٨ - قال إمام المتقين والصدّيقين: إن الله تعالى اطلع إلى الأرضِ فاختر
لنا شيعةً ينصروننا ويفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا ويبدلون أنفسهم وأموالهم
فينا؛ فأولئك منا والينا^(٣).

الشيعة في اللغة هم الأنصار والأتباع سواء كانوا على حق أم على باطل قال
تبارك وتعالى: «ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا»^(٤). وقال

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٩١٦٢. ٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ٩١٦٣.
٣ - بحار الأنوار، ١٠ / ١١٤، و ٤٤ / ٢٨٧، وتأويل الآيات / سورة الحديد وما فيها من
الآيات، و غرر الحكم، الحكمة / ٢٠٤٩. ٤ - مريم، الآية / ٦٩.

تعالى: «وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ»^(١).

ولا ريب أن شيعة الرسول وأهل بيته (سلام عليهم جميعاً) ينصرونهم ويفرحون لفرحهم ويحزنون لحزنهم ويبدلون أنفسهم وأموالهم فيهم، ولكن ماذا نعني بشيعتهم الذين يتسمون بالسجايا المذكورة؟ إنما نعني بشيعتهم خصوص المرتبطين بهم ارتباطاً حقيقياً والصادقين في ولائهم ومودتهم لهم، فعن هؤلاء وأمثالهم يقول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «يَا عَلِيَّ بَشُرْ شِيعَتَكَ وَأَنْصَارَكَ بِخِصَالٍ عَشْرٍ: أُولَاهَا طَيْبُ الْمَوْلِدِ وَثَانِيهَا حَسَنُ إِيمَانِهِمْ بِاللَّهِ وَثَالِثُهَا حُبُّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ وَرَابِعُهَا الْفَسْحَةُ فِي قُبُورِهِمْ وَخَامِسُهَا النُّورُ عَلَى صِرَاطٍ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ وَسَادِسُهَا نَزْعُ الْفَقْرِ مِنْ بَيْنِ أَعْيُنِهِمْ وَعَنْ قُلُوبِهِمْ وَسَابِعُهَا الْمَقْتُ مِنَ اللَّهِ لِأَعْدَائِهِمْ وَثَامِنُهَا الْأَمْنُ مِنَ الْجَذَامِ. يَا عَلِيَّ وَتَاسِعُهَا انْحِطَاطُ الذُّنُوبِ وَالسِّيِّئَاتِ عَنْهُمْ وَعَاشِرُهَا هُمْ مَعِيَ فِي الْجَنَّةِ وَأَنَا مَعَهُمْ»^(٢).

وأما أولئك الذين يكتفون بالشكل دون المضمون وبالمظهر دون المخبر، أو الذين يدعون التشيع كذباً وزوراً، فلا تنطبق عليهم المواصفات الجميلة المشار إليها، حتى وإن انطبقت عليهم بعضها، لحاجة تلك المواصفات إلى العمق الاستراتيجي في الاخلاص والايمان وفي المحبة والولاء^(٣).

١ - الصافات، الآية / ٨٣.

٢ - روضة الواعظين / مجلس في ذكر فضائل الشيعة.

٣ - قال أبو عبد الله الصادق (عليه السلام): امتحنوا شيعتنا عند ثلاث: عند مواقيت الصلاة كيف محافظتهم عليها وعند أسرارهم كيف حفظهم عند عدونا وإلى أموالهم كيف مواساتهم لإخوانهم فينا.

وقال أبو جعفر (عليه السلام): إنما شيعة علي (عليه السلام): الشاحبون الناحلون الذابلون ذابلة شفاههم خمصة بطونهم متغيرة ألوانهم مصفرة وجوههم، إذا جنهم الليل اتخذوا الأرض فراشاً واستقبلوا الأرض بجباههم كثير سجودهم كثيرة دموعهم كثير دعاؤهم كثير بكائهم.

٦٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أما عن العلل الكامنة وراء بذل الأنفس والأموال فنستطيع ملاحظتها من
خلال الأمور التالية:

أولاً: لأن الله تعالى اطلع إلى الأرض فاختارهم، والله تقدّست أسماؤه لا
يختار لرسالاته واعزاز دينه الجبناء في ساحات الفداء والمواجهة والتحدّي،
ولا البخلاء والأشخاء بأموالهم وممتلكاتهم ما كانت إليها حاجة من الحاجات. إن
الرساليين حق الرساليين لمن أكرم البشريّة في الأموال وأشجعها في ميادين
القتال، وإذا رأينا أو سمعنا بمن لم يكونوا كذلك حقيقة وواقعاً، فإنّ ما يقال
ويُدعى من رساليّتهم فوق ما يصحّ منها. وأساساً من أين عرفنا رساليّة هؤلاء
وهؤلاء إن لم يحوطوا ما آمنوا به واعتقدوه بأنفسهم وما امتلكت أيديهم. فإنّ بذل
الأنفس والأموال أكبر الشهادات على صدق المقال.

ثانياً: طبيعة الأمور النفسيّة والاجتماعيّة والسياسيّة تقتضي أن يكون شيعة
الرجل من المقتفين آثاره والسالكين منهاجه صائباً كان أو خاطئاً، وأيّ الناس
يقاربون رسول الله وأهل بيته (سلام الله عليهم) في مسالكهم الفدائيّة ومناهجهم
التضحويّة في الأنفس والجود والإيثار؟ إذا أيّ معنى منطقيّ موزونٍ للتشيع - في
المعنى الاصطلاحي - إن لم يكن تأسياً واقتداءً واتباعاً للرسول وأهل بيته (سلام
الله عليهم) كاتباع الفصيل أثر أمّه؟

ثالثاً: لقد عبّر الإمام أمير المؤمنين عن شيعتهم بأنهم (يفرحون لفرحنا

قال أبو جعفر (عليه السلام) أيكثفي من انتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت فوالله ما شيعتنا
إلا من اتقى الله، وما كانوا يعرفون يا جابر إلا بالتواضع والتخشع وكثرة ذكر الله والصوم والصلاة
والجهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام وصدق الحديث وتلاوة القرآن
وكف الألسن عن الناس إلا من خير؛ فكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء. روضة الواعظين /
مجلس في ذكر فضائل الشيعة.

ويحزنون لحزننا) وهو الفرح والحزن الحقيقي الصادق، لا مشاركتهم بالأفراح والأتراح بالصور الشكلية السائرة في كثير من المجتمعات، بل في دائرة الحُبِّ المتوهج والاخلاص الثابت والوفاء المحض. ولنعلم أنه ليس شيء أذعنى إلى الجُودِ والإيثار والفداء من الحُبِّ المتوهج والاخلاص والوفاء. وما أكثر ما يطلعنا التاريخ في شتى عصوره وأدواره عن أولئك الذين ابتعثهم الحُبُّ والاخلاص والوفاء ابتعائاً شديداً بليغاً إلى البذل والعطاء بلا تردد ولا تقصير، وإلى التضحية والفداء بلا تفهقر ولا تقاعس. وما عامة رجالات الأوس والخزرج في مواساتهم بالنفوس والأموال، وكذلك عامة رجالات قبيلة همدان في بذلهم أموالهم وذوات أنفسهم، إلا بعض الرموز المشرقة والمعالم المضيئة الوضيئة على التشيع الصادق للرسول وآل الرسول «ص».

لَعَلَّ بِالْحِجَارِ أَوْ الْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ

١٧٩ - قال الإمام علي (عليه السلام): وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ الطَّرِيقَ إِلَى

مُصَفِّي هَذَا الْعَسَلِ وَلُبَابِ هَذَا الْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هَذَا الْقَرْزِ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقْوَدَنِي جَشْعِي إِلَى تَخْيِيرِ الْأَطْعِمَةِ، وَلَعَلَّ بِالْحِجَارِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ، وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشُّبْعِ، أَوْ أَيْتَ مِبْطَانًا وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي^(١) وَأَكْبَادُ حَرَّتِي، أَوْ أَكُونُ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ:

وَحَسْبُكَ عَاراً أَنْ تَبَيْتَ بِبِطْنَةٍ

وَحَسْرَتُكَ أَكْبَادُ تَجِنُّ إِلْسِي الْقِدِّ

أَفْتَنُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ
أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُسُوبَةِ الْعَيْشِ فَمَا خُلِفْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ
الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلْفُهَا أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا^(١) تَكَرَّرَ مِنْ أَغْلَافِهَا وَتَلَّهُوَ عَمَّا
يُرَادُ بِهَا، أَوْ أَتْرَكَ سُدىً أَوْ أَهْمَلَ عَابِثاً أَوْ أَجَرَ حَبْلَ الضَّلَالَةِ أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ
الْمَتَاهَةِ^(٢).

في الوقت الذي يتوغَّل فيه بعمق أولئك الرؤساء والزعماء الذين يرون في
الرئاسة والزعامة مغنماً عظيماً يصبُّ في جداول أو أنهار أو بحار مصالحهم
الشخصية وما ربهم الخاصة فلا يرون باباً مفتوحاً للأموال والملذات والمشتهيات
إلا اقتحموه ولا باباً مغلقاً إلا حاولوا جهد الامكان أن يفتحوه، نرى إمام المتقين
والصدِّيقين يزهد في الحطام زهادة تسرُّ الناظرين وتدهش العارفين وينأى
بشخصه وبأسرته وحامته عن ساحل اللذائذ والمشتهيات فضلاً عن التبحر فيها
أو التوغَّل بعمق أو شبه عمق، ويوجد هنالك عدد من العلل الدينية والمنطقية لهذه
الطريقة من السلوك الإلهيِّ الأمثل من أهمها وأكثرها اعتباراً ما نبّه عليه النص
العلوي (وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوْ بِالْيَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشَّبَعِ أَوْ
أَيَّتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بَطُونٌ غَرَّتِي وَأَكْبَادُ حَرِّي).

علماً أن إمام المتقين والصدِّيقين لا يزهد في حطام الأموال العامة وملكيتة

١ - التقمم: تناول الأكل بالشفقين مثل أكل الطيب والشاة.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ٢٧٦.

الأمة أو يزهّد فيها أسرته وحامته فحسب بل كذلك في أمواله الشخصية التي جعلها عن طواعية ورغبة ملحة نهياً حلالاً طيباً للفقراء والمحتاجين ولمختلف المشاريع الخيرية (فَمَا خُلِقْتُ لِتَشْغَلَنِي أَكُلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هُمُّهَا عَلْفُهَا أَوْ الْمُرْسَلَةِ شُغْلُهَا تَقَمُّمُهَا).

إن القيادة العامة محلّ مقدّس لمن استشعر التقوى وآثر الهدى والاستقامة فمن شيم القائم بها التفكير في أحوال المنضويين تحت لوائها من الدانين والقاصين ورعاية أمورهم المعاشية وتفقد الضعفاء والأرامل والمساكين منهم، وأن لا يقتنع القائد العام بالألقاب الفخمة والعناوين المدوّية بدون إعمال النظر وبذل شتى الطاقات والامكانيات في سبيل تحكيم العدل وارساء دعائم الخير والفضل والتعاون في كلّ وجهة مشروعة قولاً وعملاً تأسياً بمنهاج الإمام العادل وتأسيساً على لبنات خطواته الإنسانية العملاقة (أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ هَذَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ أَوْ أَكُونُ أَسْوَأَ لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ).

لقد عرف الزعيم الجاهلي حاتم بن عبد الله الطائي أن المبيت ببطنه عار على الآكل المبطن:

وَخَشِيكَ عَاراً أَنْ تَبِيْتَ بِبِطْنَةٍ

وَخَوَّلَكَ أَكْبَادُ تَحْنٍ إِلَى الْقَدْرِ^(١)

١ - البيت من رائعة لحاتم:

أكيلا فلاني لست آكله وحدي
أخاف مذمات الأحاديث من بعدي
وحسبك أكباد تحن إلى القدي

إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له
قصياً بعيداً أو قريباً فلاني
كفى بك عاراً أن تبیت ببطنه

٦٤..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فاجتنب الخزي والعار وآثر سلوك المؤثرين الكرام، ولكن الأغلبية
الساحقة من رؤساء العالم في كل عصر ومكان ما اجتنبوا الخزي بل ارتدوه
والتحفوه، ولا اتقوا العار بل اتخذوه كالشعار أو الدثار، «لَيْسَ مَا قَدَمْتُ لَهُمْ
أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ»^(١).

الإحسان للضعفاء في جميع الأحوال

١٨٠ - قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): إذا عجز عن الضعفاء
تَيْلُكَ فلتسعههم رحمتك^(٢).

حقاً إن صدرأ يحمل قلب ابن أبي طالب لهو صدر عظيم حق العظمة في
أهدافه النبيلة.. رحيب كل الرحب في همومه الانسانية.. شفيق منتهى الشفقة
بالمعذبين والمنكوبين.. محسن غاية الإحسان للضعفاء والمظطهدين ولشئ من
أذوى عودهم الزمن العسوف أو الحكم الظلوم، ما كانت له (سلام الله عليه) طاقة
على الفضل والإحسان.

إن المنهج الأخلاقي لفلسفة علي بن أبي طالب يقتضي الإحسان للضعفاء في
جميع الأحوال والأوضاع. فاذا كان ثم ملك أو ثراء فبذل واسعاف، وإذا لم يكن
الأمر كذلك فرحمة من صميم الشغاف. إلا أنه قد يقال: ما هو موقع الرحمة وما
يُستفاد منها حتى وإن كانت باخلاص كامل ومن صميم شغاف القلب ما دام البذل
والاسعاف ليس بالمقدور عليه فعلياً؟

الواقع أن الرحمة بالضعفاء حتى بهذه الحالة نافعة في أكثر من مجال وصعيد

ولها أكثر من بعدِ إنساني . فمن ذلك أن الضعفاء اذا لم يجدوا من المؤمِّل ارفاداً بالمال ، فإنهم يتألمون ويتحسسون أكثر بالجراح النازقة للفقير والعدم ، إلا أن شعورهم بالرحمة بهم والشفقة عليهم من قبل الطرف المقابل الذي قدّم الاعتذار بعدم الامكانية المادية ، مما يخفف عنهم بليّة الفقر وبطشه العاتي ، ومما يسكب - ولو كمية قليلة - من كأس الرضا والطمأنينة في عروق بلائهم الطاغى وأوردة مأساتهم الشديدة . كما أن الرحمة بالضعفاء حتى بهذه الحالة نافعة أيضاً من جهة أن المؤمِّل ارفاده وإن لم يعنهم في هذه المرة بالفعل ، إلا أن في الشعور الدافق بالرحمة ما يدفع إلى الاسعاف والتزويد في مرة أخرى ، والتفكير الجدي في تحسين أوضاعهم المعاشية ، وسدّ باب الضعف والحاجة . أضف الى ذلك أن الرحمة بالضعفاء تفيد حتى في الحالة المذكورة كذلك ؛ من جهة أنهم سوف يعلمون أو يغلب على تصورهم وظنهم أن المؤمِّل ارفاده كان صادقاً في اعتذاره مما وقع ما دامت سِمات الرحمة بارزة على قسَمات الوجه وبصمات الخطاب والتعامل . وفي هذا منفعة لهم لأنهم سوف يعيشون الأمل بمساعدتهم أو انقاذهم في يوم آخر ، كما أن في هذا منفعة له كذلك ؛ باعتبارهم لا يُكذبونه في اعتذاره مما يدفعهم الى حُسن الظن بشخصيته^(١) .

١ - ولنا أبيات شعرية قد ينتفع بها بعض الإخوة حول أهمية حسن التعامل مع السائل ، من الجدير ايرادها في هذا المجال ، وهي تشمل السائل بمعنييه السائل العلمي ، وسائل المعونة والعتاء :

من أجمل الشمائل	طيبُ جرابِ السائل
بمنطقٍ كأنه	أغرودةُ القنادل
وبسمةٍ مؤنقةٍ	كأنها الخُمائل
ونظرةٍ دافقة	بالخُبِّ والتواصل
ورحمةٍ تنغمره	بالأنس والتسفاؤل
العلم عِقلٌ ناعبٌ	لا موجهةُ التسماؤل

الوَدُّ وَدَّان: وَدُّ اللِّسَانِ، وَوَدُّ الْجَنَانِ

١٨١ - قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): إذا تَبَّتِ الوُدُّ وَجَبَ التَّرَافُدُ وَالتَّعَاضُدُ^(١).

إِنَّ تَمَّ حَاجَةَ مَاسَّةَ لَوَدُّ اللِّسَانِ - عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ - تَتَأْتِي مِنْ عِلَلٍ شَتَّى كَأَنَّ تَكُونَ لَطَلَبِ حَاجَةٍ أَوْ حَلِّ مُشْكَلَةٍ، أَوْ لِدَفْعِ شَرٍّ وَبِلَاءٍ، أَوْ أَنْ تَكُونَ الِازْدَوَاجِيَّةِ فِي الشَّخْصِيَّةِ هِيَ الْغَالِبَةُ عَلَيَّ طَبِيعَةَ بَعْضِ النَّاسِ، فَإِذَا بِالْوَدِّ وَكَلِمَاتِ الْمَحَبَّةِ وَالِإِشْتِيَاقِ الْكَاذِبِ تَجْرِي عَلَيَّ أَلْسِنَتُهُمْ كَالسَّيْلِ فِي انْحِدَارِهِ، وَهَذَا اللَّوْنُ مِنَ الْوَدِّ اللَّسَانِيِّ لَيْسَ مِنَ الْوَدِّ الْحَقِيقِيِّ فِي شَيْءٍ، بَلْ هُوَ ظَاهِرٌ يَخَالِفُ الْبَاطِنَ، وَوَجْهٌ يِعَاكُسُ الْقَفَا.

وَأَمَّا وَدُّ الْجَنَانِ فَهُوَ الْوَدُّ الْحَقِيقِيُّ النَّابِعُ مِنَ الْأَصْلِ الْأَصِيلِ، وَالْهَابُ مَعَ نَفْحَاتِ النَّسِيمِ الْعَلِيلِ، إِنَّهُ ظَاهِرٌ وَبَاطِنٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْبَاطِنُ أَشَدَّ نُصُوعاً وَتَأَلُّقاً مِنَ الشَّكْلِ وَالظَّاهِرِ.

إِنَّ وَدُّ الْجَنَانِ وَإِنْ كَانَ أَمراً بَاطِئاً مُسْتَكْتِئاً إِلَّا أَنَّهُ طَالَمَا تَظْهَرُ لَهُ عِلَامَاتٌ وَمُؤَشِّرَاتٌ تَعْبُرُ عَنْهُ تَعْبِيراً صَادِقاً كَاشِفاً عَنِ وَجْهِ الْحَقِيقَةِ. وَهَذِهِ الْعِلَامَاتُ قَدْ تَبَدُّوْا فِي الْمَنْطِقِ وَالْكَلِمَاتِ الْعِذَابِ وَالتَّرْحِيبِ الشَّدِيدِ وَالْفَافِظِ الْمَجَامِلَةِ الْوَاقِعِيَّةِ، إِلَّا أَنَّ الْوَدُّ الْحَقِيقِيُّ فِي بِنَائِهِ الشَّامِخَ وَمَعَاقِلِهِ الْحَصِينَةَ أَعْظَمَ مِنْ أَنْ يَقْتَصِرَ عَلَيَّ هَذِهِ الْأُمُورِ وَأَمْثَالِهَا.

إِنَّ الْوَدُّ الْحَقِيقِيُّ بِنُبُوَّتِهِ وَقُوَّتِهِ وَعِنْفُوَانِهِ يَجِبُ أَنْ يَسْتَتْبِعَهُ التَّرَافُدُ وَالتَّعَاضُدُ كَمَا يَعْلَمُنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِي (عليه السلام)، تَرَافُدُ بِالْمَالِ وَالْعَطَاءِ

والممتلكات، وتعاقد في الدفاع المخلص الشجاع بعضهما عن بعض، وفي مقاومة ما يعرقل أو يشتمت وحدة المصير.

وأما إذا لم يكن الودّ مستتباً للترافد والتعاقد، فهذا دليل قوي على خيبة كتيبة الأمل وانتكاس لواء الرجاء، أليس البخلُ دليلاً على إراقة كأسِ المحبة في حفيرة الأكاذيب والإخاء المصطنع؟ ولقد أحسن من قال: (الحب يظل كلمة سوداء إن لم يحل في الحجر، وفي الطير، وفي البحر، وفي كل شجرة تحمل الخير للأسرة الإنسانية)^(١).

وعلى هذا الأساس فإن اللئيم والبخيل ليس عندهما لاجباً حقيقياً ولا وداً صادقاً؛ لأن الذاتيات تقوم بأكبر الأدوار وأشدّها في التنكب بهما عن جادة المحبة والوداد التي تستدعي الترافد والتعاقد؛ ولذلك نقول من قصيدة في الاشارة بجود علي (عليه السلام) وتعرض الى هذا الجانب:

هو الجودُ نَدُّ الحُبِّ رُوحاً وَجَوْهراً
كما البخلُ نَدُّ الكُرهِ غَيِّباً ومَشهداً
ولا وَحْيَاةِ الحُبِّ ما كان عاشقاً
بِخيلٌ وإن أبدى الهوى وتنهّداً^(٢)

١ - الكلمة لجوزيف طوبيا.

٢ - والقصيدة هي:

أقيموا بناءَ الجودِ صَرِحاً مُعَرِّداً	إذا رمستم الدنيا علاءً وسؤدداً
هو الجودُ نَدُّ الحُبِّ رُوحاً وَجَوْهراً	كما البخلُ نَدُّ الكُرهِ غَيِّباً ومَشهداً
ولا وَحْيَاةِ الحُبِّ ما كان عاشقاً	بِخيلٌ وإن أبدى الهوى وتنهّداً

وما البسمةُ الزهراءُ في شَفَةِ الهوى	تعمجُ بأفراحٍ وتروي من الصدى
تجودُ بها بعد الصدودِ حبيبةً	لنسعَدَ مِن بعد الصدودِ وتسعدا

بأعذب من أرواح من قد تحالفوا على الجود حتى أصبح الجود متدي

لقد حمل الجود الحياة خميلةً من الحُسن والخيرات والحُبِّ والفيء
وما الجود إلا مطلقٌ لقصيدةٍ محببةٍ أضحى لها الكونُ مُنشداً
فحيوا أزهير الندى وأريجها وقصوا أحاديث الندى تبعثوا الندى
فمن قَصَّ أخبارَ الكرامِ فإنما يقصُّ على الأحبابِ مجداً ومرشداً
ومن أبصرَ الأجوادَ فاضت قلوبهم وداداً وتحناناً - تبصرَ واقنتدى

وما الجود أن تسخو يدٌ تم تنثني ولكنَّ حقَّ الجود أن تُتبعوا اليدا
وليس كريمُ النفسِ من كان أصله كريماً إذا ما خالف الأصل واعتدى
وما خير عيش الجيلِ رام لنفسه معيشة مضياع أكلٍ وبلداً
فيا ليت أنا إذ نلاقي برغمنا بخيلاً نلاقي الأرض قفراً وجلماً
فقد تخبب الأرضُ الجديد وتزدهي وقد يكتسي الجلمود بالطلُّ والندى

وأنا نرى أن الغني هو الذي يرى المال قنّاً للمكارم عبداً
وأنا نرى أن العقيم هو الذي يرى اليوم لكن لا يرى بعده غداً
وأنا نرى أن المسود هو الذي يرى المال رباً للحياة وسيدا
على راحة الجود استفاق ضميركم ولولاه قد عاب الوجود وفندا
فقصوا أحاديثَ الكرامِ فإنها جمالٌ على كسرِّ العصور تجسداً
كما يعشق الناس الربيع وحسنه كذا يعشقون الجودَ عشقاً مؤكداً
وحاتمٌ قد أبقى له الجودُ في الوري مقاماً كعلياء السماء مُخلداً
وجاد له معنى الحياة بمدحةٍ وغنى له في المشرقين وغردا
كذلك ابنةُ المنهال ما زال قائماً على تلعات المجد نبلاً مُوطداً
وجودُ الفتى بالمال يفضي إلى مدي ولكنَّ مدحَ الجودِ ماضٍ بلا مدي
وما جاء بالمال العتيق كمثل من تحرر مما عيب نفساً ومحتداً

حقيقة الجود

١٨٢ - يُروى عن الإمام علي (عليه السلام): الجود من غير خوف ولا رجاء مكافاة حقيقة الجود^(١).

هذا لَعَمْرُؤُ عَليِّ بن أبي طالب هو الجُودُ الحَقِيقِي الخالص، البعيد عن كل حالات التصنع والتكلف، وعن كلِّ الأغراض الرخيصة وشبه الرخيصة. ولئن كان هذا اللون المتألق الوهاج من البرِّ والجود قليلُ الوجود على الصعيد العملي، فَإِنَّ كُلَّ مَا يُقَالُ لَهُ قُدْوَةٌ أَوْ يَصْلُحُ لِلأُسُوةِ وَالإِتِّبَاعِ فوجودُهُ قليلٌ أو نادر، ومثل هذا الأمر معلوم بالتجربة والاختبار والاستقراء.

وليس المقصود بقول الإمام (عليه السلام): الجود من غير خوف أي مطلق الخوف وإن كان من الله تعالى إذا لم يهب ويجد؛ فيعاقبه الله سبحانه لتنكله عن فعل الخير والمعروف، بل المقصود الخوف ممن لا يجود عليهم من الناس لو أراد ذلك، وكذا من يجود بسببه وبتأثيره وضغطه، كأن يتهدده الحاكم أو الرئيس أو من يخشى أمره إن لم يعط زيداً ويكرم عمراً ونحو هذه من الأمور.



عليُّ أتى بالمعجزات مُؤَيِّداً
وأنجَدَ حتى لم يجد ثمَّ مُنْجِداً
عليُّ هو الإنسان فضلاً مُجَرِّداً
ويُكْرِمُهُ الأبرارُ ما راح واعتداً
كفى المرء عزاً أن يكونَ سُخَّداً
عن البائس المحروم تستدفع الردى

ولما استحثَّ الجودَ يوقظُ عزيمته
فأتهم حتى لم يجد ثمَّ مُتْهِماً
عليُّ هو النُّبَلُ المُقَدَّسُ مُشْرِقاً
يَبْجُلُهُ الأحرارُ شرقاً ومغرباً
ويكونه الحمد الذي ليس ينتهي
وَقِيَتِ الردى يا مَنْ بكفك لم تنزل

وتسمى هذه القصيدة بفلسفة العطاء والجود.

٧٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
كما أنه ليس المقصود بقول الإمام (عليه السلام): «ولا رجاء مكافأة.. مطلق
المكافأة وإن كانت من الكريم المتعال عز وجل؛ فقد قال سبحانه: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ
لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا»^(١). بل المقصود الرجاء ممن يجذ عليه
ويكرمه من الناس، وكذا رجاء من يجود بسببه وبتأثيره وضغطه من قريب
للطرف المُكْرَم أو محبباً أو أميراً أو غير ذلك.

أجزل ما استدرت به الأرباح الباقية الصدقة

١٨٣ - روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): إن أجزل ما استدرت
به الأرباح الباقية الصدقة^(٢).

أحسب أن غموضاً قد اكتنف حكمة أمير المؤمنين (عليه السلام)، فما هي
الأرباح الباقية التي تستدرها الصدقة؟ هل هي ما أعده الله تبارك وتعالى
للكرماء في سبيله من الثواب الجزيل يوم القيامة؟ أم أن الله عز وجل يكرم
الإنسان ويتفضل عليه بمختلف النعم ويبقى بعضها مُعلّقا في خزائن رحمته حتى
تجتلبه الصدقة إلى المتصدق؛ فتتسرع به إليه ولولا ذلك لتأخر عنه زماناً معيناً؛
فتكون فائدة الصدقة من حيث التسريع بعملية الأرباح وتعجيلها للمتصدق. أو
لولا الصدقة لحرم أبدأ من نصيبه من لون من ألوان الرزق ولم يحصل عليه في
حال من الأحوال؟

إن كلاً من المعنيين محتمل، غير أن احتمال ما أعده الله تعالى للكرماء في
سبيله من الثواب الجزيل يوم القيامة، هو الراجح عندنا^(٣)؛ بقريئة قول أمير

١ - الإنسان، الآية / ٩.

٢ - غيون الحكم والمواظ، الحكمة / ٣٣٩١ وغرر الحكم، الحكمة / ٨٥٩٢.

٣ - في كتاب «الأمالى» للصدوق بإسناده عن علي بن عيسى عن علي بن محمد

المؤمنين (عليه السلام): (الباقية)؛ إذ من البديهي الواضح عند ذوي الأبواب أن لا بقاء لنعم الدنيا وأرباحها، وأن لا قرار لنعمها وخيراتها، وأن لا خلوداً إلا خلود الحياة الآخرة، ولكن أكثر الناس لا يعلمون^(١).

الكَرَمُ طَبِيعَةٌ

١٨٤ - يُروى عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ لَمْ تَعْرِفِ الكَرَمَ مِنْ طَبِيعِهِ فَلَا تَرْجُهُ^(٢).

الكرم طبيعة في النفس وخلق جبلت عليه، أي أن الخلق ملكة نفسانية ولم يكن حالة مكتسبة، وإن كانت للحياة الاجتماعية وللتربية تأثير عليه بدرجة من الدرجات ايجابية أو سلبية.

ولهذا قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ذللوأ أخلاقكم بالمحاسن،

ماجيلويه عن البرقي عن أبيه عن ابن علوان عن عمرو بن ثابت عن زيد بن علي عن أبيه عن جده (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها الحلل، ومن أسفلها خيل بلق مسرجة ملجمة ذوات أجنحة لا تروث ولا تبول، فركبها أولياء الله، فتطير بهم في الجنة حيث شاءوا، فيقول الذين أسفل منهم: يا ربنا ما بلغ بعبادك هذه الكرامة! فيقول الله جل جلاله: إنهم كانوا يقومون الليل ولا ينامون، ويصومون النهار ولا يأكلون، ويجاهدون العدو ولا يجبنون، ويتصدقون ولا ييخلون. انظر بحار الأنوار، ٩٣ / ١١٥.

١ - أخرج البخاري في صحيحه عن أبي هريرة عن رسول الله «صلى الله عليه وسلم» أنه قال: مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبِ طَيْبٍ - وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيْبَ - وَإِنْ اللَّهُ يَقْبَلُهَا بِعَيْنِهِ، ثُمَّ يَرْبِيهَا لِصَاحِبِهِ كَمَا يَرْبِي أَحَدَكُمْ قَلْوَةً، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ جَبَلٍ أُخْد.

صحيح البخاري كتاب الزكاة باب الصدقة من كسب طيب ٢ / ١١٣، وانظر صحيح مسلم كتاب الزكاة باب قبول الصدقة من الكسب الطيب الرقم / ١٠١٤.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٦٢٠ وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٤٦٧.

٧٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وقودوها إلى المكارم، وعودوها الحلم، واصبروا على الإيثار على أنفسكم فيما
تحمدون عنه قليلاً من كثير.

قال السيد عبد الله شبر: الخلق - بالضم - عبارة عن الصورة الباطنة، كما
ان الخلق - بالفتح - عبارة عن الصورة الظاهرة. يقال: «فلان حسن الخلق
والخلق» أي الظاهر والباطن، ولكل منهما هيئة وصورة إما قبيحة وإما جميلة:
فالخلق عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير
حاجة إلى فكر وروية، فإن كان الصادر عن تلك الهيئة أفعالاً جميلة محمودة عقلاً
وممدوحة شرعاً، سميت تلك الهيئة «خلقاً حسناً»، وإن كان الصادر منها أفعالاً
قبيحة سميت «خلقاً سيئاً». وإنما اشترط فيها الرسوخ لأن من يصدر عنه بذل
المال مثلاً على الندرة لحاجة عارضة لا يقال «خلقه السخاء»، ما لم يثبت ذلك
في نفسه ثبوت رسوخ. وإنما شرطنا سهولة لأن من يكلف بذل المال لا يقال
«خلقه السخاء»^(١). انتهى.

وتأسيساً على هذا فإن رجاء من لم يُعرف الكرم من طبعه وشيمته، إنما يتم
بناءً على وجود أحد الأمرين وهما:

أولاً: تأثير الحياة الاجتماعية والطرائق التربوية إذا كانت صحيحةً وسليمة
على تبدّله وتغيره وانتقاله نحو الأحسن.

وثانياً: الترصد والترقب لكرم استثنائي وإحسانٍ عارضٍ قد يصدر من غير
كريم ومحسن.. وكلا الأمرين - بحسب المعتاد والمعروف - لم يكن مبشراً
كثيراً بالخير والفضل والعطاء. إذاً فعلى الإنسان أن يكرم نفسه عمّن يتوقع أن
لا يكرمها، وأن لا يسمح لها بالتعرض البائس القُطوب لمن لا تُحرز منه
السماحة والكرم.

وأين يقع الرجاء لهذه الطبيعة المتزمتة والمستغلقة والمتشنجة إزاء مختلف أعمال اللطف والسماحة والبر، والتي إن انبتق منها الخير والعطاء فإنه لا ينبثق إلا مترشحاً غير سيالٍ ولا متدفقٍ، من الرجاء لتلك الطبيعة الكريمة الفيضة والمتدفقة بالنبل والفضل وبجلائل أعمال الإحسان والصنائع، والتي طالما تتراءى بحسنها الباهر وجمالها الساحر الأخاذ للناظرين في الغدو والآصال، وطالما تُبهِجُ الباحثين والمؤرخين والمستبصرين؟!!

كانت بنت عفيف وهي أمّ حاتم الطائي لا تُمسك شيئاً، سخاءً وجوداً، وكان إخوتها يمنعونها فتأبى، وكانت امرأة موسرة، فحبسوها في بيت سنةً يطعمونها قوتها، لعلها تكفّ عما تصنع. ثم أخرجوها بعد سنة وقد ظنوا أنها قد تركت ذلك الخلق، فدفعوا إليها صرمةً من مالها وقالوا: استمتعي بها. فأنتها امرأة من هوازن كانت تغشاها، فسألتها، فقالت: دونك هذه الصرمة، فقد والله مسني من الجوع ما آليت أن لا أمتع سائلاً شيئاً. ثم أنشأت تقول:

لَعَمْرِي لَقِدْمًا عَضْنِي الْجِرْعُ عَضَةٌ

فَأَلَيْتُ أَنْ لَا أَمْنَعُ الدَّهْرَ جَائِعًا

فَقُولَا لِهَذَا اللَّائِمِي الْيَوْمَ اعْفَنِي

فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَعَضَّ الْأَصَابِعَا

فَلَيْسَ تَسْرُونَ الْيَوْمَ إِلَّا طَبِيعَةً

فَكَيْفَ بَتْرَكِي يَا ابْنَ أُمِّ الطَّبَائِعَا

نظرة في النفع العام

١٨٥ - قال إمام الأئمة أمير المؤمنين (عليه السلام): نِعْمَ زَادَ الْمَعَادِ،

٧٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الإحسان إلى العباد^(١).

روى الإمام الشهيد الحسين بن علي (ع) عن رسول الله «ص»: «خيرُ الناسِ مَنْ انتفعَ به الناسُ»^(٢).

وروى أنس بن مالك عن رسول الله «ص»: «من أغاث ملهوفاً كتب الله له ثلاثاً وسبعين مغفرةً واحدة منها فيها صلاح أمره كله، وثنان وسبعون له درجات يوم القيامة»^(٣).

وقال «ص»: «أحبُّ عبادِ اللهِ إلى الله أنفعهم لعباده، وأقومهم بحقه الذين يُحَبَّبُ إليهم المعروف»^(٤).

أي ان خير الناس وأحبهم إلى الله تبارك وتعالى ليس أكثرهم قصوراً أو أوفرهم مالاً، ولا أبلغهم كلاماً وأطلقهم بياناً، ولا أغزرهم علماً وأعمقهم فكراً، بل ولا أقبلهم على الصلاة والصيام والحج، بل خيرهم وأحبهم إلى الله أنفعهم للآخرين.

لم يُحدد نفع الناس في إطار معيّن أو مضمار موسوم، بل هو النفع العام الشامل الذي يمكن ان يتجسّد في ألف صورة وصورة من ميادين الآخرة والأولى، ولا يقف عند حدّ من الحدود إلا حدّ المحضورات والمناهي الشرعية الثابتة، والتي هي كذلك حُظرت ونُهي عنها من أجل نفع الإنسانية، وتربيتها، واستقامتها، وحماية مصالحها ومكتسباتها، وتوجيهها في السياقات الأصيلة لنموها وتطورها واكتمالها.

علماً أن ما ذكرناه من المميزات والمغريات كالقصور والأموال والبيان

١- غرر الحكم، الحكمة ٨٧٦٨/

٢- بجزر الأنوار، ٧٢ / ٢٣ - ٢٤. و٧٧ / ١١.

٣- كنز العمال ٣ / ٤١٨ ح ٧٢٣٥. ٤- تحف العقول ص ٤٠ - ٤١.

والعلم قد تكون سبباً لنفع الناس، ولكن علينا أن نتنبه إلى أن مثل هذه الأمور قد يستفاد منها لأغراض شخصية فحسب، أو ما هو غير بعيد عن دائرة الذات الضيِّقة، وهذا وأمثاله ليس من نفع الناس في شيء، ولا يقع في حيزِ الحديثين الشريفين اللذين سلف نصهما، ولا في حيزِ قوله عزَّ مِنْ قَائِلٍ «واجعلني مباركاً أين ما كنت...»^(١). مباركاً أي نفاعاً كما روي عن أبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام)^(٢). ونحو ذلك مما لا يقع في حلبة الآية المباركة والأحاديث الشريفة المأثرة فيما إذا تمَّ توظيف المميّزات والمغريات المشار إليها كمعاول هدم لتقويض صرح نفع الإنسانية والصالح العام.. والأمثلة على ذلك تفوق حدَّ الإحصاء، وكل واحدٍ منا تمثل أمام عينيه، أو يستحضر في ذهنه الكثير من الأدلة والشواهد البعيدة والقريبة على ذلك.

وأما في حالة التوظيف الإيجابي لما سلف من المميزات وصبّها في قنوات المنفعة العامة فهو المراد من الآية والأحاديث المأثرة، وهو السبيل القويم الذي لا محيد ولا تنكّب عنه لمن آمن وعمل صالحاً ثم اهتدى.

ومن هذا المنطلق قامت دعوات المرين والمصلحين الاجتماعيين الصادقين، وتحرك العلماء والفلاسفة الأخلاقيون واحتدمت أمواج الرسائل السماوية الأصيلة وقدمت القرابين الثمينة تلو القرابين. وتأسيساً على هذه النظرة في المنفعة العامة نقول بكل ثقة: إن الفلاسفة النفعيين على الرغم من كثرتهم وتبحر عدد منهم في الفلسفة قديماً وحديثاً لم يكن بمقدورهم التطاول إليها، أو موازاة عظمتها وجلالها وتألقها المشهود.

وأخيراً نقول: يشكّل قضاء حوائج الناس والسعي فيه جانباً واحداً من

١ - سورة مريم: الآية ٣١.

٢ - الفيض الكاشاني، تفسير الصافي ت / ١٠٩١ هـ، ٣ / ٢٨٠.

٧٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الجوانب الغفيرة لنفعهم، بيد أنه جانب مهم جداً والابتعاد عن المساهمة فيه
والاندفاع نحو تياره الخضم - إنما هو في الحقيقة التي لا ريب فيها - ابتعاد عن
أنوار ساطعة من ملكوت رحمة الله سبحانه، وعن شرفٍ يفاع من شرف الدنيا
والآخرة. ومن أين للإنسان أن يحقق إنسانيته إذا لم يتفجر ينبوعاً زاخراً
بالنفع والعطاء .

المحسنُ مُعان، المسيءُ مُهان

١٨٦ - يروى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: المحسنُ
مُعان، المسيءُ مُهان^(١).

لا يعترف بالمكانة الرفيعة للمحسن إلا الحميد الشكور، ولا يُعينُ
المحسنَ إلا حبيبُ الاحسان.

فمن هذا المُعين هل هو المجتمع أي مجتمع كان؟ هذا خلاف الواقع
الملموس. أم بعض المجتمعات وأنى هي؟! أم أفراد مخصوصون من مختلف
المجتمعات وهذا صحيح من بعض الجهات إلا أن اعانتهم محدودة، وكم تتخطاهم
من الأيادي المحسنة الكريمة وهم لا يعلمون بها. وكم تتخطاهم من الأيادي
المحسنة الكريمة أيضاً وهم يعلمون بها ولكنهم لا يستطيعون تقديم العون لها
واسنادها لسبب من الأسباب الموضوعية.

إذاً من ذا الذي يعين المحسن حقاً ويدعمه بكل تأكيد؟

روي أنه أتى النبي «ص» وقد من اليمن وفيهم رجل كان أعظمهم كلاماً
وأشدهم استقصاءً في محاورة النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»؛ فغضب النبي

حتى التوى عرق الغضب بين عينيه، وترتد وجهه، وأطرق إلى الأرض. فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: ربك يقول لك: هذا رجل سخي يطعم الطعام. فسكن عن النبي «ص» الغضب ورفع رأسه وقال: لولا أن جبرئيل أخبرني عن الله عز وجل أنك سخي تطعم الطعام؛ لشردت بك وجعلتك حديثاً لمن خلفك. فقال له الرجل: إن ربك يحب السخاء؟ فقال: نعم. فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله. والذي بعثك بالحق لا رددت عن مالي أحداً^(١).

ولقد جاء في نهج البلاغة عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: أَقْبِلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثْرَاتِهِمْ فَمَا يَغْتُرُّ مِنْهُمُ عَائِرٌ إِلَّا وَيَدُّ اللَّهُ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ^(٢).

إن الذي يعين المحسن بما للكلمة من معنى هو الله تبارك وتعالى، وكفى به ناصراً ومعيناً ومؤيداً على طول الخط.

لقد تضمن الحديث المروي عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قاعدتين من القواعد العامة: القاعدة الأولى: المحسنُ مُعان، كما عرفنا. والقاعدة الثانية: المسيء مُهان. وقد توصلنا من خلال البحث أن المعين الحقيقي للمحسن هو الله سبحانه وقد يعين غيره من الذين يلهمهم الله الاعانة، ولكن هل لنا أن ندرك جيداً من هو المُهين للمسيء؟ لا نريد أن نطيل الجواب ولكننا نقول بإيجاز شديد وبقرينة صدر الحديث ندرك أن المهين الحقيقي هو الله عز وجل كذلك. «وَأَنَّهُ هُوَ

١ - جامع السعادات، ٢ / ١١٦. وسفينة البحار للشيخ الجليل عباس القمي ١ / ٦٠٧.

وكنت قد قرأت شيئاً بهذه القصة - ولم يحضرني المصدر الآن - فيما وقع بين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وبين رجل من قريش وفي آخرها أسلم الرجل أيضاً. والظاهر أن القصتين متغايرتان.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة / باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام

ويدخل في ذلك المختار من أجوبه مسأله / ٢٠.

٧٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أضحك وأبكى»^(١). وقد يهين غيره من الذين يلهمهم الله الاهانة .

من بذل في ذات الله ماله عجل له الخلف

١٨٧ - روي عن إمام الأئمة علي أمير المؤمنين (عليه السلام) : من بذل
في ذات الله ماله عجل له الخلف^(٢).

لو أن الإنسان لا يُجازى عن جميل الصنائح لما حُقَّ للكرام أن يبتعدوا عن
الفضل والكرم، فكيف والجزاء عظيم وفضل الله كبير .

لا سيما أن للكرام والمحسنين لوتين من التعويض والجزاء الأوفى أحدهما
في الدنيا والثاني يوم الدين ، وإن أدنى هذين التعويضين أكبر وأجزل وأسنى مما
يقدمه المحسنون ويجود به الكرام . وأنى يُقاس في منطقتة العدالة والانصاف ما
يجود به الغني الواسع الكريم ، مما يجود به العبد الفقير الذي قصاره أن يهب كل ما
بيديه ، وماذا يبلغ كل ما بيديه على أحسن التقديرات وفي كل الأحوال وإن راقى
صورته وكثرته واتساعه للعيون القربية النظر ! وقد أكد الإمام علي بن أبي طالب
(عليه السلام) على هذا المعنى وألفت الأبصار إليه قائلاً : من يُعط باليد القصيرة ،
يُعط باليد الطويلة . على أن الاعطاء باليد الربانية الطولى والأكثر ادراراً ليس
الميزة الوحيدة للتعويض الكريم عما أحسن المحسنون في ذات الله تعالى بل
السرعة في التعويض الدنيوي والمثوبة العاجلة من ميزاتة الرئيسية كذلك كما
عرفنا من الحديث العلوي ، وهو ما يقوله الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في

توجيه هشام بن الحكم: إن أسرع الخير ثواباً البر^(١)، وهو المروي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) كذلك.

كما تُعين تُعان

١٨٨ - يروى عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) القول: كما تُعين تُعان^(٢).

إذا كان الإنسان ممن يتعجل الأمور تعجلاً ويريد استئصال الاعانة الفورية من عالم الغيب بمجرد أن يعين الآخرين وبأسرع وقت، فهو من البعيد أن يؤمن بصحة هذه الحكمة العلوية، أو على الحد الأدنى سوف يكون بوضع متأرجح رجراج فقد يرى ما يريد ويلحظه بسرعة فائقة، وقد لا يكون ما يحب ويهوى.

أما إذا كان قصده من اعانة الناس ثواب الله وأجره الكبير في الدار الآخرة، وسواء حصلت الاعانة الغيبية عاجلاً أو آجلاً وفي الدنيا أو في عرصات يوم القيامة، فهو لا يرتاب بسداد هذه الحكمة الجليلة وصحة محتواها وصواب مضمونها الرباني الأصيل.

ومن حق المرء أن يتساءل بتحقيق عن هذا اللون من الاعانة وكيفيةها وهل لحظ علي بن أبي طالب بنفسه سلامة مضمونها لا سيما أنه كان المعين الأكبر للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وله بذلك المواقف العظمى، ثم لقي في طول حياته ما لقي من الآهات والنكبات والفجائع التي تفرح القلوب والأكبادة؟

والجواب ان الإمام (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) إما أن يقصد بحكمته الاعانة

٨٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الأخروية لمن يعين الناس في الدنيا، فمقام علي آنذاك مما يغبطه عليه الأولون
والآخرون، وقد بين كتاب الله في سورة الدهر وغيرها تلك المكانة المثلى التي
أعدت للإمام علي (عليه السلام).

أو أن الإمام (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يقصد بحكمته الاعانة الدنيوية فقد تلقى بلا
ريب عن حسن صنائعه وأفاعيله وعن كبريات اعاناته لرسول الله «صلى الله
عليه وآله وسلم» جزاءً وفاقاً على يدي وعيني ولسان وقلب وروح ودماء من
قال بنفسه (عليه السلام) عنه وبلهجة مؤنقة تتسم بالصراحة والقوة والوضوح:
(كَانَ لِي كَمَا كُنْتُ لِرَسُولِ اللَّهِ).

على أننا نرجح أن يكون المقصود من الاعانة في الحديث اعانة الدنيا فضلاً
عن الآخرة. أو كما قال (عليه السلام): إن أسرع الخير ثواباً البر.

الأولوية في مسؤولية السعي في الحوائج

١٨٩ - روي عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): تبادروا المكارم،
وسارعوا إلى تحمل المغارم، واسعوا في حاجة من هو نائم؛ يحسن لكم في
الدارين الجزاء، وتنالوا من الله عظيم الجباء^(١).

إن مسؤولية قضاء الحوائج والسعي في نفع الناس مهمة إنسانية عامة لا
تخص شعباً دون شعب، ولا حاكماً دون محكوم، ولا شخصاً دون آخر، بل تقع
على عاتق كل فرد أو جماعة ذات إمكانية للقيام بها، ولكن أولى البشرية فيها
بحيث تلزمهم اللائمة الأشد وقعاً إن قصرُوا بحققها، أو تضاءلوا أمام أعبائها، هم
فيما نعتقد الأصناف الرئيسية التالية:

أولاً: العلماء الربانيون .

ثانياً: القياديون .

ثالثاً: المصلحون الاجتماعيون .

لأن هؤلاء قد وضعوا أنفسهم بمنزلة الآباء، وكأن من غير المستساغ أن لا يسعى الأب في حاجة أبنائه ما كان قادراً على ذلك . والحقيقة أننا نعتقد أن الأيتام الذين يرعاهم الغرباء أحسن حالاً من الأبناء الذين يضيعهم الآباء .

ما أسنى الأصناف المذكورة وهي تعمل دائبة لمساعدة الآخرين، وإمارة العقبات أمام شؤونهم الحياتية ومستلزمات العيش الكريم، وكم لهم من أياد بيضاء مشكورة في هذا السبيل ولكنهم جميعاً أو أن بعضاً منهم - في حالة التقصير والتخاذل في القيام بقضاء الحاجة - من المستبعد أن يستطيعوا الحفاظ بمصداقيتهم ومحطات نفوذهم لا سيما في المجتمعات المثقفة والواعية سياسياً .

لا بد لنا من الحديث عن هذه الأصناف صنفاً صنفاً في حالة التقاعس عن النهوض في مساعدة الآخرين وأداء حقوقهم لاسمح الله .

أما الصنف الأول: فإنهم يعلمون وقد يكونون أعرف منا بالنصوص الدينية التي بلغت حدّ التواتر في هذا الصدد، وفي القرآن الكريم العديد منها، والمجاميع الحديثية والكتب الاجتماعية والروحية والأخلاقية ملأى بها... كما ان الإهتمام بشؤون الناس يعبر عن مدى العمق الروحي والأخلاقي الذي يربط المسلم بدينه وعقيدته الإلهية، حتى روي عن أبي الحسن الأول (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: «مَنْ أَصْبَحَ لَا يَهْتَمُّ بِأُمُورِ الْمُسْلِمِينَ فَلَيْسَ مِنَ الْإِسْلَامِ فِي شَيْءٍ، وَمَنْ شَهِدَ رَجُلًا يَنَادِي

بالمسلمين فلم يجبه فليس من المسلمين»^(١).

وقال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): إن أفضل الأعمال ما استُرِقَ به حرٌّ، واستُحِقَّ به أجرٌ^(٢).

لقد هتف الإمام الشهيد الحسين بن علي بالمقصرين من هذا الصنف بحق المستضعفين والمنكوبين قائلاً في خطابه التاريخي العظيم: (ثم أنتم أيتها العصابة عصابة بالعلم مشهورة، وبالخير مذكورة، وبالنصيحة معروفة، وبالله في أنفس الناس مهابة، يهابكم الشريف، ويكرمكم الضعيف... أليس كل ذلك إنما نلتموه بما يرجى عندكم من القيام بحق الله، وإن كنتم عن أكثر حقه تقصرون. فأما حق الضعفاء فضيعتهم، وأما حقكم بزعمكم فطلبتهم، فلا مالاً بذلتموه، ولا نفساً خاطرتهم بها للذي خلقها، ولا عشيرة عاديتموها في ذات الله.. وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون.. والعُمى والبُكم والزمنى في المدائن مهملة لا ترحمون، ولا في منزلتكم تعملون)^(٣).

وإذا ما رأينا أو سمعنا ببعض المقصرين بحق المستضعفين والمحرومين، فليس من الإنصاف أو الموضوعية في كثير ولا قليل أن ننسى أولئك العلماء الأكارم الذين ما طفقوا ينحتون من إعانة المنكوبين أبواباً فُتِحَتْ إلى رحمة الله ورضوانه.

وأما الصنف الثاني (القياديون): فهل يبتغون من أتباعهم والمرتبطين بهم الانقياد والطاعة إذا لم يجدوا فيهم النشاط والهمة لكشف ضررائهم والمبادرة لحل مشكلاتهم. وهل يصلح مثل هؤلاء للقيادة بعدما نقل الإمام الشهيد عن جدّه

١ - نوادر الراوندي / ٢١.

٢ - غرر الحكم ودرر الكلم الفصل التاسع الحكمة / ٢٢٥

٣ - تحف العقول لابن شعبة الحراني (القرن الرابع الهجري) ص ١٧١ - ١٧٢.

المصطفى «ص»: «أصلح الناس أصلحهم للناس»^(١).

لست أعني أن عليّ القيادين أن يتكفلوا بمهمّة قضاء الحوائج فحسب وينفقوا كل أوقاتهم وجهودهم طلباً لانتجازها تاركين شؤونهم الأخرى في وادي الإهمال والنسيان أو التناسي، بل أعني أن يكون هاجس قضاء الحوائج والعمل على تذليلها مفصلاً من مفاصل أعمالهم الأساسية. وأن لا يتشبهوا بالحجج الواهية للإتكفاء عن حلّ عقد المشاكل، ومدّ جسور الرأفة والتّخنان بينهم وبين إخوانهم في الدين أو الإنسانية..

وإذا كان تقديم المصلحة العامة على المصلحة الخاصة فضيلةً سياسيةً كما يقول مونتسوكيو فإن القياديين من أولى الناس باحتضان هذه الفضيلة الشماء والعمل بموجبها.

أليس من الحق والخير والسياسة الحكيمة الغراء بمكانٍ أن يقتفي القياديون في مشارق الأرض ومغاربها التوجّه السديد الذي أعلنه قائد الثورة الإنسانية المباركة: «أبلغوني حاجة من لا يستطيع إبلاغي حاجته فإن من أبلغ سلطاناً حاجة من لا يستطيع إبلاغها ثبتّ الله قدميه على الصراط يوم القيامة»^(٢).

وأما صنف المصلحين الاجتماعيين: فإنهم إن لم يتحروا معونة المجتمع وإستنقاذه من الاكتواء بجمر المشاكل المختلفة فإن إنشغالهم بإصلاح أنفسهم

١ - بحار الأنوار للمجلسي ت ١١١١ هـ ٧٧ / ١١٤.

٢ - من أحاديث رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» تحف العقول ص ٤٧.

وكان الإسكندر بن فيلبوس قائداً عظيماً وحكماً ومن تلاميذ أرسطو طاليس (درس عنده خمس سنين بمدينة اينياس) وقد جلس الإسكندر يوماً في قصر من قصور الإمبراطورية فلم يسأله أحد حاجة، فقال لمن حوله: والله ما أعد هذا اليوم من أيام عمري في ملكي. فقيل: ولم أيها الملك، فقال: لأنه لا يوجد التلذذ بالملك إلا بالجود على السائل، وإغاثة المهوف، ومكافأة المحسن، وإلا يئس الراغب، وإسعاف الطالب.

٨٤ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وترميم مخططاتهم أولى من التوجه إلى إصلاح الآخرين. ولقد أحسن الصحابي
العظيم قيس بن سعد بن عبادة القول وبرع فيه حيث يقول: إنه لا ينصح أخاه من
عَشَّ نَفْسَهُ.

وأحسبني غير بعيد عن الحقيقة إذا ما قلت: من لم يكن قُدوةً بأقواله
وأعماله، فليكن قُدوةً بصمته واعتزاليه.

زئير الهمم العالية

١٩٠ - يُروى عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) القول: لا تستكثرنَّ
الكثير من نوايك، فإنك أكثر منه^(١).

في حِكْمِ أمير المؤمنين عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَكَلِمَاتِهِ الْعَظِيمَةِ مَا
يُودِعُ الثَّقَةَ الْكَبِيرَةَ فِي نَفُوسِ الْأَجْيَالِ، وَيُحَرِّكُ بَعْفَ وَقُوَّةِ زئِيرِ
الهِمَمِ الْعَالِيَةِ، وَيُرْسِلُهَا بَعِيداً بَعِيداً فِي الْهَوَاءِ الطَّلِقِ، لَا سِيَّما إِذَا عَرَفْنَا أَنَّ
صَاحِبَهَا كَانَ كَذَلِكَ.

وهذا أمر طبيعي لمن قرأ فلسفة ابن أبي طالب، وسبر مخططاته في القيم
العليا التي كان يدعو إليها بكل جدٍّ وحزمٍ وإرادةٍ وتأکیدٍ لا هوادةٍ فيه، وعلى سبيل
المثال ان علي بن أبي طالب شجاع لا يُقاوم على الصعيد العالمي، وهو يدعو
بمختلف الأساليب والطرائق إلى الشجاعة على الصعيد ذاته، وإلى منازعة
المعتدين والجبارين أرواحهم ورؤوسهم فهو يقول: لأبقرن الباطل حتى أخرج
الحق من خاصرته.

وعلى سبيل المثال كذلك إنَّ علي بن أبي طالب جواد لا يبارى وكريم لا يضارع أو يشاكل على الصعيد العالمي، وهو يدعو بمختلف الأساليب والطرائق إلى الجود والكرم على الصعيد ذاته وإلى منازعة الممتلكات والأموال أرواحها ورؤوسها. فهو يقول: لا تستكثرن الكثير من نوالك فإنك أكثر منه.

فما دمت أنت كبيراً في شخصيتك وكبيراً في منزلتك؛ فإنك أكبر من النوال قدراً، وأعظم مكانةً وأمراً، وهل تقاس الماديات والمقتنيات وإن جلت وعظمت بمنزلة الإنسان الجليل في عقله وخلقه، العظيم في نبهه وإنسانيته، الكبير في إرادته وثقته بنفسه^(١)؟ حقاً إنَّ الثَّقةَ الجليَّةَ بالنفسِ وِراثةٌ ساميةٌ وتربيةٌ مُثمرةٌ معطاء.

رأس السخاء الزهد في الدنيا

١٩١ - يروى عن أمير المؤمنين علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أنه قال: رأسُ

السخاءِ الزهدُ في الدنيا^(٢).

١ - قال الشيخ محمد بن علي الصدوق: حدثنا محمد بن الحسن رحمه الله قال: حدثنا

علي بن إبراهيم عن أبيه قال: كان ابن أبي عمير رجلاً بزازاً وكان له على رجل عشرة آلاف درهم، فذهب ماله وافتقر فجاء الرجل فباع داراً له بعشرة آلاف درهم وحملها إليه، فدق عليه

الباب فخرج إليه محمد بن أبي عمير رحمه الله فقال له الرجل: هذا مالك الذي لك عليّ فخذ.

فقال ابن أبي عمير: فمن أين لك هذا المال ورثته؟ قال: لا. قال: وهب لك؟ قال: لا. ولكنني

بعت داري الفلاني لأقضي ديني. فقال ابن أبي عمير رحمه الله: حدثني ذريح المحاربي عن أبي

عبد الله (عليه السلام) أنه قال: لا يخرج الرجل من مسقط رأسه بالدين. ارفعها فلا حاجة لي

فيها، والله إنني محتاج في وقتي هذا إلى درهم، وما يدخل ملكي منها درهم. علل الشرائع،

الباب / ٣١٣، باب العلة التي من أجلها لا تباع الدار والخادم في الدين، الحديث / ٢.

٨٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
لكل واحدة من مفردات الأخلاق بقسميها الايجابي والسلبي علامات
ومؤشرات تتباين فيما بينها في درجات القوة والأهمية، إلا أنها جميعاً تدل
على ذلك الخلق المعين. والسخاء من بين هذه المفردات الأخلاقية له علامات
ومؤشرات كثيرة، مثال ذلك: حسن الضيافة، واجابة السائل، ومساعدة
المحتاجين، واکرام الأرملة والمسكين، غير أن الزهد في الدنيا حسب الرواية
الواردة عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، يقع في الترتيب المنهجي على رأس
قائمة مفردات السخاء.

وعسى أن يكون التعليل الصحيح أو الراجح لكون رأس السخاء هو الزهد
في الدنيا، من جهة أن الزاهد حقاً في الدنيا لا تهمة الأموال وجمعها وبريقها
اهتماماً بليغاً، لا من حيث الكنز والادخار، ولا من حيث كثرة الإنفاق والتبرع
بالمعروف وبسط اليمين بالمساعدة والتكريم، فهو ينفق ويكرم ويهب ويسعف
اللائذين به والمستجيرين بظلاً سماحه وجوده، وليس ينفق الأموال من أي ناحية
جاءته حلالاً أم حراماً بل لا ينفق إلا من الأموال المشروعة التي يحق له انفاقها
حسب القوانين الشرعية. وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) خير مثال حيوي
نايض للزاهد الحقيقي في الدنيا، وللسخي حق السخاء بما ملكت يمينه وضمّ بيته،
وللمتشرع الذي يراقب الله تعالى في كل أحواله وأعماله، في الوقت ذاته.

لا سخاء مع عدم

١٩٢ - روي عن علي (عليه السلام): لا سخاء مع عدم^(١).

قد يقال بوجود تعارض ما بين هذه الحكمة من حكم أمير المؤمنين، وبين

حكيمته الأخرى الآتية : - جودُ الفقير يُجلبُه ، وبخلُ الغني يذُلُّه . وكذلك بين هذه الحكمة وبين حكيمته الأخرى السالفة أيضاً : جود الفقير أفضل الجود ؛ وذلك لأن الظاهر من قوله (عليه السلام) : لا سخاء مع عدم . أن السخاء مما يختص بالأغنياء والأثرياء دون سواهم ؟ والصحيح أن لا تعارض في البين ؛ لأن الفقر درجات شتى ، وفي بعضها غير المتوغل في الانتكاس والدنو ، يستطيع الفقير أن يسخو ، وأن يجود بما يمتلك من ذلك المقدار من المال . والعدم هو أشد حالات الفقر التي لا يملك أو لا يكاد يمتلك معها شيئاً ؛ وبسبب ذلك يكون لا سخاء له ؛ ولهذا يقول القائد الرسالي العظيم قيس بن سعد بن عبادة : اللهم ارزقني مالاً وفعالاً ، فإنه لا تصلح الفعال إلا بالمال .

العدم في اللغة

في كتاب العين للفراهيدي ٢ / ٥٦ / عدم : العدم : فقدان الشيء وذهابه ، والعدم لغة ، إذا أرادوا التثقيب فتحوا العين ، وإذا أرادوا التخفيف ضمّوها . عدمت فلاناً أعدمه عدماً ، أي : فقدته أفقده فقداً وفقداناً ، وأعدمه الله مني كذا ، أي : أفاته . ورجل عديم لا مال له ، وقد عدم ماله وفقده وذهب عنه . والعديم : الفقير ، لأنه فقد الغنى ، وأيس منه ، ويجوز جمعه على : عدماً ، كما يجمع الفقير فقراء . وأعدم فهو معدم ، وأفقر فهو مقفر ، أي : نزل به العدم والفقر فهو صاحبه . قال حسان بن ثابت الأنصاري :

رب حلم أضاعه عدم المال

وجاهل غطى عليه النعيم

وفي لسان العرب ، في مادة عدم : العَدَمُ والعُدْمُ والعُدْمُ : فقدان الشيء وذهابه ، وغلبَ على فقد المال وقيلته ، عديمه يعدمه عدماً وعدماً ، فهو عديمٌ ، وأعدم إذا افتقر ، وأعدمه غيره .

٨٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
والعَدَمُ: الفقر، وكذلك العُدْم، إذا ضَمَمْتَ أَوَّلَهُ حَفَّفتِ فَقَلتِ العُدْم، وإن فتحتِ
أَوَّلَهُ ثَقَلتِ فَقَلتِ العُدْم، وكذلك الجُحْد والجَحْد والصُّلْب والصَّلْب والرُّشْد والرَّشْد
والحُزْن والحَزْن. ورجلٌ عَدِيمٌ: لا عقلَ له. وأَعْدَمَ إَعْداماً وَعُدْماً: افتقر وصار ذا
عُدْمٍ: عن كراع، فهو عَدِيمٌ ومُعَدِمٌ لا مالَ له. والعَدِيمُ: الفقير الذي لا مالَ له،
وجمعُه عُدْماء. وفي الحديث: مَنْ يُقْرِضُ غيرَ عَدِيمٍ ولا ظَلُومٍ: العَدِيمُ: الذي لا
شيءَ عنده، فَعِيلٌ بمعنى فاعل. وأَعْدَمَه: مَنَعَه.

المعنى الغالب للعدم

لقد اتضح من أكثر هذه الكلمات أن العدم بمعنى عدم المال وفقدانه كما نرى
في قول الفراهيدي: العدم: فقدان الشيء وذهابه، ورجل عديم لا مال له، وقد
عدم ماله وفقده وذهب عنه. وكذا في شعر حسان بن ثابت:

رَبِّ حَلِمٍ أَضَاعَهُ عَدَمَ الْمَالِ
وَجَاهِلٍ غَطَّنِي عَلَيْهِ النِّعِيمُ

وأكثر الحالات يأتي فيها العدم بمعنى فقدان الشيء وانعدامه، وإن كان العدم
يعني أحياناً قلة المال لا فقدانه. ويوضح المعنيين معاً ما جاء في لسان العرب:
العَدَمُ والعُدْمُ والعُدْمُ: فقدان الشيء وذهابه، وغلبَ على فقد المال وقَلَّتَه.

حاجة أهل المعروف للمعروف

١٩٣ - قال علي (عليه السلام): إنَّ بأهلِ المعروفِ من الحاجةِ إلى
اصطناعِهِ، أكثر مما بأهلِ الرغبةِ إليهم منه^(١).

هذا معنىً بديع ومفهوم قويم وتربيةً سنيّةً عليا، وقد استلهم عامر بن شراحيل الشعبي هذا المفهوم قائلاً: من لم يَرِ نفسه أحوَجَ إلى ثواب الصدقة من الفقير إلى صدقته، فقد أبطل صدقته، وضرب بها وجهه^(١).

ومن أفضل ما يمثّل هذا المنحى ويجسّده على صعيد الفعل والممارسة تلك القصة الجميلة التي ذكرها ابن جمال الدين الجوزي أو سبط ابن الجوزي قائلاً: كان ببلخ رجل من العلويين نازلاً بها وله زوجة وبنات، فتوفي العلوي. قالت المرأة: فخرجت بالبنات إلى سمرقند خوفاً من شماتة الأعداء، واتفق وصولي في شدة البرد، فأدخلت البنات مسجداً ومضيت لأحتال في القوت؛ فرأيتُ الناس مجتمعين على شيخ فسألت عنه فقالوا: هذا شيخ البلد فشرحت له الحال. فقال الشيخ: أقيمي البينة على أنك علوية. ولم يلتفت إليّ؛ فأيست منه وعدت إلى المسجد، فرأيت في طريقي شيخاً جالساً على دكّةٍ وحوله جمّاً فقلت من هذا؟ فقيل لي: هذا ضامن البلد وهو مجوسي فقلت أمضي إليه فعسى أن يكون لنا عنده فرج؛ فجلّت إليه فحدثته حديثي وما جرى لي مع شيخ البلد؛ فصاح بخادم فخرج فقال: قل لسيدتك تلبس ثيابها. فدخل وخرجت امرأةً ومعها جواربها فقال لها: اذهبي مع المرأة إلى المسجد الفلاني واحملي بناتها إلى الدار. فجاءت معي وحملت البنات فجئنا وقد أفرد لنا مقاماً في داره وأدخلنا الحمام وكسانا ثياباً فاخرةً وجاءنا بألوان الطعام وبتنا بأطيب ليلة. فلما كان نصف الليل رأى شيخ البلد المسلم في منامه كأن القيامة قد قامت واللواء على رأس محمد «ص»، وإذا بقصر من الزمرد الأخضر؛ فقال: لمن هذا القصر؟ قال: لرجل مسلم. فقدم إلى رسول الله «ص» فأعرض عنه؛ فقال: يا رسول الله لم تعرض عني وأنا رجل مسلم؟ فقال «ص»: أقم البينة عندي أنك مسلم. فتحير الشيخ فقال له رسول الله: أنسيت قولك للعلوية؟ وهذا القصر للشيخ الذي هي في داره، فاتبه الشيخ وهو

٩٠ فلسفة الجود والإنثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
يلطم ويكي، وبعث غلمانه في البلد وخرج بنفسه يدور على العلوية، فأخبر أنها
في دار المجوسي: فجاء إليه وقال: ألك علم بالعلوية؟
فقال: هي عندي.

قال: أريدها.

قال: ما لك إلى هذا سبيل.

فقال: هذه ألف دينار خذها وسلمها إليّ.

فقال: لا والله ولا مائة ألف دينار.

فلما ألع عليه قال له: إن المنام الذي رأيته أنت البارحة رأيته أنا أيضا،
والقصر الذي رأيته لي أعدّ وأنت تدل عليّ بإسلامك، والله ما نمت أنا ولا أحد في
داري حتى أسلمنا كلنا على يد العلوية وعادت بركتها علينا، ورأيت رسول الله
وهو يقول لي: القصر لك ولأهلك لما فعلت مع العلوية، وأنت من أهل الجنة،
خلقكم الله عزّ وجلّ مؤمنين في القدم^(١).

وضع المال في مواضعه

١٩٤ - من كلام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) في وضع المال مواضعه.
ما ذكره الفقيه الكبير والمؤرخ المعتمد الشيخ محمد المفيد في المجالس، والشيخ
الفقيه محمد بن الحسن الطوسي في الأمالي، والعالم الجليل ابن شعبة الحراني في
تحف العقول أنه: لما رأت طائفة من أصحابه بصفين ما يفعله معاوية بمن انقطع إليه
وبذله لهم الأموال والناس أصحاب دنيا؛ قالوا لأمير المؤمنين (عليه السلام):

أعطى هذا المال وفضل الأشراف ومن تخاف خلفه وفراقه، حتى إذا استتب لك ما تريد، عدت إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعيّة والقسم بالسويّة^(١).

فقال: أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، من أهل الإسلام؟! والله لا أطور به ماسر به سمير، وما أمّ نجم في السماء نجماً^(٢). لو كان مالهم مالي لسوّيت بينهم، فكيف وإنما هي أموالهم.

ثم أرمّ طويلاً ساكتاً ثم قال: من كان له مال فإياه الفساد فإن إعطاءك المال في غير وجهه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله. ولم يضع امرؤ ماله في غير حقه وعند غير أهله، إلا لم يكن له من الحظ فيما أتى إلا محمداً اللثام وثناء الأشرار ما دام عليهم منعماً مفضلاً، ومقالة الجاهل: ما أجودّه. ما دام عليه منعماً وهو عن ذات الله بخيل. فأى حظ أبور وأخسر من هذا الحظ، وأي معروف أضيع وأقل عائدة من هذا المعروف؟

فمن أتاه مال فليصل به القرابة.. وليحسن به الضيافة.. وليفك به العاني والأسير.. وليعن به الغارمين وابن السبيل والفقراء والمهاجرين.. وليصبر نفسه على النوائب^(٣) والحقوق؛ فإنه يحوز بهذه الخصال شرفاً في الدنيا، ودرك فضائل الآخرة^(٤).

١- في بعض الأخبار أن مالك الأشتر رضوان الله عليه هو المشير على الإمام بذلك، فإن صحّ الخبر فلعل الأشتر قام به بناء على طلب قدّم إليه من عدد من الناس ليشاقه به أمير المؤمنين لما يعلمون من مقامه الخاص عنده، فأحبّ أن يطلعهم على رأي الإمام (ع) من خلال مفاتحته في الموضوع، أو أنه رأى حديث بعض الناس حول ذلك، فتحدّث مع الإمام ليكشفهم بصريح توجهه وسياسته من أجل أن يقطع جذور الحديث والمناقشة القابلة للتفاقم والاشتداد.

٢- وفي بعض المصادر: لا والله ما أفعل ما طلعت شمس ولاح في السماء نجم.

٣- وفي بعض المصادر على الثواب والحقوق.

٤- تحف العقول / ١٨٦ وبحار الأنوار / ٤١ / ١٠٩، ٤١ / ١٢٣.

شرح وتعليق

١ - العدل في الرعيّة والقسم بالسويّة أمرٌ إلهيٌّ صارمٌ قبل أن يكون اختياراً انسانياً، كما أنه تعاليم نبويّة سار عليها خاتم النبيين «ص» بنفسه وقام بتطبيقها الشامل في حكومته المثلى وأمر بها أتباعه والمقتدين به، قبل أن يكون اجتهاداً شخصياً ينقدح في ذهن هذا الحاكم أو ذلك الأمير أو في تفكير جماعة من أصحابهما. إذاً هل من الممكن نظرياً أو عملياً أن يتوقع المتقدمون بهذا الاقتراح من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وهو هو في سماء عدالته ونقاء حكومته وسُمُو أهدافه أن يخالف الأمر الإلهي، أو يتجاوز التعاليم النبوية، وأن يحكّم الاجتهادَ والمذاقَ الشخصيَّ مقابل النصوص الشرعية الثابتة في القرآن الكريم والسنة النبوية!

٢ - إن هؤلاء المتقدمين بالاقتراح المذكور يعلمون جيداً أن ما تقدّموا به خلاف العدالة والانصاف وهو ما يظهر جلياً في ذيل عباراتهم التي خاطبوا الإمام (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ) بها: حتى إذا استتب لك ما تريد، عدت إلى أحسن ما كنت عليه من العدل في الرعيّة والقسم بالسويّة. فما هو معنى العودة إلى العدل في الرعيّة والقسم بالسويّة لولا الانحياز المتعمد عنهما لفترة من الفترات؟

٣ - لو افترضنا أن الإمام يوافقهم على مقترحهم وقدم في العطاء الأشراف ومن يخاف خلافه وفراقه، فما هو الضمان الأكيد أو شبه الأكيد بعد أن يذوق هؤلاء التمايز المالي ويعيشوا حياة الرفاهية والتنعم والأفضلية المالية أن يوافقوا الحاكم بالعودة إلى أحسن ما كان عليه من العدل في الرعيّة ولا يحاربوه بشتى الطرق والوسائل المتاحة لهم؟ وإذا كان ثمّ علّمان كبيراً المنزلة وقديماً الاسلام قد جادلا أمير المؤمنين علياً بقوة لأنه لم يفضلهما في العطاء على بقية المجتمع وذلك بعد أن اعتادا على التفصيل زمنياً طويلاً ولم يقبلوا الأخذ بنصيحته وكلامه

حتى بعد أن أحسن جدالهما وقدم الأدلة الكافية واعترفا له بأن ما يقوم به من السياسة المالية هو عين ما كان عليه رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » من سياسة عدم التمييز في العطاء بين الناس . إذاً فما حال غيرهما من شتى أصناف المجتمع ؟

٣ - إنما اقترح هؤلاء ما اقترحوه بسبب الصراع المستحکم بين الإمام ومعاوية^(١) ، فلورضي الإمام بما أشاروا عليه وأنزله إلى حيز التطبيق مدة معينة ، وما بعد ذلك عاد إلى أحسن ما كان عليه من العدل في الرعية ، ثم إن الدهر دار بدورته وانتفضت بوجه الإمام علي مشكلة أخرى كتلك التي ابتلي بها ، فهل يعود إلى تفضيل الأشراف ومن يخاف خلفه وفراقه مرة ثانية ؟ وإذا تكررت هذه الحالة مرة ثالثة فهل يصنع هذا الصنيع أيضاً ؟! فسنة سنة حرص على الانصاف والعدالة ، وسنة سنة الإدارة والتفضيل على حساب العدل والقيم ؟ وهل نظام الحكومة الإلهية وتشريعاتها التي أنزلها الله سبحانه وتعالى وطبقها رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » بحذافيرها بكل حزم وجد وجهاد عبارة عما اجتهد فيه الناس ، واقترحه المثقفون ، واشتهاه الحكام والرؤساء ، واستمليت فيه طبقة الأشراف ، ورضي عنه الأكابر ، وتمنته الغيد الحسان ؟! ألا ساء ما يخكمون .

٤ - فمما يقوله الإمام: لو كان مالهم مالي لسويت بينهم ، فكيف وإنما هي أموالهم . هذا هو الانصاف الأسمى الذي يمكن أن يتصوره الانسان وهو يُخَلِّقُ في عالم المُثُل التربوية والأخلاقية . إنه مأمور بتحقيق العدالة في حالة كون

١ - وفي المجالس للمفيد عن علي بن بلال عن علي بن عبد الله الأصبهاني عن إبراهيم بن محمد الثقفي عن محمد بن عبد الله بن عثمان عن علي بن أبي سيف عن علي بن حباب عن ربيعة وعمارة: أن طائفة من أصحاب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مشوا إليه عند تفرق الناس عنه وفرار كثير منهم إلى معاوية طلباً لما في يديه من الدنيا .

٩٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
الأموال تعود إليه شخصياً وأراد توزيعها فلا بد أن يتم التوزيع حسب النظرية
العلوية بالتساوي فلا فضل للأشراف والأكابر على من سواهم من طبقات
المجتمع. إلا أنه يبدو لي أن توزيع الأموال الشخصية في صورتها المثالية يمكن
أن يتم على نحوين مختلفين في الأساس:

النحو الأول: توزيع الأموال الشخصية الطائلة على عامة أفراد المجتمع بسبب
جهادهم مثلاً أو بسبب أعمال خدمية جلّي أو غير ذلك، فهنا يتم التوزيع
بالتساوي فيما بينهم ولا فرق بين كبير وصغير وشريف ووضيع بل ولا بين رجل
وامرأة وبين حُرّ وعبد.

النحو الثاني: توزيع الأموال الشخصية لا على أساس الجهاد والمال الخدمية...
بل على أساس معونات يتقدم بها الكريم الجواد لمن شاء من الناس، أو على
أساس ردّ الجميل والمقابلة بالمثل أو بما هو أفضل، أو على أساس ما يحفل به
المُكرمون من مزايا ايجابية قوية الخصوصية كالايمان العميق أو المروءة أو
القراءة... الخ وهذا ما دعت إليه وأكدته الفلسفة العلوية في نصوص متظافرة
من قبيل:

- من أفضل الإحسان الإحسان إلى الأبرار.

- خير المعروف ما أُصيب به الأبرار.

- خير البر ما وصل إلى المحتاج.

- ثمرة الكرم صلة الرحم.

- عليكم بصنائع الإحسان، وحسن البر بذوي الرحم. والجيران؛ فإنهما

يزيدان في الأعمار ويعمران الديار.

- ظفر بسني المغانم، واضع صنائعه في الأكارم^(١).

٥ - اعتبر الإمام (عليه السلام) توزيع خزانة الأموال على مختلف الأفراد بحسب الشرف والمكانة الاجتماعية لأي مبرر واستذواق واجتهاد فساداً وتبذيراً وإسرافاً قائلاً: من كان له مال فإياه الفساد فإن إعطاءك المال في غير وجهه تبذير وإسراف، وهو يرفع ذكر صاحبه في الناس ويضعه عند الله. وبما أن التبذير والإسراف محرمان في الشريعة الإسلامية كتاباً وسنةً وعقلاً واجماعاً كما هو معروف لدى فقهاء المسلمين، إذاً توزيع أموال الدولة بحسب الشرف والمكانة الاجتماعية محرم شرعاً، سواء كنا ملتفتين إلى التحريم أو غير ملتفتين. وللعلم والاطلاع أن الجهل بالتحريم الشرعي أو التجاهل له أو الغفلة عنه لا يحيل الحرام إلى حلال في أي صورة من الصور فتأمل، ف«إن الدين متين فأوغل فيه برفق».

٦ - بعد أن بين أمير المؤمنين فقه المال والموقف الشرعي الأصيل من التوزيع غير المتكافئ للحقوق المالية، أي بعد أن بين الوظيفة الشرعية للحاكم بصفته حاكماً، تطرق إلى موضوع آخر من مواضع الموقف المحدد من المال لمن يحصل عليه بصفة شخصية لا بصفة الحاكمية؛ فأوضح ذلك قائلاً: فمن أتاه مال فليصل به القرابة.. وليحسن به الضيافة.. وليفك به العاني والأسير.. وليعن به الغارمين وابن السبيل والفقراء والمهاجرين.. وليصبر نفسه على التواضع والحقوق^(٢).

١- النصوص العلوية الأخيرة من كتاب غرر الحكم.

٢- لنا في نظم بعض فقرات الإمام في هذا النص:

لا أطلبُ النصرَ بجُورِ يوماً

ما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً

قوائم الدين والدنيا

٢٩٥ - قال الإمام علي (عليه السلام) لجابر بن عبد الله الأنصاري (رض): يا جابر قوائم الدين والدنيا بأربعة: عالم يستعمل علمه، وجاهل لا يستنكف أن يتعلم، وجواد لا يبخل بمعروفه، وفقير لا يبيع آخرته بدنياه. فاذا ضيع العالم علمه استنكف الجاهل أن يتعلم، وإذا بخل الغني بمعروفه، باع الفقير آخرته بدنياه. يا جابر من كثرت نعمة الله عليه، كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام بما يجب لله فيها عرض نعمة الله لدوامها، ومن ضيع ما يجب لله فيها عرض نعمته لزلوالها^(١).

تحقيق روائي: قال عز الدين بن أبي الحديد المعتزلي شارح كتاب «نهج البلاغة» والمتوفى عام ٦٥٦ هـ: ينبغي أن يكون عوض لفظة جواد لفظة غني؛

لو كان هذا المال ملكي ثمنا
سويت فيهم عرباً وعجماً
فكيف والمال لهم ما انضما
لا أبتغي الحكم لنفسي غنما
بل أرخص النفس وأبني الحكمما
نهجاً قويماً وشعاعاً أسمى
ليس من العدل إذا استتما
أن أحيي قوماً وأميت قوما
شفيت بالعدل قلوباً تدمي
رميت ظيباً فأصبت المرؤي

١ - يحيى بن الحسن بن هارون ت / ٤٢٤، تيسير المطالب / ٢٠٧، وعلي المامطيري، نزهة الأبصار / ١٧٣، وابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩ / ٣٠٣، والحافظ أحمد بن محمد العاصمي، زين الفتى في شرح سورة هل أتى / ١ / ٢٢٥ - ٢٢٦.

ليطابق أول الكلام آخره، إلا أن الرواية هكذا وردت^(١).

قال المؤلف: الحق ما قاله ابن أبي الحديد، ويؤيده أن الجواد إذا بخل بمعروفه، لا يُعَدُّ جواداً ولا يقال له ذلك. أما الغني فقد يجود بمعروفه وقد يبخل، ومما يدل على ذلك أيضاً قول الإمام (عليه السلام): «وإذا بخل الغني بمعروفه.. وهذا يعني ان الإمام قال: وغني لا يبخل بمعروفه، وإنَّ تغير لفظة جواد من الراوي أو النسخ فتأمل، وقد ورد كلام الإمام في كتاب «نزهة الناظر» للحسين بن محمد الحلواني وفيه: وغني لا يبخل بمعروفه. ثم إن الشريف الرضي جامع نهج البلاغة اقتصر من كلام الإمام أمير المؤمنين على ما مرَّ لفظه، غير أن بقية كلامه مما يتصل ببحثنا قوله (عليه السلام):

ما أحسن الدنيا وإقبالها إذا أطاع الله من نالها
من لم يُواسِ الناس من فضله عَرَّضَ للإِدْبَارِ إقبالها
فاحذر حلولَ الفقرِ إذا الغنى واعطِ من الدنيا لمن سألها
فإن ذا العرشِ العظيمِ الجزأ يضعف للصحبة أمثالها^(٢)

وفي رواية: فاحذر حلول الفقر يا جابر، وفي رواية أخرى: فاحذر زوال الفضل يا جابر، وما أثبتناه أجود وأسبك.

وفي رواية أبي عبد الله القرطبي صاحب التفسير في كتابه «كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة» وقد نسب الأبيات إلى علي بن أبي طالب^(٣): فاحذر زوال الفضل يا مانعاً.

١ - المصدر ١٩ / ٣٠٤.

٢ - علي المامطيري، نزهة الأبصار / ١٧٣، والخوارزمي، المناقب / ٣٦٩.

٣ - كتاب قمع الحرص بالزهد والقناعة / ١٤٤.

السيادة الحقيقية

١٩٦- روى علي بن الحسين زين العابدين، عن أبيه الحسين، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: سادة الناس في الدنيا الأسخياء، وفي الآخرة الأتقياء^(١).

بهذه النظرة الواقعية السديدة يفصح الإمام علي (عليه السلام) عن رأيه في السيادة سواء في الدنيا أو في الآخرة؛ وذلك أن السخياء - بصورة عامة - يدلُّ على التفاعل الاجتماعي، والحنان الإنساني، وهو مؤشر على مجاملة الناس واحترامهم، وبذل الجهد في حلِّ مشكلاتهم. إن مثل هذه المواصفات محببة إلى المجتمع جداً مما يدعوهم إلى تسويد من يتصف بها، أو إلى الرضا والقبول بسيادته على الحد الأدنى، وفي هذا السياق يقول الإمام علي (عليه السلام) أيضاً كاشفاً عن واقع الحال: من جاد ساد^(٢). وهو الكلام الذي يروى أيضاً عن الإمام الشهيد الحسين بن علي (ع).

أما الأتقياء فربَّ تقيٍّ غير سخي، فلا ينكر أحدٌ عبادته وزهده وورعه، ولكن ينكرون سخاءه وبذله، مما يجعله غير مؤهل للقيام بالأعباء الاجتماعية التي يقوم بها السخيُّ المفضل، وينبغي أن يكون غير خفيٍّ على أحد: المفضل هو المفضل.

كما أنه رُبَّ تقيٍّ فقير الحال، فليس له من الأموال ما ينفقها ويمنحها في

١ - تحف العقول / ١٥٦، وبحار الأنوار / ٧١ / ٣٥٠.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٣١٣.

موارد شتى حتى يعتاد المجتمع على وصفه بالسخاء، ولقد علم التقي والشقي أن لا نوال بلا مال. نعم لا يوجد مانع شرعي أو عقلي أو عرفي أن يكون التقي سخياً، بل ما أكثر ما استبشرت وابتهجت الأرض بأمثال هؤلاء الأتقياء الأسخياء، وحينئذ يكونون أولى بالسيادة من غيرهم، ولهم الفوز العظيم في الحياة الدنيا وفي الآخرة. وأما سيادة المتقين في الآخرة فهو الشاخص اللاحظ المضيء « إنَّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنَّ الله عليمٌ خبيرٌ »^(١).

إنما النسبيُّ زيادةٌ في البخل

١٩٧ - جاء في الرواية عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): لا تؤخَّرْ

إنالة المحتاج إلى غد؛ فإنك لا تدري ما يعرض لك وله في غد^(٢).

لو عُرِضَ تأخيرُ إنالةِ المحتاجِ علي لثيم لاستحسنه جداً ورغب فيه؛ لأن موقفه العام من المحتاج إما أن يمنعه منذ البدء ويصد عنه، وإما أن يغرقه بسيل هادر من المواعيد والأمانى المترامية الأوتار؛ أملاً أن تحول واحدة أو أكثر من العوائق الكثيرة التي تختبئ في طيات الزمن دون تحقيق مراد المحتاج وإنالته ما يريد؛ وعلى هذا الأساس فإن اللثيم سوف يستظل ويرقد هاتئاً متنعماً تحت سقيفة الأعدار والتعليقات التي يراها مقبولة ومستساغة في الابتعاد عن إنالة المحتاج، من غير حجاجٍ أو لجاج.

١ - الحجرات، الآية / ١٣.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣٣٢، الحكمة / ٨٠٩، وغرر الحكم،

الحكمة / ١٠٣١٠، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٩٥٧٢.

١٠٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ولو عُرِض تأخير إنالة المحتاج علي جواد كريم مع تمكنه من إنالته
لاستقبحه جداً ورغب عنه؛ باعتبار أن المحتاج قد لا يبلغ مقصوده علي يديه
بسبب عارض من العوارض الزمنية، ثم ما هو الدافع الي الارحاء والتسويق مع
القدرة الفعلية علي الانجاز وحلّ المشكل أو المعضل؟ وهل من الخطأ والزلل إذ ما
هتفتنا يوماً ما: الإرجاء يُكدر الرجاء.

إن موقف الكريم بشكل عام من المحتاج إما أن ينيله ما يستطيع، وإما أن
يَعِدُّهُ وَعَدّاً حَسَنّاً فَهُوَ لاقِيه إن شاء الله سبحانه. علي أن الجواد الكريم لا يحاول
تأجيل إنالة المحتاج ما استطاع الي ذلك سبيلاً، وما دام قادراً علي تلبية مطلبه
وقضاء حاجته؛ فَرَقاً من عوادي الزمن، وخشيةً من عوارض القضاء، أو كما قال
إمام الأئمة (عليه السلام): فإنك لا تدري ما يعرض لك وله في عَد. هذا إضافة
الي أن أكثر ما يبتغيه المحتاجون والطالبون ما يتعلق بالحاجات الفعلية الآتية،
فتأجيلها حتى مع قضائها لاحقاً لا يجدي وينفع كقضائها فورياً وآتياً كما هو
معلوم. ثم أين الفرحة النديانة والبشرى الطروب التي تغمر بآفاقها المشرقة
الضحوك قلوب المحتاجين، وهم يشاهدون القضاء العاجل لاحتياجاتهم والحلّ
السريع لمشاكلهم، من فرحة وبشرى القضاء المؤجل لها. إن القانون العام
للأكارم: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْبُخْلِ^(١).

« قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذَىٰ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ »^(٢).

١ - إن قولنا: إن القانون العام للأكارم: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْبُخْلِ. لا يتنافى مع ما
يُروى عن الإمام أمير المؤمنين: إذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير، وإذا
سألت لثيماً حاجة فضاغصه فإنه إذا فكر عاد الي طبعه. / ابن أبي الحديد ٢٠ / ٣٠٦. لأن مجرد
هذا التفكير لا يستغرق عادة أكثر من دقيقة أو دقائق معدودة؛ فهو ليس تأخيراً أو تأجيلاً
لقضاء الحوائج.

٢ - البقرة، الآية / ٢٦٣.

البخيلُ غرابٌ مَمْسُوخٌ

١٩٨ - قال عليٌّ (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ) لرئيس وفد الرهبان إلى المدينة المنورة لما سأله عن عدد المسوخ وعن الذنوب الذي مُسَخُوا بسببها: إعلم أن الله تعالى مسح أربع وعشرين طائفة من الرجال والنساء فمن ذلك: الفيل .. الأرنب .. الدب .. العقرب .. الدعموش .. الخنازير .. القروود .. العنكبوت .. السُّلْحَفَاءُ .. الضَّبُّ .. الخنفساء .. السرطان .. الثعلب .. الديبور .. الكلب .. الزهرة .. سهيل .. الغُراب .. الععق .. العقاب .. الضفدع .. الدَّرَّةُ .. الفأرة .. الحية . فذاك أربعة وعشرون طائفة مسخهم الله تعالى .

أما الفيل: فكان رجلاً يأتي البهائم فمسخه الله تعالى . إلى أن يقول: وأما الغُراب: فكان رجلاً بخيلاً^(١) .

لا يمسخ الله تبارك وتعالى أحداً من خلقه إلا بذنب من الذنوب الكبرى وإصر من الآصار العظيمة، وذلك أن عذاب المسخ من أشدِّ ألوان العذاب الإلهي الذي يلفُّ بساط الأرض بفجائعه وكوارثه ويدوس بيدِر الكرامة الإنسانية بنوازله وأهواله . وهل كارثة أو نازلة أعنف وأغلظ من أن يتحول الإنسان في ساعة من الساعات المفاجأة من هذا الخلق الرائع الكريم إلى قرد أو خنزير أو غراب ... ويبقى على حاله حتى لقاء الموت الكاسح الفاضح^(٢) .

١ - رواها محمد بن اسحاق في رسالته الموسومة بـ «ألف راهبٍ وراهبٍ وقصتهم مع الإمام علي بن أبي طالب» . وهي رسالة مخطوطة في مكتبة الأسد الوطنية بدمشق وقد طبعت في الفترة الأخيرة .

٢ - قال المأمون العباسي للإمام علي بن موسى الرضا (ع): ما تقول في المسوخ؟ قال الرضا (عليه السلام): أولئك قوم غضب الله عليهم فمسخهم فعاثوا ثلاثة أيام ثم ماتوا ولم

١٠٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إذاً كم هو حجم فداحة صفة البخل وآثاره الخسيّة حتى يكون صاحبها أحد طرداء رحمة الله عزّ وجلّ ويكون من جنس الممسوخين المنبوذين بعد أن كان من الجنس البشري العزيز!!

وكم هو حجم فداحة صفة البخل وآثاره الخسيّة حتى يكون صاحبها أحد طرداء رحمة الله عزّ وجلّ ويكون من جنس الممسوخين المنبوذين الذين يهمننا كثيراً أن نعرف أسباب مسخهم والى أي مخلوق وضع تحوّلوا من أجل أن نعرف القرين بقريته والحقير بنظيره:

يقول أمير المؤمنين: أما الخنازير: فكانوا سبعمائة رجل، وهم الذين اكلوا من مائدة عيسى ابن مريم (عليه السلام) أربعين يوماً فلم يؤمنوا.

وأما العنكبوت: فكانت امرأة ساحرة، سحرت زوجها حتى أذهلت عقله.

وأما السلحفاة: فكان رجلاً كيّالاً يطفف الميزان إذا كال للناس.

وأما الضبّ: فكان رجلاً ينبش القبور، ويأخذ أكفان الموتى.

وأما السرطان: فكان رجلاً متزوجاً بامرأتين، وكان يميل إلى إحداهما دون

الأخرى.

وأما الثعلب: فكان رجلاً لصاً يسرق متاع الحاج في كل سنة.

وأما الكلب: فكان رجلاً يشهد بالزور والباطل...

الغضبُ السماويُّ المزمجرُ على البخلاء

قد يقال بأننا طالما رأينا البخلاء وعاملناهم وعاشرنا الكثيرين منهم واطلعنا على أحوالهم وأخبارهم فلم نر منهم أحداً قد مسخه الله عزّ وجلّ غراباً

أوسوى ذلك من الممسوخات .

الواقع ان الإمام لا يذهب الى القول بأن كل بخيل لا بد أن يستحيل الى غراب من الغربان في يوم من الأيام، ولكنه (عليه السلام) قد أعلن أن بخيلاً من البخلاء استحال غراباً، ولكن هذا يعني أن البخيل من ذلك الصنف المغضوب عليهم من قبل السَّمَاءِ غَضَباً مُرْمِجاً صَاعِقاً مُدَوِّياً لا رَحْمَةً فِيهِ وَلَا هَوَادَةَ مَعَهُ . إن البخيل من ذلك الصنف المغضوب عليهم من قبل السماء وحاله لما استحال غراباً مثل حال بقية الممسوخات، فما كل من يطفّف الميزانَ اذا كَالَ للناس يُمسَخ سلحفاةً، وما كل من ينبش القبور ويأخذ أكفان الموتى يمسَخ ضَبّاً، وهكذا.

هذا ولقد عثرنا على بخيل لثيم آخر قد استحال الى ما هو شر من الغراب وأقبح مظهراً ومنظراً كما يطلعنا الحديث التالي الذي رواه الصحابي العظيم حذيفة بن اليمان عن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » وهو يعدد مجموعة من الممسوخات موضحاً أسباب المسخ: وأما القنفذ فإنه كان رجلاً من صناديد العرب فمسخ لأنه كان إذا نزل به الضيف رَدَّ البابَ في وجهه ويقول لجاريتته: اخرجي الى الضيف فقولي: إن مولاي غائب عن المنزل . فبييت الضيف بالباب جوعاً وبييت أهل البيت شباعاً مخصيين^(١).

حِينَ تَكُونُ الْيَدُ السُّفْلَى خَيْرًا مِنَ الْيَدِ الْعُلْيَا

١٩٩ - من خطبة لعلي (عليه السلام) تختص بذكر الملاحم: أَلَا يَا بِي وَأُمِّي

هُم مِّنْ عِدَّةِ أَسْمَاءُ هُمْ فِي السَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ وَفِي الْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا

١٠٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
يَكُونُ مِنْ إِذْبَارِ أُمُورِكُمْ وَانْقِطَاعِ وَصَلِكُمْ وَاسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ؛ ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ
ضَرْبَةُ السَّيْفِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ الدَّرْهِمِ مِنْ حِلِّهِ، ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ الْمُعْطَى
أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ الْمُعْطِي (١).

ظرف استثنائي قتال فتاك قهّار يستحصد القيم والمثل والمبادئ الفضلى،
وزمن عصيب عجيب رهيب يدمر الوجود تدميراً ويسحيل شراً مستطيراً على
البلاد والعباد. وهل أن ذلك لكائن؟ إن ذلك لكائن حيث أمارط اللثام عنه من علمه
رسول الله «ص» ألف باب من العلم يفتح له من كل باب ألف باب.

غير أن الظروف مهما اشتدت والأزمة مهما استبدت فلا يمكن افتقاد
ظاهرة اجتماعية لا يبدها كثر العصور المتفاوتة أبداً ألا وهي ظاهرة الأخذ
والعطاء، يبقى هناك من يأخذ لحاجة أو لشراهة في النفس، ويبقى هناك من
يعطي من حلال أو من حرام. إنه حتى في ذلك الوقت الذي تكون ضربته السيف
على المؤمن أهون من الدرهم من حله لا بد من وجود من يأخذ ومن يعطي.

ومن هذا المنطلق فإن العطاء النزيه آنذاك يقع في سياق المعادلة التالية
انتقالاً من الشديد إلى الأشد:

١ - تلقي ضربة السيف.

٢ - الحصول على الدرهم من حلال.

٣ - بذل اليد بالعطاء.

إذاً كم هو عسير أليم ممض ذلك العطاء وكم يلقي الإنسان الحر من العناء
والشقاء في ساحة التنفيذ؟ ومع كل هذا فلا بد أن يبقى هناك من يأخذ لحاجة أو

لشراهة في النفس، ويبقى هناك من يعطي من حلال أو من حرام. وأما كيف يَكُونُ الْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْراً مِنَ الْمُعْطِي فهذا ما يفسره ابن أبي الحديد قائلاً: ان أكثر من يعطي ويتصدق في ذلك الزمان يكون ماله حراماً فلا أجر له في التصدق به ثم أكثرهم يقصد الرياء والسمعة بالصدقة أو لهوى نفسه أو لخطرة من خطراته ولا يفعل الحسن لأنه حسن ولا الواجب لوجوبه، فتكون اليد السفلى خيراً من اليد العليا عكس ما ورد في الأثر، وأما المعطي فإنه يكون فقيراً ذا عيال لا يلزمه أن يبحث عن المال أحرام هو أم حلال فإذا أخذه ليسد به خلته ويصرفه في قوت عياله كان أعظم أجراً ممن أعطاه. وقد خطر لي فيه معنى آخر وهو أن صاحب المال الحرام إنما يصرفه في أكثر الأحوال وأغلبها في الفساد وارتكاب المحظور كما قال: من اكتسب مالاً من نهاوش أذهب الله في نهاير. فإذا أخذه الفقير منه على وجه الصدقة فقد قوت عليه صرفه في تلك القبائح والمحضورات التي كان يعرضته صرف ذلك القدر فيها لو لم يأخذه الفقير فإذا قد أحسن الفقير إليه بكفه عن ارتكاب القبيح ومن العصمة ألا يقدر فكان المعطي أعظم أجراً من المعطي^(١).

جود الفقير يجله وبخل الغني يذله

٢٠٠ - روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) القول: جود الفقير

يُجِلُّهُ، وبخلُ الغنيِّ يُذِلُّهُ^(٢).

١ - شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٩٦ - ٩٧.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٣٠٥، وغرر الحكم، الحكمة / ٨٥٥٤. ولقد

نظمتنا ما قاله الإمام شعراً فقلنا:

جودُ الفقيرِ يُجِلُّهُ	بِـ	بِـ	بِـ
فِي ذَلِكَ أَصْحَرُ مُعَلِّناً	مَنْ	لَا	يُجَارِي
ذَاكُمْ عَلِيٌّ الْمَرْضِيُّ	رُوحُ	الْكَتَابِ	وَعَدْلُهُ

١٠٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

تؤكد هذه الحكمة العلوية في التفاتها الدقيقة وإيحائها العميق على جملة من المفاهيم السياسية والاجتماعية الرئيسية والسائدة في أكثر دول العالم وهي:

أولاً: على الرغم من الأهمية المركزية للجانب المالي في الحياة وأدواره الأساسية في تطويرها فإنه ليس كل شيء فيها كما وقع في ذلك الكثيرون نظرياً أو عملياً، بل هنالك مثل روحية وأخلاقية عليا وقيم إنسانية فاضلة لا يمكن أن تقوم الأموال الطائلة مقامها أبداً.

ثانياً: جود الفقير يجله. فإنه مهما كانت النظرة الاجتماعية للفقير والفقراء فإن الفقير إذا كان جواداً فيما يقدر عليه فإنه يتسم بالنفع الاجتماعي ومن ذا ينكر أن النافع اجتماعياً جليل في رأي الناس عموماً.

ثالثاً: بخل الغني يذله. فإنه مهما كانت النظرة الاجتماعية للغني والأغنياء فإن الغني إذا كان بخيلاً فإنه لا يتسم بالنفع الاجتماعي ولو من بعض الجهات، ومن ينكر أن الإنسان اللانافع اجتماعياً ولو من بعض الجهات التي يتقصدها يخفض من جلالته في رأي الناس عموماً وذلك إن كان جليل القدر. أي أن الأموال الكثيرة حتى لو كانت مسعفة للغني البخيل في مجالاته الشخصية؛ فإنها لا تسعفه وتنفعه وهو يرى منزلته الاجتماعية تهبط، وجلالته تنآكل، وشخصيته يُستهان بها وتُذلل؛ بسبب ما هو عليه من اللؤم والبخل حتى يقلع تائباً.. وينصرف لاثداً.. ويتوسل عائداً.. وينخرط في صفوف الكرام والمحسنين مدعناً.. يحاول أن يُردّ له الاعتبار.. ويُعاد النظر في تقييم وضعه المشين.. وشخصيته المهانة.. ومكانته المهدورة.. وكرامته التي مرغها البخل واللؤم في أحوال الذل والاستكانة والهوان الشديد.. ولكل لئيم، هوان أليم. وما زلت أعتقد جازماً، وأصدر الحكم متيقناً: أن البخيل عبدٌ أثيمٌ وإن تشبّه بالأحرار الأبرياء.

لا تحرم المضطرَّ وإنَّ أسرف

٢٠١ - روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) القول: لا تحرم المضطرَّ وإنَّ أسرف^(١).

هل أن قول الإمام (عليه السلام): وإنَّ أسرف. تعني لا تحرمه وأعطه وإنَّ أسرف في بذل أمواله حتى أصبح لا مالَ له؟ أو تعني وإنَّ أسرف في كثرة الطلب منك والالحاح في عرض الحاجة عليك؟

إن كل واحد من المعنيين محتمل أن يكون هو المقصود برأسه دون المعنى الآخر، وإن كان قصد المعنيين معاً محتمل أيضاً؛ لأن الإمام (عليه السلام) يريد أن لا يتصف الصالحون وكرام الناس بالمنع ما أمكن في جميع الأحوال؛ فيكون هذا الحديث الشريف من حيث شمول آثاره ومعطياته عليَّ حَدِّ قوله (عليه السلام) الذي مرَّ قبل قليل:.. وإياك أن ترد السائل. وعليَّ حَدِّ قوله (عليه السلام): لا تردن السائل وإنَّ أسرف. وكذلك عليَّ حَدِّ قوله (عليه السلام): لا ترد السائل وصنَّ مرؤتك عن حرمانه. أي شموليته من جهة اطلاق عدم منع السائل.

ولا نريد أن نتحدث عن السبب الموجب للابتعاد عن حرمان المضطر من بعد أن عرفنا أنه مضطرَّ واتضح لنا ذلك. وهو الذي يجوز له في القانون الإلهي العادل أكل الميتة والتناول من لحم الخنزير، وتباح له الكثير الكثير من المحظورات الثابتة شرعاً حرمتها عليَّ غيره، ممن لم يكن عليَّ مثل حاله.

مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ أَسْقَطَ شُكْرَهُ

٢٠٢ - قال علي (عليه السلام): مَنْ مَنَّ بِمَعْرُوفِهِ أَسْقَطَ شُكْرَهُ (١).

يُشْكِرُ صَاحِبَ الْمَعْرُوفِ وَالْإِحْسَانَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُذَكِّرُ بِالْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ طَبَقاً لِلرُّؤْيَا الْمُنْطَقِيَّةِ وَالْفَلَسَفِيَّةِ وَالْمَفَاهِيمِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ بِصُورَةٍ عَامَّةٍ وَطَبَقاً لِلْمَوَازِينِ الشَّرْعِيَّةِ كَذَلِكَ، وَإِنْ مِنْ لَمْ يَشْكُرْهُ كَمَا يَنْبَغِي وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الثَّنَاءِ فَقَدْ ظَلَمَهُ ظُلْماً شَخْصِيّاً لَا غِبَارَ عَلَيْهِ، كَمَا قَدْ ظَلَمَ الْإِحْسَانَ وَالْمَعْرُوفَ وَأَسَاءَ عَنِ قَصْدٍ أَوْ شَبِهَ قَصْدٍ إِلَى التَّفْضُلِ وَالْخَيْرِ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ.

أَمَّا ذِيَاكَ الْعَبْدَ اللَّئِيمَ فِي الْأَسَاسِ وَالَّذِي صَدَرَ مِنْهُ الْمَعْرُوفُ وَالْفَضْلُ عَرَضاً، أَوْ لِهَدَفٍ نَفْعِيٍّ وَمُصْلِحِيٍّ مَعِينٍ، أَوْ أَنَّهُ شَبِهَ كَرِيمَ ابْتِدَاءً ثُمَّ أَصْبَحَ لئِيماً أَنْتَهَاءً حَيْثُ يَمْنُ بِمَا قَدَّمَ وَتَفَضَّلَ؛ فَلَا شُكْرَ لَهُ وَلَا ثَنَاءَ عَلَى إِحْسَانِهِ لِأَنَّهُ قَدْ أَسْقَطَ شُكْرَهُ بِيَدِهِ وَمَحَى الثَّنَاءَ عَلَيْهِ مِنْ سَطُورِ ذِكْرِ الْمُحْسِنِينَ وَالْمُقْضِلِينَ، وَقَصَارَى مَا عَلَى الْمَقَابِلِ لَهُ أَنْ يَصْبِرَ عَلَى مَنِّهِ، وَأَنْ لَا يَقْدَحَ بِشَخْصِهِ، وَأَنْ لَا يَذْكَرُ سُوءَ تَعَارِهِ مَا بَيْنَ أَفْرَادِ الْمَجْتَمَعِ فَضْلاً مِنْهُ وَتَكْرُماً، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ.

لَأَنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ لَا يَصْبِرُ عَلَى مَنْ أَلَمَ الْإِحْسَانَ وَيَسْكُتُ عَنْهُ، بَلْ يَقْدَحُ بِشَخْصِهِ وَيَذْكَرُ عَارَهُ وَشَنَارَهُ كَالَّذِي صَنَعَ يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ بَزِيَادَ بْنَ أَبِيهِ، حَيْثُ قَدَّمَ زِيَادَ عَلَى مَعَاوِيَةَ وَأَهْدَى إِلَيْهِ هَدَايَا كَثِيرَةً، فَأَعْجَبَ بِهَا مَعَاوِيَةَ، فَلَمَّا رَأَى زِيَادَ سُرُورَهُ بِذَلِكَ قَالَ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنِّي دَوَّخْتُ لَكَ الْعِرَاقَ وَجَبْتُ لَكَ بَرَهَا وَبَحْرَهَا وَغَنَّتْهَا وَسَمِينَهَا، وَحَمَلْتُ لَكَ لَبَّهَا وَسُرُوحَهَا، فَقَالَ لَهُ يَزِيدُ: أَمَا إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ فَقَدْ نَقَلْنَاكَ مِنْ وِلَاةِ ثَقِيفِ إِلَى شَرَفِ قَرِيْشِ، وَمِنْ عُيَيْدِ إِلَى أَبِي سَفْيَانَ، وَمَا أَمَكَّنَكَ تَدْوِيخَ

العراق إلانا . فقال معاوية : حسبك فداك أبوك ووريت زنادي فيك^(١) .

وللإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فنون من القول وضروب من الحكمة فيما يخص المَنَّ والتَّحذير الشديد منه والقَدْخ الصائب السديد بنكهته الخبيثة الكريهة وبمجرأه المتعفن الآسن ، وكذلك فيما يخص العبد المَنَّان والحطُّ من شخصيته الدنيئة ومقدار وزنه الديني والأخلاقي والازدراء بقدره الاجتماعي والنفسي . وإن في هذه الأمثلة والشواهد التالية القليلة نسبياً من أحاديثه الشريفة وكلماته الحكمية الغراء ما نرجح أنها تكفي في الدلالة على المطلوب ، فلنستمع إليه باصغاء واستلهام وهو يقول :

كلماتٌ في المَنَّ والمَنَّان

لما كان الكتاب يتحدث عن فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب ، فقد أصبح من المهم والنافع جداً أن نورد فيه بعض آرائه (سلام الله عليه) حول المَنَّ ، باعتبار أن المَنَّ ذلك الماء الآسن المكدر للنعم ، أو باعتبار أن المَنَّ سنان صقيل يفري أوداج الإخسان والجود ، إذاً فلا بُدَّ من الحديث عنه ليتحذر منه ويتجنبه مَنْ لم يجد من الكرام فيه ضعة نفسية وأخلاقية وبأساً وعدواناً ، وليشكر الله سبحانه شكراً كثيراً من لم يشتمل عليه ويبتل بشره ودائه وقبح منظره ومخبره : — إذا ظفرتم فأكرموا الغلبة ، وعليكم بالتغافل فإنه فعل الكرام ، وإياكم والمن فإنه مهْدَمَةٌ للصنيعة مُنْبَهَةٌ للضعينة^(٢) .

— مَنْ مَنَّ بمعروفه فقد كَدَّر ما صنع^(٣) .

١ - محاضرات الأدباء ٢ / ١١٥ - ١١٦ ، وربع الأبرار ، ٢ / ٧ - ٨ .

٢ - ابن أبي الحديد ، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣٢٤ ، الحكمة / ٧٠٥ .

٣ - عيون الحكم والمواعظ ، الحكمة / ٧١٨٦ ، وقريب منه ما في غرر الحكم ، الحكمة /

١١٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

- ملاك المعروف ترك المنّ به^(١).
- تمام الإحسان ترك المنّ به^(٢).
- ظلم المروءة من منّ بصنيعه^(٣).
- ليس من الكرم تنكيد المِنَّنِ بالمنّ^(٤).
- ماكدرت الصنائع بمثل الامتنان^(٥).
- ما أهنا العطاء من منّ به^(٦).
- وزرُ صدقة المنان يغلب أجره^(٧).
- لا ترجون فضل منان، ولا تأتمن الأحمق والخوان^(٨).
- لا خير في المعروف المحصى^(٩).
- لا يدخل الجنة خبٌّ ولا منان^(١٠).
- يا أهل المعروف والإحسان لا تمنوا بإحسانكم؛ فإن الإحسان والمعروف يبطله قبح الامتنان^(١١).

-
- ١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٤٥.
- ٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٩٢٧.
- ٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٣٢، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٥٩.
- ٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٣٤.
- ٥ - غرر الحكم / ٨٩٤١.
- ٦ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٨٢٢.
- ٧ - سيد محسن الأمين، معادن الجواهر ونزهة الخواطر، ١ / ٤٣٨، وغرر الحكم، الحكمة / ٨٩٤٦.
- ٨ - غرر الحكم / ٨٩٤٧.
- ٩ - المصدر نفسه / ٨٩٥٠.
- ١٠ - المصدر نفسه / ٨٩٥٢.
- ١١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٩٥٤.

— شر المحسنين الممتن بإحسانه^(١).

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَبْطُلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^(٢).

أفضل الناس السخي الموقن

٢٠٣ - روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) القول: أفضل الناس

السخي الموقن^(٣).

لسنا نعلم على وجه القطع واليقين ما هو المقصود من الموقن في هذه الكلام الشريف هل المقصود الموقن بالله سبحانه وبالعقيدة الدينية السماوية، أي أن هذا الموسوم بالأفضلية على يقين خالص وإيمان كامل لا شائبة فيه، هذا إضافة إلى سخاء نفسه؛ فيكون أفضل الناس بناءً على توفره على الأمرين معاً؛ إذ أن الإيمان الراسخ واليقين العقائدي لا يكفي لتفضيل الإنسان وتقديمه على شتى البشر، حتى ينضم إلى ذلك السخاء.

أم المقصود منه موقن بأن الله سبحانه وتعالى سيخلفه ويعوضه عما بذل من المال على جهة السخاء، فيدفعه اليقين بالتعويض الرباني إلى مزيد ملحوظ من البذل والانفاق؟ بمعنى آخر أن المراد من اليقين هل هو اليقين بشكل عام، أو هو

١ - غرر الحكم / ٨٩٢٩، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٢٤٨.

٢ - غرر الحكم / ٣٧٦.

٣ - البقرة، الآية / ٢٦٤.

١١٢ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
هذا الشكل الخاص، والذي هو في الوقت نفسه جزء لا يتجزأ من اليقين العام.

الظاهر أن المراد من الايقان في الحديث هذا اللون الخاص من اليقين من أجل أن يحث الإمام (عليه السلام) من خلاله ويؤكد على الضرورة المركزية للجود والسخاء؛ وسوف يكون الايقان سبباً الى الاستمرارية في ذلك، والتوسعة بصورة أكثر في العطاء والانفاق، أو كما قال الإمام (عليه السلام) في مورد آخر: لو صح يقينك لما استدلت^(١) الفاني بالباقي، ولا بعث السني بالذني^{(٢)(٣)}.

الهدية تفقاً عين الحكيم

٢٠٤ - يروى عن علي (عليه السلام): الهدية تفقاً عين الحكيم^(٤).

إن الكثيرين من أفراد مختلف المجتمعات الانسانية يشكون ويستضوون من مرارة جفاء الإخوان والجيران أو قطيعة بعض الأقرباء والأصدقاء، إنهم بشكل موجز يعانون من قلة الصلات وضعف الاهتمام والرعاية والتفقد وهشاشة حبل المودة؛ وذلك لما يرون من أن لهم حقوقاً معينة إسلامية أو إنسانية على الآخرين طبقاً لبعض الاعتبارات والموازن، إذاً فما بالهم لا يراعون الحقوق ولا

١ - الإدالة بمعنى الاستبدال.

٢ - عُرر الحكم، الحكمة / ٧٤٨. وقد وردت الحكمة في عيون الحكم والمواعظ /

٢٦٥٦ بهذه الصورة: أفضل الناس السخي المور.

٣ - ولقد قلنا في معنى قول الإمام (عليه السلام): أفضل الناس السخي الموقن:

أبها السائل عن أفضلنا أفضل الناس السخي الموقن

ليس من يُحسن للناس وقد آثر الحق كمن لا يُحسن

٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣٢٤، الحكمة / ٧١٧.

وهناك معالجات كثيرة لظاهرة الجفاء والقطيعة - سواء كانت على الصعيد الاجتماعي أو السياسي - وذلك مثل الزيارات المتبادلة، والرسائل ذات العبارات والمضامين الطيبة، وبذل التحية والسلام، والمشاركة الفاعلة في شتى مناسبات الأفراح والأتراح، ومن بين هذه المعالجات الوافرة كذلك تقديم هدية من الهدايا للطرف الآخر؛ إذ أنَّ الهَدِيَّةَ علاجٌ ناجع، ودواءٌ نافع.

الهَدِيَّةُ وما أدراك ما الهَدِيَّةُ !

الهَدِيَّةُ رمزُ التآخي وعبيرُ الوثام .

الهَدِيَّةُ سبيلُ التفاهمِ ومَناطُ الوفاق .

الهَدِيَّةُ مَكْسَبَةٌ للوردادِ ومَجْلَبَةٌ لحُسنِ الظَّنِّ .

الهَدِيَّةُ أطروحةُ المَحَبَّةِ وداعيةُ الصِّفاءِ .

وقد روى البخاري بإسناده عن رسول الله «ص» أنه قال: تهادوا فإنَّ

الهدية تضعف الحب، وتذهب غوائل الصدور^(١).

وقال أمير المؤمنين علي: الهَدِيَّةُ تجلبُ المَحَبَّةَ^(٢). وروى الشيخ محمد بن

الحسن الطوسي بإسناده عن السَّكُونِيِّ، عن أبي عبد الله الصادق، عن أمير

المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: لئن أهدي لأخي المسلم هديَّةً تنفعه، أحبُّ

١١٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
إلي من أن أتصدق بمثلها^(١).

وتأكيداً على أهمية الهدية وعلى دورها الأخلاقي والاجتماعي يقول رسول الله «ص» فيما رواه عنه البيهقي في الشعب والطبراني في الكبير^(٢):
أجيبوا الداعي ولا تردوا الهدية.

قال سعيد بن حميد ت عام / ١٠٥ هـ (علي ما يقول الأستاذ أحمد الهاشمي): إنني تصفحت أحوال الأتباع الذين يجب عليهم الهدايا إلى السادة والتمست التأسي بهم في الإهداء وإن قصرت بي الحال عن الواجب، فوجدت أنني إن أهديت نفسي فهي ملك لك لا حظ فيها لغيرك. ورميت بطرفي إلى كرائم مالي فوجدتها منك، فإن كنت أهديت منها شيئاً فإني لمهد لك مالك إليك. ونزعت إلى مودتي فوجدتها خالصة لك قديمة غير مستحدثة، فرأيت إن جعلتها هديتي اني لم أجدد لهذا اليوم الجديد براً ولا لطفاً، ولم أميز منزلة من شكري بمنزلة من نعمتك إلا كان الشكر مقصراً عن الحق والنعمة زائدة على ما تبلغه الطاقة، فجعلت الاعتراف بالتقصير عن حقك هدية إليك، والاقرار بالتقصير عما يجب لك براً أتوسل به إليك^(٣).

والهدية مع خلوص القلب وصدق النية مما يتوسل بها المتوسلون إلى رضوان الله تبارك وتعالى ويتقربون إلى نعيمه وجنانه، فعن أنس بن مالك عن رسول الله «ص» أنه قال: من أطف مؤمناً، أو قام له بحاجة من حوائج الدنيا والآخرة، فصغر ذلك أو كبر؛ كان حقاً على الله أن يخدمه خادماً يوم القيامة^(٤).

١ - الطوسي، تهذيب الأحكام، كتاب المكاسب الحديث / ٢٣٦.

٢ - شعب الإيمان (٥٣٥٩) والمعجم الكبير ١ / ١.٤٤٤.

٣ - أحمد الهاشمي، جواهر الأدب / ٦٣ - ٦٤.

٤ - قضاء الحوائج، الرواية / ٤٦.

وعن علي (عليه السلام) أنه قال: إذا أكرم أحدكم أخاه بالكرامة فليقبلها فإذا كان ذا حاجة صرفها في حاجته، وإن لم يكن محتاجاً وضعها في موضع حاجة؛ حتى يُوَجَّرَ فيها صاحبها، ومن كان عنده جزاء فليجز، ومن لم يكن عنده جزاء فثناء حسن ودعاء^(١).

كتب حفني بك ناصف ت عام / ١٣٣٧ هـ من كلام طويل: الهدية في نظر الأصفياء جليلة، وإن كانت في نفسها قليلة، ومكانتها خطيرة، وإن كانت يسيرة، وسنة حسنة، اجتمعت على فضلها الأسنة، اللهم إلا أن لبست جلباب الرياء، وولجت أبواب الارتشاء، ولا مرأة ان الأوداء من ذلك بُراء... ما زالت الهدية شعار الأصدقاء وعنوان تذكارات الولاء، وكم جدّدت بين الأصحاب عهود التحاب... فحبذا الإهداء، وأهلاً بتلك اليد البيضاء، وليست هذه أول أياديك عليّ، ولا أكبر عارفة جاءت من ناديك إليّ، وقد أمنت بها من النوب، واعتضدت بها على تفريق شمل الكرب، وإذا اشتدَّ هجير الوحشة تشتت ظلال أنسها، أو عصى فرعون الدهر راعته بياسها. وقد فكّرت ماذا أقابل به طُرُقَتِكَ، وأتلقَى به تُحَفَّتِكَ، إلى أن هداني الله أن يد المنعم إنما تقابل بالأفواه لِيَعَزَّزَ الْقَبُولُ بِالْقَبُولِ^(٢).

ولكن ما لون هذه الهدية وما طبيعتها وكيفية تسليمها، فما زلت أعتقد أنه رُبَّ هَدِيَّةٍ جَلَبَتْ رَزِيَّةً؛ وذلك لسبب من الأسباب أو لأكثر من سبب، إذاً فلا بدّ أن تكون الهدية جيدةً على المستويين التاليين:

المستوى العقلي: من حيث المكان والزمان وأسلوب التقديم ومراعاة وضعية الطرف المقابل، والاتفات التي أنها لا تثير طرفاً من الأطراف التي لا يحب

١١٦ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
المُهدى إليه إثارتها وانزعاجها. وهذا كله يفضي إلى القول: بأن الهدية فنُّ بارعٍ
من الفنون الدقيقة التي لا يُحسن أداءها إلا ذو عقلٍ سليمٍ وذو قِـرٍ رفيع، أو كما قال
أمير المؤمنين: ثلاثة أشياء تدلُّ على عقول أربابها: الهدية والرسول والكتاب^(١).

وكما يدل التبرع بالهدية على مستوى عقل صاحبها ونمط تفكيره فإن قبول
الهدية بقبول حسن أو ردها بشكل من أشكال الرد يدلُّ أيضاً على مستوى عقل
صاحبها ونمط تفكيره، ففي مجال القبول نستشهد بما روي عن رسول الله
«ص» أنه قال: يا علي لو أهدي إليّ كراعٍ لقبلت، ولو دعيت إلى ذراعٍ لأجبت^(٢).

وفي مجال الرد نستشهد بما رواه الشريف الرضي في نهج البلاغة عن أمير
المؤمنين علي (عليه السلام) عن رسول الله «ص»: «يا عليّ إنّ القوم سيُفتنون
بأموالهم ويمتئون بدينهم على ربهم ويتمتئون رحمته ويأمنون سطوته ويستحلون
حرامه بالشبهات الكاذبة والأهواء الشاهية فيستحلون الخمر بالنبيذ والسُحت
بالهدية والربا بالبيع^(٣)».

وبما رواه الشريف الرضي الموسوي كذلك في كتاب «نهج البلاغة» عن
الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) من جملة كلام له: وأعجب من ذلك طارق
طرقنا بمُلقوفة في وعائها، ومعجونة شينتها، كأنما عجنّت برقيق حية، أو قيها،
فقلت: أصله أم زكاة أم صدقة؟! فذلك مُحَرَّمٌ علينا أهل البيت.

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣٤٠ قسم الكلمات القصار، الحكمة /

٨٨٧، غرر الحكم / ٤٨٢ والنص فيه: ثلاثة تدل على عقول أربابها: الرسول والكتاب والهدية.

٢ - الطبرسي، مكارم الأخلاق / ٤٣٩.

٣ - الشريف الرضي، نهج البلاغة / ١٥٦.

فَقَالَ: لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلَكِنَّهَا هَدِيَّةٌ.

فَقُلْتُ: هَبْلَتِكَ الْهَبُولُ أَعَنْ دِينَ اللَّهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْذَعَنِي أَمْخَبْتُ أَنْتَ أَمْ دُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ وَاللَّهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَيَّ أَنْ أَعْصِيَ اللَّهَ فِي نَمَلَةٍ أَسْلُبَهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ مَا فَعَلْتُهُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لِأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي قَسْمِ جِرَادَةٍ تَقْضُمُهَا مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ^(١).

المستوى الشرعي : أن تكون الهدية من مال حلال وورزق طيب لا حرمة فيه ولا شبهة عليه، وأن تكون خالصة لوجه الباريء المصور تبارك وتعالى فلا يشوبها طلب الرياء والسمعة، وللعلم أن من الممكن جداً احراز الاخلاص لله سبحانه وتحقيق النية الصادقة حتى مع تقديمها إلى غير المؤمنين والصالحين فيما اذا كان المبرر الى منحها مبرراً شرعياً لا غبار عليه. وأن لا يكون ظاهرها البارز صلة أو هدية أو كرامة وباطنها الكامن لوناً من ألوان الرشوة وكسب المنفعة الباطلة وهدر حقوق الآخرين واستغلال المهدى اليه بما لا يجوز في الشريعة. فلا بد من سلامة النية ونبل القصد وسمو الدافع في جميع أنواع الهدايا والبرِّ والإحسان، ولقد أصاب وليام ليلي حيث ذهب الى ن للرجبة وجهين : الأول هو الدافع الى الفعل، والثاني هو الغاية أو الهدف من ذلك الفعل، ولكن كثيراً من رجال علماء الأخلاق لا يهتمون إلا بجانب واحد من هذين الجانبين، ففعل الإحسان عندهم هو فعل خير أو صالح مهما كانت الغاية أو الهدف الذي يوجه اليه. وهذا ما جعلهم

ينحدرون إلى مستوى أقل تَمَثَّلَ في سيطرة العواطف والمشاعر على التدبُّر والتفكير والتصرف بصورة عاطفية هوجاء دون التفكير في غاية معيَّنة أو نتيجة محدَّدة، مثل هذه الأفعال الاخيرة تسمى بالأفعال المندفعة وهي أفعال كان يمكن تغيير مسارها إلى الأحسن لو فكَّرنا في نتائجها قبل الاقدام عليها^(١).

ومن أوَّليات المستوى الشرعي أن لا يمنَّ بالهدية فإن المنَّ بالإحسان والهدية صنيعه ضعاف النفوس والمنحطين أخلاقياً وتربوياً، قال علي (عليه السلام): **وَزُرُّ صَدَقَةِ الْمَنَّانِ يَغْلُبُ أَجْرَهُ**^(٢). وأن يُراعى جانب الأولويَّة في تقديمها كذوي القربى، **وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ**، وأهل الدين والايامن المتين، ومن له الفضل والإحسان، أو سابق هدية وَصِلَّةٍ على المُهدي.

١ - المدخل إلى علم الأخلاق / ٥٥.

٢ - سيد محسن الأمين العاملي، معادن الجواهر ونزهة الخواطر، والآمدي، غرر

نصائحُ وتوصياتُ عامَّة
في فلسفةِ الجُودِ والإيثارِ



مِمَّنْ تَطْلُبُ الْحَوَائِجَ

إنَّ اللهَ تبارك وتعالى هو الرزاقُ ذو القوَّةِ الممتينِ ، وهو المتكفلُ بقضاءِ حوائجِ المحتاجينِ ، إلا أن تكونَ ثمَّ مصلحةٌ هو أعلمُ بها فلا يرفعُ المشكلةَ ، أو أنه سبحانه يؤخِّرُ حلَّها إلى أجلٍ مسمى . وقد جعلَ تعالى عدمَ حلِّ المشكلاتِ أو تأجيلَ حلِّها امتحاناً للبشريَّةِ وتمحيصاً للعبادِ ، فينكشفُ من يصبرُ ممن لا يصبرُ ، ومن يرفعُ الحوائجَ إلى الكرامِ ، ممن يرفعها إلى اللثامِ ، كما أن الأمرَ ينطوي كذلك على اختبارٍ وامتحانٍ للآخرين في مواقفهم من المحتاجين ، وتقديمِ الدعمِ المناسبِ لهم أو عدمِ التقديمِ .

فالأصلُ في حلِّ المشكلاتِ ورفعها إنما هو الله تبارك وتعالى ؛ فهو القديرُ والسميعُ العليمُ والكريمُ والمؤمِّلُ لكلِّ خيرٍ وعطاءٍ وفضلٍ وكرامةٍ ؛ فلهذا لا بدُّ من التوجُّهِ الحقيقيِّ إليه وطلبِ ما عنده وبتُّ الشكاوى بين يديه دون عباده وإن كانوا من الصالحاءِ والكرماءِ والأفاضلِ ؛ لأن ذلك هو المنطقُ الصائبُ والمنطلقُ السديدُ ، والذي يحفظُ للإنسانِ المحتاجِ ولصاحبِ المشكلةِ ماءً وجهه أن يُراقَ ، وغيضاً كرامته أن تشحبَ ، ورونقَ عزِّته وإيائه أن يُستلبَ أو يشوَّهَ . فقد وردَ في الروايةِ عن عائذِ بنِ عمرو أنه قال : جاء إلى رسولِ الله « صلى الله عليه وآله وسلم » فسأله ، فلما تولَّى قال رسولُ الله « ص » : لو تعلمون ما في المسألةِ ما مشى أحدٌ إلى أحدٍ يسأله شيئاً . وروي أن الله تعالى يقول : من اعتصم بي دون خلقي ضمننتُ السماواتِ والأرضَ رزقه فإن دعاني أجبتُه ، وإن استعطاني أعطيتُه وإن استكفاني كفيتُه ، ومن اعتصم بمخلوقٍ دوني قطعتُ أسبابَ السماواتِ والأرضِ دونه ، إن دعاني لم أجبه ، وإن سألتني لم أعطه ، وإن استكفاني لم أكفه .

١٢٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
والمراد من عبارة (ومن اعتصم بمخلوق دوني) أي مع الاعتقاد أن هذا
المخلوق هو العاصم دون الله تعالى، أو عدم الاعتقاد بسببته هذا المخلوق حينما
يقضي حاجة المحتاج.

يُذكر أن معروف الكرخي صلى خلف إمام فلما انفتل من صلته سأل ذلك
الإمام معلوماً من أين تأكل؟ قال: اصبر علي حتى أُعيد ما صلته خلفك. قال:
لماذا؟ قال: لأن من شك في الرزق شك في الرزق.

قال محمد بن العجلان: نزلت بي فاقة عظيمة ولزمني دين لغريم ملح،
وليس لمضيقي صديق، فتوجهت فيه إلى الحسن بن زيد وكان أمير المدينة -
لمعرفة كانت بيني وبينه - فلقيني في طريق محمد بن عبد الله بن محمد الباقر
(عليه السلام) فقال: قد بلغني ما أنت فيه من الضيق، فمن أملت لمضيقتك؟

قلت: الحسن بن زيد.

فقال: إذا لا تقضى حاجتك، فعليك بمن هو أقدر الأقدارين وأكرم الأكرمين:
فإني سمعت عمي جعفر بن محمد (ع) يقول: أوحى الله إلي بعض أنبيائه في بعض
وحيه: وعزتي وجلالي وعظمتي وارتفاعي لأقطعن رجاء أمل كل مؤمل يأمل
غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة في الناس ولأبعدنه من فرجي وفضلي
أيؤمل عبدي في الشدائد غيري والشدائد بيدي، ويرجو سواي وأنا الغني الجواد
أبواب الحوائج عندي وبيدي مفاتيحها وهي مغلقة، فما لي أرى عبدي معرضاً
عني وقد أعطيته بجودي وكرمي ما لم يسألني، فأعرض عني وسأل في حوائجه
غيري، وأنا الله لا إله إلا أنا، أبتدىء بالعطية من غير مسألة، أفسأل ولا أجود!! كلا
كلا أليس الجود والكرم لي أليس الدنيا والآخرة بيدي فلو أن كل واحد من أهل
السموات والأرض سألني مثل ملك السموات والأرض فأعطيته، ما نقص ذلك
من ملكي مثل جناح بعوضة. فيا بوئساً لمن أعرض عني وسأل في حوائجه
وشدائده غيري.

قال: فقلت له: أعد عليّ الكلام. فأعاده ثلاث مرات فحفظته فقلت في نفسي: لا والله لا أسأل أحدا حاجة، ثم لزم بيتي فما لبثت أياماً إلا وآتاني الله برزق قضيت منه ديني، وأصلحت به أمر عيالي، والحمد لله رب العالمين^(١).

إلا أنّ الأمر قد يبدو صعباً أو مستصعباً في كثير من الأحيان لا سيّما إذا لم يمتلك ذيالك المحتاج صبراً وجلداً، أو جداراً سميكاً ومحكماً من إباء النفس وقوة الإرادة يمنعه من التسارع إلى الطلب والالتماس وكشف النقاب عن البؤس والضرّاء.

هذا إضافة إلى أن الله تبارك وتعالى قد جعل للحلول أسباباً، وكتب الأجر والثواب والقرب منه تعالى لمن قضى حوائج الناس قال علي (عليه السلام): ما من عمل أحب إلى الله تعالى من ضريكشفه رجل عن رجل^(٢). فبهذا يكون بعض الخلق هو السبب والوسيلة إلى رفع المشكلة وإعانة المحتاج وإغاثة الملهوف.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه من هم هؤلاء الذين ينبغي التعرّض لهم ومفاتحتهم في لون المعضلة أو المشكلة واستحصال معرفتهم واحسانهم في الحالات الاستثنائية؟

هذا ما يجب عنه بدراية وعمق الإمام الشهيد الحسين بن علي (ع) قائلاً: لا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروّة، أو حسب. فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروّة فإنه يستحيي لمروّته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك بغير قضاء حاجتك.

وقال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وهو يدعو الله تبارك

١٢٤..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وتعالى: اللهم لا تجعل بي حاجة إلى أحدٍ من شرارِ خلقك، وما جعلت بي من حاجةٍ فأجعلها إلى أحسنهم وجهاً، وأسأهم بها نفساً، وأطلقهم بها لساناً، وأقلهم عليّ بها مناً.

وقال علي (عليه السلام): مَنْ شَكَا الحَاجَةَ إلى مؤمنٍ فَكَأَنَّهُ شَكَاها إلى اللَّهِ، وَمَنْ شَكَاها إلى كافرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللَّهُ.

وعن خاتم النبيين «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: اطلبوا الحوائج إلى ذي الرحمة من أمتي ترزقوا وتنجحوا؛ فإن الله عز وجل يقول: رَحمتي في ذي الرحمة من عبادي. ولا تطلبوا الحوائج عند القاسية قلوبهم فلا ترزقوا ولا تنجحوا؛ فإن الله عز وجل يقول: إن سَخِطِي فيهم.

أما ماهي العلة من عدم صحة وسداد طلب الحاجة من اللئام دون الكرام فهو ما يوضحه قول الإمام علي (عليه السلام): الكريم يلين إذا استعطف، واللئيم يقسو إذا لوطف أو قال: أطف. كما تقدّم.

الألويّة في من ينبغي تقديم حوائجهم

كنا قد تحدّثنا في التمهيد عن الألويّة في مسؤوليّة السعي في الحوائج فشخصنا المسؤوليّة في ذلك والآن يقع الحديث - إن شاء الله تعالى - عن الألويّة في مسؤوليّة من ينبغي تقديم حوائجهم لأنّ من البديهيات أن الامكانيات مهما اتسعت فإنها - من الوجهة التطبيقية على الحدّ الأقل - لا تغطي مشكلات المحتاجين والمعوزين جميعاً وإن كانت إمكانية دولة من الدول بحسب المعتاد؛ فلا بدّ إذا من تقديم بعض الحوائج على بعض ولو بصورة مرحلية. إلا أن السؤال الذي يفرض نفسه من هؤلاء الذين يقدمون على غيرهم وتكتنفهم تباشير العناية والرعاية وفق المعايير القيمية لا المشتبهات والرغبات والأذواق الشخصية التي تخضع لكثير من الأهواء والميول والموازن غير الإلهية والسديدة؟

صِلَةُ الأَرْحَامِ

مما قاله سيد الحكماء وإمام المتكلمين والبلغاء أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في هذا المضمار مؤكداً عليه هذه الأحاديث الجليلة التي نقلناها من كتاب «غرر الحكم» لعبد الواحد الآمدي:

— أوفرُّ البرِّ صِلَةُ الرَّحِمِ.

— ذو الكرم جميلُ الشَّيْمِ، مُسْتَدٌّ لِلنَّعَمِ، وَصَوْلٌ لِلرَّحِمِ.

— زكَاةُ الْيَسَارِ بَرُّ الْجِيرَانِ، وَصِلَةُ الأَرْحَامِ.

— صِلَةُ الأَرْحَامِ، مِنْ أَفْضَلِ شَيْمِ الْكِرَامِ.

— مِنْ الْكِرْمِ صِلَةُ الرَّحِمِ.

— مِنْ أَفْضَلِ الْمَرْوَةِ صِلَةُ الرَّحِمِ.

— ولقد تقدم قول الإمام (عليه السلام): «ألا لا يعدلنَّ أحدكم عن القرابة يرى بها الخصاصة أن يسدَّها بالذي لا يزيدُه إن أمسكه، ولا ينقصه إن أنفقه».

رعاية الأيتام

— قال علي (عليه السلام): «برّوا أيتامكم، وواسوا فقراءكم، وارفقوا بضعفائكم».

— وقال علي (عليه السلام): «كافلُ الْيَتِيمِ وَالْمَسْكِينِ عِنْدَ اللَّهِ مِنَ الْمُكْرَمِينَ».

— وقال علي (عليه السلام): «كافلُ الْيَتِيمِ أَثِيرٌ عِنْدَ اللَّهِ».

— وقال علي (عليه السلام): «من رعى الأيتام رعى في بنيهِ».

— وقال علي (عليه السلام) : من أفضل البرِّ بَرُّ الأيتام^(١).

الاضطرار إلى مسألة الأعمار

وفيما يقوله إمام الأئمة علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) وينشره من الكلمات الحكمية الآتية كفاية في الدلالة على المقصود وعدم التعرُّض إلى السؤال من أحد وطلب الحاجة منه ما أمكن، واقصاءً بليغ إلى توجيه السؤال والطلب إلى غير المؤهلين حقيقة التأهيل :

— السؤال يضعف لسان المتكلم، ويكسر قلب الشجاع البطل، ويوقف الحرَّ العزيزَ موقفَ العبدِ الذليل، ويذهب بهاء الوجه ويمحق الرزق^(٢).

— ويروى عنه (عليه السلام) : مَنْ وَصَلَكَ وَهُوَ مَعْدَمٌ، خَيْرٌ لَكَ مِمَّنْ حَبَاكَ وَهُوَ مَكْتَرٌ^(٣).

— كما يروى عنه (عليه السلام) : من المروءة أنك إذا سئلت أن تتكلف، وإذا سألت أن تخفف^(٤).

— وقال الإمام (عليه السلام) : قَوَّتْ الْحَاجَةَ أَهْوَنُ مِنْ طَلِبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا^(٥).

— وقال (عليه السلام) : المسألة طوق المذلة؛ تسلب العزيز عزه والحسيب

١ - نقلنا هذه الحكم من كتاب غرر الحكم لعبد الواحد الآمدي.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨١٨٣.

٣ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٤٢٩.

٤ - غرر الحكم، الحكمة / ١٠٣٠٧.

٥ - نهج البلاغة / باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام / ٦٦.

— وقال (عليه السلام): المسألة مفتاح الفقر^(٢).

— وقال (عليه السلام): الجوع خير من ذل الخضوع^(٣).

— وقال (عليه السلام): لا شيء أوجع من الاضطرار، إلى مسألة الأعمار^(٤).

« مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ »^(٥).

دعوة صريحة إلى أبادة الضيم وأحرار العالم

٢٠٥ - يُروى عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) القول: مَنْ استعان بعدوّه على حاجته ازداد بعداً منها^(٦).

دعوة صريحة لا غبار عليها، وقانون عام يوجهه أمير المؤمنين علي (عليه السلام) إلى أبادة الضيم وأحرار العالم أن يكرموا أنفسهم، ويلتزموا النظرة البعيدة في أن لا يسألوا قضاء الحاجات من أعدائهم؛ لأنهم إنما يسألونهم أملاً في أن تقضى وتحل مشاكلهم في سؤالهم، على أن خيبة الآمال وسوء النتائج هي التي ستحصل وتتقرر. وفي ذلك أضرار بليغة متعددة الجوانب من حيث انكسار

١ - غرر الحكم / ٨١٨٥. ٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨١٨١.

٣ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨١٨٢.

٤ - المصدر نفسه، الحكمة / ١٠٧١١.

٥ - آل عمران، الآية / ١١٧. ٦ - غرر الحكم، الحكمة / ١٠٧٠٨.

١٢٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الشخصية ومن حيث هوان الطالبين أمام الأعداء والأصدقاء، وتضييع لشرف
الوقت العزيز الذي من الممكن أن يطول أو يقصر، كلُّ هذا إضافة إلى الآلام
النفسية المُبرِّحة الناتجة عن جرِّ أذيال الخيبة والضياع في الأنفاق الهندسية
المعتمة.

ولكن قد يفكر بعض الناس أن بين الكلام المروي عن الإمام أمير المؤمنين :
مَنْ استعان بعدوه على حاجته ازداد بعداً منه، وبين الكلام المروي عن الإمام
جعفر الصادق (عليه السلام): إني لأسارع إلى حاجة عدوي؛ خوفاً أن أردّه
فيستغني عني^(١). اختلافاً وتعارضاً في الدعوة والمفهوم، فهل المطلوب عدم
التوجه للأعداء في طلب الحاجات أم المطلوب التوجه لهم باعتبار ما ذكره الإمام
الصادق من الإسراع إلى قضاء حاجة العدو لئلا يستغني عنه (عليه السلام)؟

الواقع أن لا اختلاف ولا تعارض ما بين كلام سيدي العلماء والمفكرين في
زمانيهما؛ أما كلام الإمام أمير المؤمنين فهو قانون عام، وليس يجهل العلماء أبداً
تلك الحالات الاستثنائية لمختلف القوانين العامة في شتى الأديان والبلدان.
والأخلاقية العليا المعهودة من الإمام الصادق هي التي تدفعه إلى الإسراع بقضاء
حاجة العدو، فتكون من ضمن الاستثناءات في قانون الإمام أمير المؤمنين. ولو
حاولنا أن نقوم بإحصائية تخمينية للأعداء الذين يمتلكون الأخلاقية العليا كذلك
المعهودة من الإمام الصادق أو قريب منها، إذاً يا ترى فكم يكون المجموع
العددي لهم، حتى مع بعض التسامح في رفع نسبة العدد؟ وبالطبع أن الناس لا
يتفقون في الإجابة على هذا السؤال بتاتاً، غير أن الأكثر تعقلاً وتأملاً وتفكيراً
تحقيقياً من بينهم، سوف لا يرفعون النسبة على أحسن تقدير إلا إلى شيء
ضئيل لا يعتد به.

بذل ماء الوجه أعظم من قدر الحاجة

٢٠٦ - يُروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام): بذل ماء الوجه في الطلب، أعظم من قدر الحاجة، وإن عظمت وأنجح فيها الطلب^(١).

حَقِيقَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا مَا دَامَ الْمَاءُ يَتَرَقَّرُ فِي الْجَبِينِ فَالْإِنْسَانُ
إِنْسَانٌ.

لا غبار على صحة هذه الحقيقة، ولكنه في حالة جفاف الماء، وتيبس الجبين، هل يبقى الإنسان انساناً؟ أجدني وكأنني في حياء من الجواب، أو في إباء يصدني عن الإدلاء به؛ إباء للإنسانية أن تُستهك وتُهدر وتُستباح وتُصادر. وكأن طبقة شاذة عن السلوك القويم في كثير من المجتمعات لا ترى كرامتها تتحقق، ولا مجدّها يتجسد، إلا من خلال السلب المتقصد لحرمة الآخرين، والتمزيق العامد لأديم الكرامة الإنسانية أنى حلّت وتحلّ.

إذا كان يصعب ويشتد على النفوس الشريفة أن تفصح عن حاجتها وتعرب عن مأساتها أمام خيار الناس وكرامهم وإن اضطرت إلى الإفصاح والإعراب، فما حالها إذا اضطرت إلى الأشرار واللتام؟ إنها لكارثة وسبيل أليم، وعن مثل هذا الوضع المؤلم قالت سفانة بنت حاتم الطائي وهي تدعو باخلاص لرسول الله «ص»: «.. وَلَا جَعَلَ اللَّهُ لَكَ إِلَى لَيْمٍ حَاجَةٌ.

وعن مثل هذا الاختبار الموجه يقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) كما تقدم: لا شيء أوجع من الاضطرار، إلى مسألة الأغمار، وكان عيسى المسيح (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) قد تحدّث بالدرجة الأولى عن هذه الحالة الفجوع من الأخذ

١٣٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
حيث يضع القاعدة الأخلاقية: السعادة الكبرى هي في العطاء لا في الأخذ^(١).

وإذا ما كان العطاء شرف والأخذ ألم كما يذهب المثل الإسباني^(٢)، أليس
من ألم الألم أن يضطرَّ الإنسان إلى الأوغاد واللثام؟

— المسألة طوق المذلة تسلب العزيز عزّه، والحسب حسبه.

— أشد من الموت طلب الحاجة من غير أهلها.

— آفة الطلب عدم النجاح.

— حسن اليأس أجمل من ذل الطلب.

— من سأل ما لا يستحق قوبل بالحرمان.

— من تكرر سؤاله للناس ضجروه.

— من طلب ما في أيدي الناس حقره.

— وجهك ماء جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره^(٣).

كفى بالإلحاح مَحْرَمَةٌ.

٢٠٧ - قال علي (سلام الله عليه): كفى بالإلحاح مَحْرَمَةٌ^(٤).

يردع الحديث العلوي الكريم عن الإلحاح في الطلب ويؤكد على النهي عنه

١ - غسان طنوس كعدو، المعرفة الصامتة / ١٤٠.

٢ - المصدر نفسه / ١٤٧.

٣ - الأحاديث العلوية الأخيرة من كتاب غرر الحكم.

٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٨١٩٠.

للأسباب التالية:

أ- الالاح يدعو الى ملل وضجر الطرف المقابل كما هو المعتاد من طبائع البشر حتى وإن كانوا من الأسخياء، أو كما قال الإمام أمير المؤمنين: من تكرر سؤاله للناس ضجروه.

ب- إذ كانت المسألة طوق المذلة تسلب العزيز عزّه، والحسيب حسبته. حسب تعبير الإمام أمير المؤمنين، فلا ريب أن الالاح فيها مما يحكم طوق المذلة ويخفق أنفاس الحرية والكرامة.

ج- لأن الالاح في الطلب لا يخلو عادةً من احراج المسؤول وايدائه وتكدير الأجواء عليه، مما قد يدخل في باب حُرمة ايداء الناس بلا مُوجب شرعي.

أما كيف يكون الالاح مَحْرَمَةً مع أنه قد ينجح صاحبه وينال ما يبتغي؟ فهذا ما نحتمل فيه أحد الوجهين:

أولاً: من حيث ما يؤدي اليه الاحاح من المذلة وانكسار الشخصية فإن الانسان حتى وإن حصل على مبتغاه ولكن ما وصل اليه لا يعوصه عما افتقده من نضارة العزة وجمال الكرامة، فهو في حكم المحروم.

ثانياً: إن الالاح بنفسه يعنى تكرار السؤال ومعاودة الطلب، فصاحبه حتى على فرض نيله المراد في النتيجة، ولكنه قد حرم في الطلب الأول - على الحد الأقل - وإلا فإنه لا يسمى الحاحاً أساساً.

ازددُ فضلاً وبرًا تزددُ ثناءً وشكرًا

٢٠٨ - قال علي بن أبي طالب (عليه السلام): أحقق الناس من يمنع البرّ،

١٣٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ويطلب الشكر، ويفعل الشر، ويتوقع ثواب الخير^(١).

الواقعية في محاولة احراز النتائج المثمرة

إن المنطقية في التخطيط والتفكير والواقعية في محاولة احراز النتائج المثمرة، هي التي تحوز أفضل الحسابات الدقيقة لما يتوقعه الانسان كنتيجة لما قدمه من أعمال في مسار حياته، إن خيراً فخييراً وإن شراً فشر، أما أن يقدم الانسان ما لا يُرتضى ويُحبذ ويرجو المَحْمَدَة والثناء، أو أنه لا يساهم مساهمة حقيقية في دعم المعطيات الانسانية الفاضلة الكريمة، ومع هذا يأمل من الجهة المقابلة إسداء الشكر له وحسن الذكر والأحدوثة، فهذا هو الجهل الوبيل بعينه والتخبط العشوائي بأعتم أشكاله وألوانه، وعن مثل هذا الجهول وأضرابه ينبغي أن يعبر بأنه حاطب ليل، وغشاء سيل.

لم يصف الإمام أمير المؤمنين مثل هذا الانسان بالغباء وبلادة الرؤية، أو بالحمق فحسب، بل وصفه بأنه أحمق الناس، نعم أحمق الناس؛ وما ذلك إلا لأن حساباته وتوقعاته المستقبلية، على منتهى التعاكس والتضاد مع حسابات وتوقعات الانسان المنطقي في تفكيره، والواقعي في تقرير مآل أعماله وسلوكه مع الناس.

البِرُّ في الفلسفة العَلَوِيَّة

للبرِّ في المصطلح الاسلامي أكثر من معنى، فمن بين ذلك على سبيل المثال المعنى الذي يساوق الايمان والتقوى وعموم الطاعة لله تعالى كالذي تمثله مفردات البرِّ في قوله عزَّ من قائل: «لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ

وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُسْبِهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا
عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ» (١).

وطبقاً للأصل الأصيل لهذا المعنى نجد كلمات كثيرة للإمام علي تضع
مصاديق مختلفة للبرِّ، ولكنها أولاً وأخيراً تتضمُّ إلى الإطار العام للكلمة وذلك
من قبيل ما يقوله (عليه السلام):

— بحسن الوفاء يُعْرَفُ الْأَبْرَارُ (٢).

— الزم الصدق والأمانة، فإنهما سجية الأبرار (٣).

— استشعر الحكمة وتجليب السكينة فإنهما حلية الأبرار (٤).

— إن كان في الغضب الانتصار، ففي الحلم ثواب الأبرار (٥).

— إن الحياء والعفة من خلائق الإيمان، وإنهما لسجية الأحرار، وشيمة
الأبرار (٦) (٧).

١- البقرة الآية / ١٧٧. ٢- غرر الحكم، الحكمة / ٥٢٥٥.

٣- المصدر نفسه، الحكمة / ٤٢٨٣. ٤- المصدر نفسه، الحكمة / ٦٠٣.

٥- المصدر نفسه، الحكمة / ٦٨٦٨. ٦- المصدر نفسه، الحكمة / ٥٤٤٢.

٧- وفي المعنى الأول للبرِّ يقول رسول الله «ص»: يا أبا ذر يكفي من الدعاء مع البرِّ ما
يكفي الطعام من الملح. أعلام الدين ص ١٩٨.

وفي هذا المعنى أيضاً ما قاله رسول الله «ص»: خصلتان ليس فوقهما من البرِّ شيء: الإيمان
بالله، والنفع لعباد الله، وخصلتان ليس فوقهما من الشرِّ شيء: الشرك بالله، والضرر لعباد الله.

بحار الأنوار ٧٤ / ١٤٠.

١٣٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

ومن بين معاني البرّ في المصطلح الاسلامي المعنى الذي يساوق الجود والتفضل والعطف على الآخرين بالإحسان اليهم، وهذا المعنى نحتمله وجوده في أكثر من مورد قرآني مثل قوله تبارك وتعالى: «لَا يَتَّهِلْكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (١)(٢)(٣).

وللإمام أمير المؤمنين عبارات وافرة وكلمات ضافية تصب في هذا الاتجاه، وهي من قبيل ما يقوله (سلام الله عليه):

— عليكم بصنائع الإحسان، وحسن البر بذوي الرحم والجيران، فإنهما يزيدان في الأعمار، ويعمران الديار (٤).

— من أفضل البر برُّ الأيتام (٥).

— من قرب بره، بعد صيته (٦).

— أفضل البر ما أصيب به الأبرار (٧).

— الصديق من كان ناهياً عن الظلم والعدوان، معيناً على البرّ والإحسان (٨).

١- الممتحنة الآية / ٨.

٢ - ونحتمله أيضاً في قوله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالتَّعَدُّونَ وَأَتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» المائدة الآية / ٢.

٣- المائدة، الآية / ٢. ٤- غرر الحكم، الحكمة / ٩٣٣٣.

٥- غرر الحكم / ٩٤٠١. ٦- المصدر نفسه، الحكمة / ١٠٣٢٦.

٧- عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ١٠٣١٩.

٨- غرر الحكم، الحكمة / ٩٤٧٧.

— خير إخوانك من سارع إلى الخير، وجذبك إليه، وأمرك باليسر، وأعانك عليه (١)(٢).

هذا ويتم الفصل والتمييز بين كلمات البرّ التي يقصد منها المعنى الأول المشار إليه، من كلمات البرّ التي يقصد بها المعنى الثاني، عن طريق الالتفات الدقيق وإمعان النظر في مضامين الحكم والكلمات والأحاديث في هذا المضمار، والتنبيه إلى ما يحصل من القرائن الدالة على هذا المعنى أو ذلك، والله المسدد للصواب.

طبائع الأبرار طبائع محتملة للخير

٢٠٩ - قال الإمام علي (عليه السلام): إِنَّمَا طَبَائِعُ الْأَبْرَارِ طَبَائِعُ مُحْتَمَلَةٌ

١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٩٥٣٤.

٢ - وفي المعنى الثاني للبرّ يقول رسول الله «ص»: إن الله يجمع الفقراء والأغنياء في رحبة الجنة يوم القيامة، ثم يبعث منادياً ينادي من بطنان العرش: يا معشر المؤمنين أيما رجل منكم وصله أخوه المؤمن في الله ولو بلقمة من خبز بإدامها خصّه بها على مائدته، فليأخذ بيده على مهل حتى يدخله الجنة.
قال: فهم أعرف بهم يومئذ منهم بآبائهم وأمهاتهم.

قال: فيجيء الرجل منهم حتى يضع يده على ذراع أخيه المكرم له الواصل له فيقول له: يا أخي أما تعرفني ألسنت الصانع بي في يوم كذا وكذا من المعروف كذا وكذا؟ فيذكره كل شيء صنع معه من اليسر والصلة والكرامة، ثم يأخذ بيده فيقول: إلى أين؟ فيقول: إلى الجنة فإن الله تعالى قد أذن لي بذلك. فينطلق به إلى الجنة، فيدخله فيها برحمة الله وفضله وكرامته لعبده الفقير المؤمن.
إرشاد القلوب ج: ١ ص ١٥٩.

ويقول «ص»: أربع خصال من كن فيه أدخله الله جنته ونشر عليه رحمته: من آوى اليتيم، ورحم المسكين، وأشفق على والديه، ورفق بمملوكه. معدن الجواهر / ٤٠.

ويقول «ص»: لا يرد القدر إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا اليسر. بحار الأنوار ٧٤ / ١٦٨.

للخير، فمهما حُمّلت منه احتملته^(١).

يؤكد الإمام أمير المؤمنين في أحاديثه وكلماته بمثل هذه الحكمة وغيرها على صفة الجود والإيثار وتمسك الأبرار بها وأخذهم بقوة شديدة في مضامينها، ونراه مرة أخرى يقول (عليه السلام): الإيثار سجية الأبرار، وشيمة الأخيار^(٢). ومرة ثالثة يصرح بقوله: (من شيم الأبرار حمل النفوس على الإيثار)^(٣).

ويمكننا أن نعثر في حكمة الإمام (عليه السلام): إنما طبائع الأبرار طبائع محتملة للخير، فمهما حُمّلت منه احتملته. على تلك الطاقة الأخلاقية الهائلة التي يمتلكها الأبرار امتلاكاً عجيبياً ومدهشاً للعقول والأفكار، بحيث أن طبائعهم النديّة الكريمة مهما حُمّلت من الخير احتملته.

فيا ترى أيُّها القارىء اللبيب الفطن هل أن الإمام (عليه السلام) أراد الطبقة الخاصة من طبقات الأبرار، كمثل تلك الطبقة التي أرادها الله سبحانه بقوله الكريم: «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا * يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعَمُونَ أَلْطَعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا * إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا...»^(٤).

أحسبك ترى أن هذا التخصيص لعموم اللفظ العلوي غير بعيد، بل هو الراجح عندك، إذ أن هذا اللون من الاحتمال للخير البارع جداً والبالغ الصعوبة، لا يقدر عليه كل من تطلق عليهم سمة الأبرار من مختلف الناس لا قديماً ولا حديثاً.

٢- المصدر نفسه، الحكمة / ٩١٦٣.

١- غرر الحكم، الحكمة / ١٠٣٣٠.

٤- الانسان، الآية / ٥ - ٩.

٣- المصدر نفسه، الحكمة / ٩١٧٥.

الجواد يحتمل عن الغريب ما لا يحتمله القريب

— محمد بن اسماعيل البخاري يرفعه الى سهل بن سعد^(١) قال: جاءت امرأة الى النبي ببردة فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟

فقال القوم: هي شملة.

قال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها.

فقلت: يا رسول الله أكسوك هذه.

فأخذها النبي «ص» محتاجاً اليها فلبسها.

فراها عليه رجل من أصحابه فقال يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها.

قال: نعم.

فلما قام النبي، لأمه أصحابه قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي «ص» أخذها محتاجاً اليها ثم تسأله إياها، وقد عرفت أنه لا يُسأل شيئاً فيمنعه.

قال: رجوت بركتها حين لبسها النبي «ص»؛ لعلني أكفن فيها^(٢).

تعليقٌ خاطف

ليس لنا أن نتحدث أو نعلق على تقبل الرسول «ص» للهدية والتفضل

١ - ورواه عن سهل بن سعد ابن أبي الدنيا في رسائله رسالة مكارم الأخلاق / ٣٧٧.

٢ - صحيح البخاري، باب البر والصلة / الحديث ٦٤.

١٣٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بمنحها، إلا أن نقول مقالة وجيزة نرجو نفعها يوم الدين: الجواد من يتقبل الإكرام ويكثر الإنعام^(١).

— عن اسحاق بن يسار^(٢): أخبرني شيخ من بني سعد بن بكر قال: إن ابن أخ لي أصاب دماً عمداً، فطلبت إلى أهل الدم أن يقبلوا مني العقل، ففعلوا، فأسلمتني عشيرتي وأبوا أن يحملوا معي، وقالوا: إنما نحمل الخطأ، فأما العمد فلا. فقد قدمت ألتمس هذا الحي من قريش، فأمرت لي بخريزة^(٣) فصنعت، فغذيته منها^(٤)، ثم قلت له: انطلق بنا إلى خير القوم وسيدهم ابن بنت رسول الله «ص» الحسين بن علي (رضي الله عنه). فخرجنا نلتمسه في بيته فلم نجده، فخرجنا فلقيناه بالبلاط، فقلت: عندك الرجل. فاستوقفناه فوقف واستند إلى جدار، فقلت يا ابن بنت رسول الله «ص» إن ابن أخ لي أصاب دماً - فقص قصته - وقدمت أستعين هذا الحي من قريش على ديتي، فرأيت أن أبدأ بك.

فقال: والله الذي نفس حسين بيده، ما أصبح في بيتي دينار ولا درهم، وما

١ - وفي الاحتجاج للطبرسي والجزء العاشر من بحار الأنوار للمجلسي ما مختصره: روي عن موسى بن جعفر (ع) عن أبيه عن آبائه عن الحسين بن علي (ع): قال علي (ع): محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» أزهّد الأنبياء (عليهم السلام)، ما أكل خبز بر قط، ولا شبع من خبز شعير ثلاث ليال متواليات قط. توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بأربعة دراهم، ما ترك صفراء ولا بيضاء، مع ما وطئ له من البلاد، ومكّن له من غنائم العباد، ولقد كان يقسم في اليوم الواحد ثلاثمائة ألف، وأربعمائة ألف، ويأتيه السائل بالعشي فيقول: والذي بعث محمداً بالحق ما أمسى في آل محمد صاع من شعير، ولا صاع من بُرّ، ولا درهم، ولا دينار.

٢ - كأن المراد به اسحاق بن يسار والد محمد بن اسحاق صاحب السيرة النبوية وكان اسحاق عالماً محدثاً له معرفة بالتاريخ.

٣ - الخريزة: اللحم الغاب يطبخ بالماء الحار والملح ويُذرّ عليه الدقيق. وبهذه الطريقة تعمل العصيدة سابقاً إلا أنها تخلو من اللحم.

٤ - أي غدينا الجاني من الخريزة.

غدوت الى السوق إلا لأتمس العينة في بعض نفقاتنا وما لا بد منه. ولكني أراك رجلاً جلدأً وقد حان حصاد مالي بذي المروة عين بجنس^(١) فاخرج اليها، فقم عليها بعماله^(٢)، ثم احصد ودق وبع، فإنها مؤدية عنك ولا تسأل أحداً شيئاً. فقال: أفعل بأبي أنت وأمي. وكتب الي قيمه: انظر الي فلان بن فلان فخل بينه وبين حصاد أرضك، فإني قد أعطيته إياه. فخرج فحصدها، فباع منها بعشرين ألف درهم، فأدى اثني عشر ألفاً، واستفضل ثمانية آلاف^(٣).

ماءٌ ولا كَصَدَاءَ وَفَتَى وَلَا كَمَالِكَ وَكَرِيمٌ وَلَا كَالْحُسَيْنِ

لقد أحسن القدماء وأجادوا كثيراً حيث قالوا في المثل السائر: ماءٌ ولا كَصَدَاءَ، وَفَتَى وَلَا كَمَالِكَ^(٤)، وكانوا قد أحسنوا أكثر وأجادوا بما لا مزيد عليه لو قالوا: ماءٌ ولا كَصَدَاءَ، وَفَتَى وَلَا كَمَالِكَ، وَكَرِيمٌ وَلَا كَالْحُسَيْنِ بن علي.

— عن أبان عن فضيل وعبيد^(٥) عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: لَمَّا

١ - في المصدر: يحنّس وصحنه بجنس، ولقد كانت للحسين (عليه السلام) عين دفاقة بالماء الغزير بجنس، تحيط بها مزارع كثيرة تستقي منها.

٢ - أي استعن بالعمال على المال في بلوغ حاجتك.

٣ - ابن أبي الدنيا رسالة مكارم الأخلاق / ٤٥٠.

٤ - المقصود بمالك مالك بن نويرة التميمي اليربوعي وكان سيداً جليل القدر فارساً شجاعاً جواداً شاعراً بديع الجمال حلو الشمائل عفيف المثرر كما يصفه أخوه متمم بن نويرة الذي أكثر من رثائه والتفجع لمصابه، وكان مالك من عمال رسول الله «ص» على الصدقة.

٥ - المقصود بعبيد بن القتيبة الراوية المعتمد الثقة زرارة بن أعين، وكان عبيد من

١٤٠..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 حَضَرَ مُحَمَّدُ بْنُ أَسَامَةَ^(١) الْمَوْتُ، دَخَلَتْ عَلَيْهِ بَنُو هَاشِمٍ، فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ عَرَفْتُمْ
 قَرَابَتِي وَمَنْزِلَتِي مِنْكُمْ، وَعَلِيٌّ دَيْنٌ فَأَجِبْ أَنْ تَضُمَّوهُ عَنِّي. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ
 (ع): أَمَا وَاللَّهِ ثَلُثُ دَيْنِكَ عَلَيَّ، ثُمَّ سَكَتَ، وَسَكَتُوا. فَقَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع) عَلَيْهِ
 السَّلَامُ: عَلَيَّ دَيْنُكَ كُلُّهُ، ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ (ع): أَمَا إِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ
 أُضُمَّهُ أَوْلَا، إِلَّا كَرَاهِيَةً أَنْ يَقُولُوا: سَبَقْنَا^(٢).

هذه القصة تؤكد صحة ما ذكرناه من التخصيص لعموم اللفظ العلوي السالف
 الذكر، فكم في بني هاشم الداخلين على مُحَمَّدِ بْنِ أَسَامَةَ من الأبرار والأخيار
 والكرماء والأجواد؟ إلا أن الإمام عَلِيَّ بْنَ الْحُسَيْنِ (ع)، وحده من بين هؤلاء
 الأبرار والكرماء جميعاً الذي احتمل ما احتمل من الثقل الباهظ والتكليف الشديد
 والعناء المُجهد، فكان المصدق الحركي النابض، والتطبيق الحيوي الناهض،
 للحكمة القدسية المباركة: إنما طبائع الأبرار طبائع محتملة للخير، فمهما حُمِلت
 منه احتملته.

البرُّ غَنِيْمَةٌ الْحَازِمِ

٢١٠ - قال الإمام علي (عليه السلام): البرُّ غَنِيْمَةٌ الْحَازِمِ^(٣).

الحزم من السجايا الأخلاقية الرفيعة والصفات النفسية الإيجابية لدى عدد
 قليل من الناس بالقياس إلى كثرة غير الحازمين. وهو مطلوب ومرغوب فيه جداً

١ - هو مُحَمَّدُ بْنُ أَسَامَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ الْكَلْبِيِّ كَانَ مَعَ أَبِيهِ وَجَدَهُ مِنَ الْمَنْقَطَعِينَ إِلَى
 الْهَاشِمِيِّينَ.

٢ - كِتَابُ الرُّؤْيَى مِنَ الْكَافِي ٨ / ٢٣٢، الْحَدِيثُ / ٥١٤

٣ - عِيُونَ الْحُكْمِ وَالْمَوَاعِظُ، الْحِكْمَةُ / ٩٠ وَغُرَرُ الْحُكْمِ، الْحِكْمَةُ / ٨٦٧٥.

في الأمور القيادية والعسكرية والسياسية وفي الشؤون الإدارية العامة والخاصة وفي القضايا التجارية والاقتصادية. ومن الوجهة النظرية إن العمل الجاد بالحزم ركنٌ ركينٌ لمن استهوئ الدنيا أو تعشَّق الآخرة، ولكن العاملين بالحزم من عشاق الدنيا قليلون والعاملين بالحزم من عشاق الآخرة أقل. فبالضيعة العباد لما يفوتهم من المسيرة الحازمة.

الحزم ضبط الأمور. والحزم ملكةٌ توجبها كثرة التجارب وأصله قوة العقل فإن العاقل خائف أبداً والأحمق لا يخاف وإن خاف كان قليل الخوف ومن خاف أمراً توقاه كما قيل. وفي حدود ما أفهم فإن الحزم هو قوة إدارة الأمور وحسن توجيهها في كلياتها وجزئياتها، والحزم هو أن لا نضيع ما في اليد، والحزم هو الاستباق الحثيث إلى اقتناصِ غرر الفرص. وبأي واحد من هذه التعاريف أخذنا فسوف نرى معنى الغنيمة كيف يتجلَّى ويتجسَّد في كلمة الإمام الحازم المبين، في شؤون الدنيا والدين، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: البرُّ غَنِيمَةُ الْحَازِمِ.

فمن حيث التعريف الأول فإن كلمة الإمام تتجلَّى ويتجسَّد في توظيف الامكانيات للصالح العام ونفع الآخرين، بما يعود نفعه الكبير إلى ذات المحسن النافع في الدنيا ويوم التناد:

«مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ»^(١).

ومن حيث التعريف الثاني فإن كلمة الإمام تتجلَّى ويتجسَّد في استثمار توظيف ما في اليد من أجل القريب والبعيد والقانع والمعتز «وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَتَّبِعِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ»^(٢).

ومن حيث التعريف الثالث فإن كلمة الإمام تتجلَّى وتتجسَّد في استثمار

١٤٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
توظيف الفرص السانحة للبرّ بالنفس من خلال البرّ بالناس، ولا يساورنا أدنى
وهم في أن البرّ من الموارد التي يجب أن يتسابق إليها الكرام والطيبون من الناس
أجمعين، أو كما قال الإمام أمير المؤمنين (بأدب البرّ فإنّ أعمال البرّ فرصة) (١).

من أفكار الإمام حول الغنيمة

هذه جملة نافعة من أفكار الإمام أمير المؤمنين عن مصاديق محددة من
مصاديق الغنيمة؛ نوردها لما تشتمل عليه من آراء طريفة وحكم غنية بمعانيها
ولأن المفكرين مختلفون في تعيين المصاديق وتحديدتها بحسب منازعهم الفكرية
ومشاربهم الرثيوية:

— إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَجْزَةِ (٢).

— كُنْ فِي الْحَرْبِ بِحِيلَتِكَ أَوْثِقْ مِنْكَ بِشِدَّتِكَ وَبِحَذْرِكَ أَفْرَحْ مِنْكَ بِنَجْدَتِكَ
فَإِنَّ الْحَرْبَ حَرْبُ الْمَتَهَوَّرِ وَغَنِيمَةُ الْمُتَحَذِرِ (٣).

— اغْتَنِمِ الصَّدَقَ فِي كُلِّ مَوْطِنٍ تَغْنِمُ، وَاجْتَنِبِ الشَّرَّ وَالْكَذِبَ تَسْلَمُ (٤).

— عَجِبْتُ لِمَنْ يَرِغِبُ فِي التَّكْثَرِ مِنَ الْأَصْحَابِ كَيْفَ لَا يَصْحَبُ الْعُلَمَاءَ
الْأَبْيَاءَ الْأَتْقِيَاءَ الَّذِينَ يَغْنَمُ فُضَائِلَهُمْ وَتَهْدِيهِ [تهذيبه] أَعْلُومَهُمْ وَتَزِينُهُ صَحْبَتَهُمْ.

— إِنْ مِنْ شَغْلٍ نَفْسَهُ بِالْمَفْرُوضِ عَلَيْهِ عَنِ الْمَضْمُونِ لَهُ وَرَضِيَ بِالْمَقْدُورِ عَلَيْهِ
وَلَهُ كَانَ أَكْثَرَ النَّاسِ سَلَامَةً فِي عَاقِبَةِ وَرَبْحاً فِي غِبْطَةِ وَغَنِيمَةً فِي مَسْرَةٍ.

١- عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٣٩٢٤، وغرر الحكم، الحكمة / ١٠٣٢١.

٢- المصدر نفسه، الحكمة / ٣٣٧.

٣- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣١٢، الحكمة / ٥٨٨.

٤- من هنا فما بعد من كلام الإمام علي عن الغنيمة في هذا الموضوع أخذناه من

— مَنْ اسْتَعْمَلَ الرَّفْقَ غَنِمَ .

— مَجَالِسُ الْعِلْمِ غَنِيمَةٌ .

— غَنِيمَةُ الْأَكْيَاسِ مُدَارِسَةُ الْحِكْمَةِ .

أَنْتَى لَا يَكُونُ الْبِرُّ غَنِيمَةً الْحَازِمِ

أَنْتَى لَا يَكُونُ الْبِرُّ غَنِيمَةً الْحَازِمِ بَعْدَ أَنْ نَعْلَمَ وَبِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ أَنَّ الْحَازِمَ غَالِباً مَا يَسْعَى لِلْحَصُولِ عَلَى الْمَكَانَةِ الْمَرْمُوقَةِ بَيْنَ أَبْنَاءِ جَلْدَتِهِ، وَالْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ مِنْ كَبْرِيَّاتِ الْوَسَائِلِ الْمَوْصَلَةِ إِلَى هَذَا الشَّأْنِ الْكَبِيرِ، وَلَقَدْ قَالَ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (مَنْ كَثُرَ جَمِيلُهُ أَجْمَعَ النَّاسَ عَلَى تَفْضِيلِهِ) (١).

وَأَنْتَى لَا يَكُونُ الْبِرُّ غَنِيمَةً الْحَازِمِ بَعْدَ أَنْ نَعْلَمَ وَبِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ أَنَّ الْحَازِمَ غَالِباً مَا يَكْدَحُ لِاسْتِمَالَةِ الْقُلُوبِ إِلَيْهِ وَاِكْتِسَابِ مَوَدَّتِهَا، وَالْبِرُّ سُلْمُ الْوُدَادِ وَالْمَحَبَّةِ، وَفِي هَذَا يَقُولُ الْإِمَامُ عَلِيٌّ (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ)؛ (مَنْ بَدَلَ مَعْرُوفَهُ مَالَتْ إِلَيْهِ الْقُلُوبُ) (٢). فَهَنِيئاً مَرِيئاً لِلْحَازِمِ الْيَقْظَانِ، وَهَنِيئاً مَرِيئاً لِكُلِّ مَنْ دَلَّنَا وَأَرْشَدَنَا إِلَى الْحَزْمِ وَالْيَقْظَةِ بِمَا فِيهِ خَيْرُ الدَّارَيْنِ وَسَعَادَتُهُمَا.

وَأَنْتَى لَا يَكُونُ الْبِرُّ غَنِيمَةً الْحَازِمِ بَعْدَ أَنْ نَعْلَمَ وَبِصُورَةٍ وَاضِحَةٍ أَنَّ الْحَازِمَ غَالِباً مَا يَنْهَضُ لِاِكْتِسَابِ الْغَنِيمَةِ وَ (أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَقْرِيطِ الْعَجْزَةِ).

الْحَوَائِجُ الْغَيْرِيَّةُ وَالْحَوَائِجُ الْذَاتِيَّةُ

٢١١ - قَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)؛ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكْتَسِبَ بِمَالِهِ الْمَخْمَدَةَ،

١٤٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ويصون نفسه عن المسألة (١).

في هذه الحكمة القدسيّة نبراش مشرقٌ يحدّد بسلامة الشرف وشهامة الذات
وظيفة - أولي الألباب وحركتهم إزاء الحوائج - بدقّة في التفكير وإباء في الضمير
وسموّ في الأداء .

والحوائج هنا على شاكنتين مختلفتين فلذا يختلف الموقف العملي من كل
واحد منهما . فهناك الحوائج الغيريّة وهناك الحوائج الذاتية .

فأمّا الحوائج الغيريّة فعلى اللبيب السعي فيها والقيام بأمرها وحلّ
معضلاتها ، وإن كلفته الشيء من المال والمجهود البدني والوقت احتساباً منيفاً في
العمل والانجاز ، ونهوضاً بالواجب الانساني المقدّس .

وأما الحوائج الذاتية التي قد يراد من الآخرين المساهمة فيها وإرفادها
بالدعم المادي ما أمكن فينبغي للعاقل أن يصون نفسه عن تقديم الطيب والتعرّض
للمسألة ما أمكن وأن لا يكون نظيراً لأولئك الذين لا تنبس لهم حاجة بنت شفة
إلا وطاروا زرافاتٍ ووحداناً ويميناً وشمالاً إلى من يرجون فضله ونواله أو
يحتملون منه ذلك أو بعضه ، بل إنّ منهم المتسارعين حتى إلى المعروفين بالشحّ
واللؤم لعلّ رشحاً قليلاً يتسرّب من صفحات الجلاميد الصّم .

وفي ذلك ذلّة وخنوع ما بعدهما من ذلّة وخنوع حتى على فرض الاستجابة
الهزيلة الرعناء أو الضيقة للذين شمروا عن سواعد الجدّ والتصميم في منع
المحتاجين ، والاتسام الدائم الأبدى بالشحّ واللؤم وقبض اليدين .

تعليل غيظ البخيل على الجواد

٢١٢ - قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): غيظُ البخيلِ على الجوادِ أعجبُ من بخله^(١).

من أين تتأتى أو تتكون عناصر غيظ البخيل على الجواد وكيف يكون غيظه أعجب من بخله؟

نعتقد أن مردّد ذلك إلى أن طبيعة الإنسان تقتضي أن يتألم ويغتاظ ممن يكون سبباً عامداً أو غير عامد في انتقاصه وفضيحته، ولا شكّ ولا ريب بأن الجواد بكفه المبسوطة بالنوال والعطاء ووجهه المتألق بالابتسامة النديّة والترحيب الصادق يشكّل - من حيث يريد أو لا يريد - نقصاً وفضيحةً على البخيل باعتباره لم يكن كذلك.

ولأن المجتمع الطبيعي لم يفتأ يذكر الجواد بالخير ويثني على تصرفاته الكريمة وأفعاله الجميلة، فيبدو البخيل للعيان وكأنه ذلك الانسان الممقوت وذلك المنظر الكريه وذلك التمثال البغيض، وشيء تلقائي أننا اذا وضعنا لوحةً بيضاء نيّرة إلى جانب لوحة سوداء متفحمة أو شبه سوداء فسوف يتبين الفارق الكبير ما بينهما ويتجلى الاختلاف كلما ازدادت اللوحة البيضاء نصوعاً.

أما السؤال الآخر عن كيفية كون غيظ البخيل على الجواد أعجب من بخله؟ فنعتقد أن مردّد ذلك إلى أن طبيعة النفس الشوهاء البخيلة تعتبر أن أبغض شيء إليها أن يؤخذ قطنيراً من أموالها، أو شبرٌ من ممتلكاتها، ويحزنها ذلك ويغيظها ويبعثها على الهمّ والغم ويسمّرّها على مضطجع القلق، أي أن هذه الحالة من التعلق الشديد بالأموال هي الحالة المعتادة من البخيل: فلا تتطلب الغرابة الشديدة

١٤٦..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
والعجب العظيم والمكين ممن ينظر إليها أو يعيشها. أما غيظ البخيل على الجواد
فهو أعجب من ذلك لأن الجواد لا يسبب للبخيل تقليصاً للأموال أو تحجيماً
للممتلكات أو نقصاً لما في يديه، فعلام يغتاز عليه هذا السفلة الدنيء!! أي أن
الجواد سبب نقصاً في شخصية البخيل ومعنوياته، لا نقصاً في أمواله وممتلكاته.

صديق البخيل من لم يجربه

٢١٣- روي عن إمام الأئمة (سلام الله عليه) القول: صديق البخيل من
لم يجربه!

التجربة والامتحان، هما المحكَّان اللذان يكشفان واقع الانسان إن خيراً
فخيراً وإن شراً فشرّاً. وأما التصورات والتقييمات القبليّة عن حسن تصرفات
وأخلاق هذا، أو قبح تصرفات وأخلاق ذاك فإنها كثيراً ما تصطدم اصطداماً عنيفاً
بصخرة الواقع المعاش فتتحطم وتتهشم؛ وذلك لأن (رأي الرجل على قدر
تجربته) وكذلك (أملك الناس لسداد الرأي كل مجرب)^(١) على حدّ عبارة أمير
الحكماء علي بن أبي طالب^(٢) (عليه التحية والسلام).

وصاحب التصورات والتقييمات القبليّة قد بنى تصوراته وتقييماته على
غير التجربة والدراسة والتدبّر؛ فهي أولاً وأخيراً عرضة للسقوط والاختفاق، أو
قل هي ريشة في مهبّ رياح التهافت.

ولم يزل هذا البخيل أو ذلك مستور الهوية ومجهول الحال مادامت يميننا
التجربة والامتحان لم تطلاه ويكشفا المخبأ من شخصيته، لا سيما إن كان ذلق

١- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٩٢، الحكمة / ٣٤٦.

٢- غرر الحكم / ١٠١٤٦.

١- غرر الحكم / ١٠١٥٦.

اللسان لبقاً في الترحيب والتعامل الاجتماعي أو السياسي. فاذا به الصديق الودود والخليل الوامق خصوصاً لدى الذين يتهافتون سريعاً على بناء جسور العلاقات والارتباطات بلا معرفة كافية وشاخصة عن الطرف المقابل، وعن معالم سلوكه وأخلاقه وآدابه.

وفي ذات يوم أيوم عبوسٍ قمطير، يختلف اختلافاً كبيراً وبيننا عن جميع الأيام الناعمة الآتية الهائلة السابقة له، حيث تشرق شمس التجربة - الحديّة والجدية - فضيئةً لاهبةً في السماء، ساطعةً في الآفاق، تثير المسالك العاتمة والشعاب الحالكة والتضاريس القاتمة... فاذا بالحقيقة تُسفر عن وجهها، واذا بالصديق المغرور المخدوع يتبين مواطية قدميه، وأن من كان يظن به أو يتوقع منه نفعاً وخيراً أو ضرباً منهما، أو على الحد الأقل شيئاً يسيراً من لطفهما، ليس من أهل النفع والخير في قليل ولا كثير، ولا قبيل ولا دبير، فبئس القرين ولبئس العشير^(١).

كما قد نجد في مرایا المجتمع صوراً تختلف اختلافاً كبيراً عما يحيط بها من التصورات السابقة والرؤى البعيدة عن مسنّ التجربة والاختبار فكم فرد من أفراد

١ - وكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كثير التأكيد على الأهمية القصوى للتجارب

وضرورة الانتفاع منها وذلك في مثل هذه الحكم وغيرها:

- كفى عظة لذوي الألباب ما جربوا.

- الظفر بالحزم والحزم بالتجارب.

- التجارب لا تنقضي والعاقل منها في زيادة.

- المجرب أحكم من الطيب.

- رأي الرجل على قدر تجربته.

- التجارب علم مستفاد.

- أملك الناس لسداد الرأي كل مجرب.

- من أحكم التجارب سلم من المعاطب.

١٤٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
مجتمع من المجتمعات من ينأى عن استرفاده بعض الأصدقاء وأشباه الأصدقاء
لغلبة الظن عليهم بعدم جدوى الاستعانة به في يوم من الأيام فهو البخيل أو الشبيه
به، حتى كشفت التجربة عن خلاف التصور فاذا به الكريم الشهم الجواد المسارع
إلى الخير والانعام وضروب الكرم والإحسان، فنعمة القرين ولنعم العشير.

وفي حكمة الإمام علي (صديق البخيل من لم يُجرِّبه) نصيحة بليغة جادة بل
قانون ساري المفعول في الانتفاع بالتجربة والممارسة والاستفادة من المختبرات
العملية للحكم للأشخاص أو عليهم، بدلاً من الاكتفاء بالآراء والتصورات
التجريدية.

بناءً على ما تقدّم فإنه كما يصحّ لنا القول (صديق البخيل من لم
يُجرِّبه)، فكذلك يصحّ لنا القول: عدو الجواد من لم يُجرِّبه.

خيرُ المعروفِ ما أُصيبَ به الأبرار

٢١٤ - يروى عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: خيرُ
المعروفِ ما أُصيبَ به الأبرار^(١).

— المعروف معروف أين ما وقع، ولكن أين المعروف الذي يقدم إلى
الأبرار، فهم يشكرونه ويثنون على مسديده، ويرصدون له المكافأة، ويمدون
أيديهم البريئة التي بارئها سبحانه داعين له بالتوفيق وحسن الجزاء الرباني،
ويرون شكر المفضل ديناً يدينون الله تبارك وتعالى به، وإن لم يكن هؤلاء الأبرار
كما وصفنا، فهم ليسوا أبراراً على الحقيقة، وإن سُموا أبراراً على غفلة من الزمان.

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٨٩٧، وفي عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٢٥٠٩:
أفضل المعروف ما أُصيبَ به الأبرار.

أقول أين هذا المعروف من المعروف الذي لا يشكره المنتفعون به، ولا يذكرون صاحبه بالفضل والخير، وقد لا يسلم أو ينجو من رشقات ألسنتهم، ومعاول ألسنتهم، وانتقال الآية عليه؟

نعم لا يصح أن نجحد بأن هذه الطبقة الثانية لم تكن هي الوحيدة التي تقع خارج إطار الأبرار، فثم طبقة أو أكثر ممن تشكر وتحمد، وترد على الجميل بالجميل، أو بما هو أحسن منه، وليسوا من الأبرار، إلا أنها على كل حال ليست كتلك الطبقة الإلهية الرشيدة التي توسم حقاً بالبرِّ والایمان والاخلاص والوفاء العريق للاحسان والفضل سواء كانا سماويين أو أرضيين.

— كان الحجاج الثقفي والي العراق من قبل الأمويين (ت ٩٥ هـ) فصيحاً بليغاً في الكلام، كما كان مبالغاً في الظلم والعدوان، وقد ألمَّ بهذه الحكمة العلوية الجليلة قائلاً: خيرُ المعروفِ ما نعشتَ بهِ عشراتِ الكِرامِ^(١).

أولى الناس بالكرم من عرقت به الكرام

٢١٥ - قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أولى الناس بالكرم من عرقت به الكرام^(٢).

أ - إن التكوين الذاتي لإنسان ما في حالة اتسامه بالكرم، فإنه وحده فحسب يكفي لاتصاف صاحبه بالكرم، أو لبلوغه درجات عليا من سمائه

١ - الأبي، نثر الدر ٥ / ٣٨.

٢ - بحار الأنوار ٧١ / ١٦٤، والنص فيه: قال (عليه السلام): أولى الناس بالكرم من عرقت فيه الكرام، وتصنيف نهج البلاغة / ٦٦٩. في تصنيف النهج كلمة عفت، وفي ابن أبي الحديد والبحار عرقت وهو الصحيح.

١٥٠ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) وسنائه، سواء كانت نزعته الكريمة الطيبة امتداداً تلقائياً لنزعة الآباء والأجداد، أم لم يكن آباؤه وأجداده كذلك.

بيد أن النهر الكبير ذا الينابيع المتفجرة إذا ما أمده - إبان حركته وانطلاقه - رافدٌ متدفقٌ زخارٌ، فإنه أغزر لمياهه وأسرع لجريانه. وهكذا بالنسبة إلى الكريم في تكوينه الذاتي الشريف إذا ما عرقت به الكرام، وتجدرت بشخصيته لبابها الأصلية وجميل شمائلها، فإنه أجلى لكرمه، وأصقل لطبيعته الخلوة الطيبة وسجيته المعطاء.

كان سعد بن عبادة علياً أطمه^(١) وهو ينادي: من أحب شحماً ولحماً فليأت سعد بن عبادة، ثم كان ابنه قيس بن سعد يصنع صنيع أبيه. وعن عبد الله بن نافع عن أبيه قال: مرّ بي ابن عمر علي هذه الأطم يخبر بخبر ابن سعد قال: يا نافع هذه أطم دليّم جدّه، وكان مناديه ينادي في كل يوم: من أراد الشحم واللحم فليأت دار دليّم. فمات دليّم فنادى منادي عبادة مثل ذلك، ثم مات عبادة فنادى منادي سعد مثل ذلك، ثم رأيت قيس بن سعد وكان من أجود الناس. قال المؤرخ العباسي محمد بن حبيب البغدادي (ت ٢٤٥ هجرية): قيس جواد ابن سعد جواد ابن دليّم جواد ابن حارثة جواد ابن حزيمة جواد ابن ثعلبة جواد ابن طريف جواد ابن الخزرج، فهو جواد ابن جواد ابن جواد ابن جواد ابن جواد ابن جواد ابن جواد. فهذا أعرق الناس في الجود^(٢). وهذا مثال تطبيقي حيويّ على عراقة الكرم وأصالة الكريم، وهناك أمثلة كثيرة لا يتسع المجال لذكرها، غير أن أولها بالاستحضار ما كان من جود وكرم هاشم بن عبد مناف الذي سرى الكرم في ذريته وأحفاده رجالاً ونساءً - بشكل عام - هكذا إلى العصر الحاضر.

ج - لما كان أولى الناس بالكرم من عرقت به الكرام كما عرفنا إذا فمن

اضطر الى عرض مشكلته المادية على الناس فعليه أن يختار منهم الكرام دون غيرهم، وليتوخ من هؤلاء مَنْ عَرَّقَتْ بِهِ الْكِرَامُ، فإنهم أجدر بقضاء الحاجة وتلبية الطالب واجابة الداعي من غير مَنْ ولا تسويف.

د- كَانَ تَقِي الدِّينِ أَبَا بَكْرٍ بِنِ حِجَّةِ الْحَمَوِيِّ (وفاته ٨٣٧ للهجرة) قد استفاد من الحكمة العلوية الثاقبة (أولى الناس بالكرم...) بشكل غير مباشر في أرجوزته الطويلة، وإن قد استخلص الأرجوزة بشكل مباشر من كتاب الصادح والباغم لابن الهبارية، فقال تقي الدين^(١):

وكل من تكاملت أطرافه

ففي طيبها وكرمت أسلافه

كان خليقاً بالعلو وبالكرم

وبرعت في أصله حسن الشيم

الكريمة أخت الكريم والليمة أخت اللئيم

قال أحد المسافرين: كنت في سفرٍ فضلتُ الطريق فرأيت بيتاً في الفلاة فقصدته، فإذا به أعرابية فلما رأتي قالت: مَنْ تكون؟

قلت: ضيف.

قالت: أهلاً وسهلاً بالضيف، انزل على الرحب والسعة.

قال: فنزلت، فقدمت تلك الأعرابية طعاماً فأكلت، وماءً فشربت، فبينما أنا على ذلك إذ أقبل صاحب البيت، فقال: مَنْ هذا؟

فقلت له امرأته: إنه ضيف.

فقال: لا أهلاً ولا مرحباً ما لنا وللضيف؟

قال: فلما سمعتُ كلامه ركبتُ من ساعتِي ورحلتُ عن بيته.

فلما كان من الغد رأيت بيتاً في الفلاة فقصدته، فإذا فيه أعرابية فلما رأيتني

قال: مَنْ تكون؟

قلت: ضيف.

قال: لا أهلاً ولا مرحباً ما لنا وللضيف؟

قال: وبيننا هي تكلمني إذ أقبل صاحب البيت فلما رأني قال: مَنْ هذا؟

قالت: ضيف.

فقال زوجها: أهلاً ومرحباً بالضيف.

ثم أتني زوج الأعرابية بطعامٍ طيبٍ فأكلت، وبماءٍ فشربت، وتذكرت ما

حدث لي بالأمس فتبسّمت؛ فسألني زوج الأعرابية لماذا تتبسم؟

فقصصت عليه ما حدث لي بالأمس مع تلك الأعرابية وزوجها، وما سمعت

منه ومن زوجته، فابتسم الأعرابي وقال: لا تعجب إن تلك الأعرابية التي رأيتها

البارحة هي أختي، وزوجها هو أخو امرأتي.

أولئى الناس باللؤم من عرقت به اللئام

قال بعض الرواة: أكلنا عند أحدهم يوماً وأبوه حاضر، وبُنِي له يجيء

ويذهب، فاختلف مراراً، كل ذلك يرانا نأكل، فقال الصبي: كم تأكلون! لا أطمع

الله بطونكم. فقال جدُّ الصبي: إني وربُّ الكعبة.

البخيل متحجج بالمعاذير والتعالييل

٢١٦ - روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) القول: البخيل متحجج بالمعاذير والتعالييل^(١).

للبخلاء مواقف متعددة ومتغايرة ازاء بخلهم وما يقول عنه الناس، ويهمنا في هذا الحديث أن نذكر موقفين أساسيين منهما:

الموقف الأول: تحبيذ البخل وتحسين صورته، وأنه لون رفيع من ألوان الحزم وحسن إدارة الأموال، كما أنه وجه من وجوه التدبير المحمود في الشريعة الغراء والعرف الاجتماعي.. ولقد خطب معاوية ذات يوم فقال: إن الله تعالى يقول: «وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ»^(٢)، فلا نلام نحن. فقام إليه الأحنف فقال: إنا والله لا نلومك على ما في خزائن الله تعالى، ولكن نلومك على ما أنزل الله علينا من خزائنه، فأغلقت بابك دونه. فسكت معاوية^(٣).

وفي هذا السياق من التعالييل والتبريرات ما يذكره الجاحظ قائلاً: قلت لبعض الأغنياء البخلاء: أَرْضَيْتَ أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ بَخِيلٌ؟ قَالَ: لَا أَعْدَمُنِي اللَّهُ هَذَا الْاسْمَ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ بِخَيْلٍ إِلَّا لِذِي مَالٍ، فَسَلِّمْ لِي الْمَالَ وَادْعَنِي بِمَا شِئْتَ^(٤).

-
- ١ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٥٣٦، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ١١٧٣ وفيه: البخيل متبجح، وفي نسخة من عيون الحكم والمواعظ: متحجز بدل متبجح أو متحجج.
 - ٢ - الحجر، الآية / ٢١. ٣ - محاضرات الأدباء، ٢ / ٤٩٣.
 - ٤ - محاضرات الأدباء، ٢ / ٤٩٤.

ومن التبريرات المتكلفة لبعض البخلاء ما يُحكى من أن أحدهم أتى في بيته بقصعة فسها ديك مطبوخ فقال لغلامه: أين رأسه؟ قال: رميت به، فقال: والله إني لأمقت من يرمي برجليه فكيف برأسه! ولو لم أكره مما فعلت إلا الطيرة والفأل لكرهته، الرأس رئيس الأعضاء، ومن الرأس

ولسنا نريد الاكثار من التعليقات هنا وذكرها بالتفصيل ، وإنما نعلق أيضاً وبشكل مختصر بالمثال الانجليزي الرائع : كلُّ حمارٍ يُحبُّ صوته .

الموقف الثاني : التحجج بالمعاذير والتعالييل . هذا وإن التحجج بالمعاذير لبيداء شاسعة الأطراف ، لا يدرك أبعادها إلا أدقُّ مناظير العالم رؤيةً وأكثرها تطوراً . ومثال ذلك أن أومينوس الحكيم لما سئل عن السبب في بخل بعض الأقوام قال وهو يحاول محاولة يائسة بائسة في الدفاع عنهم : لأنهم لا يكسبون بكل وجه ، ولا يبذلون أنفسهم لكل انسان ، فقصاراهم حفظ ما معهم .

ف قيل له : أما يحسّون بقبح البخل ؟

فقال : بلى ، ولكن يحتملونه لقبح المسألة .

ف قيل له : أما لهم ثقة بالرازق ؟

قال : من ثقتهم بالرازق اقتصادهم في نفقته .

ف قيل له : الجود غير هذا .

قال : صدقتم لو خلص من السرف ، ولم يبتل صاحبه في عاقبته بالشماتة .

ف قيل له : هذا كله روغان من الكرم .

قال : أصل الكرم التكرم عن الحاجة الى أهل الكرم ، فضلاً عن غيرهم (١) .

يصدح الديك ، ولولا صوته ما أُريد ، وعينه يضرب بها المثل فيقال شراب كعين الديك ، ودماغه نافع لوجع الكلية ، ولم تر عظماً أهش تحت الأسنان من عظم رأسه ، وهلا إذ ظننت أنني لا أأكله ظننت أن العيال يأكلونه ، وإن كان قد بلغ من نبلك أنك لا تأكله فإن عندنا من يأكله ...

لسنا نبتغي التعليق على هذه التبريرات غير المحكمة التي أدلى بها أومينوس، فإن تنفيذها يسير على القارىء الفطن سواء كان حكيماً أو غير حكيم، لا سيما بعد ذلك الاعتراف باحساس هؤلاء القوم بقبح البخل، وما أروع ما قال القائلون له وهم لا يقتنعون بحججه وتبريراته اللاواقعية: هذا كله رَوَّعَان عن الكرم!

وَمُرتكس في غمرة اللؤم باخلٍ
 يُفوقُ للمسكين خُدَّ نصالِه
 يسدُّها تسديدَ عاتٍ مُغالِبِ
 ليثأر من دامي الأضالعِ وإليه
 يبيتُ على همٍّ ويصبح عابساً
 حذارَ فقيرٍ عارضٍ أو سؤاليه
 يجادلنا حتى الصباح كأنما
 يرى المجد محضاً كامناً في جداله
 إلى أن تفتته مـ قـ قول فتية
 ففرَّ كمضروب القفا بـوبالِه^(١)

١ - هذه الأبيات من جملة قصيدتنا الموسومة بـ (الجود عنوان الوجود) ونظراً لاعتبارها جزءاً لا يتجزأ من مادة كتابنا الحالي محتوى وانسجاماً واتساقاً آثرنا ايرادها كاملة للقراء الكرام ليشاركونا في الرأي والفكر والعاطفة، والقصيدة تلقي نظراتٍ على النوال والافضال، وعمما ينبغي أن يكون عليه الانسان النبيل والشريف من النزعات الطيبة الكريمة والإحسان الرحيب: :
 بـدا فإذا بالحسن بعضُ خصالِه
 وما البدرُ إلا قسبة من جماله

تسامي تسامي الروح في ملكوتها
 وخالَّت قلال العزُّ دون قلاله
 وأقلع حيثُ الحُبُّ يُدرك سرّه
 ويحتضن الإنسان لطف كماله
 ترفرف أحشاء المُنَى عن يمينه
 ويهزج مسلوبُ الكرى عن شماله
 هو الجودُ عنوانُ الوجود فإن خبا
 خبت شعلة الإنسان ما بين إليه
 وما النيلُ في أرض الكنانة سلسلاً
 بأعذب من فيض الفتى ونواله
 وهل قائدٌ يُرجى لدفع ملامّة
 إذا لم يكن من قادهم كمياله
 وما احتلَّ قلبُ الشعبِ مثلُ مؤمِّلٍ
 يروون حرياتهم باحتلاله
 كأنَّ مصايحَ العُلَى نورُ فكره
 ووحى جلالِ الشمسِ وحى جلاله

ألا أيُّ هذا القائد المصلح الذي
 يغازل ضوء النجم حُسن مقالِه
 برأت إلى الفكر السديد من أمره
 يناضل بالأقوال كنه فعالِه
 أترجو صلاح البائسين ولم تكن
 تُشفق من كثر الشرى وغلالِه
 ولن تشبع المسكين ألف مقالِه
 ولم تشف من عمق الأسى واشتعالِه

من السائغ والمُحْبِذِ التعرف على نِتْفَةِ يسيرة من معاذير البخلاء وتحججهم بحسب مدعياتهم ومزاعمهم، أو حسب ما يمكن أن نفهمه ونتحسسه ونستشقه من خلال تصرفاتهم في الأموال وكذلك من خلال سلوكهم مع القرييين لهم والبعيدين عنهم:

١ - ما يمثله بكل وضوح وصراحة قوله تعالى: « وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ أَنْفِقُوا مِمَّا

إذا كنت تهوى المال نراً محشداً
فإني من يهوى تفرق ماله
ليفرح مسكين وينعش طالب
وثاكلة تعنى لطيب ظلاله

ومن لا يعدّ المال شركة نائل
فذلك عبيد مرتم في ضلاله
ومرتكس في غمرة اللؤم باخل
يُفَوِّقُ للمسكين حدّ نصاله
يسدّها تسديد عات مغالب
ليثأر من دامى الأضالع وإله
يبيت على همّ ويصبح عابساً
حذارَ فقيرٍ عارضٍ أو سؤاله
يجادلنا حتى الصباح كأنما
يرى المجد محضاً كامناً في جداله
الذي أن تغشته مقال فتيّة
فسفر كمضروب القفا بسوباله
وما الليلة الليلة الا كباخل
ترى الشخ يبدو في محيا خلاله
وما النطقة الفحشاء قيلت لطاهر
بأقبح من ردّ الفقير بحاله

١٥٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْطِعِم مِّن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنْتُمْ
إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ»^(١).

٢ - أن حالتهم المادية حالة ضعيفة وغير كافية، كاتمين رزق الله وحسن
حالهم، أو كما يظهر من قوله تعالى: (وهو أحد الوجوه التفسيرية): «الَّذِينَ
يَتَخَلَّوْنَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَيَكْتُمُونَ مَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَأَعْتَدْنَا
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا»^(٢).

٣ - ادعائهم المهلهل بعدم المعرفة بفقر هؤلاء الأفراد، ولا بسبؤس تلك
الجماعات، ولو كانوا قد عرفوا لأغنوهم وأكرمهم، أو على الحد الأدنى
لأمدوهم وساعدوهم ولو بشيء معتد به مما ينفعهم ويرضيهم ويخفف من حدة
مشاكلهم ونوائبهم.

٤ - خشيتهم أن يكون العدد الغير من أدياء الحاجة والفقير كاذبون: فلا
يصيب إحسانهم وبرهم وجودهم موقعة الحقيقية.

٥ - أنهم فعلاً بمسيس الاحتياج الى مزيد من الأموال والعقارات؛ من أجل
إكمال بعض المشاريع الكبيرة والمهمة جداً والنافعة للناس.

٦ - إن كثيراً من الناس - كظاهرة مألوفة - من لا يحمدون ويشكرون
المنعم، بل ويتنكرون للفضل والإحسان، إذاً فعلاهم يحسنون اليهم ويكتفونهم
بالمعونات والمساعدات، وينفقون عليهم من الأموال وهل الأموال إلا عرق
الجبين وعصارة الجهود.

٧ - إنهم سوف يكرمون الفقراء والمنكوبين ويساندونهم في وقت لاحق،

وذلك حينما تسنح الفرصة الكافية بذلك ..

أخيراً قد يكون عدد كبير من الناس معذوراً في موارد معينة في عدم الانفاق والعتاء، وإن كان جواداً وغنياً لأسباب هو أعرف بها، بيد أن ذلك إن أتخذ من قبل بعضهم - كمنهجٍ مُحددٍ - يسيّر عليه الإنسان في شِعَابِ حَيَاتِهِ، فهو البخل بذاته.

والخلاصة إن البخيل من ليست له إرادة حقيقية في البذل والعتاء، وإن تلبّس بالمعاذير، والإرادة في علم أصول الفقه وفي مفهومها الفلسفي كذلك: صفة خاصة من صفات النفس، تتعلق بإيجاد فعل أو تركه، وتكون علّةً تامّةً لتحقيق ذلك في الخارج.

« وَ لَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ * حِكْمَةٌ بَسِيعَةٌ فَمَا تُغْنِ الْأُنذُرُ * فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ * خَشَعًا أَبْصَرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ » (١).

التفسير المادي والمعنوي

٢١٧ - قال الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام): مَنْ قَبِضَ يَدَهُ مَخَافَةَ الْفَقْرِ، فَقَدْ تَعَجَّلَ الْفَقْرَ (٢).

أعتقد أن قول الإمام (سَلَامٌ اللهُ عَلَيْهِ) (فقد تعجل الفقر) يقبل التفسير بالمعنيين المعنوي والمادي وذلك طبقاً لما يلي:

١ - القمر، الآية / ٤ - ٧.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٣٨٣، وُغُررُ الْحُكْمِ، الحكمة / ٦٥٦٦.

١٦٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
التفسير المعنوي : فقد تعجل الفقر النفسي، وتهافت أركان أخلاقته
وروحيته، وسقطت مكانته الاجتماعية من أعين الناس.

والفقر بهذا المعنى أشد الفقرين، وأدعاهما للمقت وأقربهما للهلاك والبوار
في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد.

التفسير المادي : فقد تعجل الفقر وتسارع إلى تقليل رزقه وماله بيده؛ لأنَّ منع
المحتاج والفقير - في حالات كثيرة - يسبب عقوبة في الرزق ونقصاناً في المعاش
فضلاً عن غضب الرب عزَّ وجلَّ. فقد روي أنَّ رسول الله «صلى الله عليه وآله
وسلم» قال: لا تزال أمتي بخيرٍ ما لم يتخاونوا، وأدوا الأمانة، وآتوا الزكاة، وإذا
لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين، وروي عن الإمام محمد بن علي الباقر
(عليه السلام) أنه قال: وجدنا في كتاب علي (عليه السلام): قال رسول الله
«صلى الله عليه وآله»: إذا مُنِعَت الزكاة منعت الأرض بركاتها.

فأي المعنيين للفقير يهدف الإمام أمير المؤمنين في حكمته؟ الإمام وإن كان
الغاية المثلى في القضايا المعنوية والروحية، ولكنه في كلمته هذه إنما يقصد الفقر
بالمعنى المادي له على الأرجح في تفكيرنا؛ تخويفاً حقيقياً لأصحاب الأموال أن
يقعوا فيما يحذرون ويخافون من صاعقة الفقر، وحثاً وتحريضاً شديداً لهم أن
يقبلوا على ميادين الانفاق والإحسان، ويتسارعوا إلى مشارف الجود والكرم.

إن قبض اليد عن الإحسان والتوال لا يسبب الفقر على المدى البعيد بل
على المدى القريب العاجل (فقد تعجل الفقر)، وإذا ما وضعت أمام الإنسان
العقوبتان العاجلة أو الآجلة فإنه أشدَّ فرقاً ورهبة من أولى العقوبتين وأكثر حذراً
واضطراباً وقلقاً، وينصبُّ تحذير الإمام (عليه السلام) من قبض اليد على تلك

العقوبة الدانية العاجلة التي يحسب لها الإنسان ألف حساب وحساب ويحاول اجتناب أضرارها ومخاطرها بما يتاح له من الوسائل والامكانيات.

أصعبُ المَرامِ

٢١٨ - قال إمام الأئمة: أصعبُ المَرامِ طَلَبُ ما في أيدي اللئام^(١).

إذا صح لنا المعنى الذي أقوله في كل مكان وميدان: إنَّ ما في أيدي اللئامِ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِنْ أَيْدِيهِمْ... فكيف يُرجى منهم ومن أشباههم بذل أيديهم والتضحية بها من أجل القريب أو البعيد؟!!

واعلموا - زادكم الله هُدىً ونوراً - أن ما في الجيوب، أَكْرَمُ على اللئامِ مِنْ كُلِّ مَحْبُوبٍ. فهل يأملُ فضلهم وخيرهم مَنْ لا ترقى محبته أو كرامته عليهم في جميع الأحوال، إلى معشارِ كرامة الممتلكات والأموال؟!!

ما أكثرَ أعداد اللئام الذين لا يوصلون أمانات الناس إلى الناس طمعاً فيها بعد تحملها ولم يكونوا غير وسائط في النقل لا أكثر، أفمن أمثالهم يرجى البذل والعطاء والمساهمة في الحلول المادية؟!!

البخل في ميزان العقل

٢١٩ - قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ما عقل مَنْ بخلَ بإحسانِهِ^(٢).

هل يا ترى قد عقل الذي يضع الطعام فوق القبر حتى يتلوث أو يتلف من دون أن

١٦٢ فلسفة الجُودِ والإِثَارِ لَدَى الإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)
يستفيد هو منه أو يستفيد منه أحد؟ المال بمنزلة ذلك الطعام والغني بمنزلة ذلك
الميت. هذا ما أشار إليه المفكر أرخميدس قائلاً: المال الكثير لمن لا يستمتع به
بمنزلة طعام موضوع على قبر. وهل يا ترى قد عقل ذلك الجمل الذي يحمل
الذهب ويعتلف التبن؟ وهو ما أشار إليه أرخميدس أيضاً.

ماهية العقل واختلاف الآراء والمصطلحات فيه

إن العقل هو تعقل الأشياء وفهمها في أصل اللغة، واصطلاح إطلاقه على
أمور:

الأول: هو قوة إدراك الخير والشر والتمييز بينهما والتمكن من معرفة أسباب
الأمور وذوات الأسباب وما يؤدي إليها وما يمنع منه، والعقل بهذا المعنى مناط
التكليف والثواب والعقاب.

الثاني: ملكة وحالة في النفس تدعو إلى اختيار الخير والنفع واجتناب
الشرور والمضار وبها تقوى النفس على زجر الدواعي الشهوانية والغضبية
والوساوس الشيطانية وهل هذا هو الكامل من الأول أم هو صفة أخرى وحالة
مغايرة للأولى يحتملها وما يشاهد في أكثر الناس من حكمهم بخيرية بعض
الأمور مع عدم إتيانهم بها وبشرية بعض الأمور مع كونهم مولعين بها يدل على أن
هذه الحالة غير العلم بالخير والشر.

والذي ظهر لنا من تتبع الأخبار المنتمية إلى الأئمة الأبرار (سلام الله عليهم)
هو أن الله خلق في كل شخص من أشخاص المكلفين قوة واستعداد إدراك الأمور
من المضار والمنافع وغيرها على اختلاف كثير بينهم فيها وأقل درجاتها مناط
التكليف وبها يتميز عن المجانين وباختلاف درجاتها تتفاوت التكاليف؛ فكلما

التَّظْيِيرُ الْعَلَوِيُّ لِلْجُودِ وَالْإِيمَانِ ١٦٣

كانت هذه القوة أكمل كانت التكاليف أشق وأكثر وتكمل هذه القوة في كل شخص بحسب استعداده بالعلم والعمل فكلما سعى في تحصيل ما ينفعه من العلوم الحقّة وعمل بها تقوى تلك القوة ثم العلوم تتفاوت في مراتب النقص والكمال وكلما ازدادت قوة تكثر آثارها وتحث صاحبها بحسب قوتها على العمل بها فأكثر الناس علمهم بالمبدأ والمعاد وسائر أركان الإيمان علم تصوري يسمونه تصديقاً، وفي بعضهم تصديق ظني وفي بعضهم تصديق اضطراري فلذا لا يعملون بما يدعون فإذا كمل العلم وبلغ درجة اليقين تظهر آثاره على صاحبه كل حين.

الثالث: القوة التي يستعملها الناس في نظام أمور معاشهم فإن وافقت قانون الشرع واستعملت فيما استحسنته الشارع تسمى بعقل المعاش وهو ممدوح في الأخبار ومغايرته لما قد مر بنوع من الاعتبار، وإذا استعملت في الأمور الباطلة والحيل الفاسدة تسمى بالنكراء والشيطنة في لسان الشرع.

الرابع: مراتب استعداد النفس لتحصيل النظريات وقربها وبعدها عن ذلك وأثبتوا لها مراتب أربعة سموها بالعقل الهولاني والعقل بالملكة والعقل بالفعل والعقل المستفاد. وقد تطلق هذه الأسماء على النفس في تلك المراتب وتفصيلها المذكور في محالها ويرجع إلى ما ذكرنا أولاً فإن الظاهر أنها قوة واحدة تختلف أسماؤها بحسب متعلقاتها وما تستعمل فيه.

الخامس: النفس الناطقة الإنسانية التي بها يتميز عن سائر البهائم.

السادس: ما ذهب إليه الفلاسفة وأثبتوه بزعمهم من جوهر مجرد قديم لا تعلق له بالمادة ذاتاً ولا فعلاً والقول به كما ذكره مستلزم لإنكار كثير من ضروريات الدين من حدوث العالم وغيره مما لا يسع المقام ذكره، وبعض المنتحلين منهم للإسلام أثبتوا عقولاً حادثة وهي أيضاً على ما أثبتوها مستلزمة

لإنكار كثير من الأصول المقررة الإسلامية .

فإذا عرفت ما مهدنا فاعلم أن الأخبار الواردة في هذه الأبواب أكثرها ظاهرة في المعنيين الأولين الذين مآلهما إلى واحد وفي الثاني منهما أكثر وأظهر، وبعض الأخبار يحتمل بعض المعاني الأخرى، وفي بعض الأخبار يطلق العقل على نفس العلم النافع المورث للنجاة المستلزم لحصول السعادات^(١).

مَا أَقْبَحَ الْبَخْلَ بِكُلِّ ذِي عَقْلٍ

مع قطع النظر عن النصوص الشرعية الوافرة جداً والتي تدعو إلى السخاء والجود وتحث عليهما، وتستهجن البخل وتردع بقوة عنه، نريد أن نتحدث عن البخل في ميزان العقل والتفكير الحرّ.

أولاً: العقل ينهى عن البخل لأن البخل يأمر تلقائياً بجفاء الأصدقاء وبقطيعة الأقرباء، والبخيل حتى وإن ادعى الصلة معهم فإن بخله يكذبه ويفضح علاقاته واتصالاته، وقد يعوض البخيل عن ذلك أحياناً ببعض المواصفات الأخرى مثل لين الكلام، والمجاملات، وإصلاح ذات البين، إلا أن ثمّ أموراً جمّة لا يرتقيها أو يصلحها إلا سيئ الجود والإحسان أو شيء يُعتدُّ به من ذلك على الحد الأدنى؛ ولقد قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ليس لبخيل حبيب^(٢)، كما قال (سلام الله عليه): ليس لشحيح رفيق^(٣).

ثانياً: مهما كانت للبخيل من جاذبية وقوة شخصية بسبب مواصفات معينة

١ - باختصار من بحار الأنوار، ١ / ٩٩ - ١٠١.

٢ - الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٦٩٥٦.

٣ - المصدر، الحكمة / ٦٩٥٣.

له، فإنَّ البخل يقلل من جاذبيته ومنزلته الشخصيّة في مختلف المجتمعات، لا سيما تلك المجتمعات الكريمة أو شبه الكريمة؛ فالبخيلُ الغنيُّ بائعٌ لجاذبيته ولرونقِ شخصيتهِ بضمنِ دونِ ثَمَنِهِمَا.

ثالثاً: لا تنكر صحة المقولة (الدرهم الأبيض ينفع في اليوم الأسود) ولكن على أن لا يؤدي الادخار الى البخل وشحة النفس، فاذا ما أدى اليهما فقد أوقع المدخر في قعرِ دُجَنِيَّاتِ اليومِ الأسودِ الحالِكِ المُكفَهَرِ.

رابعاً: للمال قدرة عالية على تخفيف الهموم والآلام النفسية وعلى شراء الارتياح والانبساط، والبخل يمنع من ذلك ويحول بين البخيل وبين الانفاق على ما يكبح جماح الغمِّ والشَّجَنِ، وحتى لو قُدر له أن يتفق فيما يسرُّه ويسر عياله ويريحهما ساعاتٍ أو أياماً قلائل فإنَّ طبيعته المتشنجة إزاء البذل والانفاق ستعود عليه بالمحاسبة والملامة والقلق والتأزم النفسي حتى تصادر منه ساعات اليهجة، وتبتزُّ من المساكين الذين كانوا برفقته بساطَ الفرحة والانتشاء، بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

أليس كل هذا يدل في ميزان العقل والتفكير الحرِّ على أن: البُخْلُ مؤشِّرٌ قِصَرِ النَّظَرِ وَسَطْحِيَّةِ التَّفَكِيرِ. ولقد أحسن الفيلسوف الكبير أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندي حيث يقول: مَا أَقْبَحَ البُخْلَ بِكُلِّ ذِي عَقْلٍ (١).

ليس الجليلُ بماله بل في محاسنه وفضله

بباع اللئيمِ جماله وسناءهُ بدميمِ فعلة (٢)

إن السخاء بالحر أخلق

٢٢٠- قال إمام الأئمة علي (عليه السلام): ابذل مالك في الحقوق، وواس

والمؤمنات:

واللوصال بكلّ نقيّة	الأرض عَطَشِي لِلوِدَادِ
يسدون ويسقيها بوضلة	عَلَّ الغَمَامَ وَإِنْ نَأَى
نُزْرًا فَمِنْ رَشَفَاتِ طَلَّةٍ	إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ وَابِلِ
خَيْرًا بِمَضْبِجِهِ وَلِيْلَةٍ	لَيْسَ الكَرِيمُ بِسَمَانِعِ
صَادِقٌ يُخَكِّي بِسَنِيْلَةٍ	إِنْ لَمْ يَكُنْ نَيْلٌ فوَعْدُ
سَيَّانٍ فِي جَرِيَانِ سَيْلَةٍ	وَعَدُّ الكَرِيمِ وَبِذُلَّةِ
فَالجودُ سَيَمَاءٌ لِنَسِيْلَةٍ	إِنْ يَدَّعِ النَسْبُ الفَتِي
بَادٍ وَقَدْ أَشْنَى بِطَوْلَةٍ	فَإِذَا يَجُودُ فَصَدَقَهُ
بِخُلٍّ فَمَرْتَهَنٌ بِبُطْلَةٍ	وَإِذَا تَغَشَّى المُدَّعَى
بَلٍ فِي مَحَاسِنِهِ وَفَضْلَةٍ	لَيْسَ الجَلِيلُ بِعَمَالِهِ
وَسِنَاءَةٌ بِذَمِيمِ فَعَلَةٍ	بِسَاعِ اللُّثَيْمِ جَمَالَةٍ
أَخْزَى مَفَاقِيْتَهُ بِبَخِيلَةٍ	يَا وَيْلَةَ مَاذَا جَنَى
حَتَّى اسْتَرَابَ صَفِيٌّ عَقْلَةٍ	يَا وَيْلَةَ مَاذَا جَنَى
وَالحَقُّ مَسْرُورٌ بِوَيْلَةٍ	يَا وَيْلَةَ يَا وَيْلَةَ
أَكْرَسْنَا بِسَقْوَلَةٍ	إِنْ قَالَ أَهْوَى المَالِ صَدَقَهُ
يُكْرِمُ وَلَمْ يُنْظَرْ لِعَدْلَةٍ	أَوْ قَالَ أَهْوَى العَدْلِ لَمْ
فَلَمْ تَعَشْ إِلَّا بِظَلَّةٍ	المَالِ دِيْنَكَ يَا بِخِيْلٍ
وَالمَرءُ مَسْفُتُونَ بِخِلَّةٍ	وَالمَالُ خِيْلُكَ لَا الهَدَى
لَمَنْ يُزَيِّنُهَا بِبِذْلَةٍ	المَالُ بِشَرِّ فِي الحَيَاةِ
يَسْغِيهَا بِعَجِيحِ طَيْلَةٍ	وَالبِخْلُ حَزْنٌ فِي القَبْرِ
فَتَى النِّوَالِ بِطَيْبِ نَوِيْلَةٍ	يَسَارِبُ أَكْرَمُ بِالجِنَانِ
لِلْفَقْرِ وَاحْفَظْهُ بِقَتْلَةٍ	يَسَارِبُ وَارْحَمْ قَاتِلًا

به الصديق، فَإِنَّ السَخَاءَ بِالْحُرِّ أَخْلَقَ^(١).

بذل المال في الحقوق

يقع بذل المال في الحقوق على وجهين:

الوجه الأول: بذل المال في حقوق الله تبارك وتعالى بما هو من صميم الأحكام الشرعية التكليفية كأداء الزكوات والأخماس والكفارات وغيرها واليها أشار الإمام أمير المؤمنين بقوله: زوال النعم بمنع حقوق الله منها والتقصير في شكرها^(٢). كما أشار إليها بقوله (عليه السلام): إعطاء هذا المال في حقوق الله دخل في باب الجود^(٣). وبقوله (عليه السلام): إن للإسلام غاية فانتهاها إلى غايته واخرجوا إلى الله مما افترض عليكم من حقوقه^(٤). الشامل للحقوق المالية وغير المالية. وفي كتاب الإمام علي الرضا إلى المأمون العباسي: واجتناب الكبائر، وعدّها منها (عليه السلام): حبس الحقوق من غير العسرة^(٥).

الوجه الثاني: بذل المال في الحقوق الاجتماعية والإنسانية بما في ذلك حقوق الأسرة والجيران والأقرباء والأصدقاء والضيوف والراجلين والفقراء والمنكوبين... والوجه الأول والثاني وإن كانا يتداخلان في كثير من القضايا إلا أنهما يفترقان في عدد كبير من المسائل. وإلى الوجه الثاني أشار القرآن الكريم بقول الله عزّ وجلّ: «وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ»^(٦).

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٤٥٢. وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٢٠٤٤ وليس

فيه: به. ٢ - غرر الحكم، الحكمة / ١٧٢١.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٤٤٦. ٤ - غرر الحكم، الحكمة / ١٣٥٥.

٥ - الصدوق، عيون أخبار الرضا (عليه السلام) ٢ / ١٢٧. ولعل أصل العبارة حبس

الحقوق في غير العسرة. ٦ - المعارج، الآية / ٢٥ - ٢٦.

١٦٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فقد فسرها الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بقوله: هَذَا شَيْءٌ سِوَى الزَّكَاةِ
وَهُوَ شَيْءٌ يَجِبُ أَنْ يَفْرِضَهُ عَلَى نَفْسِهِ كُلَّ يَوْمٍ أَوْ كُلَّ جُمُعَةٍ أَوْ كُلَّ شَهْرٍ أَوْ كُلَّ
سَنَةٍ (١).

كما تَبَّه علي الوجه الثاني الزعيم الجاهلي قيس بن زهير الغطفاني قائلاً:
لا تعطوا في الفضول فتعجزوا عن الحقوق. وكان الوزير العباسي الفقيه أبو
الحسن بن الفرات يقول: الأعمال للكفاة من أصحابنا، وقضاء الحقوق على
خواص أموالنا.

وفي أغلب الظن أن حكمة الإمام (عليه السلام) (ابذل مالك في الحقوق،
وواس به الصديق) يقصد بها الوجه الثاني من الحقوق المالية، وعليه فتكون
مواساة الصديق جزءاً بارزاً من مصاديقها المتعددة وقسماً منها لا قسماً لها،
وأفرده الإمام كلونٍ من ألوان التأكيد عليه والفتات الانتباه إلى أهميته الخاصة
وضرورة رعايته والاحتفاء به كما في قوله عز وجل: «ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا *
فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَكِهَةً
وَآبًا» (٢). فلا ريب أن العنب نوع من أنواع الفاكهة وقد أفرده المولى تبارك
وتعالى تأكيداً على أهميته الكبرى وخصائصه الطيبة الفائقة.

معنى الحرية والانعقاد

ليس المقصود بالحر هنا ما يقابل المملوك؛ لأن المملوك قد يكون سخيّاً أو
من كبار الأسخياء، مثل ذلك المملوك الذي قال عنه الجواد المتميز عبد الله بن
جعفر الطيار: أَلَامٌ عَلَى الْجُودِ وَهَذَا الْعَبْدُ أَجُودُ مِنِّي. بل المقصود بالحر في عبارة

١ - النوري، مستدرک الوسائل، باب مَا يَتَأَكَّدُ اسْتِحْقَاقُهُ مِنَ الْحُقُوقِ فِي الْمَالِ سِوَى الزَّكَاةِ

٢ - عبس، الآية / ٢٦ - ٣١.

وَجُعَلَتْ مِنْ أَحْكَامِهَا / ١.

الإمام (عليه السلام) حر النفس الذي لا يخضعه ويستعبده ويسترقه الانكباب على الماديات والانصباب على الأثانية والشره والمطامع.

ولكن السؤال الذي يفرض نفسه على الباحث والقارىء معاً هو لماذا يكون السخاء بالحرِّ أخلق؟

في محاولة من محاولات استحصال الجواب السديد نقول: لأن من الجدير بمن يُوصَفُ بالحرية أو تهيأت له أسبابها، أن يُتِمَّ بحسن أفعاله وطيب سجاياه ما بناه وأحسن تشييده؛ مما يجعله أعمق حُرِّيَّةً وأركز انعتاقاً ما بين الناس. علماً أن للحرية والانعتاق درجاتٍ كثيرةً متفاوتة، لا ينالُ أسماها رقيقاً إلا من كان أبعداً عن شوائب العبودية وأغلالها، وأخلصها في ميادين الحرية وتزكية النفس من كل ما لا يحسن ولا يليق.

الصلة ما بين الكرم والوفاء

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

دار الوفاء لا تخلو من كريم

ولا يستقر بها لثيم

دار الوفاء لا تخلو من كريم ولا يستقر بها لئيم

يروى عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: دارُ الوفاءِ لا تخلو من كريمٍ، ولا يستقرُّ بها لئيمٌ^(١).

الوفاء من الصفات الأخلاقية العليا، والتي هي من الحدود المشتركة ما بين الكريم والمؤثر من جهة، وما بين منتج الكرم والإيثار من جهة ثانية. نريد أن نقول: إن من الضرورة الروحية والانسانية والجمالية أن يتسم كلُّ من المُكرم والمُكْرَم بسجيّة الوفاء. أما بالنسبة إلى الكريم فمن حيث أنه ينبغي له إذا يعد بنائل وسخاء وبحلِّ مشكلة اقتصادية أن يفي بما وعد ويمضي ما أمّل، وإلا سقط من الأعين، أو استحال كاذباً في تقييم كثير من أفراد المجتمعات، خصوصاً تلك المجتمعات الحديثة في التعامل - لا سيّما إذا لم يكن قد جُرّب تجربة كافية تفي بحسن النظرة إليه، اللهم إلا أن يكون له عذرٌ واضحٌ يجلي عنه عوادي التُّهم.

وأما بالنسبة إلى المُكْرَم فعليه أن لا يقصّر في شكر ما أوتي والثناء على الواهب والمعين - بالطبع أن يكون الشكر والثناء من دون إفراط ولا تفريط فإنَّ لكلِّ منهما آفاته وأضراره (في ربيع الأبرار: أمر الحسن بن علي لرجل من جيرانه بألفي درهم فقال: جزاك الله خيراً يا ابن رسول الله. فقال: ما أراك أبقيت لنا من المكافأة شيئاً)^(٢)، وأن يدعو له الله تعالى بالخير وزيادة النعم، وأن يجعل من تفكيره وعزيمته التعويض أو المكافأة إذا ما سنحت الفرصة المؤاتية، أو مقابلة نائله وإحسانه بما هو أكثر وأجود، ومع كلِّ هذا قلباً باديء بالخير والإحسان

١٧٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الفضل عند ذوي النهي.

إنَّ مما يؤسف له بل مما يدمي القلب أنَّ جمعاً كبيراً من أفراد المجتمعات المختلفة لا يراعون ذمام الإحسان والفضل ممن تقدّم لهم بذلك؛ فلا يكون الشكر من عاداتهم، ولا الثناء من سلوكهم. والأنكى من هذا أنَّ يكون منهم من يقابل الإحسان بالإساءة والنعماء بالكفر والظلم والتهاون. على أن الكفر والظلم لا يختصُّ بهؤلاء بل يشمل الطائفة الأولى وإن كان بشكل أخف وأيسر.

إنَّ من الأمراض الأخلاقية التي تصيب كبد الإحسان والإيثار، وتقرع صدور الكرماء والمحسنين أن يكثر الكفرة والظلمة الذين لا يراعون حرمةً للفضل والعطاء وصنائع المعروف، ولا حرمة للمحسنين والأجواد الذين جعلوا رفع المشكلات الانسانية من أعمالهم الأساسية.

إنَّ في الكفر والظلم استخفافاً بالخير والإحسان والنفع العام وسحقاً لوسامة القيم وبهاء الأخلاق وجمال الفضائل.

ألا يخجل هؤلاء الذين لوّارؤوسهم عن الشكر والحمد وأصرّوا واستكبروا استكباراً أن يروا مثل أبي نؤاس الحكمي المتهم بالفسق والمجون والخلاعة يقول شاكرًا للمنعّم، وراجياً منه أن لا يعاود الإحسان إليه حتى يؤدي حق النعمة والفضل:

قد قلت للعباس معتذراً من ضعف شكره ومعتزفاً

أنت امرؤ حمّلتني نعماً أو هت قوئ شكري فقد ضعفاً

فإليك مني اليوم معذرةً جاءتك بالتصريح منكشفاً

لا تسدين إليّ عارفةً حتى أقوم بشكر ما سلفاً

ولا يسعنا إلا أن نقول مقالة ملؤها لآعج الألم والشجن : لقد صدق من قال :
من سعادة المرء أن يضع معروفه عند من يشكره .

ونلتمس ممن يتقنون الوعظ والارشاد، ويحسنون مجابهة التدهور والفساد،
أن لا يتركوا هؤلاء الكفرة والظالمين وشأنهم، بل يخططون جاهدين لانتشالهم
وانقاذهم، أو مواجعتهم بشتى الوسائل المتاحة، ولو من قبيل تحذير الناس من
التهايوي بمثل ما تهاووا، وتنبههم على اجتناب مزالق الكفر والظلم ..

فمما ورد عن إمام البلغاء وأمير الحكماء والمتكلمين علي بن أبي طالب
(عليه السلام) في خصوص الموضوع الذي نحن بصدده وهو ذلك الموضوع
الخطير الأهمية والعظيم الأثر أخلاقياً واجتماعياً والذي يعبر عنه المثل التايلتدي
بقوله الجليل (شعب لا يعرف الوفاء شعب لا يعرف التققدم) :

- روي عنه (عليه السلام) أنه قال : الوفاء كرم، المودة رحم .

- الوفاء سجية الكرام .

- الوفاء عنوان وفور الدين وقوة الأمانة .

- الوفاء حلية العقل وعنوان النبيل .

- الوفاء توأم الأمانة وزين الأخوة .

- الوفاء حفظ الذمام، والمروءة تعهد ذوي الأرحام .

- أشرف الخلائق الوفاء .

- إن الوفاء توأم الصدق وما أعرف جُنة أوقى منه .

- بحسن الوفاء يعرف الأبرار .

- دار الوفاء لا تخلو من كريم، ولا يستقر بها لئيم.

- فاز من تجلبب الوفاء وأدرع الأمانة.

- مَنْ كان ذا حفاظ ووفاء، لم يعدم حسن الإخاء.

- من أحسن الوفاء، استحق الاصطفاء.

- مَنْ ورد مناهل الوفاء، روي من مشارب الصفاء.

تنبیه - راجع هذه الأحاديث في (غرر الحكم) للآمدي موضوع / فضيلة

الوفاء من الحكمة / ٥٢٤٤ إلى الحكمة / ٥٢٦٨.

- ويروى عنه (عليه السلام) القول كذلك: إن العهود قلائد في الأعناق إلى

يوم القيامة: فمن وصلها وصله الله، ومن نقضها خذله الله، ومن استخف بها خاصته إلى الذي أكدها وأخذ خلقه بحفظها^(١).

ما أوثق العلاقة ما بين الوفاء وحسن الصداقة!

نجد في الحكم الأخيرة الانصباب الفكري المتواتر على مسار منهجي

موحد وهو الدعوة الملحة الرشيدة التي أن يكون الإنسان وفيماً حقاً، فإذا أصبح

كذلك استحق بجدارة وأهلية أن يصطفى للأخوة الحميمة، وأن يجتنب للسخلة

الصادقة.

ولقد كان الإمام بنفسه وفيماً غاية الوفاء، وبسبب هذه الصفة الخلاقة وغيرها

من الصفات المجيدة والرائعة قد اصطفاه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»

أخاً لنفسه وحبیباً وخليلاً.

وفي ذات يومٍ من أيام الله لا ينسأه التاريخ أبداً - بالرغم من كل ما أخضعه وأمال عنقه من تزوير وتحوير واختلاق واختراق - في ذات يوم حيث اشْرأبت فيه الأعناق وشخصت الأبصار إلى من يصطفيه رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أخواً دون غيره من المؤمنين والصدّيقين ؛ حيث قد آخى بين النظائر والأشباه من الأصحاب جميعاً ؛ فاذا به « صلى الله عليه وآله وسلم » يقول لعلي بن أبي طالب قوله الشهيرة والتاريخية الكبرى، التي أطلقها في نهاية المطاف وبعد طول الانتظار والترقب الصعب: **إِنَّمَا أَخْرَجْتُكَ لِنَفْسِي، أَنْتَ أَخِي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.**

مساقت ضياء الوفاء

يروى عن الإمام علي (عليه الصلاة والسلام) القول: **من سكن الوفاء صدره، أمن الناس غدره**^(١).

إذا سكن الوفاء في صدر انسان ما فقد سكن في صندوق أو خزانة، إذا من أين للآخرين أن يعرفوا ما في هذا الصندوق أو الخزانة من الوفاء والأمانة أو الغدر والخيانة، حتى يأمنوا منه الغدر ويركنوا إليه آمنين مطمئنين؟

والتحقيق في ذلك يستدعي القول بأن الأمن والإطمئنان في القضية المذكورة يتأتى من الأمرين التاليين:

الأمر الأول: أن ما هو ساكن في الضمير ومستقر في حنايا القلب ينعكس انعكاساً جلياً - ولو بصورة من الصور - على حركات الانسان وسكناته وتصرفاته المختلفة. وعن طريق ذلك يعرفون وفاءه وأمانته فيأمنوا من شرور غدره ومكره.

١٧٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ولقد انتشرت حكمة علي بن أبي طالب في الآفاق انتشار الشمس في رابعة
النهار: (ما أضمّر أحد شيئاً إلا ظهر على صفحات وجهه وفلتات لسانه).

الأمر الثاني : أن سكون الوفاء في الصدر يعني أن شيمة هذا الانسان
المعِين وخلق الوفاء ، وأن العمل بالوفاء لديه صفة ملازمة وملكة مستقرة في
النفس ، وليست حالة طارئة ، وأنه على مساقط ضياء الوفاء يتحرك في شتى
معاملاته الاجتماعية وارتباطاته الشخصية ؛ وعلى هذا الأساس كله فهم يأمنون
غدره ومكره وتحاييله ، ولا يخشون من خيائته لهم .

سنة الكرام الوفاء بالعهود

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) : سنة الكرام الوفاء بالعهود^(١) .

— ثم سنن طيبة كثيرة للكرام وقوانين سديدة مرعية فيما بينهم ، يتبعونها في
كل عصر وجيل ، ويتوارثونها كابراً عن كابر ، من غير اتفاق ومعاهدة أبرمت
بينهم . ومن أركان هذه السنن المعروفة عندهم : الجود والسخاء ، وصدق الكلام ،
وصدق الفعال ، وثبات الموقف ، وعزة النفس ، والغيرة ، والشهامة ، وحماية
الجار ، والوفاء بالعهود ... وفي حديث آخر لأمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر
فيه سنة من سنن الكرام غير التي ذكرناها له في الموضوع الحالي وهو قوله (عليه
السلام) : سنة الكرام تراؤف الإنعام . وفي خبر ثالث عنه (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يقول
وهو يذكر إحدى سنن الكرام أيضاً : سنة الكرام الجود .

— وسنن الكرام وإن كانت أشبه بالسنن الفطرية لديهم وتجري بينهم من غير
اتفاق رسمي أو معاهدة تم التوقيع عليها ، إلا أن الكرام بسبب كثرة وصاياهم بها

وتحريرهم وحثهم المستمر عليها بنثرهم وشعرهم وسفرهم وحضرهم منذ الجاهلية الأولى بل ما قبل ذلك وإلى الزمن الحاضر أصبحت وكأنها عقد اتفاق مُلزم، أو مدونة رسمية حازمة لا مَحِيد أو مَحِيص عن الأخذ بمضامينها الراشدة والعمل طبق مفاهيمها السامية الحميدة. أي أن سنة الكرام أشبه ما تكون بالظاهرة الاجتماعية Social Phenomene في تفكير الفيلسوف دوركايم حيث أنها تتصف بالالزام اجتماعياً.

— من الجدير بالتأكيد على سنن الكرام في سياق المعاني التي تطرقنا لها ما خطه يراع التاريخ من قصة مُصَعَّب بن الزبير بن العوام في ثبات الموقف، وعزة النفس، وجرأة القلب؛ وذلك أنه بعد رئاسته على العراق من قبل أخيه الخليفة في الحجاز قد تواجهه والخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، وحشد كل منهما قواته المسلحة لخوض الكفاح وانتهاء الصراع السياسي بقوة السلاح، فخُذِل مصعب من قبل الغالبة من قواته وغدروا به، ولما كان مع العدو بهذا العدد غير المتكافئ، عرض عليه بعض أصحابه اقتراحاً مؤداه أن لا يقاوم الجيش الكبير، وأن يستسلم للأمر الواقع أو يفر بصورة من صور الفرار من اقتحام المعركة. فما كان من مصعب إلا أن توجه إلى سمت مرقد الإمام الشهيد الحسين بن علي (ع) قائلاً: ما ترك لنا صاحب هذا القبر عذراً. فاذا ما كان في قلة من العدد والتحشد فالحسين بن علي كان في قلة من العدد والتحشد كذلك، وإذا ما غدر أكثر أنصار وأتباع مصعب بمصعب فالحسين بن علي كان كذلك. إذاً ليس أمامه إلا أن يتمسك بأحد الخيارين الصعبين الشائكين إما أن (يُعطيهم بيده اعطاءً الدليل، أو يقر لهم قرار العبيد) وإذا كان الاقدام ممكناً في شكل من الأشكال فالاستسلام يعني ذلك الركوع والسجود للذين لا يرتضيها أباة الضيم والأحرار ما سمر سمير.

فاختار مُصَعَّب عن قصدٍ وادراكٍ أن يقاتلَ حتى يُقتلَ، وأن يقتطف

١٨٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
بالهندواني الصقيل الرؤوس والأكف التي أن يقتطف رأسه وكفه، وإن لم يختر هذا
الأمر الماجد الشريف المناهض للأعداء والمقاوم للمذلة والهوان؛ فإنه بطبيعة
الحال لم يسر بسيرة الأباة والأحرار، ولم يستن بسنة الأفاضل الكرام.

الوعد ما لا يستوجب النتيجة العكسية

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه الصلاة والسلام): لا تعدن عدة لا تثق من
نفسك بإنجازها^(١).

ينبغي للفضلاء من الناس أن يذوبوا في القيم الراشدة الفاضلة كالإيثار
والكرم والأعمال الانسانية والخدمات الاجتماعية النافعة، حتى وإن استدعى
الأمر أن يضغطوا على أوقاتهم، ويتعبوا أنفسهم وأبدانهم من أجل سعادة
الآخرين، وإساطة المحن والأشجان المادية وغيرها عنهم ما أمكن ذلك؛ طبقاً
لما قد أرشدهم العقل السليم، وسن لهم الدين الحنيف في نصوص متظافرة، ومن
بين ذلك ما يقول لهم الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) حيث ينصحهم
كثيراً بمثل قوله: إن تعب في البر فإن التعب يزول والبر يبقى^(٢).

إلا أن المكانة السامية للإحسان والكرم والأعمال الانسانية ونحوها، لا
تستدعي أن يكون الانسان متجاهلاً لامكانياته وقدراته المعينة، فيتقدم إلى
ساحة الأعمال الطيبة ناسياً أو متناسياً الإطار العام لقدراته الخاصة، فيعد بما لا
يستطيع اتجازه، ويتصرف تصرفاً يفوق حدَّ طاقته؛ فكثيراً ما تستوجب هذه

١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٥٣١٦.

٢ - الشرح الحديدي لنهج البلاغة الحكمة / ٨١٠

الحالات أن تكون النتيجة المرتقبة نتيجة عكسية، ويعود المادح من الناس دائماً، والمبجل منتقماً وقادحاً. ولهذا أمثال وافرة في التأريخ العام والتأريخ الاسلامي وفي الحياة الاجتماعية المعاصرة، وكل ذلك يدعو الى الاتعاظ والاعتبار، وأن لا يتسارع الانسان تسارع الفوضوية والانفعال العاطفي، البعيد عن الرزانة والمنطق السديد.

ونكتفي بمثال حيوي واحد لا أكثر للتدليل على المراد تنقله من أواخر الجزء الأول من كتاب الغارات، للمؤرخ الكبير المعتمد إبراهيم الشقي (رضي الله عنه)، وهو يذكر خبر بني ناجية الذين تمردوا على الدولة الإسلامية في خلافة الإمام علي (عليه السلام)، فبعث اليهم معقل بن قيس التميمي الرياحي بجيش، فانتصر عليهم وقتل أميرهم، وقتل مع الأمير في المعركة سبعون ومائة، وذهب الباقيون في الأرض يمينا وشمالاً، وبعث معقل الخيل إلى رجالهم، فسبى من أدرك منهم، فسبى رجالاً ونساءً وصبياناً... ثم أقبل بالأسارى حتى مرَّ على مصقلة بن هبيرة الشيباني، وهو عامل لعلي (عليه السلام)، وهم خمسمائة إنسان، فبكى إليه النساء والصبيان وصاح الرجال: يا أبا الفضل يا حامل الثقل، ومأوى الضعيف، وفكاك العناة، امنن علينا فاشترنا وأعتقنا.

فقال مصقلة: أقسم بالله لأتصدقن عليهم، إن الله يجزي المتصدقين. ثم إن مصقلة بن هبيرة بعث ذهل بن الحارث الذهلي إلى معقل فقال: يبيعي نصارى بني ناجية.

فقال: نعم أبيعكم بألف ألف درهم. فأبى عليه، فلم يزل يراوده حتى باعه إياهم بخمسمائة ألف درهم، ودفعهم إليه وقال له: عجل بالمال إلى أمير المؤمنين. فقال مصقلة: أنا باعته الآن بصدرة منه، ثم أبعث بصدرة آخر، ثم كذلك، حتى

لا يبقى منه شيء إن شاء الله .

قال: وأقبل معقل إلى علي (عليه السلام) فأخبره بما كان منه في ذلك، فقال له علي (عليه السلام): أحسنت وأصبت ووفقت .. وانتظر علي (عليه السلام) مصقلة أن يبعث إليه بالمال، فأبطأ به فبلغ علياً (عليه السلام) أن مصقلة خلّى سبيل الأسارى، ولم يسألهم أن يعينوه في فكك أنفسهم بشيء فقال: ما أرى مصقلة إلا قد حمل حمالة، لا أراكم إلا سترونه عن قريب مبلدحاً^(١). ثم كتب إليه: أما بعد فإن من أعظم الخيانة خيانة الأمة، وأعظم الغش على أهل المصر غش الإمام. وعندك من حق المسلمين خمسمائة ألف درهم، فابعث إليّ بها حين يأتيك رسولي، وإلا فأقبل إليّ حين تنظر في كتابي، فإني قد تقدمت إلى رسولي: ألا يدعك ساعة واحدة تقيم بعد قدومه عليك، إلا أن تبعث بالمال.

قال: وكان الرسول أبا حرة الحنفي فقال له أبو حرة: أن تبعث بهذا المال وإلا فاشخص معي إلى أمير المؤمنين .. فلما قرأ كتابه أقبل حتى نزل بالبصرة. وكان العمال يحملون المال من كور البصرة إلى ابن عباس؛ فيكون ابن عباس هو الذي يبعث به إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له: نعم أنظرنني أياماً، ثم أقبل من البصرة حتى أتى علياً (عليه السلام) بالكوفة فأقره علي (عليه السلام) أياماً لم يذكر له شيئاً، ثم سأله المال؛ فأدى إليه مائتي ألف درهم وعجز عن الباقي ولم يقدر عليه.

قال: حدثني ابن أبي سيف عن أبي الصلت عن ذهل بن الحارث قال: دعاني مصقلة إلى رحله، فقدم عشاءً فطعمنا منه، ثم قال: والله إن أمير المؤمنين يسألني

١- بلدح الرجل أعيا وبُلد، وبلدح الرجل وتبلدح وعد ولم ينجز عدته، ورجل بلدح لا ينجز وعداً، والبلدح القدم الثقيل لا ينهض لخير.

هذا المال، ووالله لا أقدر عليه.

فقلت له: لو شئت لا يمضي عليك جمعة، حتى تجمع هذا المال.

فقال: والله ما كنت لأحملها قومي، ولا أطلب فيها إلى أحد. ثم قال: أما والله لو أن ابن هند يطالبني بها، أو ابن عفان لتركها لي، ألم تر إلى ابن عفان، حيث أطعم الأشعث بن قيس مائة ألف درهم، من خراج آذربيجان، في كل سنة.

فقلت: إن هذا لا يرى ذلك الرأي، وما هو بتارك لك شيئاً. فسكت ساعة وسكت عنه، فما مكث ليلة واحدة بعد هذا الكلام حتى لحق بمعاوية، فبلغ ذلك علياً (عليه السلام) فقال: ما له ترحه الله، فعل فعل السيد، وفر فرار العبيد، وخان خيانة الفاجر، أما إنه لو أقام فعجز، ما زدنا علي حبسه، فإن وجدنا له شيئاً أخذناه، وإن لم نقدر له علي مال تركناه. ثم سار إلى داره فهدمها. وقيل لعلي (عليه السلام) حين هرب مصقلة: اردد الذين سبوا ولم تستوف أثمانهم في الرق. فقال: ليس ذلك في القضاء بحق، قد عتقوا، إذ أعتقهم الذي اشتراهم، وصار مالي ديناً علي الذي اشتراهم.



أداء الزكاةِ جودٌ وسخاءٌ

قال رسول الله «ص»
أسخى الناس من أتى زكاة ماله



هل تمثلُ الزكاةُ لوناً من ألوانِ الجودِ والسخاءِ

من المعلوم أن الزكاة ضريبة ماليةً محدّدة فرضها الشارع المقدّس على الناس وأكّد عليها في الكتاب والسنة، فهي قضية روحية وفريضة الهيئة عبادية وإن كان لها طابع مادّي، فهل تمثلُ في حقيقتها وجوهرها لوناً من ألوان الجود والسخاء حتى يمكن ادراج ما يقوله الإمام علي بن أبي طالب حولها ضمن موضوع الكتاب الحالي: باعتباره خُصّص أولاً وأخيراً لفلسفة الجود والايثار لديه (عليه التحية والسلام)؟

ويأتي الجواب الأكيد الواضح بالايجاب القطعي الذي لا يشوبه أدنى قلق أو تردّد، وما ذاك إلا طبقاً لأدلة كثيرة من بينها ما رواه الإمام جعفر الصادق باسناده عن آبائه عن علي (عليه السلام) أن رسول الله «صلى الله وآله وسلم» قال: أسخى الناس من أدّى زكاة ماله^(١). وما ورد عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن آبائه عن علي (صلوات الله عليهم جميعاً): أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من خزان الجنة فيمسح صدره؛ فتسحو نفسه بالزكاة^(٢). وكذلك ما ورد عن الإمام علي (عليه السلام): من أدّى زكاة ماله وقِيَّ شح نفسه^(٣). وأما الذي قاله الإمام علي (عليه

١ - بحار الأنوار ٧٤ / ١١٤، ومشكاة الأنوار / ٢٣٦، وقد جاء في بحار الأنوار، ٧٤ /

١١٣ عن رسول الله «ص»: أبخل الناس من بخل بما افترض الله عز وجل عليه.

٢ - القاضي النعمان، دعائم الإسلام ١ / ٢٤١.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٢٧١، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٨٧٨.

١٨٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
السلام): إعطاء هذا المال في حقوق الله داخل في باب الجود^(١). فهو مما
يجري أيضاً في سياقات المعنى الذي أردنا الاستدلال عليه.

حقاً إن ايتاء الزكاة سخاء الأنبياء والمرسلين، وجود الأولياء
والصدّيقين، وإحسان المؤمنين والصالحين.

الزكاة في القرآن الكريم

ليس من مشيئة الله سبحانه وتعالى أن يجعل دينه العظيم مجرد طقوس
عبادية شكلية، ليس لها توجيه عميق للسلوك الفردي، أو تأثير كبير في الحياة
الاجتماعية والانسانية. وعلى سبيل المثال لا يجزي الانسان أن يقيم الصلاة وإن
أكثر منها وأباح لها الوقت المديد، حتى يؤدي الزكاة الى مستحقيها إن كان ممن
يقدر على الأداء، وهذا يعني أن الصلاة وهي عبادة روحية ومعنوية لا تقبل من
عباد الله حتى تضاف اليها العبادة المالية. أي أن الصلة بين العبد والرب يجب أن
تتعرض بآثارها الايجابية الرائدة على الصلة بين العبد وبنو جنسه.

لم يكن رسول الله اسماعيل (عليه السلام) بالذي يهتم شأن أهله - سواء
كان المقصود بالأهل أفراد أسرته الخاصة أم المقصود الأمة التي أرسل اليها - من
حيث إقامة الصلاة فحسب فيأمرهم بها، حتى يضيف الى ذلك الأمر بالزكاة في
سياقٍ بديع رائق من الوحدة التعبديّة، كما يقول تبارك وتعالى: «وَأذْكُرْ فِي
الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا * وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ
بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا»^(٢).

١ - غرر الحكم / ٨٤٤٦، مستدرک الوسائل / ١٥ / ٢٧٦.

٢ - مريم الآية / ٥٤ - ٥٥.

وإذا ما أراد بنو اسرائيل أن يكون الله معهم، فلم تكن إقامة الصلاة - على الرغم من منزلتها العليا في الأديان السماوية - هي الشرط الوحيد في المعية، بل هنالك شروط أساسية أخرى في المقام لا بد من اتباعها والعمل بها، من أهمها أن يؤتوا الزكاة ويقرضوا الله قرضاً حسناً، أو كما قال عز وجل: «وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ وَأَقْرَضْتُمُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ» (١).

إن الإيمان بالله واليوم الآخر لا سيّما إذا كانت إقامة الصلاة إلى جانبه لشيء عظيم عقيدة وعملاً، بيد أنه لا يكفي أبداً لاطلاق الهداية الإلهية على من انضموا في هذا السلك حتى يؤدّوا الزكاة ولم يخشوا إلا الله، كما نرى ايضاح ذلك والتأكيد عليه في الآية القرآنية المباركة: «إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَءَاتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ» (٢).

إن ايتاء الزكاة الواجبة والمستحبة من الركائز الرئيسية التي لا محيص عنها لتأهيل انسان ما للقيادة العامة للناس؛ فليس يصلح للقيادة العامة من كان بخيلاً أو شبه بخيل، بل ولا من كان نصف كريم: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ» (٣). وهذه الآية النازلة بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لما تصدّق بالخاتم في ركوعه ومنحه للسائل

١٩٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 لمن أفضل الأدلة على ما ذكرناه آنفاً (أن الصلاة وهي عبادة روحية ومعنوية لا
 تقبل من عباد الله حتى تضاف إليها العبادة المالية). فيا لله وللجود المقدس ما
 أروعهُ وأجملهُ! ويا لله! ولهذا الجواد الفذ الذي قد شغفه الجود حُباً حتى أنه لا
 ينسى ذكره والعمل به وهو راکع في الراكعين. وإنه ليعلم علم الموقنين أن حلقات
 الجود والركوع سلسلة ذهبية محكمة يتمم بعضها بعضاً، وكلاهما من أكبر
 الوسائل وأنجحها في التمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها والله سميع
 عليم»^(١).

لقد أثنى القرآن المجيد على المحسنين وأطراهم في العديد من الآيات
 ووعدهم بالرحمة والخير والكرامة بأفضل ما يوعد انسان على وجه الأرض،
 ولكن من هم المحسنون بحسب لب الحقيقة والواقع؟ إنهم من تبرز شخصياتهم
 الكريمة واضحة للعيان في قول الله سبحانه: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ *
 ءَاخِذِينَ مَا ءَاتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا
 يَهْجَعُونَ * وَيَبَالُغُونَ فِي السُّعَادِ * هُمْ يَسْتَعْجِلُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ
 وَالْمَخْرُومِ»^(٢).

أو إنهم بعبارة ثانية من يشير لهم بإيجاز قوله تبارك وتعالى: «تِلْكَ ءَايَاتُ
 الْكِتَابِ الْحَكِيمِ * هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ
 الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ»^(٣).

وهكذا نشاهد الزكاة في جميع هذه الآيات المارة علينا وهي مقرونة
 بالصلاة، ولا عجب في الأمر إذ طالما ينضم ذكر الزكاة الى ذكر الصلاة في الكثير

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيتار ١٩١
من آيات الكتاب العزيز .

حسب الزكاة أهمية ومقاماً وشرفاً أن تُقرن بصورة مؤكدة عليها في القرآن والسنة بالصلاة التي قال عنها الله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا» (١).

نعم تُقرن بالصلاة التي وصفها الرسول الخاتم «صلى الله عليه وآله وسلم» بقوله المشهور: الصلاة قربان كل تقي . كما قد نعتها «صلى الله عليه وآله وسلم» بقوله الشريف: لكل شيء وجه ووجه دينكم الصلاة .

إنه ليس من أمدٍ محدّدٍ تصل إليه الصلاة فيسقط العمل بها وجوباً أو استحباباً حتى تتمزق شرايين العمر وأوردته، كما انه ليس من أمدٍ محدّدٍ تصل إليه الزكاة فيسقط العمل بها وجوباً أو استحباباً حتى تتمزق شرايين العمر وأوردته . ولنستمع وكلنا آذان صاغية الى روح الله وكلمته وهو يرفع شعاره ويغرّد بانشودته الربانية الساحرة للأفئدة والألباب: «وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصِنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا» (٢).

نُبذة من أحاديث الزكاة

١ - عن علي (عليه السلام)، أن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» قال: ما كرم عبد على الله إلا ازداد عليه البلاء، ولا أعطى رجل زكاة ماله فنقصت من ماله، ولا حبسها فزادت فيه، ولا سرق سارق شيئاً إلا حُسِبَ من رزقه (٣).

٢ - مريم، الآية / ٣١.

١ - النساء، الآية / ١٠٣.

٣ - دعائم الإسلام ١ / ٢٤١.

١٩٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٢ - عن أمير المؤمنين (عليه السلام) عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: إذا أردت أن يثري الله مالك فزكّه، وإذا أردت أن يصحّ الله بدنك فأكثر من الصدقة^(١).

٣ - عن حمّاد بن عمرو وأنس بن محمد عن أبيه جميعاً عن الصادق عن آبائه (ع) في وصيّة النبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» لعليّ (عليه السلام) قال: يا عليّ كُفِرَ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَشْرَةً. وَعَدَّ مِنْهُمْ مَانِعَ الزَّكَاةِ. ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ ثَمَانِيَةَ لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُمْ الصَّلَاةَ. وَعَدَّ مِنْهُمْ مَانِعَ الزَّكَاةِ. ثُمَّ قَالَ يَا عَلِيُّ مَنْ مَنَعَ قَيْرَاطًا مِنْ زَكَاةٍ مَالِهِ فَلَيْسَ بِمُؤْمِنٍ وَلَا بِمُسْلِمٍ وَلَا كَرَامَةً. يَا عَلِيُّ تَارَكَ الزَّكَاةَ يَسْأَلُ اللَّهُ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ: «حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ»^(٢).

٤ - علي عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: إن لله بقاعاً يُدعين المنتقمات، يصبُّ عليهنَّ مَنْ مَنَعَ مَالَهُ مِنْ حَقِّهِ، فَيَنْقَمَنَّ مِنْهُ^(٣).

٥ - عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر محمد الباقر (ع) قال: وجدنا في كتاب علي: قال رسول الله «ص»: إذا مُنِعَتِ الزَّكَاةَ، مَنَعَتِ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا^(٤).

٦ - قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): من أعظم النَّاسِ حَسْرَةً؟ قال: مَنْ رَأَى مَالَهُ فِي مِيزَانٍ غَيْرِهِ فَأَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ النَّارَ وَأَدْخَلَ وَارِثُهُ بِهِ الْجَنَّةَ. قيل:

١ - بحار الأنوار، ٩٣ / ٢٣.

٢ - وسائل الشيعة ٩ / ٣٤ الحديث (١١٤٥٥)

٣ - علي بن حميد القرشي، شمس الأخبار المنتقى من كلام النبي المختار، ٥٩ / ٢، وفيه: فينقمن منهن، والظاهر أنه تصحيف فينقمن منه.

٤ - وسائل الشيعة (١١٤٣١).

فكيف يكون هذا؟ قال: كما حَدَّثَنِي بَعْضُ إِخْوَانِنَا عَنْ رَجُلٍ دَخَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ يَسُوقُ، قَالَ لَهُ: يَا فُلَانُ مَا تَقُولُ فِي مِائَةِ أَلْفٍ فِي هَذَا الصَّنْدُوقِ؟ قَالَ: مَا أَدَّيْتُ مِنْهَا زَكَاةً قَطُّ وَلَا وَصَلْتُ مِنْهَا رَحِمًا قَطُّ. قُلْتُ: فَعَلَى مَا جَمَعْتَهَا؟ قَالَ: لِخُفُوقِ السُّلْطَانِ وَمُكَاتِرَةِ الْعَشِيرَةِ وَلِخُوفِ الْفَقْرِ عَلَى الْعِيَالِ وَلِرَوْعَةِ الزَّمَانِ. قَالَ: ثُمَّ لَمْ يَخْرُجْ مِنْ عِنْدِهِ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهُ. ثُمَّ قَالَ عَلِيُّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْهَا مَلُومًا مَلِيًّا، بِبَاطِلٍ جَمَعَهَا، وَمِنْ حَقِّ مَتْعَهَا فَأَوْعَاهَا، وَشَدَّهَا فَأَوْكَاهَا، فَتَقَطَّعَ فِيهَا الْمَقَاوِرَ وَالْقِفَارَ، وَلُجَجَ الْبِحَارِ. أَيُّهَا الْوَاقِفُ لَا تَخْدَعْ كَمَا خُدِعَ صَوَيْحِبُكَ بِالْأَمْسِ، إِنَّ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ حَسْرَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ رَأَى مَالَهُ فِي مِيزَانِ غَيْرِهِ، أَدْخَلَ اللَّهُ هَذَا بِهِ الْجَنَّةَ وَأَدْخَلَ هَذَا بِهِ النَّارَ (١).

٧ - قال علي (عليه السلام): إِنَّ الزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ الصَّلَاةِ قُرْبَانًا لِأَهْلِ الْإِسْلَامِ؛ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيَّبَ النَّفْسَ بِهَا، فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ النَّارِ حِجَازًا وَوَقَايَةً، فَلَا يُتْبَعَنَّ أَحَدٌ نَفْسَهُ، وَلَا يُكْتَبَرَنَّ عَلَيْهَا لَهْفَةً، فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ النَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا، فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ، مَغْبُورٌ الْأَجْرُ، ضَالٌّ الْعَمَلِ، طَوِيلُ النَّدَمِ (٢).

٨ - عن علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أَنَّهُ أَوْصَى فَقَالَ فِي وَصِيَّتِهِ: وَأَوْصِي وَلَدِي وَأَهْلِي وَجَمِيعَ الْمُؤْمِنِينَ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَاللَّهُ اللَّيْلَةُ فِي الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا تَطْفِئُ غَضَبَ رَبِّكُمْ (٣).

١ - مستدرک الوسائل ١٥ / ٢٧٢، الحديث (١٨٢١٩).

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٠ / ٢٠٣، ومن كلام له (عليه السلام) كان يوصي به أصحابه / ١٩٢، وسائل الشيعة (١١٤٣١).

٣ - دعائم الإسلام ١ / ٢٤١.

٩- وقال علي (عليه السلام): من أدى زكاة الفطرة، أتم الله له بها ما نقص

من زكاة ماله^(١).

الزكاة أبعاد شمولية في منهج علي بن أبي طالب

ما إن يطلق لفظ الزكاة حتى يتبادر إلى الأذهان المعنى المالي لها المعروف لدى السنة المتشرعة والمرتكز في العقول لا أكثر من ذلك، وهذا شيء صحيح ضمن دائرة الفقه الاسلامي، ولكن الإمام علي بن أبي طالب قد أبدع غاية الابداع في التوسيع الكبير الشامل للمدنيات المفهومية للزكاة، فهو وإن أكد على الزكاة بمعناها الفقهي المعروف تأكيداً من شتى النواحي والجهات، بيد أنه أيضاً جعل الزكاة بإزاء كل فضلٍ وخيرٍ في الحياة، وكلّ نعمةٍ ورحمةٍ في الوجود، وكلّ قدرةٍ وطاقَةٍ ايجابيةٍ في الإنسان، وكلّ سبيلٍ مُشرقٍ في التربية والسلوك والأخلاق. وليس علينا إلا أن نقتص الإمام العظيم في حكمه وكلماته النورانية التالية في سبيل أن نستطلع بأنفسنا مقدار صحة هذه المقولة وصواب محتواها:

١ - العفو زكاة الظفر^(٢).

٢ - زكاة العلم بذله لمستحقه وإجهاد النفس في العمل به^(٣).

٣ - زكاة البدن الجهاد والصيام^(٤).

١ - ابن طاووس، إقبال الأعمال / ٢٧٤.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ١٩ / ٣١، من الحكمة / ٢٠٧.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ١٣٢، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٩٧.

٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٣٣٥٨، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٩٤.

- ٤ - زكاة الصحة السعي في طاعة الله^(١).
- ٥ - زكاة الجمال العفاف^(٢).
- ٦ - زكاة الشجاعة الجهاد في سبيل الله^(٣).
- ٧ - زكاة الظفر الإحسان^(٤).
- ٥ - زكاة السلطان إغاثة الملهوف^(٥).
- ٩ - زكاة القدرة الإنصاف^(٦).
- ١٠ - زكاة المال الإفضال^(٧).
- ١١ - زكاة النعم اصطناع المعروف^(٨).
- ١٢ - زكاة اليسار بز الجيران، وصلته الأرحام^(٩).
- ١٣ - زكاة الحلم الاحتمال^(١٠).
- ١٤ - التواضع زكاة الشرف^(١١).

-
- ١ - غرر الحكم، الحكمة / ٣٣٩٦، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٨٦.
 - ٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٤٠٩، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٨٨.
 - ٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٧٦٦٦، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٨٧.
 - ٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٧٦٨٢، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٩٢.
 - ٥ - غرر الحكم، الحكمة / ٧٨٠٣، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٨٥.
 - ٦ - غرر الحكم، الحكمة / ٧٨٢١.
 - ٧ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٧٠٧، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٨٩.
 - ٨ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٩٦.
 - ٩ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٢٩٤، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٩٩٥.
 - ١٠ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٦٣٨. ١١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٥١٣٢.

١٥ - زكاة الجاه بذله (١).

١٦ - إِنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ جَاهِكُمْ، كَمَا فَرَضَ عَلَيْكُمْ زَكَاةَ مَا مَلَكَتْ أَيْدِيكُمْ (٢).

الزكاة سمة رئيسية من سمات العابد

روي عن علي (عليه السلام) أنه قال: للعابد ثلاث علامات: الصلاة، والصوم، والزكاة (٣).

كثيراً ما يوصف إنسان ما على طول التاريخ بالعابد أو أنه كان عبّاداً، والمقصود من ذلك - بعد الفحص والتّسبّع لمدلول هذه اللفظة عند المشهور: كثرة الصلاة والدعاء وقراءة القرآن والتهجّد بالليل ونحو ذلك، ويضاف إليها أحياناً الاقبال الشديد على الصيام. أما أن يجعل من العلامات الرئيسية للعابد ومن مقوّمات العبادة ايتاء الزكاة، فهذا من الإضاءات المشرقة لمنهج إمام الدين والدنيا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

من هذا المنطلق ينبغي حمل النصوص الدينية الوافرة جداً والواردة في فضل العبادة وسمو شأن العابد ومقاماته الروحية على المعنى الذي يدخل في إطاره وضمن محتوياته ايتاء الزكاة. لا تقصد بذلك العبادة بالمعنى الأعمّ التي تشمل كلّ جزئيات الاسلام بما فيها الزكاة، بل تقصد العبادة بالمعنى الأخصّ. اللهم إلا في حالة وجود قرائن معينة تصرف اللفظ إلى خصوص عبادة محدّدة في تلك النصوص، مثال ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف الذي رواه الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «

١ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٤٧٢.

٢ - وسائل الشيعة / ٢١٨١٦.

٣ - القاضي النعمان، دعائم الإسلام / ١ / ٢٤١.

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ١٩٧
لشائب موهق في الذنوب سخياً أحب إلى الله من شيخ عابدٍ بخيل^(١). وذلك لو
كان هذا الشيخ العابد مؤدياً للزكاة لم يوسم بالبخل.

وبناءً على المفهوم الذي يطالعهنا به منهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب
للفظة العابد، نعلم أن العبادة ليست علاقة ثنائية خاصة بين العبد وربّه فحسب -
كما يقول الذين يحاولون اقضاء الدين عن مسرح الحياة العامة - بل انها علاقة
ايجابية فعّالة بين الانسان وأخيه الانسان كذلك، وأداء كريم للحقوق الماليّة
للآخرين، حتى تقضي على الكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية على
مستوى الفرد والدولة، وحتى تحلّ الكثير الكثير من حوائج الفقراء والمساكين
وأبناء السبيل وغيرهم.

«لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ
فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تظَلْمُونَ»^(٢).

آكل الربا ومانع الزكاة حرب للإمام علي

لقد جاء في كتاب مسند الإمام زيد: زيد بن علي عن أبيه عن جدّه عن
علي «رضي الله عنهم»: قال: آكل الربا ومانع الزكاة حرباي في الدنيا
والآخرة^(٣).

١ - جامع الأخبار / الفصل التاسع والستون / ١١٢، وفي بحار الأنوار، ٧١ / ٣٥٦:

مرهق في الذنوب. وكان الصحيح ما أثبتناه في المتن أي موهق في الذنوب بدل مرهق والظاهر
أن ذلك من اشتباه النساخ، والوهق: الحبل تشدُّ به الخيل والابل وغيرهما وهو مفرد أوهاق،
قال الفراهيدي في كتابه العين: الوهق الحبل المغار يُرمى في أنشوطه فتؤخذ به الدابة والانسان.

٣ - مسند الإمام زيد / ١٧٩.

٢ - البقرة، الآية / ٢٧٢.

١٩٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

لا ريب أنّ منهج أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ذلك المنهج العظيم - عليّ مستوى الدين والدنيا - والذي ينبض بالروح الأخويّة الصادقة، ويزخر بالقيم الإنسانيّة البناءة، كما يُعرف ذلك بشقافيّة ووضوح من شتى مفرداته الجزئية وخطوطه العريضة. ومن كان بهذه الصورة المتألّقة فلا بدع إذاً أن لا يرتضي ولا يستحبُّ أبداً كلّ ما يتنافى وهذه الروح الأخويّة والقيم الإنسانيّة، بل لا بدع إذاً أن يتصدّى بكلّ ما أوتي من قوّة وعزيمةٍ وتخطيطٍ لمكافحتها ومقاومتها، إضافة إلى تبيين أخطائها وأخطارها وأضرارها.

إنّ كلاً من آكل الربا ومانع الزكاة مرتكب للحرام ومخالف للقوانين الإلهية بالنصّ البيّن الصريح للقرآن والسنة، فمن أين لا يحارب رجل الحلال والحرام وأمين القوانين الإلهية، من يشدُّ عن طريقها ويعصي أحكامها وينأى عن أهدافها؟

وإنّ كلاً من آكل الربا ومانع الزكاة قد تجافى عن مفاهيم الرحمة الإنسانيّة والتعاون الرؤوف والتعاطف الاجتماعي. ولو كان آخذ الربا رحيماً عطوفاً بأبناء جنسه لاستبدل الربا وطغيانه بالجود والاحسان أو بالقرض والادانة، فما أقرب الشبّة ما بين الذي يمتصّ الأموال ويسلبها، وما بين من يمتصّ الدماء ويشربها.. ولو كان المانع للزكاة رحيماً عطوفاً بأبناء جنسه لأكرمهم وأعان فقراءهم ونعّش مساكينهم وجبرّ العظام الكسيرة للمحتاجين منهم ولم يبخل عليهم بما جعله الله لهم من الحقوق. إذاً فمن أين لا يحارب رجل الرحمة والعطف والرأفة من كانا على الضدّ من ذلك سواء أعلننا الشهادتين في الاسلام، أم لم يعلنناها؟

وإذا كان قول الإمام: آكل الربا ومانع الزكاة حرباي في الدنيا. بليغاً جداً، بعيداً في هدفه وعميقاً في آثاره، فإن أبلغ منه وأبعد هدفاً وأعمق أثراً أن يصبح ويمسي آكل الربا ومانع الزكاة في حرب ضروس معه (عليه السلام) في الدار

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ١٩٩
الآخرة. مما يعني بالضرورة أن لا صلح ولا هودة ولا سلام، بين آكل الربا
ومانع الزكاة وبين الإمام الأكبر.

فيا ابن أبي طالب.

يا أغرودة القيم الإنسانية السماء.

أعانك الله في حربك وبارك لك فيها ومنحك النصر المؤزر والفتح المبين
متحاً سراً مدياً.

ويا أصحاب التطلعات الخيرة والنزعات الإنسانية.

سدّد الله خطاكم وشدّد على أيديكم وجعلكم من المتمسكين بأخلاقية علي
بن أبي طالب وإنسانيته التي لا تضارع ولا تطال - بعد إنسانية نبيه وأستاذه
الرسول محمد بن عبد الله «صلى الله عليه وآله وسلم».

«وَأَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي
أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ
الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ»^(١).

تفسير قوله تعالى «ويمنعون الماعون»

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ * وَلَا يَحْضُ عَلَيَّ

٢٠٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
طَعَامِ الْمِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ
يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ» (١).

الماعون هو الزكاة المفروضة

قال جلال الدين السيوطي: أخرج الفريابي، وسعيد بن منصور، وابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والحاكم، والبيهقي في سننه، عن علي بن أبي طالب قال: الماعون الزكاة المفروضة يراؤون بصلاتهم ويمنعون زكاتهم (٢).

وذكر كل من القاضي النعمان في كتابه الموسوم بـ«دعائم الإسلام» والعلامة المجلسي في «بحار الأنوار» ما يؤيد صحة النقل عن علي في الكتب التي أشار إليها الحافظ السيوطي؛ فقد روى عن علي (عليه السلام) أنه قال: الْمَاعُونَ الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ وَمَانِعُ الزَّكَاةِ كَأَكْلِ الرَّبَا وَمَنْ لَمْ يُزَكِّ مَالَهُ فَلَيْسَ بِمُسْلِمٍ (٣).

كما روى المفسر المعروف محمد بن جرير الطبري في تفسير سورة الماعون - التي يقال لها أيضاً سورة أرأيت وسورة اليتيم وغير ذلك من الأسماء - روايات كثيرة عن علي بن أبي طالب يفسر فيها الماعون بالزكاة لا غير، ففي بعضها زكاة أموالهم، وفي بعضها أنها الصدقة المفروضة. إلا أنه نقل أيضاً رواية واحدة لا أكثر عن علي كذلك يفسر فيها الماعون بالزكاة، والفأس والدلو والقدر. أي أنه يضيف إلى الزكاة ما يستعيره الناس بعضهم من بعض من أدوات المنزل وبعض الأمتعة كالأمثلة التي ذكرها. قال الطبري: حدثنا يعقوب بن إبراهيم قال: أخبرنا ابن عليه

١ - الماعون الآية ١ - ٧.

٢ - جلال الدين السيوطي، الدر المنثور، في تفسيره لسورة الماعون.

٣ - دعائم الإسلام ١ / ٢٤٧، وبحار الأنوار ٩٣ / ٢٩ باب ١ - وجوب الزكاة وفضلها

وعقاب تاركها، ومستدرك الوسائل (٧٥٤٥).

نَصَائِحُ وَتَوْصِيَّاتٌ عَامَّةٌ فِي فَلَاسِفَةِ الْجُودِ وَالْإِيثَارِ ٢٠١
قال: ثنا الليث، عن ابن اسحاق، عن الحارث، قال: قال علي (رضي الله عنه):
الماعون: منع الزكاة والفأس والدلو والقدر.

وقد نقل كثير من المفسرين عن عبد الله بن عمر ومحمد بن الحنفية ومجاهد
والحسن البصري وقتادة والضحاك وابن زيد تفسير منع الماعون بمنع الزكاة؛
موافقة لما هو المشهور في الروايات عن عليّ. وتفسير الماعون بما يستعيره
الناس بعضهم من بعض من أدوات المنزل دون الإشارة إلى الزكاة رأيت كثيرين من
المفسرين القدماء ومن بعدهم إلى العصر الحديث، وأول من قال به من العلماء
الصحابي عبد الله بن مسعود الذي تظافرت النقول عنه بذلك. وكان عبد الله بن
عمر أول من ردّ عليّ هذا الرأي بشكل صريح وسافر بعد أن قيل له أن ابن مسعود
يقول كذا وكذا، فأصرّ عليّ تفسير الماعون بالزكاة وقال: هو ما أقول لك.

الماعون في اللغة

للماعون في اللغة العربية أكثر من معنى فهو: الماء، كما في قول القائل: يمجُّ
صبيْرُه الماعونَ صَبًّا^(١)، وهو كل ما فيه منفعة، قال الزجاج: الماعون في الجاهلية
ما كان فيه منفعة كالفأس والقدر والدلو والقداحة ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضاً،
وهو المال في لغة قريش، كما نقل ذلك سعيد بن المسيب وابن شهاب الزهري.
وقال الراعي النميري -العصر الأموي- وهو يفسر الماعون بالزكاة:

عرب نرى لله في أموالنا حَقَّ الزكاة مُنزلاً تنزيلاً

قوم على الإسلام لما يمنعون ماعونهم ويسبدلو تبديلاً^(٢)

أقول: ما ذكره الزجاج عن العرب في معنى لفظ الماعون إنما هو عن
عامتهم، وأما في لغة قريش خاصة وهي اللغة التي أنزل بها القرآن فهو بمعنى

٢٠٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
المال، كما حدث بذلك عنها اثنان من علمائها في العصر الأموي أحدهما
مخزومي والآخر زهري كما تقدم.

تفسير الماعون في ما روي عن الرسول وأهل بيته

- عن علي (عليه السلام) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن
رَجُلًا سَأَلَهُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ «وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا
يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ» قَالَ: أَمَا سَمِعْتَ قَوْلَهُ: «قَوْلٌ لِلْمُصَلِّينَ
الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاؤُونَ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ». أَلَا إِنَّ
الْمَاعُونَ الزَّكَاةَ. ثُمَّ قَالَ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا خَانَ اللَّهُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ زَكَاةٍ
مَالِهِ إِلَّا مُشْرِكٌ بِاللَّهِ (١).

يريد أن يبين رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أن المراد بالمشركين
في هذه الآية ليس المشركين بالمعنى المصطلح عليه والمعهود من الكلمة، وإنما
هم المسلمون الذين يَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ». ويشدد على هذا المعنى بقوله «صلى الله
عليه وآله وسلم»: مَا خَانَ اللَّهُ أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ زَكَاةٍ مَالِهِ إِلَّا مُشْرِكٌ بِاللَّهِ.

- روى الحسين بن زيد الشهيد عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)
حديث مناهي النبي «صلى الله عليه وآله وسلم» ومنه: نَهَى رَسُولُ اللَّهِ «صلى
الله عليه وآله وسلم» أَنْ يَمْنَعَ أَحَدُ الْمَاعُونَ جَارَهُ، وَقَالَ: مَنْ مَنَعَ الْمَاعُونَ جَارَهُ

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجرد والإيثار ٢٠٣
مَنَعَهُ اللَّهُ خَيْرَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَوَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ وَمَنْ وَكَّلَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَمَا أَسْوَأَ حَالَهُ (١).

قال الميرزا حسين النوري في «مستدرك الوسائل»: روى ابن مسعود عن النبي «صلى الله عليه وآله وسلم»: «أن الماعون المذكور في الآية الكريمة هو العواري من الدلو والقدر والميزان (٢).

محمد بن علي بن الحسين في «معاني الأخبار» باسناده عن زين العابدين علي بن الحسين (ع) أن قال: الذنوب التي تحبس غيث السماء: جور الحكام في القضاء وشهادة الزور وكتمان الشهادة ومنع الزكاة والقرض والماعون وقساوة القلب على أهل الفقر والفاقة وظلم اليتيم والأرملة وانتهاز السائل ورده بالليل (٣).

أسند الكليني عن علي بن إبراهيم عن أبيه عن الحسين بن سعيد عن فضالة بن أيوب عن أبي المغراء عن أبي بصير قال: كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) ومعنا بعض أصحاب الأموال فذكروا الزكاة فقال أبو عبد الله (عليه السلام): إن الزكاة ليس يحمدها صاحبها وإنما هو شيء ظاهر إنما حقت بها دمه وسمي بها مسلماً، ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة، وإن عليكم في أموالكم غير الزكاة. فقلت: أصلحك الله وما علينا في أموالنا غير الزكاة؟ فقال: سبحان الله أما تسمع الله عز وجل يقول في كتابه «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم»... وقوله عز وجل «ويمنعون الماعون» قال: هو القرض يُقرضه والمعروف يضمنه ومتاع البيت يُعبره، ومنه الزكاة. فقلت له: إن لنا جيراناً إذا

١ - من لا يحضره الفقيه ٤ / ١٣ / باب ذكر جمل من مناهي النبي «صلى الله عليه وآله

وسلم». ٢ - مستدرك الوسائل (١٦٠٠١).

٣ - وسائل الشيعة (٢١٥٥٦)، ومستدرك الوسائل (٩٨٧٣).

٢٠٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أعرناهم متاعاً كسروه وأفسدوه فعلينا جناح إن نمنعهم؟ فقال: لا ليس عليكم
جناح إن تمنعوهم إذا كانوا كذلك^(١).

- روى الكليني باسناده عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن عثمان
بن عيسى عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ
وَجَلَّ فَرَضَ لِلْفُقَرَاءِ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ فَرِيضَةً لَا يُحْمَدُونَ إِلَّا بِأَدَائِهَا وَهِيَ الزَّكَاةُ
بِهَا حَقُّوا دِمَاءَهُمْ وَبِهَا سُمُّوا مُسْلِمِينَ وَلَكِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ
حَقُّوقًا غَيْرَ الزَّكَاةِ... وَالْمَاعُونَ أَيْضًا، وَهُوَ الْقَرْضُ يُقْرَضُ وَالْمَتَاعُ يُعِيرُهُ
وَالْمَعْرُوفُ يَصْنَعُهُ^(٢)..

- قال علي بن ابراهيم بن هاشم في تفسيره المعروف بتفسير القمي
وبتفسير علي بن ابراهيم وهو يفسر سورة الماعون:.. وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ: مثل
السراج والنار والخمير وأشباه ذلك مما يحتاج إليه الناس. وفي رواية أخرى:
الخمس والزكاة.

ملاحظة رئيسية

ما نسبه النوري في «مستدرك الوسائل»: إلى ابن مسعود حديثاً عن النبي
«صلى الله عليه وآله وسلم»: «أَنَّ الْمَاعُونَ هُوَ الْعَوَارِي مِنَ الدَّلْوِ وَالْقِدْرِ وَالْمِيزَانِ،
بعيد جداً ولا يصح التعويل عليه، إذ كثرت النقول عن ابن مسعود في معنى
الماعون في شتى الكتب المعدة لتفسير القرآن وفي غيرها كذلك، من دون أن
يُتَّسَبَّ ذلك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»، بل على أنه رأيه وفكرته

١ - الكافي ٣ / ٤٩٩ / باب فرض الزكاة... الحديث / ٩.

٢ - الكافي ٣ / ٤٩٨ / باب فرض الزكاة... الحديث / ٨ ووسائل الشيعة (١١٤٨٧)

خلاصة القول

ان معنى الماعون في الآية المباركة - بحسب ما نستظهره من أحاديث الرسول وأهل بيته (سلام الله عليهم) وجمعاً عرفياً بين النقول المختلفة المروية عنهم - هو الزكاة المفروضة إضافة الى ما يستعيره الناس بعضهم من بعض بحسب المتعارف من الأدوات المنزلية ومتاع البيت، أو كما قال عكرمة البربري تلميذ ابن عباس: رأس الماعون زكاة المال، وأدناه المنخل والدلو والابرة. وكذا ما ذكره أبو علي الطبرسي في «مجمع البيان» عن أبي عبد الله الصادق أنه قال: هو القرض تقرضه، والمعروف تصنعه، ومتاع البيت تعيره، ومنه الزكاة. ويمكن أن يضاف أداء الخمس الى الزكاة المفروضة، وما يستعيره الناس بعضهم من بعض. ولعل أئمة أهل البيت إنما لم يؤكدوا عليه في تفسير الماعون، لما كانت عليه الحكومات المتتالفة من منعهم الخمس أو محاولة اعطائهم شيئاً يسيراً منه من جهة، ومن جهة ثانية لأن الخمس يختص بالمتنمين الى هاشم - الجَد الأعلى للرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» - وهم قليلون نسبياً، أما الزكاة وما يستعيره الناس فهو عام بين الناس. وأما ما اشتهر من تفسير الماعون بما يتعاوره الناس فيما بينهم فحسب، أي من دون ايتاء الزكاة، فهو بعيد، بل في غاية البعد.

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ »^(١).

فَصْلٌ فِي الْقَنَاعَةِ

قال إمام الأئمة (سلام الله عليه)
العبدُ حُرٌّ ما قَنَعَ، الحُرُّ عبدٌ ما طَمَعَ

فَصْلٌ فِي الْقَنَاعَةِ

من الحالات الضرورية أن نعقد فصلاً مهماً جداً نستعرض فيه كثيراً من حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكلماته المضيئة حول القناعة، وهو فصل له قيمته الخاصة ذات الارتباط الوثيق بالتنظير للجود والإيثار، بل هو من دعائم البحث وأركانه؛ وذلك من حيث أن الناس من زاوية الإيثار والجود ما بين معطيٍ وآخذ، وكلا الجانبين يحتاج إلى القناعة، أما المعطي فاذا لم يمتلك سجية القناعة فإنه في الكثير الكثير من أوقاته وحالاته لا تسخو نفسه بالمال خشيةً من غير الأيام وتقلُّبِ الزمان، وحتى إن كان يحوز بالفعل أموالاً طائلة فإنه لا يقتنع بها، ويتطلع دائماً إلى المزيد من الملكية وسعة إطار الثروة.

وأما الآخذ فاذا لم يمتلك سجية القناعة، فإنه في الكثير الكثير من أوقاته وحالاته، لا يكفُّ عن التعرُّض للمسألة والطلب، والاستحاثات على مزيد الاستفادة من أموال الكرام، واستغلال جودهم وطيب أنفسهم، مما قد يسبب حرمانه، أو عدم احترامه وتقدير شخصيته ظاهراً وباطناً، أو أن ما يحصل عليه من أموال وامكانيات - بسبب جشعه والحاحه في الاسترقاد - يكون علّةً لحرمان أشقياء وبائسين ومحاربين من بعض الناس؛ لأنَّ الطاقة الثرائية للكرام والمفضلين مهما كانت عاليةً ومقدرةً، فإنها معدودة محدودة بلا ريب، وقابلة جداً للنفاد والتصحُّر والجفاف.

وبهذه الرؤية المدعمة بالدليل العقلي والمنطقي وبالتجربة الاجتماعية.. تتكوّن لدينا فكرة واضحة وأصيلة وجميلة عن أهميّة القناعة وعظمة آثارها -

٢١٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) بكل تأكيد - في الحياة الاجتماعية، وفي المسارات الأخلاقية العامة والخاصة، فضلاً عن المدارج والمسالك الروحية والنفسية المتنوعة.

ومن جملة حكم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) وكلماته المختارة عن مفهوم القناعة وفلسفتها، وضرورة التمسك بحجزتها والأخذ بعروتها الوثيقة، وعن دورها الفاعل والمؤثر في معالجة البؤس والفقر، ما تمثله أحاديثه وأقواله الرائعة والمستوسقة الآتية، كما أن فيها طائفة من أقواله الرشيدة في ذم الابتعاد المقيت والمزري عن القناعة:

- قال (عليه السلام): إنَّ سخاء النفس عمّا في أيدي الناس، لأفضل من سخاء البذل^(١).

- كُلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ^(٢).

- القناعة نعمة^(٣).

- قُرِنَ الْقَنُوعُ بِالْغِنَاءِ^(٤).

- المروءة القناعة والتجمل^(٥).

- اقنع بما أوتيته تكن مكفياً^(٦).

- العبدُ حُرٌّ ما قنع، الحرُّ عبدٌ ما طمع^(٧).

١ - علي بن محمد الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٣٣٧١.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٩ / ٣٦١، الحكمة / ٤٠٣.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٧٣.

٤ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٦٢١٥.

٥ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٧٤.

٦ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ١٨٢١.

٧ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٧٥.

- صفو العيش من القناعة^(١).
- القناعة علامة الأتقياء^(٢).
- القنوع عنوان الرضا^(٣).
- القناعة سيف لا ينبو^(٤).
- ينبغي للمؤمن أن يلزم الطاعة، ويلتحف الورع والقناعة^(٥).
- المتقي قانع متنزه متعفف^(٦).

مفهوم الدعوة إلى التزام مبادئ القناعة

ليست الدعوة إلى التزام مبادئ القناعة والعمل بموجبها دعوة إلى تحييب الفقر وتحييد المسكنة والعوز، بل هي دعوة خالصة ظهور إلى الابتعاد ما أمكن عن مطبات بغيضة كل البغض إلى المُشْرِع الأخلاقي وتتمثل بالشره والحرص والجشع وهي نعوت شريرة ولم تكن أبداً من مواصفات الطيبين من الناس والكرماء من الخلق.

ومن هذا المنطلق فليست الدعوة إلى التزام مبادئ القناعة والعمل بموجبها دعوة موجّهة إلى الفقراء ليحتملوا الفقر ويرتضوه منهجاً في الحياة الاقتصادية والاجتماعية، إذ لم يكن الفقر - أبعد الله - مَكْسَبَةً أخلاقيةً أو مَنقِبَةً دينيةً حتى يرشد إليها الأنبياء وأئمة الدين أو ينصح بها المصلحون الاجتماعيون،

١ - محسن الأمين، معادن الجواهر، ١ / ٤٣٥.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٧٦. ٣ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٩٧٧.

٤ - المصدر نفسه، الحكمة / ٨٩٧٨.

٥ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ١.٢٢٧، و غرر الحكم، الحكمة / ١٥٧٥.

٦ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٧٩.

٢١٢..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
بل ان الجميع يُنصح باكتناف القناعة ويرشد اليها سواء كان الموجه اليهم الكلام من
الفقراء أو الأغنياء أو أغنياء الأغنياء؛ حيث ينبغي للجميع التأسي السحيق عن
الشهه والحرص والجشع .

وسوف يأتي إن شاء الله مزيد من تسليط الضوء على مفهوم الدعوة الى
التزام مبادئ القناعة في موضوع من لزَم القناعة زال فقره .

انتقم من حرصك بالقنوع

٢٣٠ - قال الإمام أمير المؤمنين صلوات الله عليه : **اَنْتَقِمْ مِنَ الْحَرِصِ
بِالْقَنَاعَةِ ، كَمَا تَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقِصَاصِ** (١).

من الضرورة الفكرية أن نحاول جهد الامكان معرفة وجه العلاقة والارتباط
ما بين صدر الحكمة العلوية (**اَنْتَقِمْ مِنَ الْحَرِصِ بِالْقَنَاعَةِ**) ، وما بين ذيلها (**كَمَا
تَنْتَقِمُ مِنَ الْعَدُوِّ بِالْقِصَاصِ**) .

الانتقام من العدو بالقصاص بسبب جنايته العدوانية الكبرى كجريمة القتل
العَمدي وجناية الجراحات المتعمدة لمن تكون **وَلِيٌّ ذِمَّة** في الحالة الأولى أو لمن
كان راغباً في الاقتصاص بالنسبة للحالة الثانية ، وهو ما يعبر عنه القران الكريم في
الآيتين المباركتين :

« **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ بِالْحُرِّ
وَالْعَبْدِ بِالْعَبْدِ وَالْأَنْثَى بِالْأُنْثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْهُ**

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة / ٢٠ / ٣١٤ ، الحكمة / ٦٠٧ . وقد ورد النص في
غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٨١ طبق الصورة التالية: انتقم من حرصك بالقنوع، كما تنتقم من
عدوك بالقصاص.

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢١٣
بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٍ إِلَيْهِ بِإِحْسَنٍ...»^(١).

«وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ...»^(٢).

وهذان النمطان من القصاص، يعبران معاً عن وجود حالة من الاعتداء الأثيم المقصود، وعن مشروعية اتخاذ القرار الذي يقضي بالقصاص العادل بالمثل من المعتدي، كجزاء قانوني لا ريب فيه.

إذاً ماذا يصنع هذا العدو المعنوي بالنفس الإنسانية، حتى يستوجب الأمر الشرعي القصاص منه؟ هذا ما تجيب عنه بدقة وبصيرة ثاقبة الحكم العلوية التالية فلنقرأها بتدبر وإمعان نظر، وهي توجد متفرقة في الكتاب القيم «غرر الحكم» للأمدى:

- خيرُ الناسِ مَنْ أخرجَ الحرصَ من قلبه، وعصى هواه في طاعة ربه.
- مَنْ جُمِعَ له مع الحرص على الدنيا البخلُ بها فقد استمسك بعمودي اللؤم.
- شدة الحرص من قوة الشره وضعف الدين.
- على الشك وقلّة الثقة بالله مبنّى الحرص والشح.
- عبدُ الحرصِ مخلدُ الشقاء.
- الحرص رأس الفقر وأُسُّ الشر.
- إياك والشره فإنه يفسد الورع ويدخل النار.

أما الحديث السليم المستقيم عن طريقة الانتقام وعن أسلوب ردع الظلّامة والاقتصاص العادل من العدو الظالم العاشم، فهو عبارة عن ارتداء ثوب القناعة، علماً يقيناً لا ريب فيه (إنك مدركٌ قسمك، ومضمون رزقك، مستوفٍ ما كتبت لك؛ فأرخ نفسك من شقاء الحرص، ومذلة الطلب، وثق بالله وخفض في المكتسب) على حدّ قول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام).

مَنْ عَقَلَ قَنَعَ

قال الإمام علي (صلوات الله عليه): مَنْ عَقَلَ قَنَعَ^(١).

جاء في الذكر الحكيم: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَايٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَيَّتْ وَظَنَّ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ»^(٢).

الحياة الدنيا إما حياة ألم ومحنة وعذاب وحرمان، وإما حياة راحة نسبية وسعادة محدودة ومال وجاه، علماً أنه حتى الوضع الثاني والأفضل من تلك الحياة وضع قريب المدى، هش المضمون، متأرجح المسار، مشوب بالحذر وغصة الانتقال إلى الوضع الأقل والأسوء.

فكيف لا يكون من العقل السليم والمنطق السديد أن يقتنع الإنسان بما رُزق ويرضى بما قُسم، ولا يبدي ضجراً شديداً لما حَصَلَ به من الأشجان والأتراح، ولا أسفاً كثيراً لما فاته من الترف المادي والهناء والأفراح، أو لما سيتوقع من تكدر أو فوات مستقبل الرغد المعيشي والأنس والحبور؟ إذا كان من القناعة أن لا نحزنَ لِمَا فات، فإن من القناعة أن لا نرتبكَ لما هو آت.

إن فكرة العاقل عن الحياة الدنيا ورؤيته الثاقبة للتحويلات الطبقيّة من وضع إلى وضع آخر، ومن سرور ونعيم إلى بؤس وشقاء، تصيّر منه انساناً حازماً غير

١ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٠٦٤، وغرر الحكم، الحكمة / ٨٩٩٧.

٢ - يونس، الآية / ٢٤.

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢١٥
مطمئن إلى استقرار أو ثبات لائح، ولا إلى شر واقع، الأمر الذي يورثه القناعة
ويرزقه لونا من الرضا والتسليم.

يقول الكاتب المصري أحمد جاد المولى: ليس شيء أروح للبدن من
الرضا بالقضاء والثقة بالقسم، ولو لم يكن في القناعة خصلة تُحمد إلا الراحة
وعدم الدخول في مواضع السوء لطلب الفضل، لكان الواجب على العاقل أن لا
يفارق القناعة على حال من الأحوال. وإن من عدم القناعة لم يزدّه المال غنى،
ومن قنع لم يتسخط وعاش آمناً مطمئناً^(١).

مقولة ابكتينوس

يروى عن إمام الإئمة القول: إذا لم يَكُنْ ما تُريد، فأرِدْ ما يكون^(٢).

للفيلسوف الرواقي ابكتينوس (٥٠ ق.م)، كلمة قريبة من هذا المعنى من
بعض الجهات حيث يقول في الفصل الثامن من بحثه / قواعد الأخلاق الرواقية:
لا تحاول أن يحدث ما يحدث على ما تريد، بل أرد ما يحدث على النحو الذي
يحدث عليه. إذا أنت أخذت هذه النصيحة كانت أيامك كلها سعيدة^(٣).

إلا أن مقولة ابكتينوس قد تتضمن عدم بذل الجهود الكافية لنيل المراد حتى
أدى الأمر إلى عدم نجاح السعي والمحاولة، فهي بالتالي شبيهة بالدعوة إلى
الاستسلام المبدئي والانقياد إلى مكاره الزمن ومشقة الحياة ولصوصية الأحداث
والوقائع من دون تحرك فعال أو مقاومة تُذكر. ومن هذا المنطلق إذا أنت أخذت

١ - الخلق الاسلامي الكامل / ٤٢٩.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٣٢٨، وغرر الحكم، الحكمة / ٩٠٠٧.

٣ - الدكتور فاروق عبد المعطي، نصوص ومصطلحات فلسفية / ٣٥١.

٢١٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
هذه النصيحة لا تكون أيامك كلها سعيدة.

أما كلمة الإمام علي فهي لا تتضمن هذا المعنى كما هو واضح عند المراجعة لها، ومن أين يطلب من الناس الانقياد والاستسلام من كان ولا يزال إلى اليوم بطل الجهاد الأوحى، ورمز المقاومة العنيدة الهادفة، وأسوة الكادحين والعاملين. نعم إذا خابت المساعي والجهود المضنية فليس أمام الساعي والكادح إلا تقبل الواقع المر بعد العجز عن تغييره واستبداله وليس بين يديه إلا تناول من الكأس التي تناول منها سقراط الحكيم.

القناعة أبقى عز

روي عن علي (عليه السلام): القناعة أبقى عز^(١).

للعز مصاديق كثيرة متعددة الجهات، ومن أهمها وأكبرها في نظر الناس: عز المناصب العالية، وعز الجاه والشرف الاجتماعي، وعز المال والثراء العريض.. ولكن السؤال لدينا يدور حول أبقى عز وأدومه، من بين هذه المصاديق المتعددة ونحوها؟

الجواب: إن المقارنة ما بين مصاديق العز جميعاً هي التي تفرض الجواب الصحيح وتفرض النتيجة القوية لذي عينين، ونحسب أنه لولا ذلك لبقى الجواب معتمداً والمجهول ماثلاً.

ولنبداً بالمقارنة بين عز القناعة وعز المناصب العالية. وبغض النظر عن اتصاف ذي المنصب الرفيع أحياناً بالقناعة، فإن المناصب وإن ارتقت وأحكم بناؤها فإنها عرضة للمؤامرات التي تُحاك ضدها وللسقوط والانهيال لمختلف

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢١٧

الأسباب المعروفة في إطار العلوم السياسية، بل هي معروفة لكثير من الناس. أما القناعة فإنها فوق المؤامرات والمنافسات، ولن تسقط أو تنهار في حال من الأحوال ما دام صاحبها مجتمع القوى ومستمسك بحبلها المتين. ثم نُثني بالمقارنة ما بين عز القناعة وعز الجاه والشرف الاجتماعي والذي كثيراً ما يسقط بسبب العوامل المختلفة المؤثرة على المجتمع أو الطائفة عليه، كما يسقط كذلك بسبب هفوة من الهفوات القبيحة اجتماعياً وكل انسان عرضة للهفوات والأخطاء، كما قد تحيّد الوجه اجتماعياً أو تأتي على بنيانه من القواعد تلك العوامل القاتلات من التحاسد والتباغض والتنافس، بل قد ينهار الوجه اجتماعياً ويحارب وليس له ذنب إلا ما يُحمل عليه جهلاً أو تجاهلاً من أخطاء بعض أهله وذويه والمقربين اليه. أما القناعة فهي في حصن حصين، ومعقل منيع، من كل ما يجري لوجهاء المجتمع ويؤثر على شرف وجودهم وعزة مقامهم.

ولنُثنت بالمقارنة ما بين عز القناعة وعز المال والثراء العريض، وقد علمنا جميعاً أو سمعنا بأخبار الكثيرين من الذين صودرت أموالهم المنقولة أو المنقولة وغير المنقولة، وعن الذين سُرقوا سرقات مجحفة ذهبت بالأخضر واليابس والقائم والحصيد، وعن الذين بارت تجارتهم وانكسرت بشكل لا تقوم معه لهم قائمة. أما القناعة فهي بمنأى سحيق عن المصادرات المتوقعة والسرقات المجحفة وعن كل ما يقال له بوار وانكسار.

نال العز من رزق القناعة

قال علي (صلوات الله عليه): نال العز من رزق القناعة^(١).

٢١٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

١ - ما أعظم أرزاق السماء وأكثر ألوانها وأنفعها للخلائق أجمعين!! ولا نكاد نعلم رزقاً من تلك الأرزاق الوافرة جداً إلا ويتوالد منه رزق أو أكثر إن أحسن الإنسان التصرف وأتقن التوظيف. فانظر بتدبير وتأمل إلى العقل والتفكير والذكاء والفظنة والزهد والقناعة والأموال وصحة الجسد وقوة اليقين ونور البصيرة وجمال الخلق إلى غير ذلك من الأرزاق المعنوية والمادية فسوف ترى كلَّ مَولودٍ جَميلٍ، لكلِّ والدٍ أصيلٍ.

٢ - لقد وصف الإمام أمير المؤمنين صفة القناعة بالرزق، ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى هو الوحيد في الوجود كله الذي يقسم الرزق بين المخلوقات ويثثره بين العباد، كما أن من المعلوم أن الله لا يرزق شيئاً سيئاً وإنما يرزق أصناف الخير وألوان الفضل والرحمة لا غير، ومن هذا المنطلق ينبغي للانسان القنوع أن يلتفت جيداً وأن يدرك بعمق أنه محظيٌّ برزق الواحد المتعال الذي يرزق من يشاء بغير حساب.

٣ - كان عليّ أمير المؤمنين يكثر من التأكيد في كلامه عليّ ما في القناعة من العزّ والغنى كما رأينا، وكما هو آت إن شاء الله من أحاديثه الشريفة.

٤ - كان السيد عليّ أبا النصر المصري (وفاته عام ١٢٩٨ للهجرة النبوية) قد نظر إلى هذا المعنى الجليل من كلام عليّ (عليه السلام) فقال من قصيدة:

وممن لزم القناعة نالَ عزاً وهمل بالذلّ منقبة تُنالُ^(١)

من لزِم القناعة زال فقره

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ لَزِمَ القِنَاعَةَ زالَ فقْرُه^(١).

ليس من الضروري أن يكون القانع فقير الحال، بل قد يكون كثير الأموال، أي لا تشترط في الوصف بالتنوع حالة مادية معينة، بل يشترط فيه - كأمر ضروري لا محيص عنه - الرضا بالقِسْمِ الإلهية، وتجنب الحرص والطمع، والنأي النزيه والعفيف عن حالتي الشره والجشع.

ولكن في الحالات التي يكون فيها القانع فقير الحال من الوجهة المادية كيف يقول عن مثله الإمام (عليه السلام) من لزِم القناعة زال فقره؟ ولنا جوابان محتملان للصحة والسداد في هذا الطريق من السؤال الذي قد يكون صعباً وشائكاً ألا وهما:

أولاً: إنه لفرق كبير بين إنسان يقتنع في بعض الأدوار الزمنية وضمن ملابسات معيشية معينة، وبين إنسان تكون القناعة شعاره ودثاره، أو كما في حكمة الإمام (من لزِم القناعة) فلزوم القناعة شيء، والاتصاف المؤقت أو السريع الخاطف بها شيء آخر.

وعلى هذا الأساس فمن كانت القناعة شعاره ودثاره، فهو غني النفس، وإن طول المِران في القناعة قد أكسبه القوة المعنوية التي لا يرى معها فقراً ولا حاجة للناس، فهو بهذا المعنى قد زال فقره، وَمَا فِتَاتِ القِنَاعَةُ منعشةٌ بعدَ الذواء، ملبِسةٌ تُوبَ الغناء.

ثانياً: معنى كلام الإمام (عليه السلام): من لزِم القناعة زال فقره، أن الله تبارك وتعالى هو المقدر للغنى والفقير بين الخلائق لمصالح هو أعلم بها «وَأَنَّهُ هُوَ

٢٢٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أَغْنَى وَأَقْنَى»^(١) والقاعدة العامة أن من رآه الله ملازماً للقناعة وراضياً بما قسم له
من الرزق؛ فإنه تعالى سيزيل فقره ويحسن أوضاعه المادية، أو يجعله غنياً ثرياً
غزير الأموال واسع الممتلكات،

القناعة هنا عيش

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام):

- نال الغنى من رزق اليأس عما في أيدي الناس، والقناعة بما أوتي،
والرضا بالقضاء^(٢).

- إذا أراد الله بعبدٍ خيراً ألهمه القناعة [ألهمه الطاعة وحبب إليه القناعة]
فاكتفى بالكفاف واكتسب بالعفاف^(٣).

- اقنعوا بالقليل من دنياكم لسلامة دينكم؛ فإن المؤمن البلغة اليسيرة من
الدنيا تقنعه^(٤).

- العجز اشتغالك بالمضمون لك عن المفروض عليك، وترك القناعة بما
أوتيت^(٥).

- مَنْ عَدَّتْهُ الْقِنَاعَةُ لَمْ يَغْنِهِ الْمَالُ^(٦).

١ - النجم، الآية / ٤٨.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٩١٨٩، وغرر الحكم، الحكمة / ٩٠٦١.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩٨٨. ٤ - المصدر نفسه، الحكمة / ٩٠٧٥.

٥ - المصدر نفسه، الحكمة / ٩٠٨٨.

٦ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٧٢٤. وجاء في المصدر ذاته قبيل ذلك: مَنْ عَدَمَ

القناعة لَمْ يَغْنِهِ الْمَالُ، الحكمة / ٧٧١١.

- مَنْ قَنَعَتْ نَفْسَهُ أَعَانَتْهُ عَلَى النِّزَاهَةِ وَالْعِفَافِ (١).

- مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى الْكَفَافِ تَعَجَّلَ الرَّاحَةُ وَتَبَوَّءَ خَفْضَ الدَّعَةِ (٢).

- مَنْ اقْتَنَعَ بِالْكَفَافِ، أَدَّاهُ إِلَى الْعِفَافِ (٣).

- مَنْ كَانَ بَيِّسِيرَ الدُّنْيَا لَا يَقْنَعُ، لَمْ يَغْنِهِ مِنْ كَثِيرِهَا مَا يَجْمَعُ (٤)(٥)(٦).

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٠٧٠.

٢ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٢٩٢.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٠٧١.

٤ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٢٤٥، وغرر الحكم، الحكمة / ٩٠٩٢.

٥ - وما قاله علي (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) حَوْلَ الْقِنَاعَةِ: اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبِيدِ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَاشْتَدَّتْ طَلِبَتُهُ وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ أَكْثَرَ مِمَّا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ الْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقَلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سُمِّيَ لَهُ فِي الذِّكْرِ الْحَكِيمِ. وَالْعَارِفُ لِهَذَا الْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ النَّاسِ رَاحَةً فِي مَنَفَعَةِ وَالتَّارِكُ لَهُ الشَّاكُ فِيهِ أَعْظَمُ النَّاسِ شُغْلًا فِي مَضَرَّةٍ. وَرَبُّ مَنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرِجٌ بِالنُّعْمَى وَرَبُّ مُبْتَلَىٍ مُضْطَوِّعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى فَرَدَّ أَيْهَا الْمُسْتَنْفَعُ فِي شُكْرِكَ وَقَصُرَ مِنْ عَجَلَتِكَ وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ.

نهج البلاغة، باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام / ٢٧٣.

٦ - ولنا في القناعة وفلسفتها التربوية هذه الأبيات:

مَنْ جَاوَزَ الْقِنَاعَةَ	أَرْكَسَ	بِالضَّرَاعَةِ
مَآذَا يَحَاوِلُ الْفِتَى	وَمِنْ كَثْرَةِ الْبُضَاعَةِ	
وَعُدُودٍ وَرُوحِيَّةٍ	يَحْسِبُهَا الْبِضْرَاعَةَ	
يَحْرَصُ حَرَصَ لَاهِفٍ	تَوَخَّزَهُ الْمَجَاعَةُ	
وَمَا بِهِ جُوعٌ سِوَى	الْحَرَصِ الَّذِي أَطَاعَهُ	
يَسْأَلُنِي عَنِ ثَرْوَةٍ	هَائِلَةٍ مَشَاعَةِ	
بَحِثْ عَنْهَا حَقِيقَةً	أَسْتَلْهُمُ النَّصَاعَةَ	
فِي مَشْرِقِ أَسْرَارِهِ	تَحْتِ الثَّرَى مُضَاعَةَ	
وَمَغْرِبِ مُتَضَحِّ	يَكْشِفُ لِي قِنَاعَهُ	
أَلْفَتَهَا	بِالزُّهْدِ وَالْقِنَاعَةِ	

القناعة صيانة تربويّة

قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): مَنْ وَهَبَتْ لَهُ الْقَنَاعَةُ صَانَتْهُ (١).

أَيَّ أَنَّ مَنْ كَانَتْ طَبِيعَتُهُ الْقَنَاعَةَ فَإِنَّهُ يَصَانُ عَنِ الْمَذَلَّةِ وَالْخُضُوعِ لِدَوِي الْمَالِ، كَمَا يَصَانُ عَنِ الْانْفِعَاسِ فِي الْمَحْرَمَاتِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْمَحْظُورَاتِ الْأَخْلَاقِيَّةِ طَلِباً لِلْمَالِ أَوْ لغيره، بِاعْتِبَارِ أَنَّ مَنْ قَنَعَتْ نَفْسَهُ أَعَانَتْهُ عَلَى النَّزَاهَةِ وَالْعِفَافِ عَلَى حَدِّ تَعْبِيرِ أَمِيرِ الْحُكَمَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ (٢). كَذَلِكَ يُصَانُ عَنِ صَوْلَةِ الْأَشْجَانِ وَالْآهَاتِ وَالضُّغُوطِ النَّفْسِيَّةِ الْحَاصِلَةِ مِنَ الْفَقْرِ وَضَرَاوَةِ الْبُؤْسِ وَالْحَرَمَانِ لَصِحَّةِ مَا يَقُولُهُ أَمِيرُ الْحُكَمَاءِ: عَلَيْكَ بِالْقَنُوعِ فَلَا شَيْءَ أَدْفَعُ لِلْفَاقَةِ مِنْهُ (٣).

وَمِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ نَتَّسِعَ فِي مَضَامِينِ دَائِرَةِ الصِّيَانَةِ مِنْ حَيْثُ عَدِمَ اقْتِنَصَارُهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ فَحَسَبَ، بَلْ تَشْمَلُ الْأَغْنِيَاءَ مِنَ الْكُرَمَاءِ أَيْضاً أَوْ مِنْ أَشْبَاهِ الْكُرَمَاءِ؛ فَتَصُونُ جَمَاعَةً مِنْهُمْ أَنْفُسَهَا عَنِ قَبْضِ الْكُفِّ عَنِ الْإِحْسَانِ وَالنَّوَالِ تَحْسِباً لِلطَّوَارِيءِ الْحَيَاتِيَّةِ الْمُحْتَمَلَةِ، كَمَا أَشْرْنَا إِلَيْهِ فِي الْحَدِيثِ عَنِ الْقَنَاعَةِ.

وبهذا المفهوم الجليل والرحيب للقناعة في الفكر العلوي نعرف أنّ القناعة في محتواها العميق وأبعادها السامية، عمليةً سنّيةً ناجحةً من كبريات العمليات

مَا الْعَيْشَ إِلَّا رَاحِلٌ مَن تَنْتَظِرُ وَدَاعَهِ
مَا الْخَيْرَ إِلَّا زَهْدُنَا وَالزَّهْدُ صَبْرٌ سَاعَةٌ
١ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٠٨٧. ٢ - المصدر نفسه، الحكمة / ٩٠٧٠.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٠٤٦، وعبون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٧٢.

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢٢٣

التربويّة والأخلاقيّة والسلوكية في صيانة الانسان، وفي حياطته من أدران الضعف والتدهور والتهاقت الذي يصيب بجرائمه الفتاكة أمة كبيرة من الذين ليست لديهم مناعة كافية ومحكمة تمنعهم من الخضوع والخشوع والانكسار أمام تحدّيات رغائب النفس واحتدام الفاقة، وجشوبة الحياة، وتجهّم مُحَيّا الليلي والأيام.

في قول الإمام علي (عليه السلام) (مَنْ وَهَيْتَ لَهُ الْقِنَاعَةَ صَانَتْهُ) إشارة طيبة الى أن القناعة موهبة إلهية أكثر منها تجربةً واكتساباً، وهذا لا يمنع من محاولة استصفائها والتلبس بها عن طريق التربية والتمارين النفسية. وقولنا القناعة موهبة إلهية لا يعني المنافاة مع كونها طبيعة في نفوس كثير من الناس من حيث أن الله تبارك وتعالى هو الذي قد منحهم تلك الطبيعة وأكرمهم بها كما أكرم ويكرم كثيراً من الناس بمختلف السمائل الحسناء والفضائل الجميلة.

البِشْرُ وطلاقةُ الوَجْهِ

يُحَسِّنُ الكَرِيمُ فَنَّ الطَّلَاقَةَ والبِشْرَاشَةَ إِمعاناً في الضيافة
والترحيب . ويا رَبِّما يُحَسِّنُ اللِّئيمُ فَنَّ الطَّلَاقَةَ والبِشْرَاشَةَ إِمعاناً
في التخلُّصِ اللامَشْرُوعِ مِنَ الضيافة وقضاء الحوائج .

البشرُ وطلاقةُ الوجه

إنَّ البَشَرَ وطلاقةُ الوجه من ناحية، والقُطوبَ وعبوسَ الوجه من ناحية ثانية، من الحالات النفسِيَّة للإنسان، بل من الغرائز المودعة فيه، تظهران وفقاً لوضعه النفسي الفعلي من الارتياح والانبساط والرضا، أو السخط والحزن وعدم الرغبة.

فإذا ما كان الانسان المضيِّف، أو الذي يُطلب منه قضاء حاجة من الحاجات مرتاحاً وراضياً بذلك بدا على أسارير محياه البشر وطلاقة الوجه كحالة طبيعِيَّة تبرز للعيان.

وإذا ما كان الانسان المضيِّف، أو الذي يُطلب منه قضاء حاجة ماكارهاً للأمر أو غير متفاعل معه تفاعلاً ايجابياً ظهر على أسارير محياه ما خامر تفكيره ووجدانه كحالة طبيعِيَّة تبرز للعيان، وإلا فلماذا يبدو القطوب وعبوس الوجه؟

والمقصود أن البشرَ وطلاقةُ الوجه بصورة عامَّة يدلان على القبول والتفاعل الايجابي لا في جميع الأحوال، وإلا فقد يكون الكريم ال /مفضال قاطباً عابساً لسبب آخر بعيد عن الموضوع. كما قد يكون اللئيم مظهرأ للبشر والطلاقة والبشاشة لسبب آخر بعيد عن الموضوع كذلك، كأن يساعده ذلك بشكل من الأشكال، على الاعتذار والفرار من الضيف والمحتاج.

أو يكون اظهار البشر لمصلحة تفرض نفسها مع كون المقابل لا يستحق هذا البشر، كالذي روي عن الحسن العسكري (عليه السلام): كان رسول الله « صلى

٢٢٨ فلسفة الجُودِ والإيثارِ لدى الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طالبٍ (عليه السلام)
الله عليه وآله وسلم» في منزله إذ استأذن عليه عبد الله بن أبي بن سلول فقال
رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: «بئس أخو العشيرة ائذنوا له . فلما دخل
أجلسه وبشر في وجهه . فلما خرج قالت له عائشة : يا رسول الله قلت فيه ما قلت
وفعلت به من البشر ما فعلت ؟

فقال رسول الله «ص»: «يا عويش يا حميراء إن شرَّ الناس عند الله يوم
القيامة من يُكرّم اتقاءً شرّه .

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إنا لنبشر في وجوه قوم وإن قلوبنا
تقلّهم ، أولئك أعداء الله نتقيهم على إخواننا لا على أنفسنا .

وجاء في كتاب «نظرة النعيم» ٣ / ٨٢١: قال علي بن أبي طالب (رضي الله
عنه): «من الدهاء ، حُسنُ اللقاء .

وقالت الصديقة فاطمة الزهراء (عليها الصلاة والسلام): «بشر في وجه
المؤمن يوجب لصاحبه الجنة ، وبشر في وجه المعاند المعادي يقي صاحبه عذاب
النار .

إلا أنه يبقى الفارق كبيراً بين بشر وطلاقة الكريم ، وبين بشر وطلاقة اللئيم
ولذا قد يصح لنا الكلام إذا ما قلنا:

إذا ابتسم الكريم فآكرمه ، وإذا عبس الكريم فارحمه .

وكذا قد يصح لنا القول إذا ما قلنا:

إذا ابتسم اللئيم فاحذره ، وإذا عبس اللئيم فاحتقره .

وهذه طائفة من الحكم العلوّية تحدّد المسار الصحيح ، وتؤكد على الدور

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢٢٩
البالغ الأهمية للبشر في استقبال الضيوف وطالبي الحوائج، كما تساعد كثيراً على
تفهم الموضوع وما ينبغي لأولي الألباب أن يختاروه لأنفسهم من البشاشة
والحبور والانبساط:

- الكريم أبلج، اللثيم ملهوج^(١).

- البشر مبرّة، العبوس معرّة.

- الطلاقة شيمة الحر.

- البشر يؤنس الرفاق.

- البشاشة حباله المودة.

- البشر إسداء الصنيعة بغير مؤونة.

- البشر منظر مونتق، وخلق مشرق.

- بالبشر ويسط الوجه يحسن موقع البذل.

- بشرك يدل على كرم نفسك وتواضعك ينبئ عن شريف خلقك.

- طلاقة الوجه بالبشر، والعطية، وفعل البر، وبذل التحية، داع إلى محبة

البرية.

- من بخل عليك ببشره، لم يسمع ببرّه.

١ - من الحكمة الكريم أبلج إلى وجه مستبشر، خير من قطوب مؤثر، نقلناها من كتاب

«غرر الحكم» الحكمة / ٩٩١٨ إلى ٩٩٤٢.

٢٣٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

- وجه مستبشر، خير من قطوب مؤثر.

أي أن الوجه المستبشر مع الفقر أو الحرمان والمنع المعذور صاحبه، خير من وجه القطوب المؤثر.

ونقل المؤرخ الكبير السيد محسن الأمين العاملي في المجلد الأول من كتابه «معادن الجواهر ونزهة الخواطر» عن رسالة خطية في جبل عامل تأليف الشيخ الجليل أبي علي الطبرسي صاحب التفسير المعروف بـ«مجمع البيان في تفسير القرآن» فيها ما يقرب من ثلاثمائة حكمة لأمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وقد نقلنا بعضها في هذا الكتاب بما يناسب المواضيع المختلفة، ومما جاء فيها بما ينطبق على الموضوع الحالي: بِشَاشَةِ الْوَجْهِ عَطِيَّةٌ ثَانِيَةٌ.

فَنُ الطَّلَاقَةِ وَالْبِشَاشَةِ

ولقد أحسن من قال: البشر دالُّ على السخاء من ممدوحك، وعلى الود من صديقك دلالة الثور على الثمر.

وكان يقال: ثلاث تبين لك الود في صدر أخيك: تلاقاه ببشرك، وتبدوئه بالسلام، وتوسع له في المجلس.

ولقد أجاد الوليد بن عبادة البحتري حيث يقول:

لو أن كـفك لم تجد لمؤمِّل

لكفاه عاجلٍ يشرك المُتَهَلِّل

ولو أنّ مجدك لم يكن متقادماً

أغناك آخر سودد عن أول

أدركت ما فات الكهول من الحجى

من عتفوان شبابك المستقبل

فإذا أمرت فما يقال لك اتئد

وإذا حكمت فما يقال لك اعدل

وأخيراً يبعثنا الموضوع الشيق حول البشر وانبساط النفس الى أن نقول بكل ثقة
وطمأنينة وتأکید: يُحسنُ الكريمُ فنَّ الطلاقة والبشاشة إمعاناً في
الضيافة والترحيب.

ويا ربّما يُحسنُ اللئيمُ فنَّ الطلاقة والبشاشة إمعاناً في التخلُّص
اللامشروع من الضيافة وقضاء الحوائج.

وفي هاتين الكلمتين الأخيرتين تعليل لما قلناه قبيل قليل:

إذا ابتسم الكريم فإكرمه، وإذا عبس فأرحمه.

إذا ابتسم اللئيم فأحذره، وإذا عبس فأحقره.

نظامُ الفتوة

قال إمامُ الأئمة

نظام الفتوة احتمال عثرات الإخوان

وحسن تعهد الجيران

فصل في الفتوة

إنَّ صِفَةً يَعْتَرِّ بِهَا مَنْقَدُ الْبَشَرِيَّةِ وَخَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»، لَهَا صِفَةٌ بَارِعَةٌ وَجَدِيدَةٌ بِالْبَحْثِ وَالتَّنْقِيبِ وَالتَّفْهَمِ مِنْ أَجْلِ اسْتِيعَابِ مَحْتَوَاهَا الْفِكْرِي وَأَبْعَادِهَا الْأَخْلَاقِيَّةَ وَالتَّرْبُويَّةَ، وَإِنَّهَا لَصِفَةٌ جَمِيلَةٌ وَحَرِيَّةٌ بِالْإِكْبَارِ وَالْإِجْلَالِ وَالتَّقْدِيسِ عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ، وَإِنَّهَا لَصِفَةٌ رَائِعَةٌ قَمِينَةٌ بِالْإِكْتِثَارِ مِنْ ذِكْرِهَا وَتَرْدَادِهَا أَبَدًا فِي سَبِيلِ الْإِمْعَانِ فِي التَّرْوُدِ مِنْهَا مَا أَمَكْنَ، وَإِقْتِفَاءِ أَثَرِهَا الطَّيِّبِ الْكَرِيمِ، وَالتَّجْوَالِ فِي مَرْعَاهَا الْخَصِيبِ النَّضِيرِ. إِنَّهَا صِفَةُ الْفُتُوَّةِ فِي مَعْنَاهَا الْمَشْرِقُ وَالْأَصِيلُ.

قال العالم الرباني الشيخ محمد الصدوق (رض) في كتابيه الأمالي، ومعاني الأخبار: ابن إدريس، عن أبيه، عن ابن أبي الخطاب، وابن يزيد، ومحمد بن أبي الصهبان، جميعاً، عن ابن أبي عمير، عن أبان بن عثمان، عن الصادق، عن أبيه، عن جدّه (ع) قال: إنَّ أَعْرَابِيًّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ فِي رَدَاءٍ مَمَشَقٍ. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ خَرَجْتَ إِلَيَّ كَأَنَّكَ فَتَى!

فقال «ص»: نعم يا أعرابي أنا الفتى، ابن الفتى، أخو الفتى.

فقال: يا محمد أما الفتى فنعم، فكيف ابن الفتى وأخو الفتى؟

فقال: أما سمعت الله عز وجل يقول: «قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذُكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ»^(١). فأنا ابن إبراهيم، وأما أخو الفتى فإن منادياً نادى من السماء يوم

٢٣٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أحد: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي. فعلي أخي، وأنا أخوه^(١).

إذاً فما هي الفتوة لغةً، واصطلاحاً، وما هي الفتوة في الفكر العلوي

بالتحديد؟

الفتوة في اللغة

الفتوة نسبة إلى الفتى وهو الحديث السنّ، ويمكن ملاحظة هذا المعنى فيما روي من أن أعرابيا جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في عام جذب فقال: أتيناك يا رسول الله ولم يبق لنا صبي يرتضع، ولا شارف يجتر، ثم أنشد:

أتيناك والعذراء تدمي لبانها

وقد شغلت أم الرضيع عن الطفل

وألقى بكفيه الفتى لاستكانة

من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي

فالذي يلقي بكفيه الفتى لاستكانة من الجوع حتى ما يمر ولا يحلي، إنما هو

الحديث السن. وعلى هذا الأساس قيل الفتيا الفقهية والفتوى الشرعية لأنها

حديثه، والفتوة نسبة إلى الفتى وهو الجواد الكريم. والفتى عدّة جموع: فتيان،

وفتية، وفتوّ، قال الشاعر الجاهلي الأفوه الأودي:

وَفُتُّوا حَسَنًا أَوْ جَهْلًا

مَنْ إِيَادِ بْنِ نِزَارِ بْنِ مَعْدُ

ويجمع الفتى أيضاً على فتية مثل عصي.

وعندما يقال فتى بالكسر يعني فتى السن بين الفتاء وهنا تنحصر الدلالة كما يقول الأديب الكبير الدكتور نوري حمودي القيسي في معنى الشباب والفتوة والنشاط والحيوية والشجاعة، وتأخذ اللفظة في المعجم دلالة أخرى هي السخي الكريم، والفتوة الكرم والحرية^(١).

الفتوة عند قريش

مما ينبغي أن يلحق باللغة الاستعمال القرشي للألفاظ، فمن ذلك كلام أبي طالب بن عبد المطلب، وكان أفصح قريش في الجاهلية وأبلغها منطقاً في شعره ونثره، فمن جملة خطاب له وهو يذكر خديجة الكبرى لرسول الله «ص»: إنَّ محمد بن عبد الله أخي مَنْ لا يُوازن به فتى من قريش، إلا رجح عليه: براً وفضلاً وحزماً وعقلاً ورأياً ونبلاً.

ومن ذلك أنه لما رأت قريش حماية أبي طالب لرسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وذبه عنه، جاءوا إليه وقالوا: جئناك بفتى قريش جماًلاً، وجوداً، وشهامَةً، عمارة بن الوليد، ندفعه إليك يكون نصره وميراثه لك، وتدفع إلينا ابن أخيك، الذي فرق جماعتنا، وسفه أحلامنا، فنقتله^(٢)..

ومن ذلك قول كبير فرسان الأحزاب عمرو بن عبد ودّ العامري (نسبة إلى عامر بن لؤي القرشي):

إنَّ الشُّجَاعَةَ فِي الْفِتَى

وَالجُودَ مِنْ خَيْرِ الْفَرَائِزِ

فلنتعم النظر كيف جعل أبو طالب (رضوان الله عليه) من الصفات المجيدة التالية:

١ - الدكتور نوري حمودي القيسي، الفتوة تطور ودلالة، مجلة المجمع العلمي العراقي،

٢- بحار الأنوار ٣٥ / ٨٩.

المجلد الرابع والثلاثون / ١٧٣.

٢٣٨ فلسفة الجود والإيثار أدنى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
البر، والفضل، والحزم، والعقل، والرأي، والنبيل، أهم وأسد ما في الفتى من
معاني الفتوة.

ولنمعن النظر كيف جعلت قريش من صفات الجمال والجود والشهامة التي
يتمتع بها عمارة بن الوليد، أكبر ما يطمح إليه القرشي من الاشتمال على معاني
الفتوة.

ولندقق في النظر كذلك كيف جعل عمرو بن عبد ود الشجاعة والجود من
خير غرائز الفتوة وأسنى مفرداتها.

فالفتى في المجتمع العربي قبل الاسلام هو الانسان الذي تتجسد فيه
الصفات التي تتطلبها القبيلة على أتم وجه فهي: الشجاعة في القتال لتضمن
الحماية للأرض والدفاع عنها، والكرم الذي يصون اسم القوم ويرفع ذكركم،
والشهامة التي تزيد مركزها علواً وشموخاً، ومروءة تجمع الخصال الحميدة
والقيم النبيلة التي يمكن أن تجمعها القيمة العظيمة. والفتوة في الأصل تعني
الشباب قم استعيرت لتدل على القوة ثم استعملت لتكون دليلاً من أدلة السخاء
والكرم وتجاوزت بعد ذلك لتصبح الكامل الجزل من الرجال^(١).

الفتوة في الاصطلاح التربوي والأخلاقي

إن من أفضل ما تمثل الأفكار القويمية في الفكر التربوي والأخلاقي مدى
الأجيال تلك المقولات والكلمات الملهمة التي كان يطلقها إمام العلماء والعارفين
والمفكرين جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام). ومما قاله حول الفتوة ما
رواه ابن أبي الحديد عنه قائلاً: سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق (عليه
السلام) عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ قال: إن أعطينا شكرنا، وإن منعنا

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢٣٩
صبرنا. قال: إن الكلاب عندنا بالمدينة هذا شأنها. ولكن قل إن أعطينا آثرنا، وإن
منعنا شكرنا^(١).

ومن كتاب الامام جعفر بن محمد الصادق (ع) الى عبد الله النجاشي أمير
الأهواز، وفي جملته يوصيه بأهل الفتوة أن يكرمهم بجوائزهم وعطاياهم: **وَلْتَكُنْ
جَوَائِزُكَ وَعَطَايَاكَ وَخِلْعَتَكَ لِلْفُؤَادِ وَالرُّسُلِ وَالْأَجْنَادِ وَأَصْحَابِ الرَّسَائِلِ وَأَصْحَابِ
الشَّرْطِ وَالْأَخْمَاسِ، وَمَا أَرَدْتَ أَنْ تَصْرِفَهُ فِي وُجُوهِ الْبِرِّ وَالتَّجَاحِ وَالْفُتُوَّةِ وَالصَّدَقَةِ
وَالْحَجِّ**^(٢) ..

وبالإسناد عن عبد الله بن يحيى عن أبان الأحمر عن الصادق قال: إن
الناس تذاكروا عنده الفتوة فقال: **تظنون أن الفتوة بالفسق والفجور! كلا، الفتوة
والمروءة طعام موضوع، ونائل مبذول، واصطناع المعروف، وأذى مكفوف. فأما
تلك فشطارة وفسق**^{(٣)(٤)}.

فقد تلخص لنا منهجياً من كل هذا المروي عن الامام جعفر الصادق (عليه
السلام) أن مصاديق الفتوة من الوجهة الأخلاقية والتربوية تتمثل في مرتكزات
حيوية كثيرة من أهمها اطلاقاً وأجدرها بالالتفات الدقيق والرعاية والتنفيذ
العملي لمضامينها: طعام موضوع، ونائل مبذول، واصطناع المعروف، وأذى
مكفوف، والإيثار على النفس، وشكر المنعم.

١ - شرح نهج البلاغة، ١ / ٢٩.

٢ - وسائل الشيعة ١٧ / ٢٠٧ - ٤٩ - باب ما ينبغي للوالي العمل به..

٣ - الأمالي للصدوق / المجلس الثاني والثمانون.

٤ - وذكر الشيخ الصدوق في من لا يحضره الفقيه، ٢ / ٢٩٤، باب المروءة في السفر.. ص

٢٩٤: / ٢٤٩٨ - تَذَاكَّرَ النَّاسُ عِنْدَ الصَّادِقِ (ع) أَمْرَ الْفُتُوَّةِ فَقَالَ: تَظُنُّونَ أَمْرَ الْفُتُوَّةِ بِالْفِسْقِ
وَالْفُجُورِ، إِنَّمَا الْفُتُوَّةُ وَالْمَرْوَةُ طَعَامٌ مَوْضُوعٌ وَنَائِلٌ مَبْذُولٌ بِشَيْءٍ مَعْرُوفٍ وَأَذَى مَكْفُوفٌ فَأَمَّا بَلَدُ
فَشَطَارَةٌ وَفِسْقٌ ..

الفتوة في الاصطلاح الصوفي

أخرج الذوق الصوفي كلمة الفتوة من معناها اللغوي، التي أكثر من معنى من المعاني الروحية والسلوكية، حتى أن بعضهم قد أفرط في التفكير كما نرى في مثل قوله: إنما هتف الملك يوم أحد بقوله:

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

لأنه كسر الأصنام، فسمي بما سمي به أبوه إبراهيم الخليل حين كسرها وجعلها جُذاذاً. وصنم كل إنسان نفسه، فمن خالف هواه فقد كسر صنمه، فاستحق أن يطلق عليها لفظ الفتوة.

أقول: إن من المعلوم الواضح تاريخياً أن علي بن أبي طالب في معركة أحد لم يكسر الأصنام، بل كسر الهام، وأردى العتاة الطغام، حتى كان له نحو نصف القتلى، كما كان ذلك له في معركة بدر الكبرى. والمعاني الروحية للفتوة عند الصوفية تتقاطع مع المصطلح الأخلاقي أحياناً، كما تتفق معه أحياناً أخرى حتى تضيف إليه شيئاً ما. فمن جملة معانيها عندهم: ما ذكره عبد الله بن أحمد بن حنبل قال: سئل أبي عن الفتوة فقال: ترك ما تهوى لما تخشى.

وقال الحارث المحاسبي: الفتوة أن تتصف ولا تنتصف.

ومن الصوفية من يقول: الفتوة الصفح عن عثرات الإخوان.

الفتوة في الفكر العلوي

بهذه الكلمات القصيرة المتعددة يميظ الإمام علي بن أبي طالب اللثام عن الفتوة، ويفصح بدقة عن أصالة موضوعها وعمق محتواها، فيتحدث بإيجاز عن

مكائنها وسمو شأنها قائلاً: ما تزين الإنسان بزينة أجمل من الفتوة^(١).

ويكشف النقاب عما يشين الفتوة ويشوه مقامها فهو يقول: زيادة الشح تشين الفتوة، وتفسد الأخوة^(٢). الشره يشين النفس ويفسد الدين ويزري بالفتوة^(٣).

ويقول وهو يبين نظامها السامي: نظام الفتوة احتمال عشرات الإخوان، وحسن تعهد الجيران^(٤).

ويتصدى بحماسة وقوة إلى الحديث الشيق عن تعداد مصاديقها وتحديد مفرداتها الصحيحة قائلاً:

— الفتوة أربعة: التواضع مع الدولة، والعفو مع القدرة، والنصيحة مع العداوة، والعطية بلا منة^(٥).

— مجانية الريب من أحسن الفتوة^(٦).

— العفة أفضل [أصل] الفتوة^(٧).

— الفتوة نائل مبدول، وأذى مكفوف^(٨).

— بعد المرء عن الدنية فتوة^(٩).

وبعد أن عرفنا المصاديق الكثيرة للفتوة في الفكر العلوي يبقى هنالك سؤال

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٥٣٢.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٥٧٨.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٦٧٢.

٤ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٦٢٨.

٥ - محمد بن الحسن الديلمي، إرشاد القلوب ١ / ١٩٤.

٦ - غرر الحكم، الحكمة / ١٠٤٤.

٧ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٤٠١.

٨ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٥٣١.

٩ - غرر الحكم، الحكمة / ٧٥٦٤.

٢٤٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
جديرة بالاجابة الصريحة الصحيحة ، والسؤال يبحث عن أكبر وأهم وأعظم هذه
المصاديق ، فينبري علي بن أبي طالب للإجابة السليمة قائلاً: مَنْ آثَرَ عَلِيَّ نَفْسِهِ
تَآهَى فِي الْفِتْوَى (١).

سَيِّدُ الْفِتْيَانِ

لقد عرفنا الفتوة في أجلى مصاديقها وأبرع مفرداتها، والآن فلنتساءل
بموضوعية وإنصاف ألم يكن علي بن أبي طالب المثل الأعلى التي تتجسم فيه -
كأفضل وأتقن ما يكون ويتصور التجسم - كل المصاديق والمفردات؟ إذا لقد
عرفنا علياً ذلك المنظر العملاق للفتوة، كما قد عرفنا علياً ذلك المثل الأعلى في
الممارسة والتطبيق لها على صعيد كل الأشكال والمضامين. ولو أردنا التفصيل
في ذلك لاحتجنا الى كتاب كبير لا يقل عن حجم هذا الكتاب، ويا ليت بعض
أجلاء المفكرين والمصنفين من أولي العزائم والهمم العليا يكفونا المؤونة وهم
مشكورون محمودون، فيسدون - بهذا الصنع البديع الرشيد - الى عالمي المعرفة
والقيم الانسانية ما هما بأمس الحاجة اليه والتزود منه.

يقول العلامة المعتزلي عز الدين بن أبي الحديد (٢): وما أقول في رجل أحب
كل واحد أن يتكثر به، وود كل أحد أن يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى
الفتوة التي أحسن ما قيل في حذها: ألا تستحسن من نفسك ما تستقبحه من
غيرك. فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً
أنهوه إليه وقصروه عليه، وسموه سيد الفتيان، وعضدوا مذهبهم إليه بالبيت
المشهور، المروي أنه سمع من السماء يوم أحد:

١ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٧٩٩.

٢ - ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة ١ / ٢٩.

لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي

الهديرُ الفاصل بين الحق والباطل

لقد اشتهر في الأخبار والآثار على أن عبارة - لا سيف إلا ذو الفقار - نداء هادر من قبل السماء مما سمع يوم وقعة أحد. ولم يكن ذو الفقار ذا الفقار شهرةً ملأت الخافقين، وحسماً للرؤوس والأبدان المتفرعنة، لو لم يكن الشاهر له والحاسم به المواقف أسد الله الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

ولقد اتفقت الأخبار والآثار على أن عبارة - ولا فتى إلا علي - نداء هادر من قبل السماء في وقعة أحد بالتحديد. وليس من المنطقي أو المعقول أبداً أن يكون النداء السماوي لهواً أو اعتباطاً، أو محاباة لأحد من المخلوقين وإن سمت مكانته وعظم شأنه، إنه لنداء الحق، وهتاف العدل، إنه الهديرُ الفاصل، بين الحق والباطل.

وأما ما نسب إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» من عبارة «لا سيف إلا ذو الفقار...» فكأنه بالتحديد ذلك انعكاس المدوي للنداء السماوي العظيم.

روى المؤرخ العباسي نصر بن مزاحم المنقري عن جابر بن عمير الأنصاري بما موجهه: والله الذي بعث محمداً «ص» بالحق نبياً ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السموات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب (علي)؛^(١) إنه قتل فيما ذكر العادون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحياً فيقول معذرة إلى الله عز وجل وإليكم من هذا لقد هممت أن أصقله (أفلقه) ولكن حجزني عنه أني سمعت رسول الله «ص» يقول كثيراً لا سيف إلا ذو الفقار ولا

٢٤٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فتى إلا علي. وأنا أقاتل به دونه. قال جابر: فكنا نأخذه فنقومه ثم يتناوله من
أيدينا فيتقحم به في عرض الصف^(١).

العقل والإيمان واستخدام السلاح

يقول الدكتور نوري حمودي القيسي (جامعة بغداد كلية الآداب): وتكتسب
اللفظة في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام «لا فتى إلا علي، لا سيف إلا ذو
الفقار». صورة الترابط بين الفتوة والشجاعة. بين الشباب والسيوف. بين القدرة
والاقتدار، وهو ما اكتملت فيه اللفظة دلالةً واتسمت به وحدةً وتوثقت به
استعمالاً، في مرحلة أصبحت فيها قوة الإيمان متصلة بقوة الدفاع واستخدام
العقل مرتبط باستخدام السلاح^(٢).

١ - انظر وقعة صفين / ٤٧٧ - ٤٧٨.

٢ - مجلة المجمع العلمي العراقي، المجلد الرابع والثلاثون، موضوع الفتوة تطور ودلالة

الشكرُ على الجُودِ والإِحسانِ

قال إمامُ الأئمة

إِذَا قَصَرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمُكَافَاةِ

فَأُطِّلْ لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ

الشكر على الجود والإحسان

الشكر شكران: شكر الخالق تبارك وتعالى الذي هو مفيض الرحمة وأصل النعم ورب الإحسان والامتنان، وشكر المخلوق على ما يتفضل ويكرم ويحسن. وإذا كان الله تعالى هو الذي مكّن هذا المخلوق من البرّ والخير، فإنّ الأمر لا يعني أبداً غضّ النظر عن شكره والثناء عليه بما يستحق؛ ففي كتاب «كنز العمال» عن جابر الأنصاري عن رسول الله «ص»: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْقَلِيلَ لَمْ يَشْكُرِ الْكَثِيرَ، وَمَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَا يَشْكُرِ اللَّهَ»^(١). وفي «كنز العمال» أيضاً عن رسول الله «ص»: «أَشْكُرْكُمْ لِلَّهِ أَشْكُرْكُمْ لِلنَّاسِ»^(٢).

قال الراغب: الشكر تصور النعمة وإظهارها، قيل، وهو مقلوب عن الكشر، أي الكشف، ويضاده الكفر، وهو نسيان النعمة وسترها. ودابة شكور مظهر بسمنه. وقيل: أصله من عين شكري أي ممتلئة. فالشكر على هذا هو الامتلاء من ذكر المنعم عليه. والشكر ثلاثة أضرب: شكر بالقلب وهو تصور النعمة، وشكر باللسان وهو الثناء على المنعم، وشكر بسائر الجوارح وهو مكافأة النعمة بقدر استحقاقها. انتهى.

وقال المحقق الطوسي (قدس سره): الشكر أشرف الأعمال وأفضلها، واعلم أن الشكر مقابلة النعمة بالقول والفعل والنية، وله أركان ثلاثة: الأول: معرفة المنعم وصفاته اللائقة به ومعرفة النعمة من حيث إنها نعمة لا تتم تلك المعرفة إلا بأن يعرف أن النعم كلها جليها وخفيها من الله سبحانه وأنه المنعم

٢٤٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الحقيقي وأن الأوساط كلها منقادون لحكمه مسخرون لأمره. الثاني: الحال التي هي ثمرة تلك المعرفة وهي الخضوع والتواضع والسرور بالنعم من حيث إنها هدية دالة على عناية المنعم بك، وعلامة ذلك أن لا تفرح من الدنيا إلا بما يوجب القرب منه. الثالث: العمل الذي هو ثمرة تلك الحال فإن تلك الحال إذا حصلت في القلب حصل فيه نشاط للعمل الموجب للقرب منه وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح. أما عمل القلب فالقصد إلى تعظيمه وتحميده وتمجيده والتفكير في صنائعه وأفعاله وآثار لطفه والعزم على إيصال الخير والإحسان إلى كافة خلقه، وأما عمل اللسان فإظهار ذلك المقصود بالتحميد والتمجيد والتسبيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك، وأما عمل الجوارح فاستعمال نعمه الظاهرة والباطنة في طاعته وعبادته والتوقّي من الاستعانة بها في معصيته ومخالفته كاستعمال العين في مطالعة مصنوعاته و تلاوة كتابه وتذكر العلوم المأثورة من الأنبياء والأوصياء (عليهم السلام) وكذا سائر الجوارح. فظهر أن الشكر من أمهات صفات الكمال وتحقيق الكامل منه نادر كما قال سبحانه: «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ». ولما كان الشكر بالجوارح التي هي من نعمه تعالى ولا يتأتى إلا بتوقيفه سبحانه فالشكر أيضا نعمة من نعمه ويوجب شكراً آخر فينتهي إلى الاعتراف بالعجز عن الشكر؛ فأخر مراتب الشكر الاعتراف بالعجز عنه، كما أن آخر مراتب المعرفة والثناء الاعتراف بالعجز عنهما^(١).

ونظراً لأهمية الشكر قال الله عز وجل: «وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ»^(٢)، وقال تعالى: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^(٣)، وقال سبحانه: «وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ

١ - المجلسي، بحار الأنوار ٦٨ / ١٨.

٢ - البقرة، الآية / ١٥٢.

٣ - ابراهيم، الآية / ٧.

روى الحنبلي صاحب كتاب «نهاية الطلب وغاية السؤال» بإسناده إلى عروة بن عمر الثقفي قال: سمعت أبا طالب (رضي الله عنه) قال: سمعت ابن أخي الأمين يقول: اشكر تُرزق، ولا تكفر فتعذب^(٢).

ويروى أن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيّه داود (عليه السلام) اشكرني حق شكري. فقال: إلهي كيف أشكرك حق شكرك وشكري إياك نعمة منك! فقال: الآن شكرتني حق شكري. وقال داود: كيف كان آدم شكرك حق شكرك وقد جعلته أبا لأنبيائك وصفوتك، وأسجدت له ملائكتك؟ فقال عز وجل: إنه اعترف أن ذلك من عندي؛ فكان اعترافه بذلك حق شكري.

ويروى أن الله سبحانه وتعالى أوحى إلى موسى (عليه السلام) فقال: يا موسى أرحم عبادي المبتلى منهم والمعافى. قال: يارب قد عرفت رحمة المبتلى فما بال المعافى؟ قال: لقلّة شكره.

إنّ من طبيعة الانسان الطيب العنصر والسويّ في نفسيته أن يشكر المنعم والمفضل خالقاً كان أو مخلوقاً ولهذا قال أحد الأعلام: ما شيبطني السنون بل شكري من أحتاج أن أشكره.

ويروى أن سبب رفع إدريس إلى السماء أن ملكاً بشره بالقبول والمغفرة فتمنى الحياة. فقال له الملك: لم تمنيت الحياة؟ قال: لأشكر الله تعالى؛ فقد كانت حياتي لطلب القبول، وهي الآن لبلوغ المأمول. قال: فيسط الملك جناحه ورفعه إلى السماء.

١ - النمل، الآية / ٤٠.

٢ - علي بن طاووس، الطرائف، ١ / ٣٠٥.

٢٥٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وقد تلمس هذا الخلق السوي بوضوح في نفسه من قال فأحسن القول ما
شاء الله له أن يحسن :

بدأت بمعروفٍ وثيبت بالرضا
وثلثت بالحسن وربعت بالكرم
وباشرت أمري واعتيت بحاجتي
وأخرت لا عني وقدمت لي نعم
وصدقت لي ظني وأنجزت موعدي
وطببت به نفساً ولم تتبع الندم
فإن نحن كافأنا بشكرٍ فواجب
وإن نحن قصرنا فما الودُّ مُثَمَّم

اضافة الى هذا الطراز الرائع والمنوال الرفيع المستوى قول الوليد بن عباد
الطائي الشهير بالبحثري :

فإن أنا لم أشكر لنعمك جاهداً فلا نلتُ نعمي بعدها ترجب الشكرا

ولا ريب أن الله تبارك وتعالى غني عن شكر الخلائق أجمعين وإن أمرهم
بالشكر والحمد في سبيل مصلحة تعود إليهم : وتربية أخلاقية على شكر
المحسنين ، إلا أن المنعمين والمحسنين من البشرية لا يستغنون عن الشكر ، اللهم
إلا أن يكونوا من ذلك النمط العظيم الذين حكى القرآن الكريم قصتهم في سورة
الانسان قائلاً : « إِنَّمَا نَطَعْمُكُمْ لَوْجِهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا » .

كتب العلامة محمد عبده : لو كان في الثناء وملازمة الدعاء وحفظ الجميل
والقيام بالخدمة ما يفي بشكر من يفتح باب المحبة ويبدأ بصنائع المعروف ، لكنت
والحمد لله من أقدر الناس عليه ، ولكن أنى يكون في ذلك وفاء والمحبة سرُّ نظام

الأكوان، والإحسان قوام عالم الامكان، والقائم على كنه جميعه قِيوم السموات والأرض، والمفتتحون لأبواب العرف على هذه النسبة الجليلة منه. فليس لي إلا أن ألجأ الى الله في مكافأة فضيلتكم على ما كان منكم أيام الاقامة بينكم^(١).

قال الإمام علي (عليه السلام) كما سيأتي: أحسن السمعة شكر ينشر. ومن يستغني من الناس عن حُسن السمعة، كما أن الشكر مما يسبب خلود الانسان وبقاء ذكره حياً بعد الموت، كما نشاهده ناصعاً في سجل التاريخ المشرق لكثير من الأكارم والمحسنين. ومما يقرُّ عيون الكرام ويبعث بهجتهم وارتياحهم أن يستافوا عطر إحسانهم وقد نشره وأذكاه الشكر والثناء.

ولقد أحسن الشاعر العبقرى المبدع أبو الفتح البستي القول:

لا تظنن بي وبرك حيُّ أن شكري وشكر غيري مواتٌ
أنا أرضٌ وراحتك سحابٌ والأيادي وبئل وشكري نباتٌ

وإذا ما وَعَدْنَا أوفى من وعد وأصدق من قال... بالمزيد من سبوغ النعم والآلاء إذا ما شكرنا، بقوله عز من قائل: «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ». فلاي ميرر منطقي مستساغ ومقبول أن لا نشكر المنعم والمحسن شكراً جزيلاً، ونثني عليه بكرةً وأصيلاً!!

وأحسب أنه تأبى النعمة أن تبقى كما هي فيما المزيد وإما المحق. وليس ذلك إلا بسبب الشكر المؤدي الى الزيادة، أو الكفر المؤدي الى المحق. علماً بأن الكفر لا يعني بالضرورة التصريح به بل إن مجرد ترك الشكر من الكفر. ولقد أجاد بعض السلف الرأي حيث يذهب الى أن: كفران النعمة بوار، وقلما أقلعت نافرة فرجعت في نصايها، فاستدع شاردها بالشكر، واستدتم راهتها بكرم

٢٥٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الجوار، ولا تحسب أن سبوغ ستر الله عليك غير متقلص عما قليل عنك إذا أنت لم ترج لله وقارا.

ومما كنا قلناه حول مفهوم الشكر:

إن نشكر المنعم في فضله

فإنما الشكر حياة النعم

أو نحمد النعمة نلق الذي

لا يحمد الناس ولا يُحْتَشَم

ومما قلناه كذلك حول مفهوم الشكر:

ازدد من الشكر تزدد من سنا الكرم

فالشكر درب إلى الآلاء والنعم

ومما كنا قلناه أيضاً:

ما أجدر النعمة أن لا تعود

لملبسي النعمة ثوب الجحود

فاستنزل الرحم من آلاءه

بالشكر إن الشكر مرعى الوجود

وجُد إذا ما كنت ذا ثروة

إن من الكفران أن لا تجود

لم أرَ عبداً أشكر من هذا

قيل: إن داود (عليه السلام) قال: يا رب أخبرني بقريني في الجنة في قصري فأوحى الله إليه أن ذلك متى أبو يونس فاستأذن الله تعالى في زيارته فأذن له، فأخذ بيد ولده سليمان حتى أتيا موضعه فإذا هو ببیت من سعف فسألا عنه فقيل: إنه في الحطابين يقطع الحطب ويبيعه.

فجلسا ينتظرانه إذ أقبل وعلى رأسه حزمة من حطب فألقاها عنه ثم حمد الله وقال: من يشتري مني طيباً بطيب؟ فساومه واحد واشتراه آخر، فدنيا منه

وسلما عليه فقال: انطلقا بنا إلى المنزل. وابتاع بما كان معه من طعام، ثم وضعه بين حجرين قد أعدهما لذلك وطحنه ثم عجنه في تقير له، ثم أجاج ناراً وأوقدها بالحطب، ثم وضع العجين عليها، ثم جلس يتحدث معهم هنيئة، ثم نهض وقد نضجت خبزته فوضعها في التقير وقلقها ووضع عليها ملحاً ووضع إلى جانبه مطهرة فيها ماء، وجلس على ركبتيه وأخذ لقمة وكسرها ووضعها في فيه وقال: بسم الله الرحمن الرحيم. فلما ازدردتها قال: الحمد لله رب العالمين. ثم فعل ذلك بأخرى فأخرى، ثم أخذ الماء فشرب منه وحمد الله تعالى وقال: لك الحمد يا رب من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني إذ صححت بدني وسمعي وبصري وجوارحي وقويتني حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه بيدي ولا زرعته بقوتي ولم أهتم بحفظه فجعلته لي رزقاً وأعنتني على قطعه وحمله وسقت إلي من اشتراه مني واشتريت بثمره طعاماً لم أزرعه ولم أتعب فيه وسخرت لي حجراً طحنته وناراً أنضجته وجعلت لي شهوة قابلة لذلك فصرت آكله بشهوة، وأقوى بذلك على طاعتك؛ فللك الحمد حتى ترضى وبعد الرضا. ثم بكى بكاءً عالياً. فقال داود لابنه سليمان: يا بني يحق لمثل هذا العبد الشاكر أن يكون صاحب المنزلة الكبرى في الجنة، فلم أر عبداً أشكر من هذا^(١).

لقد جمع الصديق متى بن يونس (عليه السلام) جمعاً سنياً بارعاً بين القناعة في أرفع المستويات، وبين الشكر في أجمل الأحوال والصور. والحقيقة أن القناعة شكر صامت وثناء جميل، أي أن القناعة بنفسها تعبير بليغ عن الشكر والمحمدة والثناء الوديع، فإذا ما أضاف القانع الشكر باللسان والجوارح إلى بحبوحة القناعة فقد بلغ الحد العظيم من آيات الشكر، أي أن أشكر الشاكرين قانع شكور.

وما سنذكره من حكم الإمام أمير المؤمنين وأحاديثه حول الشكر على الفضل والنعم، تشمل الحمد والشكر لله تعالى وشكر المفضلين من الناس، بيد أننا ركّزنا بالدرجة الأولى على الجانب الثاني؛ ليكون أكثر انسجاماً واتساقاً مع موضوع الكتاب.

مِنَ الْحِكْمِ الْعُلُويَّةِ حَوْلَ الشُّكْرِ

الكريم يشكر القليل، واللئيم يكفر الجزيل

٢٢٤ - قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): الكريم يشكر القليل، واللئيم يكفر الجزيل^(١).

في هذه الحكمة العلوية درس تربوي خلاق وتوجيه إنساني بارع، يلفتنا إليه أمير الكرام والأجواد الإمام علي بن أبي طالب، وهو في طريقه الطويل الهادف لإكبار وتتمين الكرام في المجتمع، والحط من مقامات اللئام فيه، أو بعبارة أدقّ التدليل على مستواهم المنحطّ الوبيل وعلى سلوكهم الرذل الوخيم. وفي كل ذلك عبرة لأولي الألباب وحكمة بالغة أن يسترشدوا بمنهاج الكرام ويسلكونه عن وعي وفهم وقناعة، وأن يجتنبوا منهاج اللئام وينأوا عنه كثيراً عن وعي نضيج وعن فهم وقناعة.

الكريم يشكر القليل؛ لأن طبيعته الفاضلة النبيلة تأبى عليه إلا أن يشكر المنعم ويشني على المفضل. واللئيم يكفر الجزيل لأن طبيعته السوداء المعتمنة تأبى

١ - تنبيه: من قول الإمام علي (عليه السلام): الكريم يشكر القليل، التي قوله (عليه السلام): رب كادح لمن لا يشكره. قد أخذناها من كتاب «غرر الحكم» الحكمة / ٦١٠٤ فما بعد.

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢٥٥
عليه إلا أن أن ينظر للمكرمين نظرة سوداء معتمة كذلك فلا يرى فضلاً ولا
فاضلاً.

من صير اللوم له شاغلاً لا يكرم الفضل ولا الفاضلاً

ومن ير الدرهم قدراً له لا يرحم الواهن والسائلاً

كل امرئ قائده نفسه تورده الحق أو الباطلاً

أو بتعبير آخر: كما يبخل اللئام بالفضل والعطاء، كذلك يبخلون بالشكر
والثناء.

كما قال الإمام علي (عليه السلام):

- الشكر مأخوذ على أهل النعم.

- الشكر أعظم قدراً من المعروف؛ لأنَّ الشكر يبقى والمعروف يفنى.

- اشتغل بشكر النعمة عن التطرب بها.

- أحسنوا جوار نعم الدين والدنيا بالشكر لمن دل عليها.

- أحبُّ الناس إلى الله سبحانه العاملُ فيما أنعم به عليه بالشكر، وأبغضهم

إليه العامل في نعمه بكفرها.

- إذا أنعمت بالنعمة فقد قضيت شكرها.

- إذا نزلت بك النعمة فاجعل قراها الشكر.

- عليك بالشكر في السراء والضراء.

- في الرخاء تكون فضيلة الشكر.

وقال الإمام علي (عليه السلام):

ـ الشكر ترجمان النية ولسان الطوية .

قد أخذ الأديب المعروف أبو منصور الثعالبي ت عام / ٤٢٩ هـ هذه الحكمة العلوية نصاً وروحاً فقال: الشكر ترجمان النية ولسان الطوية، ثم أضاف إلى ذلك قائلاً: وشاهد الاخلاص وعنوان الاختصاص .. (١).

وجوب شكر المنعم نقداً أو نسيئة

٢٢٥ - قال أمير المؤمنين (سلام الله عليه): من أنعمَ عليه فشكر، كمن أبتلي فصبر.

إن الشكر على النعم شيء والصبر على البلاء شيء آخر، ويبرز الفارق ما بينهما كالفرق بين السماء والأرض؛ فالشاكر إنما يشكر لتقلبه في نعمة المنعم، والصابر إنما يصبر لأنه يفتقد الحل السريع أو المباشر لما وقع فيه من البلاء. إذاً من أين يكون من أنعم عليه فشكر، كمن أبتلي فصبر!

أعتقد أن الفارق وإن كان شاسعاً ما بين الشاكر والصابر من بعض الجهات، بيد أن هنالك جسور التقاء وعناصر اشتراك ما بين الطرفين تمثل أمامنا عبر النقاط التالية:

أولاً: أن كلا من الشاكر والصابر قد اتخذ لنفسه الموقف السليم والصحيح إزاء ما يحل بساحته من نعمة أو بلاء.

ثانياً: أن كلا من الشاكر والصابر يستحق التقدير والشمين من قبل الناس

جزاءً وافراً لصوابه في العمل وسداد طريقته في الأداء.

ثالثاً : الشاكر والصابر معاً يستحقان بلا ريب نعمةً طيبةً مستجدةً وكرامةً مستحدثةً؛ أجرأ من الله تعالى يتلقيناه في الدنيا تلقاء حسن ما عملا، ويدل على أجر الأول قوله عز وجل «لئن شكرتم لأزيدنكم»^(١). ويدل على أجر الثاني قوله عز وجل «فإن مع العسر يسراً»^(٢).

رابعاً : يحفل الشاكر بالثواب الجزيل من الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين، ويحفل الصابر بالثواب الجزيل من الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين، «وكلاً وعد الله الحسنى»^(٣).

خامساً : من المعلوم أن سحابة البلاء ستنجلي وتتقشع وإن طال المدى فلا بد من القول: أن انقشاعها وزوالها ما بعد ذلك سيجرُّ إلى الشكر والثناء على العافية وعلى النعمة في اندحار البلية وتصرم المحنة. إذا الشاكر والصابر شاكران معاً، وكل ما في الأمر أن الشاكر يسدي الشكر على نعمة حالية، والصابر سيشكر على نعمة سينالها ويستبشر بها. ومن هذا المنطلق الحيوي لا مانع من القول: أن القانون الأخلاقي القويم هو: يقدم المنعم عليه شكره نقداً، ويقدم المبتلى شكره نسيئة.

شكر من دونك بسبب العطاء

٢٢٦ - وقال أمير المؤمنين علي (سلام الله عليه): شكر من دونك بسبب

٢ - الشرح، الآية / ٥ - ٦.

١ - ابراهيم، الآية / ٧.

٣ - النساء، الآية / ٩٥.

إذا كان شكر المنعم واجباً بحسب العقل والنقل فإن ألوان شكر المنعم تتخذ صيغاً مختلفة من حيث ماهية المنعم ، وذلك طبقاً لما نرى من الصيغ التالية :

الصيغة الأولى لشكر المنعم :

طول الثناء إن كان المنعم هو الله تبارك وتعالى ، (شكر إلهك بطول الثناء) على حدّ تعبير الامام علي (عليه السلام) . كما سيأتي .

الصيغة الثانية لشكر المنعم :

صدق الولاء إن كان المنعم فوق المُنعم عليه في الرتبة والمقام ، (شكر من فوقك بصدق الولاء) على حدّ تعبير الامام علي (عليه السلام) كما سيأتي أيضاً . كما ينطبق شكر من فوقك بصدق الولاء على الأسمى رتبة ومقاماً من البشر فكذلك ينطبق على الله سبحانه ؛ إذ هو فوق الجميع .

الصيغة الثالثة لشكر المنعم :

سبب العطاء إن كان المنعم دون المُنعم عليه في الرتبة والمقام ، (شكر من دونك بسبب العطاء) .

بالطبع لا يعني سبب العطاء شكراً لمن هو دوننا أن لا نشكره بصور أخرى من آيات الشكر ، مثل أداء الشكر بالألفاظ والكلمات العذاب ، ومثل ذكر فضله وإنعامه بين الآخرين .. بل يعني أن اغدق الأموال عليه هو الصيغة المثلى من صيغ الشكر بالنسبة إليه .

من لم يشكر الإنعام فليعدّ من الأنعام

٢٢٧ - قال علي (عليه السلام): مَنْ لم يشكر الإنعام؛ فليعدّ من الأنعام^(١).

لأبي سبب منطقي يمكن سبره وادراكه يعتبر الإمام علي (عليه السلام) مَنْ لم يشكر الإنعام؛ أن يُعدّ من الأنعام؟

الجواب: لأن مَنْ لم يشكر الإنعام فقد أخلّ عن قصد وعمد بميزان رفيع من الموازين العقلية الأساسية المتفق عليها ما بين عقلاء البشر. وهو وجوب شكر المنعم وحسن الثناء عليه بما هو أهله. فمن أخلّ به عن وعي وقصد فقد أخلّ بما أدى إليه العقل وحكم به البشر ما بينهم؛ ومن كان كذلك فليس منهم في مستوى طبيعته ونمط تعامله وسلوكه، وإن كان من أفرادهم والمنتسبين اليهم على صعيد حركة البدن واعتدال القوام وفلسفة الجسم.

بيد أنه هل الانتماء للجنس البشري على صعيد حركة البدن واعتدال القوام وفلسفة الجسم، يكفي لأن يعد مخلوق ما منهم في الوقت الذي لا يكاد يمتلك إلا هذه المواصفات ونحوها؟

الأجوبة كثيرة حول ذلك وهي وإن كانت متناسقة وتصب في قناة واحدة، ولكن سوف لن أذكر منها إلا هذا البيت:

وما الناس بالأبدانِ ناساً وإنما بذاتِ كروضِ الآسِ ينمو ويمرغُ

المكافأة على الصنعة أداء للأمانة

٢٢٨ - قال إمام الأئمة (عليه السلام): من أداء الأمانة المكافأة على

الصنعة؛ لأنها كالوديعة عندك^(١).

١ - لقد اقترنت المكافأة على الصنعة بأداء الأمانة في حكمة الإمام أمير

المؤمنين، فهما متكافئتان على صعيد واحد من الأهمية وسمو الحال. إذا من
الضرورة المنهجية أن نعرف شأن الأمانة ورفعة قدرها في تراث ابن أبي طالب
لكي نعرف شأن ورفعة قدر نظيرها أو مثيلها المتميز. ولا يسعنا في هذا البحث
الشبيه بالوجيز إلا أن نشير فحسب إلى قسط يسير مما كان يقوله عن الأمانة
وأبعادها الدينية والاجتماعية والأخلاقية بعيداً عن خوض في التفاصيل:

- أداء الأمانة مفتاح الرزق^(٢).

- مكارم الأخلاق عشر خصال: السخاء والحياء والصدق وأداء الأمانة

والتواضع والغيرة والشجاعة والحلم والصبر والشكر^(٣).

- كل خلق من الأخلاق فإنه يكسد عند قوم من الناس إلا الأمانة فإنها نافقة

عند أصناف الناس يفضل بها من كانت فيه، حتى أن الآنية إذا لم تنشف وبقي ما
ودع فيها على حاله لم ينقص كانت أكثر ثناء من غيرها مما يرشح أو ينشف^(٤).

١ - شرح نهج البلاغة الحكمة / ١٧٨ مما جمعه ابن أبي الحديد من حكم الإمام علي

(عليه السلام)، وسجع الحمام الحكمة / ١٦٧٩.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الحكمة / ٦٥٠.

٣ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الحكمة / ١٧٧.

٤ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، الحكمة / ٨٧٦.

وقال أبو علي الطبرسي رحمه الله صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا». فيه أقوال أحدها أنها في كل من أوتمن أمانة من الأمانات فأمانات

٢ - من أوليات السلوك القويم في الأديان السماوية وفي القيم الانسانية النبيلة شكر المنعم والثناء على فضله وإحسانه، ولا ريب أن المكافأة على الصنعة لون رفيع من ألوان الشكر والثناء؛ وكان علي بن أبي طالب كثيراً ما يوصي بأداء شكر المفضل والقيام بحفظ حقه وصيانة نعمته في الأقوال الصادقة والأعمال الراجحة، فمن ذلك:

- مصيبة يرجى خيرها [أجرها] خير من نعمة لا يؤدي شكرها.

- أيها الناس الزهادة قصر الأمل والشكر عند النعم^(١).

- الحمد لله الواصل الحمد بالنعم والنعم بالشكر^(٢).

الله تعالى وأمره ونواهيه وأمانات عبادته ما يأتمن بعضهم بعضاً من المال وغيره عن ابن عباس وغيره وهو المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) وأبي عبد الله (عليه السلام). وثانيتها أن المراد به ولاية الأمر أمرهم الله سبحانه أن يقوموا برعاية الرعية وحملهم على موجب الدين والشريعة.

ورواه أصحابنا عن الباقر والصادق ع قال: أمر الله سبحانه كل واحد من الأئمة أن يسلم الأمر إلى من بعده.

ويعضده أنه سبحانه أمر الرعية بعد هذا بطاعة ولاية الأمر.

فروي عنهم (عليه السلام) أنهم قالوا: آيتان إحداهما لنا والأخرى لكم قال الله سبحانه: «إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا الْآيَةَ وَقَالَ: « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ». وهذا القول داخل في القول الأول لأنه من جملة ما استعمل الله سبحانه عليه الأئمة الصادقين.

ولذلك قال أبو جعفر (عليه السلام): إن أداء الصلاة والزكاة والصوم والحج من الأمانة. انظر بحار الأنوار، ٢٣ / ٢٧٤.

١ - نهج البلاغة / ٨١ - ومن كلام له (عليه السلام) في الزهد.

٢ - المصدر نفسه / ١١٤ - ومن خطبة له (عليه السلام) وفيها مواظب للناس.

- إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النَّعْمِ؛ فَلَا تُنْفَرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ (١).

- الْعَقَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى (٢).

كما قد ذكرنا في هذا الكتاب من أقوال علي (سلام الله عليه) في الشكر والشاكرين:

- قال (عليه السلام): مَنْ لَمْ يَشْكُرِ الْإِحْسَانَ، لَمْ يَعِدْهُ الْحَرَمَانَ.

- مَنْ قَلَّ شُكْرُهُ زَالَ خَيْرُهُ.

- نِعْمَةٌ لَا تَشْكُرُ كَسِيئَةٌ لَا تَغْفِرُ.

- كما قال الامام علي (عليه السلام): شُكْرُ إِلَهِكَ بِطَوْلِ الثَّنَاءِ.

- وقال (عليه السلام): شُكْرٌ مِنْ فَوْقِكَ بِصَدَقِ الْوَلَاءِ.

- شُكْرُ الْمُؤْمِنِ يَظْهَرُ فِي عَمَلِهِ.

- شُكْرُ الْإِحْسَانِ مَنْ أَتَى عَلِيَّ مَسْدِيهِ، وَذَكَرَ بِالْجَمِيلِ مَوْلِيهِ.

- النعمة موصولة بالشكر والشكر موصول بالمزيد، وهما مقرونان في

قرن، فلن ينقطع المزيد من الله سبحانه حتى ينقطع الشكر من الشاكر.

- أحق الناس بزيادة النعمة أشكرهم لما أعطي منها.

- شكر النعمة يقضي بمزيدها ويوجب تجديدها.

- مَنْ شُكِرَ النَّعْمَ بِجَنَانِهِ، اسْتَحَقَّ الْمَزِيدَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ عَلَيَّ لِسَانَهُ.

١ - المصدر نفسه / باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام / ١٣.

٢ - المصدر نفسه / باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام / ٦٨.

- ما كان الله سبحانه ليفتح على أحد باب الشكر ويغلق عليه باب المزيد.

- مَنْ كَثَرَ شُكْرَهُ كَثُرَ خَيْرُهُ .

- قلة الشكر تزهد في اصطناع المعروف .

مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ

٢٢٩ - وقال علي (صلوات الله عليه) : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعًا لَمْ يُحْرَمِ أَرْبَعًا : مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الإِجَابَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ القَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الاستغفارَ لَمْ يُحْرَمِ المَغْفِرَةَ : وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ .

قال الشريف الرضي : وتصديق ذلك كتاب الله قال الله في الدعاء : ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ، وقال في الاستغفار : وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ، وقال في الشكر : لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ، وقال في التوبة : إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا^(١) .

أقول : لفلسفة الشكر والثناء جوانب عديدة ومهمة للغاية تقتصر منها على تحديد القضايا الرئيسية التالية دون سواها :

١ - حُسن الشكر والثناء تعبير أخلاقي جميل عن أداء حق النعمة ، وعن

٢٦٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الاعتراف الرسمي الصريح بحق المنعم. قال تبارك وتعالى: «وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ
قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ
وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ»^(١).

٢ - حُسنُ الشكر والثناء دحر لمكائد الشيطان ولأهدافه الخبيثة الرامية إلى
إغواء الإنسان وابعاده عن أجواء العبودية الحقّة كما قال تبارك وتعالى: «قَالَ
فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَا تَجِدُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ
وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَنِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ»^(٢).

٣ - حُسنُ الشكر والثناء يمنع من الغيّر وزوال النعم، أو تحولها بالفعل إلى
كوارث ونقم. وفي النصوص الدينية الكثرة الكاترة من التأكيد على هذا المعنى،
قال عزّ من قائلٍ على لسان نبيه هود (عليه السلام): «قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ
وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمٍ مَعْلُومٍ * وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ *
فَعَقَرُوهَا فَاصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ
أَكْثَرَهُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٣).

وكانت ناقة الله وسقياها آية من آيات الله تبارك وتعالى وكانت تسقي
شعب ثمود بأسره لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، فعقروها بغياً وعتوّاً وكفراناً
بالنعمة فأنزل الله عليهم ما أنزل من العذاب الأليم والبلاء المبين.

ومما يدل على ذلك أيضاً أحاديث أمير المؤمنين علي (عليه السلام)

والتي تعرضنا لها قبل قليل من قبيل:

- شكر النعم عصمة من النقم.

- شكر النعمة أمان من تحويلها وكفيل بتأييدها.

- شكر النعمة أمان من حلول النقمة.

- من لم يشكر الإحسان لم يعده الحرمان.

لقد عاش الفيلسوف الدانماركي الوجودي النزعة سُورين كير كجارد (١٨١٣ - ١٨٥٥ للميلاد) في أحضان والد قد عتى ذات مرة وتناول على الخالق سبحانه ولم يشكر النعم الإلهية فخشي كثيراً من العقاب الدنيوي للرب الأعلى، ومع هذا فقد سلمت ثروته من التلف الشامل الذي أصاب مدينته كوبنهاجن، ولكن الشعور بالذنب الكبير ما طفق يراود تفكيره ومشاعره طوال الأيام التي بقيت من حياته (وفاته في شهر أغسطس من عام ١٨٣٨ للميلاد) فاعتقد أن لفحات العذاب سوف تنال ولده سُورين ولهذا يقول الأخير: لقد توفي أبي قبل أن يتم العقاب حُباً لي وذلك حتى أتحمّل وحدي العقاب.

٤ - وبغض النظر عن كون حُسن الشكر والثناء يمنع من الغيّر وزوال النعم،

فإن حُسن الشكر بنفسه رادع شديد وقوي عن سياط العذاب الإلهي، كما نلاحظ

ذلك ونحن نتأمل في الآية المباركة: «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ

وَعَامَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا»^(١).

٥ - حُسن الشكر والثناء يديم النعم ويكسب المزيد من آلاء الرحمن وفواضله: «وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»^(١).

ومن هذا القبيل من زيادة النعمة على من شكر أو استئناف النعمة ما جاء في قوله تبارك وتعالى: «كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ * إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ»^(٢).

فقد نجى الله سبحانه آل لوط من الحاصب المدمر والعذاب المبير بحُسن الشكر له تبارك وتعالى، وثنائهم على آلائه الحسان وألطافه العظام، ولولا ذلك لكان مصيرهم كالمصير التعيس لقوم لوط سواءً بسواء، والله عزيز ذو انتقام.

وقال أمير المؤمنين مؤكداً على هذا الجانب: من شكر النعم بجنانه استحق المزيد قبل أن يظهر على لسانه، وقال (عليه السلام) أيضاً: قيدوا قوادم النعم بالشكر فما كل شارد بمردود. لن يقدر أحد أن يستديم النعم بمثل شكرها ولا يزينها بمثل بذلها، وقال كذلك: الشكر زينة الرخاء وحصن النعماء. وله (عليه السلام): شكر نعمة سالفة يقضي بتجدد نعم مستأنفة، وله كذلك: النعمة موصولة بالشكر والشكر موصول بالمزيد وهما مقرونان في قرن فلن ينقطع المزيد من الله سبحانه حتى ينقطع الشكر من الشاكر..^(٣).

٦ - حُسن الشكر والثناء يستدعي الجزاء الأوفى قال تعالى: «وَمَا مُحَمَّدٌ

نصائح وتوصيات عامة في فلسفة الجود والإيثار ٢٦٧
 إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ
 أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ
 الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَتَبْنَا مُوَجِّعًا وَمَنْ يُرَدُّ
 ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرَدُّ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِيهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي
 الشَّاكِرِينَ» (١).

الأرجح عند التحقيق أن الجزاء الأوفى بالحسنى والأجر الجميل ليس
 خاصاً في هذا اللون من الآيات باليوم الآخر، بل يشمل الدار الدنيا أيضاً.
 والله ذو الفضل العظيم (٢).

١ - آل عمران، الآية / ١٤٤ - ١٤٥.

٢ - ومن كلمات الإمام علي (عليه السلام) في الشكر:

- مَنْ قَابَلَ الْإِحْسَانَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ؛ فَقَدْ جَازَاهُ.

- مَنْ أَوْتِيَ نِعْمَةً فَقَدْ اسْتَعْبَدَ بِهَا، حَتَّى يَعْتَقَهُ الْقِيَامُ بِشُكْرِهَا.

- أَحْسَنُ النَّاسِ حَالًا فِي النِّعَمِ: مَنْ اسْتَدَامَ حَاضِرَهَا بِالشُّكْرِ. وَارْتَجَعَ فَائِئَتَهَا بِالصَّبْرِ.

- عَلَيْكُمْ بِدَوَامِ الشُّكْرِ وَلِزُومِ الصَّبْرِ؛ فَإِنَّهُمَا يَزِيدَانِ النِّعْمَةَ، وَيَزِيلَانِ الْعِجْزَةَ.

- قِيدُوا قَوَادِمَ النِّعَمِ بِالشُّكْرِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ.

- لَنْ يَقْدَرَ أَحَدٌ أَنْ يَسْتَدِيمَ النِّعَمَ بِمِثْلِ شُكْرِهَا، وَلَا يَزِينُهَا بِمِثْلِ بَذْلِهَا.

- إِذَا قَصَرَتْ يَدُكَ عَنِ الْمُكَافَاةِ فَأَطْلِ لِسَانَكَ بِالشُّكْرِ.

- الشُّكْرُ زِينَةُ الرِّخَاءِ وَحِصْنُ النِّعْمَاءِ.

- شُكْرُ نِعْمَةٍ سَالِفَةٍ يَقْضِي بِتَجَدُّدِ نِعَمٍ مُسْتَأْنَفَةٍ.

- إظهار الغنى من الشكر.

جُودٌ عَلَيَّ فِي كَلِمَاتِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ

في كلماتِ المُعاصرينِ للقيمِ الإنسانيّةِ الباذخةِ سِجِلٌ حافلٌ
بالتقويمِ والتقييمِ وتدوينِ الأعمالِ والآثارِ الكبيرةِ، لا سيّما إذا كانوا مِنْ
عَمالِقَةِ التاريخِ، فَمَا أَكْبَرَ وَبَجَلٍ عَمالِقَةُ التاريخِ كَعَمالِقَةِ العَدْلِ
والأنصافِ.

جود علي في كلمات المعاصرين له

في كلمات المعاصرين للقيم الإنسانية الباذخة سجل حافل بالتقويم والتقييم وتدوين الأعمال والآثار الكبيرة، لا سيّما إذا كانوا من عمالقة التاريخ، فما أكبر وتجلّ عمالقة التاريخ كعمالقة العدل والانصاف .

لقد آن الأوان للحديث - ولو بشكل مختصر مفيد نوعاً ما - عما قالته طائفة من المعاصرين للإمام علي بن أبي طالب من كبار الصحابة وأعلام التابعين حول ايشاره البارع وجوده المتميّز ومواساته الفاتقة للأقارب والأباعد والأحباء والمبغضين . باعتبار أن بعضهم شهود عيان في ذلك، وأن بعضهم قد زاموا ايشاره وسخاءه ونقلت اليهم أخبار جوده عن كتب، وفي المحصلة من كل ذلك شهادة قاطعة لا ريب فيها على سموق الجود العلوي وشموخه وانتشار أخباره بين الخاص والعام والصديق والعدو، هذا إضافة الى شهادة القرآن الكريم والسنة النبوية، وما تحفل به سجلات التاريخ .

عليّ أسمعُ الناسِ كفاً

*** قال رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » وهو يخاطب ابنته

٢٧٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وثمره قلبه الصديقة البتول: علي أشجع الناس قلباً، وأحلم الناس حليماً، وأسمح
الناس كفاً.. (١).

وفي كتاب «الأمالى» للشيخ محمد بن علي الصدوق عن ابن الوليد عن ابن
متيل عن ابن أبي الخطاب عن محمد بن سنان عن جعفر بن سليمان عن الثمالي
عن علي بن الحسين عن أبيه (عليه السلام) قال: نظر رسول الله «ص» ذات
يوم إلى علي (عليه السلام) قد أقبل وحوله جماعة من أصحابه: فقال: مَنْ أَحَبَّ
أَنْ يَنْظَرَ إِلَى يَوْسُفَ فِي جَمَالِهِ، وَإِلَى إِبْرَاهِيمَ فِي سَخَائِهِ، وَإِلَى سُلَيْمَانَ فِي بَهْجَتِهِ،
وَإِلَى دَاوُدَ فِي حِكْمَتِهِ، فَلْيَنْظُرْ إِلَى هَذَا (٢). وفي «كنز الفوائد» للكرجكي: عن
محمد بن أحمد بن شاذان عن محمد بن أحمد الشامي عن أحمد بن زياد القطان
عن يحيى بن أبي طالب عن عمرو بن عبد الغفار عن الأعمش عن أبي صالح عن
أبي هريرة قال: كنت عند النبي «ص» إذ أقبل علي بن أبي طالب فقال النبي
«ص»: «تدري من هذا؟ قلت: هذا علي بن أبي طالب. فقال النبي «ص»: «هذا
البحر الزاخر، هذا الشمس الطالعة، أسخى من الفرات كفاً، وأوسع من الدنيا قلباً،
فمن أبغضه فعليه لعنة الله (٣).

من الثابت المؤكد أن لعن رسول الله «ص» لمن يبغض علياً لم يكن اعتباراً
أبداً، أو جاء عن رغبة شخصية، بل انطلاقاً من تعاليم الوحي الإلهي المبين،
وطبقاً للمقاييس العقلية السديدة، فلقد كان ابن أبي طالب بلا أدنى ريب البحر

١- بحار الأنوار، ٣٧ / ٩٢.

٢ - أمالي الشيخ الصدوق / المجلس الرابع والعشرون. وانظر روضة الواعظين للشهيد
محمد القتال / مجلس في ذكر فضائل أمير المؤمنين. والبحار ٣٩ / ٣٥ و٨١.

٣ - كنز الفوائد ١ / ١٤٨. وانظر كذلك الدرّ النظيم ليوסף بن حاتم الشامي / فصل في
ذكر فضائله، وكتاب مائة منقبة / المنقبة الثانية عشر. وبحار الأنوار ٢٧ / ٢٢٧ و٢٩ / ٣١٠
و٣٩ / ٨١.

جُودٌ عَلِيٌّ فِي كَلِمَاتِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ
 الزاخر، والشمس الطالعة، فهل يبغضهما إلا الشقيّ التعيس التفكير، اللثيم العنصر،
 والمعاند للحق والخير والكمال؟ ولقد كان ابن أبي طالب بلا أدنى ريب أسخى من
 الفرات كفاً، وأوسع من الدنيا قلباً، فهل يبغض من كان هكذا شأنه وطبعه إلا من
 كان شأنه وطبعه مضاداً للفطرة الانسانية القويمة، ومنازِعاً للأخلاق السويّة
 الفاضلة؟ وهل يبغض علياً إلا من يبغض رسول الله «صلى الله عليه وآله
 وسلم» في سجاياه الكريمة وأخلاقه العلية التي يعجز البيان الفائق عن وصفها؟
 فلقد قال «صلى الله عليه وآله وسلم» عن ابن أبي طالب: «إن الله طبعه على
 خُلُقِي». كما سيأتي الحديث.

آفاق كرم علي

❖ ❖ قالت عمرة بنت عبد ودّ العامري وهي تسأل عن قاتل أخيها عمرو بن
 عبد ودّ: مَنْ ذا الذي اجترأ عليه؟ فقالوا: علي بن أبي طالب. فقالت: لم يعد موته
 إلا على يد كفو كريم، لا رقات دمعتي إن أهرقتها عليه؛ قتل الأبطال، وبارز
 الأقران، وكانت منيئته على يد كريم قومه، وما سمعت أفخر من هذا يا بني عامر،
 ثم أنشدت قائلة:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنك أبكي عليه دائم الأبد

لكن قاتله من لا نظير له وكان يدعى قديماً بيضة البلدي^(١)

ما أحقّ أخت عمرو وأصدق لهجتها إذ تنعت علي بن أبي طالب وتصفه

١ - الديلمي، إرشاد القلوب ٢ / ٢٤٥. الشيخ المفيد، الإرشاد ١ / ١٠٨، ابن أبي
 الحديد، شرح نهج البلاغة ١ / ٢١. وبيضة البلدي كناية عن سمو شأنه وتميّزه بالمجد والعلواء.
 ويروى: من كان يدعى أبوه بيضة البلدي.

بالكرم ثلاث مرات حيث قالت عنه في نثرها: كفو كريم، وعبرت عنه بكريم قوميه، كما وصفته في شعرها مرة ثالثة بالكرم حيث تقول:

أسدان في ضيق المكرّ تصاولا
وكلاهما كفاء كريمٍ باسل^(١)

تتجلّى آفاق كرم علي في قتله عمرو بن عبد ودّ بالمعنيين للكرم: الكرم العام والكرم الخاص. فأما العام فمن كرمه (سَلامُ اللهِ عَلَيْهِ) أنه أقدم لما أحجمت الليوث الضارية، واقتحم حين تقاعست الكماة والأبطال، وأثبت عملياً أنه أشجع وأثبت الجيشين معاً من المسلمين والمشركين وأقدرهم جميعاً على المواجهة والمنازلة والمصاولة، ومن كرمه أنه أفرح قلوب المسلمين المظلومين فرحاً شديداً، وأحزن قلوب المشركين المعتدين حزناً عميقاً، ومن كرمه رفعه لراية الحق والكرامة مرفرفةً في السماء العليا وتنكيسه لراية الباطل والضلالة، ومن كرمه استجابته لحاجة عدوّه اللدود وعفّته عن كشف سوءته، وأما كرمه بالمعنى الخاص للكرم أعني الجود والسخاء فإنه ترك عليّ عمرو بن عبد ودّ درعه العالية الثمن الغالية القيمة ولم يسلبها منه، فقال له عمر بن الخطاب: هلا سلبت درعه فإنها تساوي ثلاثة آلاف، وليس للعرب مثلها؟ فقال: إني استحييت أن أكشف ابن عمي.

وكان عمرو قد قال لعلي لما صرعه ورمى به أرضاً: يا ابن عمّ إن لي إليك حاجة لا تكشف سوءة ابن عمك ولا تسلبه سلبه. وبما أن علياً لا يردُّ أحداً عن قضاء حاجته مسلماً كان أو كافراً فلذا استجاب لطلبه قائلاً مقالة الأبّي الحبيّ السّمحِ الكريم: ذاك أهون عليّ. وفيه يقول (عليه السلام):

وعففت عن أثوابه ولو أنسي
كنت المُقطَّرَ بزني أثوابي^(٢)

١ - الشيخ المفيد، الإرشاد ١ / ١٠٧.

٢ - وقالت أخت عمرو أيضاً في قتل أخيها وذكر علي بن أبي طالب:

عليُّ بن أبي طالبٍ ينفقُ التبرَ قبلَ التَّبنِ

مع العلم أنه حتى لسان الخصم العنيد - فضلاً عن مِقْوَلِ المحبِّ الوامق - يقرُّ بعظمة بذله وسخائه وجلال إيثاره ومواساته ويخبت له خاشعاً في محرابه غير قادر على الجحود؛ فلما أراد محفن بن أبي محفن الضبِّي أن يتقرب إلى معاوية بن أبي سفيان، وأن يتنكر للشمس الضاحية قائلاً من جملة انتقاد باطل أتيه مشهور في أروقة التأريخ: جئتك من عند أبخل الناس، لم يَسَعْ معاوية إلا أن يشجب كلامه قائلاً له بلهجة التعجب، وبلغه الاستغراب والاستهجان: لو كان لعلِّي بيت من تير، وبيت من تبن، لأنفق تبره من قبل تبنه^(١).

وقد ذمَّت إحدى بنات أبي سفيان أمير المؤمنين علياً في مجلس معاوية - وكان كل من الحسن بن علي (ع) وعقيل بن أبي طالب (رضوان الله عليه) حاضرين في المجلس - فقال لها معاوية ولم يودّ أن يجحد فضائل ابن أبي طالب علي طول الخط لا سيما مع وجود من إذا جادلاً أفحماً وإن غضباً تقحماً: أفي

أسدان في ضيق المكر تصاولا	وكلاهما كفء كريم باسل
فتخالسا مهج النفوس كلاهما	وسط المذاذ مخاتل ومقاتل
وكلاهما حضر القراع حفيظة	لم يتنه عن ذاك شغل شاغل
فاذهب علي فما ظفرت بمثله	قول سديد ليس فيه تحامل
فالتأر عندي يا علي فليتني	أدرسته والعقل مني كامل
ذلت قريش بعد مقتل فارس	فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله لا تأرت قريش بأخي ما حنت النيب. الإرشاد للمفيد ١ / ١٠٩.

١ - وفي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦ / ٣٢: قال عدوه ومبغضه الذي يجتهد في وصمه وعيبه معاوية بن أبي سفيان لمحفن بن أبي محفن الضبِّي لما قال له: جئتك من عند أبخل الناس. فقال: ويحك كيف تقول إنه أبخل الناس! لو ملك بيتاً من تبر وبيتاً من تبن، لأنفق تبره قبل تبنه.

٢٧٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
علي تقولين؟ المطعم في اللزبات، المفرج للكربات، مع ما سبق لعلي من العناصر
السوية، والشيم الرضية والشرف^(١).

ومن كتاب معاوية إلى الحسن بن علي (ع) يقول فيه: وإن علياً أباك، لكما
قال أعشى بني قيس بن ثعلبة:

فأنت الجوادُ وأنت الذي	إذا ما القلوبُ ملأن الصدورا
جديرٌ بطعنة يوم اللقاء	يضرب منها النساء النحورا
وما مُزبِدٌ من خليج البحارِ	يعلو الإكامَ ويعلو الجسورا
بأجودَ منه بما عنده	فيطي الألوفاً ويعطي البدورا ^(٢)

هل رأيت حقاً كان أحق من عليّ كرمًا وجوداً

*** قال معاوية لعمر بن العاص: لا تشكر إلا يسيراً من كثير ما اصطنعته
اليك، وخصصتك به دون غيرك، فاعرف حقنا ولا تنكر فضلنا. فقال عمرو: هل
رأيت حقاً كان أحق من عليّ قرابةً وشجاعةً ونسباً وعلماً وحسباً وفضلاً وصلاةً
وصياماً وعدلاً وطهارةً وجوداً وكرمًا وآثاراً حسنة في الإسلام^(٣)؟

وعمر بن العاص قد حارب علياً وحرّض عليه وكان الرجل الثاني في
معارك صفين ضده، ومع كل هذا كانت تبدر من فم عمرو كلمات حسان في مديح

١ - راجع تاريخ مدينة دمشق، ٤٢ / ٤١٦، وفيه لفظ المطعم في الكربات، المفرج
للكربات.. وهو ليس بليغاً وأحسبه تصحيفاً لما أثبتناه في المتن.
٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٦ / ٣١٠.
٣ - محمد بن الحسن القمي، العقد النضيد والدر الفريد / ١٢٣ - ١٢٤.

علي، كما كان يروي أحاديث عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في مقاماته وفضائله، من ذلك ما رواه عنه الموفق المكي الخوارزمي الحنفي في كتابه «المناقب»، في رسالته إلى معاوية، وذلك قبل أن يجعل له معاوية البلاد المصرية طعمةً إن انضمَّ إلى صفِّه في مواجهة علي بن أبي طالب، يقول عمرو: ويحك يا معاوية أما علمت أن أبا حسن بذل نفسه بين يدي رسول الله «ص»، ويات علي فراشه، وهو صاحب السبق إلى الإسلام، والهجرة، وقد قال رسول الله «ص»: هو مني وأنا منه، وهو مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبيَّ بعدي. وقد قال فيه يوم غدیر خُـمَّ: أَلَا مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِيٌّ مَوْلَاهُ، اللَّهُمَّ وَالِ مَنْ وَالَاهُ، وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ، وَانصُرْ مَنْ نصره، واخذل من خذله. وهو الذي قال فيه يوم خيبر: لأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولَهُ. وهو الذي قال فيه يوم الطَّيْرِ: اللَّهُمَّ آتِنِي بِأَحَبِّ خَلْقِكَ إِلَيْكَ. فلما دخل إليه قال: إِلَيَّ إِلَيَّ. وقد قال فيه يوم النضير: عَلِيُّ إِمَامُ الْبِرَّةِ، وَقَاتِلُ الْفَجْرَةِ، مَنْصُورٌ مِنْ نصره، مَخْذُولٌ مِنْ خذله (١) (٢).

دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ فَأَطْعَمَنِي

*** وحدث أبو هريرة كما تقدم في الكتاب: أنه كان في المدينة مجاعة، ومرَّ بي يوم ليلة لم أذق شيئاً، وسألت أبا بكر آية كنت أعرف بتأويلها منه، ومضيت معه إلى بابه وودعني، وانصرفت جائعاً يومئذ. وأصبحت وسألت عمر

١ - المناقب / ١٩٩ - ٢٠٠.

٢ - ومن جملة هذه الرسالة: وقد قال له رسول الله «ص»: أما أن يكون سلمك سلمي، وحربك حربي، وتكون أخي ووليي في الدنيا والآخرة. يا أبا الحسن من أحبك فقد أحبني، ومن أبغضك فقد أبغضني، ومن أحبك أدخله الله الجنة، ومن أبغضك أدخله الله النار. المناقب

٢٧٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
آية كنت أعرف منه بها، فصنع كما صنع أبو بكر، فجئت اليوم الثالث إلى علي
وسألته ما يعلمه فقط. فلما أردت أن أنصرف دعاني إلى بيته فأطعمني^(١).

كان علي الخلق الذي يحبه الله السخاء والجود

*** وقال الشعبي وقد ذكره (عليه السلام): كان أسخى الناس، كان علي
الخلق الذي يحبه الله السخاء والجود^(٢).

وقال الشعبي أيضاً: دخلت الرحبة بالكوفة وأنا غلام في غلمان، فإذا أنا
بعلي قائماً علي صبرتين من ذهب وفضة، ومعه مخفقة، وهو يطرد الناس
بمخفقتة، ثم يرجع إلى المال فيقسمه بين الناس، حتى لم يبق منه شيء، ثم
انصرف، ولم يحمل إلى بيته قليلاً ولا كثيراً. فرجعت إلى أبي فقلت له: لقد رأيت
اليوم خير الناس أو أحمق الناس! قال: من هو يا بني؟ قلت: علي بن أبي طالب

١ - إن وصف الإمام علي بن أبي طالب بغاية الكرم والجود مشهور على لسان أوليائه
وأعدائه معاً فحتى أولئك المبغضون له والناصبون له الحرب سياسياً أو عسكرياً أو اعلامياً
يعترفون بهذه الحقيقة الغراء ويشيدون بها كما رأينا أمثلة من ذلك في قديم الزمان ومن هذا
الطراز بين المعاصرين علي سبيل المثال عبد الستار الشيخ فإنه على الرغم مما شحن كتابه الذي
أسماه (علي بن أبي طالب رضي الله عنه) بالأقاويل الكاذبة والتزوير الواضح للتأريخ وخلط
الحق بالباطل يقول عن كرم الإمام علي: أما كرمه فهو شيء عظيم فقد وصل به حبه للأضياف
وإكرامهم وبسط الموائد لهم أنه قال: (لإن أجمع ناساً من أصحابي علي صاع طعام أحب إلي
من أن أخرج إلى السوق فأشتري نسمة فأعتقها) وإذا ما وقعت برجل حاجة فيتم شطر بيت
علي وجد منبع السخاء وموئل الكرم مع الشهامة والخلق الرفيع في بذله أقصى ما لديه. علي بن
أبي طالب / ٥٧ - ٥٨، ط ١، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م، ونأمل من المؤلف أن يصحح أخطاءه ويستغفر
الله تعالى من وزر ما وقع فيه فإن الدنيا زائلة والمغريات المادية فانية والله للظالمين بالمرصاد
ولا يكون شيء بديلاً عن طريق الحق وسبيل الرشاد.

٢ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١ / ٢٢.

أمير المؤمنين رأيته يصنع كذا فقصت عليه ، فبكى وقال : يا بني بل رأيت خير الناس (١) .

والشعبي هو عامر بن شراحيل من قبيلة جَمِير اليمانية الأصل ، ومسكنه الكوفة ، وقد تولى القضاء بها من قبل الأمويين ، وكان من العلماء بالتاريخ والأدب والفقه ، وكان يحاول ارضاء السلطان والتقرب اليه ، ومسيرة الشعبي - بصورة عامة - على ضوء التستر والتكتم على مناقب علي ومآثره ، والابتعاد عن نفور المبغضين له وحساسيتهم جهد الامكان حتى وإن استدعى الأمر عنده التنكر للحق والخوض فيما لا يناسب ، هذا وليس من البعيد جداً أن لا يكون في دخيلة نفسه مائلاً عن الإمام علي ، وإن ظهر لنا فيه ميل وانحراف عن بعض المقربين للإمام من قبيل مالك الأشتر والحارث الأعور وسعيد بن قيس الهمداني ، وهم من أكبر أولياء الإمام علي وأصفيائه والناصرين لدولته .

ومما يذكره عامر الشعبي من فضائل علي وآل بيته ما رواه الفقيه ابن المغازلي الشافعي في كتابه المناقب عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال : قدم وفد نجران على النبي «ص» العاقب والطيب فدعاهما إلى الإسلام فقالا : أسلمنا يا محمد قبلك . قال : كذبتما إن شئتما أخبر تكما ما يمنعكما من الإسلام قالوا : هات قال : حب الصليب وشرب الخمر وأكل الخنزير . فدعاهما إلى الملاعنة فواعدها أن يغادياها بالغدوة فغدا رسول الله «ص» وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) ، ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجيبا فأقرا بالخراج فقال النبي «ص» : والذي بعثني بالحق نبياً لو فعلا لمطر الله عليهما الوادي نارا . قال جابر : فيهم نزلت هذه الآية : « نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ .. » . الآية . قال الشعبي : أبناءنا : الحسن والحسين ، ونساءنا :

فاطمة، وأنفسنا: علي بن أبي طالب^(١).

ما ردّ سائلاً قط منذ هو صبي إلى أن استشهد

*** وقالت أم هانئ بنت أبي طالب بما مختصره: كان علي من أجود الناس، لقد كان أبوه يوجهه معه باللطف إلى بعض أهله فيقول: يا أبة هذا قليل فزده. ثم يأتي أمه فاطمة بنت أسد فيقول: يا أم زبيدي عليه من نصيبي فتفعل. ثم نشأ علي ذلك وكان جواداً شجاعاً، وضمّه إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» وهو ابن أربع سنين، فكان في حجره فأخذ يهديه. وما ردّ سائلاً قط منذ هو صبي، إلى أن استشهد (رضي الله عنه)^(٢).

١ - جاء في الدر المنثور لجلال الدين السيوطي: أخرج الحاكم وصححه وابن مردويه وأبو نعيم في الدلائل عن جابر قال: قدم علي النبي «ص» العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام. إلى أن قال: قال جابر: «أنفُسنا وأنفُسكم»: رسول الله «ص» وعلي، وأبناءنا: الحسن والحسين، ونساءنا: فاطمة.

ومن جملة ما كان يتحدث به الشعبي من مناقب أمير المؤمنين علي (عليه السلام) ما قاله الشيخ المفيد في كتابه «الإرشاد» ١ / ٣١٠: وقد شاع الخبر واستفاض عن الشعبي أنه كان يقول: لقد كنت أسمع خطباء بني أمية يسبون أمير المؤمنين علي بن أبي طالب على منابرهم، وكأنما يشال بضعه إلى السماء، وكنت أسمعهم يمدحون أسلافهم على منابرهم وكأنهم يكشفون عن جيفة. ونقل الشيخ المفيد عنه أيضاً في الفصول المختارة / ٢٥٧ عن علي بن مسلم الطوسي عن زافر بن سليمان عن الصلت بن بهرام عن الشعبي قال: مرّ علي بن أبي طالب ومعه أصحابه على أبي بكر فسلم ومضى، فقال أبو بكر: من سرّه أن ينظر إلى أول الناس في الإسلام سبقاً، وأقرب الناس من نبينا (ع) رحماً، وأعظمهم دالة عليه، وأفضلهم غناءً عنه بنفسه، فليُنظر إلى علي بن أبي طالب.

٢ - مناقب الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب لمحمد بن سليمان القاضي الكوفي ٢

وأم هانئ بنت عم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» والمهتدية بهديه، والمقتدية بسنته، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يكرمها ويشي عليها، ومن بيتها أسري به، والى بيتها هبط بعد الرحلة الإلهية، وكان بنو هاشم يجلبونها كثيراً، وقد بلغ من إكبار رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لها أن قال كما في الحديث المشهور عنه «ص»: «ألا أدلكم على خير الناس عما وعمته؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الحسن والحسين عمهما جعفر بن أبي طالب، وعمتهما أم هانئ بنت أبي طالب»^(١).

كما أن أمير المؤمنين علياً في خلافته أفردها بكتاب يخبرها بالنتيجة النهائية التي أدت إليها حرب الجمل^(٢).

ولأم هانئ أحاديث عن رسول الله «ص»، بعضها في مآثر علي (عليه السلام) ومكانته في الإسلام، من ذلك حديث غدير خم، ومن ذلك ما رواه المسعودي عن عمر بن زياد الباهلي عن شريك بن الفضيل بن سلمة عن أم هانئ بنت أبي طالب عن رسول الله «ص»: «إن علياً لا يؤذي مؤمناً، إن الله طبعه على خلقي، يا أم هانئ إنه أمير في الأرض، وأمير في السماء، إن الله جعل لكل نبي وصياً فشيث وصي آدم، ويوشع وصي موسى، وآصف وصي سليمان، وشمعون وصي عيسى، وعلي وصي، وهو خير الأوصياء في الدنيا والآخرة، وأنا صاحب

١ - كفاية الأثر / ٩٨ باب ما جاء عن زيد بن ثابت عن رسول الله «ص».. والأمالى للصدوق / المجلس السابع والستون، وبحار الأنوار ٣٧ / ٩٠ باب ٥٠ - مناقب أصحاب الكساء وفضلهم.

٢ - وقد أورد الكتاب الشيخ المفيد في كتابه الجمل / ٣٩٧ قائلاً: كتب أمير المؤمنين (عليه السلام) إلى أم هانئ بنت أبي طالب (ع): سلام عليك أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإننا التقينا..

٢٨٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الشفاعة يوم القيامة وأنا الداعي وهو المؤدي^(١).

لقد أجزَلَ العطيَّةَ وأعظَمها ووصل القِرابَةَ وحفظها

*** قال معاوية لعقيل بن أبي طالب: والله إن علياً غير حافظ لك، قطع قرابتك وما وصلك ولا اصطنعك. فأجابه عقيل قائلاً: والله لقد أجزَلَ العطيَّةَ وأعظَمها، ووصل القِرابَةَ وحفظها، وحسن ظنُّه بالله إذ ساء به ظنُّك، وحفظ أمانته وأصلح رعيته إذ ختمتم وأفسدتم وجرتم؛ فاكفف لا أباً لك فإنه عما تقول بمعزل^(٢).

شهد عقيل مع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» المعركة الفاصلة معركة حُنين فكان من الثلثة القليلة التي ثبتت مع الرسول «ص»، كما شهد معركة مؤتة مع أخيه جعفر الطيار «رض» فقاتل وغنم شخصياً، ولعقيل عدَّة أولاد وأحفاد كانت لهم مواقف بطولية مشهودة في نصرة الإمام الحسين «ع» حتى استشهدوا.

كان عقيل «رض» من أسرع الناس بديهةً وأحضرهم جواباً وأشدَّهم عارضةً، وكان شديد الحبِّ للإمام علي مالياً له ذائباً عنه بقوة لسانه وبيانه، وأراد أن يلتحق به مقاتلاً مع جماعة من أولاده وغيرهم فلم يأذن وقال له: أقم راشداً محمّوداً. فإن بقاءه في الحجاز إزاء المتربصين بالإمام الدوائر أجدى عائدةً وأكثر نفعاً.

١ - ابن شهر آشوب السروي، المناقب ٣ / ٤٧، فصل في أنه (عليه السلام) الوصي والولي.. وبحار الأنوار ٣٨ / ٢ باب ٥٦.

٢ - العقد الفريد، ٣ / ٦٨، وأنساب الأشراف ٢ / ٣٣٠ - ٣٣١.

قد صنف القاضي أبو القاسم علي بن المحسن بن علي التنوخي كتاباً سماه ذكر الروايات عن النبي «ص» أنه قال لأمير المؤمنين (عليه السلام): أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي. رواه التنوخي عن عدد كبير من الصحابة من بينهم: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وجابر بن عبد الله الأنصاري وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري وجابر بن سمرة ومالك بن حويرث والبراء بن عازب وزيد بن أرقم وأبي رافع مولى رسول الله وعبد الله بن أبي أوفى وأخيه زيد وأبي سريحة وحذيفة بن أسيد وأنس بن مالك وأبي بريدة الأسلمي وأبي أيوب الأنصاري وعقيل بن أبي طالب^(١)...

أخذ عليّ السوط ودنا من الوليد بن عقبة ليقيم عليه الحدّ بسبب شربه الخمر وهو الأمير وإمام صلاة الجماعة، فلما أقبل نحوه سبّه الوليد، فانتصر عقيل بن أبي طالب لعلي (عليه السلام) وكان فيمن حضر فقال للوليد: إنك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنك لا تدري من أنت، وأنت علعج من أهل صفورية. وكان يذكر أن أباه يهودياً منها.

اشترك عقيل «رض» في تشييع رسول الله «ص» ودفنه، ونزل في قبره المبارك، كما اشترك في تشييع ودفن الصديقة فاطمة (ع).

التحق عقيل بن أبي طالب بالرفيق الأعلى عام خمسين للهجرة، في السنة التي سُمّ فيها الحسن بن علي (ع)، وسعد بن أبي وقاص، وأحسب أن حاله كحالهما في تجرّع السمّ، فيا عجباً لغفلة المؤرخين والكتاب عن هذا المعنى.

كتب عقيل إلى أخيه أمير المؤمنين (عليه السلام) حين بلغه خذلان أهل الكوفة. لعبد الله عليّ أمير المؤمنين (عليه السلام) من عقيل بن أبي طالب. سلام

٢٨٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد فإن الله حارسك من كل سوء
وعاصمك من كل مكروه وعلى كل حال إني قد خرجت إلى مكة معتمراً فلقيت
عبد الله بن سعد بن أبي سرح في نحو من أربعين شاباً من أبناء الطلقاء فعرفت
المنكر في وجوههم فقلت: إلى أين يا أبناء الشائين أبعادية تلحقون عداوةً والله
منكم قديماً غير مستنكرة تريدون بها إطفاء نور الله وتبديل أمره. فأسمعني القوم
وأسمعتهم، فلما قدمت مكة سمعت أهلها يتحدثون أن الضحاك بن قيس أغار على
الحيرة فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفاً راجعاً سالماً فأف لحياة في دهر جراً
عليك الضحاك وما الضحاك فقع بقرقر، وقد توهمت حيث بلغني ذلك أن شيعتك
وأنصارك خذلوك فاكتب إليّ يا ابن أُمي برأيك فإن كنت الموت تريد تحمّلت إليك
ببني أخيك وولد أبيك فعشنا معك ما عشت وامتنا معك إذا مت، فوالله ما أحبُّ أن
أبقى في الدنيا بعدك فواقاً. وأقسم بالأعزّ الأجلّ أن عيشاً نعيشه بعدك في الحياة
لغير هنيء ولا مريء ولا نجيع، السلام عليك ورحمة الله وبركاته^(١).

١ - فكتب إليه علي (عليه السلام): من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عقيل بن أبي
طالب سلام الله عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد كلأنا الله وإياك كلاءة من
يخشاه بالغيب إنه حميد مجيد. قد وصل إليّ كتابك مع عبد الرحمن بن عبيد الأزدي تذكر فيه
أنك لقيت عبد الله بن سعد بن أبي سرح مقبلاً من قديد في نحو من أربعين فارساً من أبناء
الطلاق متوجهين إلى جهة الغرب وأن ابن أبي سرح طالما كاد الله ورسوله وكتابه وصد عن
سبيله وبغاهما عوجاً فدع ابن أبي سرح ودع عنك قريشاً وغلهم وتركاضهم في الضلال وتجوالمهم
في الشقاق، ألا وإن العرب قد أجمعت على حرب أخيك اليوم إجماعها على حرب رسول الله
«صلى الله عليه وآله وسلم» قبل اليوم فأصبحوا قد جهلوا حقه وجحدوا فضله وبادروه العداوة
ونصبوا له الحرب وجهدوا عليه كلّ الجهد وجروا إليه جيش الأحزاب. اللهم فاجز قريشاً عني
الجوازي فقد قطعت رحمي وتظاهرت علي ودفعتني عن حقي وسلبتي سلطان ابن أُمي وسلمت
ذلك إلى من ليس مثلي في قرابتي من الرسول وسابقتي في الإسلام إلا أن يدعي مدع ما لا
أعرفه ولا أظن الله يعرفه والحمد لله على كل حال. فأما ما ذكرته من غارة الضحاك على أهل
الحيرة فهو أقل وأزل من أن يلمّ بها أو يدنو منها ولكنه قد كان أقبل في جريدة خيل فأخذ على

أعطى جميع ولد المُطلبِ وعبدِ المُطلبِ

*** وقال محمد بن الحنفية بما مختصره: كان أبي (رضوان الله عليه) إذا جاءت غلته من ضياعه، أعطى جميع ولد عبد المطلب من كان منهم يحتاج إلى أن يعطيه، وإلى سائر بني هاشم، وإلى ولد المطلب بن عبد مناف، وولد نوفل بن عبد مناف، وإلى جماعة من قريش من كان منهم يحتاج إلى الصلّة، وإلى أهل بيوت من الأنصار وغيرهم، حتى لا يبقى منه شيئاً. رضوان الله عليه ومغفرته، ولم يسأله أحد شيئاً فرده إلا بما يرضيه (١).

ومحمد بن الحنفية في الطبقة الأولى من علماء المدينة وفقهاء التابعين، ورجالات صدر الاسلام والعصر الأموي. ومما قاله (رض) بحق الإمام أمير المؤمنين ما قد جاء في كتاب (كشف الغمة): مما أخرجه العز المحدث الحنبلي قوله تعالى: «قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ». قال

السماعة حتى مرّ بواقصة وشراف والقططانة مما وإلى ذلك الصقع فوجهت إليه جنداً كثيراً من المسلمين فلما بلغه ذلك فرّ هارباً فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق وقد آمنن وكان ذلك حين طلعت الشمس للإياب فتناوشوا القتال قليلاً كلا ولا فلم يصبر لوقع المشرفية وولى هارباً وقتل من أصحابه بضعة عشر رجلاً ونجا جريضاً بعد ما أخذ منه بالمخنق، فلأياً بلائ ما نجا، فأما ما سألتني أن أكتب لك برأيي فيما أنا فيه فإن رأيي جهاد المُحلّين حتى ألقى الله لا يزيدني كثرة الناس معي عزة ولا تفرقهم عني وحشة لأنني محق والله مع المحق ووالله ما أكره الموت على الحق وما الخير كله إلا بعد الموت لمن كان محقاً وأما ما عرضت به من مسيرك إليّ بينك وبني أهلك فلا حاجة لي في ذلك فأقم راشداً محموداً فوالله ما أحب أن تهلكوا معي إن هلكت ولا تحسبن ابن أمك ولو أسلمه الناس متخشعاً ولا متضرعاً إنه لكما قال أخو بني سليم:

صبورٌ على ريب الزمان صليبٌ

فيسمتم عباد أو يساء حبيبٌ

فإن تسأليني كيف أنت فإني

يعزُّ عليّ أن تُرى بي كآبةٌ

محمد بن الحنفية (رضي الله عنه): هو علي بن أبي طالب (عليه السلام) (١).

وروى زر بن حبيش قال: سمعت محمد بن الحنفية (رضي الله عنه) يقول: فينا ستُّ خصال لم تكن في أحد ممن كان قبلنا، ولا تكون في أحد بعدنا: منا محمد سيد المرسلين، وعلي سيد الوصيين، وحمزة سيد الشهداء، والحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وجعفر بن أبي طالب المزين بالجناحين يطير بهما في الجنة حيث يشاء، ومهديُّ هذه الأمة، الذي يصلي خلفه عيسى ابن مريم (٢).

وروى أبو نعيم الأصفهاني، وأبو المفضل الشيباني وابن بطة العكبري، بالإسناد عن محمد بن الحنفية، وعن الباقر (عليه السلام) في خبر قالوا: لا يلقى مؤمن إلا وفي قلبه ودّ لعلي بن أبي طالب، ولأهل بيته (ع) (٣).

وعن عروة يرفعه إلى محمد بن علي (ع) يعني محمد بن الحنفية وكان في دمشق وسمع رجلاً يقول: هذا ابن أبي تراب. فاستند ظهره إلى جدار المحراب في جامع دمشق ثم قال: اخسئوا ذريّة النفاق، وحشوة النيران، وحصب جهنم، عن البدر الزاهر، والنجم الثاقب، واللسان الناقد، وشهاب المؤمنين، والصراط المستقيم، من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها، أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً. أتدرون أي عقبة تقتحمون! أخو رسول الله تستهدفون! ويعسوب الدين تلمزون! قبأي سبيل رشاد بعد ذلك تسلكون! وأي حرف بعد ذلك تدفعون! هيهات برز الله في السيف، وفاز بالخصل، واستولى على الغاية، وأحرز الحظ، وانحسرت عنه الأبصار، وانقطعت دونه الرقاب، وكبرت والله من الأمة التبعة، وعناه الطلب، وأنى لهم التناوش من مكان بعيد.

١ - بحار الأنوار، ٣٥ / ٤٣٤، باب ٢٤ - أنه (عليه السلام) الذي عنده علم الكتاب.

٢ - بحار الأنوار ٢٢ / ٢٨٠ باب ٥ - أحوال عشائره وأقربائه..

٣ - بحار الأنوار ٣٥ / ٣٥٥، باب ١٤ - قوله تعالى إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات..

أَقْلُوا عَلَيْهِمْ لَا أَبَا لِأَبِيكُمْ من اللوم أو سدوا المكان الذي سدوا^(١)

وأبي يسدُّ ثلثة أخيه رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إذ سفعوا، وشقيق نبيّه إذ حصلوا، ونديد هارون من موسى (ع) إذ مثلوا، وذو قربي كبيرها إذا امتحنوا، والمصلي للقبلتين إذا انحرفوا، والمشهود له بالإيمان إذا كفروا، والمدعو إلى الخير إذا نكلوا، والمندوب لعهد المشركين إذا نكثوا، والخليقة على المهاجرين إذا جزعوا، والمستودع الأسرار ساعة الوداع إذا حُجِبوا^{(٢)(٣)}.

١ - البيت للحطيثة من قصيدة له وهي من أحسن المديح في عصره.

٢ - السيد ابن طاووس، الطرائف ١ / ٨٩ / علي (عليه السلام) خير البرية وخير

البشر.. ١٢٨

٣ - وقد روى عمرو بن أبي شيبه عن سعيد بن جبير قال: خطب عبد الله بن الزبير فقال من علي (ع)، فبلغ ذلك محمد بن الحنفية فجاء إليه وهو يخطب، فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته وقال: يا معشر العرب شاهت الوجوه، أينتقص علي وأنتم حضوراً! إن علياً كان يد الله على أعدائه، وصاعقة من أمر الله أرسله على الكافرين به والجاحدين لحقه، فقتلهم بكفرهم، فشنوه، وأبغضوه، وأضمرؤا له السيف والحسد وابن عمه (ع) حي بعد لم يموت، فلما نقله الله إلى جواره، وأحب له ما عنده، أظهرت له رجال أحقادها، وشفت أضغانها، فمنهم من ابتزه حقه، ومنهم من أسمر به ليقتله، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل، فإن يكن لذريته وناصري دعوته دولة ينشر عظامهم ويحفر على أجسادهم والأبدان يومئذ بالية بعد أن يقتل الأحياء منهم ويذل رقابهم ويكون الله عز اسمه قد عذبهم بأيدينا وأخزاهم ونصرنا عليهم وشفي صدورنا منهم. إنه والله ما يشتم علياً إلا كافر يسر شتم رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» ويخاف أن ييوح به فيلقى شتم علي عنه. أما إنه قد تخطت المنية منكم من امتد عمره وسمع قول رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» فيه:

لَا يُحِبُّكَ إِلَّا مُؤْمِنٌ وَلَا يَبْغُضُكَ إِلَّا مُنَافِقٌ «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ».

فعاد ابن الزبير إلى خطبته وقال عذرت بني الفواطم يتكلمون فما بال ابن أم حنفية؟

فقال محمد: يا ابن أم قتيلة ومالي لا أتكلم وهل فاتني من الفواطم إلا واحدة ولم يفتني فخرها لأنها أم أخوي أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم جده رسول الله «ص» وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم كافلة رسول الله والقائمة مقام أمه. أما والله لولا خديجة بنت خويلد

تصدق خاتمه راعياً

*** وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين الأنصاري:

فديت علياً إمام الوري	سراج البرية مأوى التقى
وصي الرسول وزوج البتول	إمام البرية شمس الضحى
تصدق خاتمه راعياً	فأحسن بسفعل إمام الوري
ففضله الله رب العباد	وأنزل في شأنه هل أتى ^(١)

يشير ذو الشهادتين بهذا القطعة الشعرية إلى قضيتين شاخصتين قد ذكرهما القرآن المجيد من سخاء الإمام علي وجوده: ففي البيت الثالث منها تعرّض إلى تصدّق الإمام بالخاتم وهو راع، كما فصلنا الحديث فيما تقدّم من هذا الكتاب، وفي البيت الرابع منها تعرّض إلى الآيات المباركة من سورة الانسان النازلة بحق علي وفاطمة والحسن والحسين (ع) لما أطعموا وهم جياع المسكين واليتيم والأسير. كما فصلنا ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب أيضاً.

وخزيمة بن ثابت الأنصاري الأوسي من أكابر الصحابة وخيار البرية، وله عند المسلمين عامة محلّ عظيم. وهو بدري، وقد شهد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» مشاهدته كلّها، كما أنه من رواة حديث الغدير، وكان مجاهداً صنديداً وخطيباً مفوهاً وشاعراً محسناً.

ما تركت في أسد بن عبد العزى عظماً إلا هشمته ثم قام فانصرف. بحار الأنوار ٤٢ / ١٠١ باب ١٢٠ - أحوال أولاده وأزواجه، وشرح نهج البلاغة ٤ / ٦٢ - فصل فيما روي من سب معاوية وحزبه لعلي.
١ - بحار الأنوار ٣٥ / ١٩١.

وكان الإمام أمير المؤمنين قد ضمَّ ذا الشهادتين إلى محمد بن الحنفية (صاحب الراية العظمى في وقعة الجمل) في جمع من الأنصار كثير منهم أهل بدر، فحمل محمد حملات كثيرة أزال بها القوم عن مواقفهم، وأبلى بلاءً حسناً. فقال خزيمة بن ثابت: لعلي (عليه السلام): أما إنه لو كان غير محمد اليوم لافتضح، ولئن كنت خفت عليه الجبن وهو بينك وبين حمزة وجعفر، لما خفنا عليه، وإن كنت أردت أن تعلمه الطعان، فطالما علَّمته الرجال^(١).

سحابٌ إذا قحط الناس

*** وقال الإمام الحسن سبط الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» من مقطوعة شعرية في رثاء أبيه الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام):

أين من كان لعلم	المصطفى في الناس بابا
أين من كان إذا	ما قحط الناس سحاباً ^(٢)

١ - وأنشأ ذو الشهادتين يقول مادحاً محمد بن الحنفية «رض» مظهراً غاية إعجابه بشخصه الكريم:

محمد ما في عودك اليوم وصمة	ولا كنت في الحرب الضروس معزدا
أبوك الذي لم يركب الخيل مثله	عليٌّ وسماك النسي محمدا
فلو كان حقا من أبيك خليفة	لكنت ولكن ذلك ما لا يرى بدا
وأنت بحمد الله أطول غالب	لسانا وأنداها بما ملكت يدا
وأقربها من كل خير تريده قريش	وأوفأها بما قال موعدا
وأطعنهم صدر الكمي بمرمحه	وأكسأهم للهام عضيا مهندا
سوى أخويك السيدين كلاهما	إماما الوري والداعيان إلى الهدى
أبى الله أن يعطي عدوك مقعداً	من الأرض أو في اللوح مرقى ومصدا

طالما وصف الأدباء والشعراء - منذ الأزمان السالفة والتي هذا العصر الحاضر - أرباب الجود والنوال وأكابر المفضلين، بالسحاب، (أي بما يؤدي إليه من هطول الأمطار)، وبالغيث، والرباب وهو السحاب الأبيض الذي يرى دون السحاب، والسماء، (التي تعني هنا المطر أيضاً)، والمُزَن والحَيَا^(١) ونحو ذلك من الألفاظ والمعاني التي يراد منها إزالة القحط المعاشي، وإرواء الجذب الحياتي، وتحسين الأحوال الاقتصادية، وإمالة أشباح الفقر والعدم والبؤس، وتكريم الضيوف والوافدين، بما يجود به الكرماء المطبوعون على الكرم، وتفيض أيديهم السمحة النديّة بالعطاء والفضل والمواساة والله يحب المحسنين.

والامام الحسن بن علي من أفضل وأصدق من يصوّرون الحقيقة الغراء كما هي، ويرشدون عن فهم ومعرفة دقيقة إلى الواقع السليم، وفي بياناته السامية الشافية من خطب ومناظرات وغيرهما، كثيراً ما يلفت الأنظار ويستقطبها إلى مناقب الامام علي ومزاياه العليا والتي ايثاره الفريد.. فمن خطاب له بعد شهادته (عليه السلام): لقد قبض في هذه الليلة رجل لم يسبقه الأولون بعمل، ولا يدركه الآخرون بعمل، لقد كان يجاهد مع رسول الله فيقيه بنفسه، وكان رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يوجهه برايته فيكنفه جبرئيل عن يمينه، وميكائيل عن يساره فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه. ولقد توفي في الليلة التي عرج فيها بعيسى ابن مريم (عليه السلام)، وفيها قبض يوشع بن نون وصي موسى، وما

١ - قال عبد الله بن ثور البكائي يرثي هشام بن المعيرة المخزومي وقد مات في الجاهلية:

جواد مثل سيل الغيث يوماً إذا علجانه يعلو الإكاما

وقال أبو الفتح البستي:

أنا أرض وراحتك سحابٌ والأأيادي ونبل وشكري نباتٌ

وقال جرير بن عطية (العصر الأموي) كما في ديوان شعره:

قيس يرونك ما حبيت لهم حيا ولآل خندف ملكك استبشارٌ

خلف صفراء ولا بيضاء إلا سبع مائة درهم فضلت من عطائه، أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله^{(١)(٢)}.

البرُّ الوَصُول

*** وقال إمام الصديقين والشهداء أبو عبد الله الحسين بن علي (ع): إنما الصدقة الطيبة صدقة الذي عرق فيها جبينه، واغبرَّ فيها وجهه. قيل لأبي عبد الله جعفر الصادق (عليه السلام): مَنْ عني بذلك؟ قال: عني به علياً (ص)^(٣).

وقال الحسين (ع) وهو يرتجز ويذكر أباه بالبرِّ والصِّلة:

١ - الشيخ المفيد، الإرشاد، ٢ / ٨.

٢ - ومن ذلك ما جاء في مناظرته الكبرى مع قادة أهل الشام والتي أوردها الموفق المكي الحنفي أخطب خوارزم في المناقب، وسبط ابن الجوزي في التذكرة، والطبرسي في الاحتجاج: ثم أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله «ص» استخلفه على المدينة في غزوة تبوك، ولا سخطه ذلك ولا كرهه، وتكلم فيه المنافقون فقال: لا تخلفني يا رسول الله فإنني لم أتخلف عنك في غزوة قط.

فقال رسول الله «ص»: أنت وصيي وخليفتي في أهلي بمنزلة هارون من موسى، ثم أخذ بيد علي (عليه السلام) ثم قال: أيها الناس من تولاني فقد تولي الله، ومن تولي علياً فقد تولاني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن أطاع علياً فقد أطاعني، ومن أحبني فقد أحب الله، ومن أحب علياً فقد أحبني.

ثم قال: أنشدكم بالله أتعلمون أن رسول الله قال في حجة الوداع: أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما لم تضلوا بعده: كتاب الله فأحلوا حلاله وحرّموا حرامه واعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه وقولوا آمنا بما أنزل الله من الكتاب، وأحبوا أهل بيتي وعترتي ووالوا من والاهم وانصروهم على من عاداهم، وإنهما لم يزالا فيكم حتى يردها عليّ الحوض يوم القيامة. ثم دعا وهو على المنبر علياً فاجتذبه بيده فقال: اللهم والِ من والاه وعادِ من عاداه...

يا نكبات الدهر دولي دولي وأقصري إن شئت أو أطيلي

رميتني رمية لا مقيـلٍ بكل خطب فادح جليل

وكل عبء أيـد ثقيلٍ أول ما رزنت بالرسول

وبعد بالطاهرة البتولِ وَالوَالِدِ الْبِرِّ بِنَا الْوَصُولِ^(١)

نعم نعم لقد شهدت صفحات التأريخ وسجلات الروايات أن الإمام أمير المؤمنين كان وَالِدًا بَرًّا بِأَهْلِيهِ وَذَوِي رَحْمِهِ، وَصُولًا لَهُمْ، مُحْسِنًا إِلَيْهِمْ، يَتَفَقَّدُ الْبَعِيدَ، وَيُرْعَى الْقَرِيبَ، وَيَحْنُو عَلَى الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ، وَيَعْطِفُ عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ، وَمَنْ كَانَ يَرْحَمُ الْأَعْدَاءَ، وَيَجُودُ عَلَى الْقَاصِدِينَ مِنَ الْبَعْدَاءِ، كَيْفَ لَا يَرْحَمُ وَيَجُودُ عَلَى الْأَهْلِينَ وَالْأَرْحَامِ؟ إِنَّهُ حَقًّا عَلِيُّ الْخَيْرِ وَالْإِحْسَانِ، عَلِيُّ النَّبْلِ وَالْفَضْلِ وَالْجَمِيلِ، شَهَادَةٌ وَثْقَى لَا تَقْبَلُ التَّرَدُّدَ وَالتَّارِجَ سَوْفَ أَلْقَى بِهَا الْحَيَّ الْقَيُّومَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وللإمام الحسين بن علي (ع) كلمات منيفة ومواقف جلييلة في نصرة علي (عليه السلام) ونشر أفكاره والدفاع عنه حيًّا وميتاً، والحسين هو القائل: إن أطع أبي فيما أمرني فلعمري إنَّه لهادٍ وأنا مهتدٍ به، وله في رقاب الناس البيعة على عهد رسول الله «ص» نزل بها جبرئيل عليه السلام من عند الله تعالى، لا ينكرها أحد إلا جاحد بالكتاب، قد عرفها الناس بقلوبهم وأنكروها بألسنتهم، وويل للمنكرين حقنًا أهل البيت، ما ذا يلقاهم به محمد رسول الله صلَّى الله عليه وآله من إدامة الغضب وشدة العذاب^(٢).

لم يكن الإمام الحسين لينسى أباه أبداً حتى في أخرج الظروف وأقصى المحن والنوائب، فهو القائل عنه يوم كربلاء (الوَالِدِ الْبِرِّ بِنَا الْوَصُولِ) ولنصغ بتفهيم

ورويته إلى التقرير الخبري التالي لنرى خالص وفاء الحسين وصدق تفاعله مع إمامه وأستاذه وأبيه العظيم :

عن حميد بن مسلم قال : دعا الحسين بغلام فأقعده في حجره فرماه عقبة بن بشر فذبحه ، وعمن شهد الحسين قال : كان معه ابن له صغير فجاء سهم فوقع في نحره قال : فجعل الحسين يمسح الدم من نحر لبتة فيرمي به إلى السماء فما رجع منه شيء ويقول : اللهم لا يكون أهون عليك من فصيل . ثم قالوا : ثم قام الحسين (عليه السلام) وركب فرسه وتقدم إلى القتال وهو يقول :

وابن سعد قد رماني عنوة	بجنود كوكوف الهاطلين
لا لشيء كان مني قبل ذا	غير فخري بضياء النيرين
بعلي الخير من بعد النبي	والنبي القرشي الوالدين
خيرة الله من الخلق أبي	ثم أمي فأنا ابن الخيرتين
من له جد كجدي في الوري	أو كشيخي فأنا ابن العلمين
فاطم الزهراء أمي وأبي	قاصم الكفر ببدر وحنين
وله في يوم أحد وقعة	شفت الغل بفض العسكرين
ثم في الأحزاب والفتح معاً	كان فيها حتف أهل الفيلقين

ثم وقف (عليه السلام) قبالة القوم وسيفه مصلت في يده آيساً من الحياة عازماً على الموت وهو يقول :

أنا ابنُ عليِّ الطُّهرِ من آلِ هاشمٍ كفاني بهذا مَفْخَرًا حينَ أْفخِرُ^(١)

٢٩٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
وللإمام الحسين أحاديث كثيرة عن رسول الله «صلى الله عليه وآله
وسلم» في مناقب علي وفضائله قد حدّث ببعضها عنه «صلى الله عليه وآله
وسلم» بلا واسطة، ومنها ما حدّث به مع الواسطة، وعلى سبيل المثال ما رواه
الشيخ الجليل محمد بن الحسن الطوسي (رضوان الله عليه) في كتابه «الأمالي»
بالاسناد عن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أمير المؤمنين (عليه السلام)
عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: يَا عَلِي خَلَقَ اللَّهُ النَّاسَ مِنْ
أَشْجَارٍ شَتَّى وَخَلَقَنِي وَأَنْتَ مِنْ شَجَرَةٍ وَاحِدَةٍ أَنَا أَصْلُهَا وَأَنْتَ فَرْعُهَا فَطُوبَى لِعَبْدٍ
تَمَسَكَ بِأَصْلِهَا وَأَكَلَ مِنْ فَرْعِهَا^(١).

عن الأعمش عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده (عليه السلام) عن النبي
«صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: ليلة أسري بي إلى السماء فبلغت السماء
الخامسة نظرت إلى صورة علي بن أبي طالب فقلت: حبيبي جبرئيل ما هذه
الصورة؟ فقال جبرئيل: يا محمد اشتهدت الملائكة أن ينظروا إلى صورة علي
فقالوا: ربنا إن بني آدم في دنياهم يتمتعون غدوة وعشية بالنظر إلى علي بن أبي
طالب حبيب حبيبك محمد وخليفته ووصيه وأمينه فمتعنا بصورته قدر ما تمتع
أهل الدنيا به. فصوّر لهم صورته من نور قدسه عز وجل فعلي بين أيديهم ليلاً
ونهاراً يزورونه وينظرون إليه غدوة وعشية^{(٢)(٣)}.

١ - نقلنا الحديث بتصرف عن بحار الأنوار ١٥ / ٢٠.

٢ - بحار الأنوار ١٨ / ٣٠٥ بتصرف.

ومن أحاديث الإمام الحسين (ع) في هذا المورد ما جاء في «الأمالي» للشيخ الطوسي
بالاسناد عن مالك الجهني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن علي
بن أبي طالب قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» لما أسري بي إلى السماء ثم من
السماء إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى أوقفت بين يدي ربي عز وجل فقال: يا محمد. فقلت:
ليبيك ربي وسعديك قال: قد بلوت خلقي فأبهم وجدت أطوع لك؟ قال: قلت: ربّ علياً. قال:
صدقت يا محمد فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟

قال: قلت: اختر لي فإن خيرتك خير لي. قال: قد اخترت لك علياً فاتخذته لنفسك خليفة ووصياً، ونحتله علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقاً لم ينلها أحد قبله ولا أحد بعده. يا محمد عليُّ راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني فبشره بذلك يا محمد: فقال النبي «ص»: رب فقد بشرته. فقال علي: أنا عبد الله وفي قبضته إن يعذبني فيذنوبي لم يظلمني شيئاً وإن يتم لي ما وعدني فالله أولئ بي: فقال: اللهم أخل قلبه واجعل ريبه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك به. يا محمد غير أنني مختصه بشيء من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي. قال: قلت: رب أخي وصاحبي. قال: إنه قد سبق في علمي أنه مبتلى ومبتلى به، ولولا علي لم يعرف أوليائي ولا أولياء رسلي.

قال محمد بن مالك: فلقيت نصر بن مزاحم المنقري فحدثني عن غالب الجهني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله «ص»: لما أسري بي إلى السماء وذكر مثله سواء.

قال محمد بن مالك: فلقيت علي بن موسى بن جعفر (ع) فذكرت له هذا الحديث فقال: حدثني به أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عن علي (ع) قال: قال رسول الله «ص»: لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى وذكر الحديث بطوله.

كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً من كتاب المعراج عن الصدوق عن محمد بن عمر الحافظ البغدادي عن محمد بن هارون مثله. بتصرف عن البحار ١٨ / ٢٧١ - ٣٧٢. وفي الأمالي للشيخ الطوسي بالاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين (ع) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: لما أسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى نوديت: يا محمد استوص بعلي خيراً فإنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الفر المحجلين يوم القيامة. بتصرف عن البحار ١٨ / ٤١٠.

٣ - ومن أحاديث الإمام الحسين في هذا المورد ما جاء في «الأمالي» للشيخ الطوسي بالاسناد عن مالك الجهني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن علي بن أبي طالب قال رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى أوقفت بين يدي ربي عز وجل فقال: يا محمد. قلت: لبيك ربي وسعديك قال: قد بلوت خلقي فأبهم وجدت أطوع لك؟ قال: قلت: رب علياً. قال:

الجواد الحبي

*** قال صعصعة بن صوحان العبدي وقد سأله المغيرة بن شعبة من أين أقبلت؟ فقال: من عند الولي التقي، الجواد الحبي، الحلبي الوفي، الكريم

صدقنا يا محمد فهل اتخذت لنفسك خليفة يؤدي عنك ويعلم عبادي من كتابي ما لا يعلمون؟ قال: قلت: اختر لي فإن خيرتك خير لي. قال: قد اخترت لك علياً فاتخذته لنفسك خليفة ووصياً، ونحتله علمي وحلمي وهو أمير المؤمنين حقاً لم ينالها أحد قبله ولا أحد بعده. يا محمد علي راية الهدى وإمام من أطاعني ونور أوليائي وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين من أحبه فقد أحبني ومن أبغضه فقد أبغضني فبشره بذلك يا محمد: فقال النبي «ص»: رب فقد بشرته. فقال علي: أنا عبد الله وفي قبضته إن يعذبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً وإن يتم لي ما وعدني فالله أولى بي: فقال: اللهم أخل قلبه واجعل ريبه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك به. يا محمد غير أنني مختصه بشيء من البلاء لم أختص به أحداً من أوليائي. قال: قلت: رب أخي وصاحبي. قال: إنه قد سبق في علمي أنه مبتلى ومبتلى به ولولا علي لم يعرف أوليائي ولا أولياء رسلي. قال محمد بن مالك: فلقيت نصر بن مزاحم المنقري فحدثني عن غالب الجهني عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال: قال رسول الله «ص»: لما أسري بي إلى السماء وذكر مثله سواء.

قال محمد بن مالك: فلقيت علي بن موسى بن جعفر (ع) فذكرت له هذا الحديث فقال: حدثني به أبي موسى بن جعفر عن أبيه جعفر عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي عن علي (ع) قال: قال رسول الله «ص»: لما أسري بي إلى السماء ثم من السماء إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى وذكر الحديث بطوله.

كتاب المحتضر للحسن بن سليمان نقلاً من كتاب المعراج عن الصدوق عن محمد بن عمر الحافظ البغدادي عن محمد بن هارون مثله. بتصرف عن البحار ١٨ / ٢٧١ - ٣٧٢.

وفي الأمالي للشيخ الطوسي بالاسناد عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده الحسين (ع) عن رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه قال: لما أسري بي إلى السماء وانتهيت إلى سدرة المنتهى نوديت: يا محمد استوص بعلي خيراً فإنه سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين يوم القيامة. بتصرف عن البحار ١٨ / ٤١٠.

الحفي، المانع بسيفه، الجواد بكفه، الوري زنده، الكثير رفته.. فقال المغيرة: هذه صفات أمير المؤمنين علي^(١).

وصعصة بن صوحان من أكبر التابعين بإحسانٍ شخصيةً، ومن أفضلهم عقلاً وديناً واستقامةً وبلاغَةً وبياناً، وله مواقف عسكرية وبيانية وأخبار رواتع في نصر الإمام علي ومؤازرته بكل ما أوتي من قوة وصلابة واقتدار.

ومما يدل على ثناء الإمام علي واكباره له ما رواه أبو مخنف عن أبي الطفيل أن صعصة بن صوحان استأذن علي^(عليه السلام) وقد أتاه عائداً لما ضربه ابن ملجم فلم يكن عليه إذن فقال صعصة للآذن: قل له يرحمك الله يا أمير المؤمنين حياً وميتاً فلقد كان الله في صدرك عظيماً، ولقد كنت بذات الله عليماً. فأبلغه الإذن إليه فقال: قل له: وأنت يرحمك الله فلقد كنت خفيف المؤونة، كثير المعونة^(٢).

قال صعصة - وقد سأله معاوية ما تقول في علي؟ قال: ما أقول في رجلٍ لم يقل له مستجير: لو أنه... ولا مستقصر: ليت، إنه جمع العلم والقرابة القريبة والهجرة القديمة لأجل الإسلام فما أقوله فيه.

لما أُلحِد أمير المؤمنين (عليه السلام) وقف صعصة بن صوحان (رضي الله عنه) على القبر ووضع إحدى يديه على فؤاده والأخرى قد أخذ بها التراب ويضرب به رأسه ثم قال: بأبي أنت وأمي يا أمير المؤمنين ثم قال هنيئاً لك يا أبا الحسن فلقد طاب مولدك وقوي صبرك وعظم جهادك وظفرت برأيك وربحت تجارتك وقدمت علي خالك فتلقاك الله ببشارته وحفتك ملائكته واستقررت في جوار المصطفى فأكرمك الله بجواره ولحقت بدرجة أخيك المصطفى وشربت

١ - سبط ابن الجوزي، تذكرة الخواص / ١١٨.

٢ - بحار الأنوار ٤٢ / ٢٣٤.

٢٩٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
بكأسه الأوفى، فأسأل الله أن يمن علينا باقتفائنا أثرك والعمل بسيرتك والموالاة
لأوليائك والمعاداة لأعدائك، وأن يحشرنا في زمرة أوليائك فقد نلت ما لم ينله
أحد وأدركت ما لم يدركه أحد وجاهدت في سبيل ربك بين يدي أخيك المصطفى
حق جهاده وقمت بدين الله حق القيام حتى أقمت السنن وأبرت الفتن واستقام
الإسلام وانتظم الإيمان فعليك مني أفضل الصلاة والسلام.

بك اشتد ظهر المؤمنين واتضحت أعلام السبل وأقيمت السنن وما جمع
لأحد مناقبك وخصالك. سبقت إلى إجابة النبي «ص» مقدماً مؤثراً وسارعت إلى
نصرته ووقيته بنفسك ورميت سيفك ذا الفقار في مواطن الخوف والحذر. قصم
الله بك كل جبار عنيد وذل بك كل ذي بأس شديد وهدم بك حصون أهل الشرك
والكفر والعدوان والردى وقتل بك أهل الضلال من العدى فهنيئاً لك يا أمير
المؤمنين.

لقد شرف الله مقامك وكنت أقرب الناس إلى رسول الله «ص» نسباً وأولهم
إسلاماً وأوفاهم يقيناً وأشدهم قلباً وأبذلهم لنفسه مجاهداً وأعظمهم في الخير
نصيلاً؛ فلا حرمننا الله أجرك ولا أذلنا بعدك، فوالله لقد كانت حياتك مفاتيح للخير
ومغالق للشر، وإن يومك هذا مفتاح كل شر ومغلاق كل خير، ولو أن الناس قبلوا
منك لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولكنهم آثروا الدنيا على الآخرة.

ثم بكى بكاءً شديداً وأبكى كل من كان معه، وعدلوا إلى الحسن والحسين
ومحمد وجعفر والعباس ويحيى وعون وعبد الله فعزوهم في أيهم (صلوات
الله عليه) (١).

١ - بحار الأنوار ٤٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦. وفي تفسير فرات عن صعصعة بن صوحان والأحنف
بن قيس قالا جميعاً: سمعنا ابن عباس يقول: كنت مع رسول الله «ص» إذ دخل علينا عمرو بن
الحارث الفهري قال: يا أحمد أمرتنا بالصلاة والزكاة أفمنك كان هذا أم من ربك يا محمد؟ قال:

وكانت شهادة الإمام فاجعة كبرى على صعصعة لما كان يلتهب في قلبه من الحب العميق والاخلاص الوثيق، ولما كان يعرفه جيداً من مقامه (عليه السلام) العظيم وشأنه المبين، بل كان صعصعة من أعرف البشرية بمكانة الإمام علي وبحقه الكبير على الناس^(١).

الفريضة من ربي وأداء الرسالة مني حتى أقول ما أدبت إليكم إلا ما أمرني ربي. قال: فأمرتنا بحب علي بن أبي طالب زعمت أنه منك كهارون من موسى وشيعته على نوق غر محجلة يرفلون في عرصة القيامة حتى يأتوا الكوثر فيشربوا وجميع هذه الأمة يكونون زمرة في عرصة القيامة، أهذا سبق من السماء أم كان منك يا محمد؟ قال: بلى سبق من السماء ثم كان مني، لقد خلقنا الله نوراً تحت العرش. فقال عمرو بن الحارث: الآن علمت أنك ساحر كذاب يا محمد. أستمنا من ولد آدم؟ قال: بلى ولكن خلقتني الله نوراً تحت العرش قبل أن يخلق الله آدم فجعل ذلك النور في صلب آدم، فأقبل ينتقل ذلك النور من صلب إلي صلب حتى تفرقتنا في صلب عبد الله بن عبد المطلب وأبي طالب فخلقتني ربي من ذلك النور لكنه لا نبي بعدي. قال: فوثب عمرو بن الحارث الفهري مع اثني عشر رجلاً من الكفار وهم ينفضون أردبتهم فيقولون: اللهم إن كان محمد صادقاً في مقالته فارم عمرأ وأصحابه بشواظ من نار. قال: فرمي عمرو وأصحابه بصاعقة من السماء فأنزل الله هذه الآية: «سَأَلْ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ مِنَ اللَّهِ ذِي الْمَعَارِجِ» فالسائل عمرو وأصحابه.

١ - إذا ما أصدقه إذ يقول معبراً عن قوة الصدمة وشدة الكارثة به خاصة وبالعالم الانساني

عامة (وتروى لأبي العتاهية):

نفضت تراب قبرك من يديا
وأنت اليوم أوعظ منك حيا
إليك لو أن ذلك رد شيا

أم قسر عينا بزانريه
بالجسد المستكن فيه
تاه على كل من يليه
حققت ما كنت أتقيه
لكنت بالروح أفتديه

كفى حزناً بدفك ثم إنسي
وكانت في حياتك لي عطات
فيا أسفي عليك وطول شوقي
وله في رثائه (عليه السلام) أيضاً:

هل خبر القبر سائليه
أم هل تراه أحاط علماً
لو علم القبر من يوارى
يا موت ما ذا أردت مني
يا موت لو تقبل افتدائه

عليّ ذو الندى

❖ ❖ قال الصحابي الرشيد السيد جعدة بن هبيرة القرشي المخزومي يفتخر ويعتز بخاله الامام علي (ذي الندى):

أبي من بني مخزوم إن كنت سائلاً ومن هاشم أمي لخير قبيل

فمن ذا الذي يبأى^(١) عليّ بخاله كخالي عليّ ذي الندى وعقيل^(٢)

وجعدة هذا ابن هبيرة بن أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وأم جعدة الصحابية الفقيهة الكبيرة القدر أم هانئ بنت أبي طالب بن عبدالمطلب. قال ابن أبي الحديد: كان جعدة فارساً شجاعاً فقيهاً، وولي خراسان لأمير المؤمنين (عليه السلام)، وهو من الصحابة الذين أدركوا رسول الله «ص» يوم الفتح^(٣).

قال المؤلف: أما قول جعدة: علي ذي الندى. فمعناه ذو الجود والعطاء. قال مطرود بن كعب الخزاعي يرثي خليله الكبير الذي طالما أعجب بشخصيته ومقامه الباذخ هاشم بن عبد مناف:

مات الندى بالشام لما أن ثوى أودى بغزّة هاشم لا يبعد

وقال أبو حية بن غزية الأنصاري (من أعلام صدر الاسلام):

دهر رماني بفقد إلفي أذم دهري وأشتكيه
١ - في بعض طبعات شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ينأى، بدل يبأى، والصحيح يبأى بمعنى يفتخر.
٢ - شرح نهج البلاغة، ١٠ / ٨٠.
٣ - المصدر نفسه، ١٠ / ٧٨.

إن يصدقك يخبروك بأننا أهلُ التَّديُّ قَدماً مجيبو الداعي

وأندى عليهم أي أفضل، وتتديُّ عليهم وندي تسخى، وأندى إذا كثرت نداءه أي عطاؤه، ورجل ندِّبمعنى جواد.

أول من أدَّى الزكاة

*** قال حسان بن ثابت يشيد بالجود الفريد لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وبموقفه من ذلك السائل المحتاج وعلي في الصلاة، فأوماً إليه: أن خذ الخاتم من يدي فأخذه، ونزل في ذلك من القرآن المجيد ما نزل كما تقدم في هذا الكتاب:

علي أمير المؤمنين أخو الهدى

وأفضل ذي نعل ومن كان حافياً

وأول من أدَّى الزكاة بكفه

وأول من صلى ومن صام طارياً

فلما أتاه سائل مدَّ كفه

إليه ولم يبخل ولم يك جانياً

فدسَّ إليه خاتماً وهو راعع

وما زال أوهاها إلى الخير داعياً

فبشر جبريل النبي محمداً

بذاك وجاء الوحي في ذاك ضاحياً^(١)

وأبو الوليد حسان بن ثابت الأنصاري الخزرجي شاعر رسول الله «ص»، الذي كان طالما يحامي عن الاسلام، ويردُّ بقوة على خصومه، وينشر مفاهيمه الاخلاقية، في مضامين شعره الجميل بين المجتمع، وهو من كبار الشعراء في الجاهلية والاسلام. ومما قاله حسان من الشعر في مديح الإمام علي والتذكير بمناقبه ومواقفه الجليلة:

١ - انظر كتاب «بحار الأنوار» ٢٥ / ١٩١.

وهناك أبيات من الشعر في القضية ذاتها، تنسب لحسان كما تنسب لذي الشهادتين يخاطب فيها الإمام علي ومما جاء فيها:

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راعماً

فدتك نفوس القوم يا خير راعٍ

فأنزل فيك الله خير ولاية

وبينها في محكمات الشرائع

ولحسان بن ثابت شعره المشهور الذي أنشده بين يدي الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» في يوم غدير خم ومنه:

يسناديهم يوم الغدير نبينهم

بسخم وأكرم بالنبي مناديا

يقول فمن مولاكم ووليكم

فقالوا ولم يبدوا هناك التعاديا

إلهك مولانا وأنت ولينا

ولن تجدن منا لك اليوم عاصيا

فقال له قم يا علي فإني

رضيتك من بعدي إماما وهاديا

جزئى الله عنا والجزاء بكفه
أبا حسن عنا ومن كأبي حسن
سبقت قريشاً بالذي أنت أهله
فصدرك مشروح وقلبك ممتحن
تمنت رجال من قريش أعزة
مكائنك هيئات الهزال من السمن
وأنت من الإسلام في كل موطن
بمنزلة الدلو البطين من الرسن
حفظت رسول الله فسينا وعهده
إليك ومن أولى به منك من ومن
ألت أخاه في الهدى ووصيه
وأعلم منهم بالكتاب وبالسنن^(١)

١ - اختصرناها من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٦ / ٣٥.

وبالاسناد عن عبد الرزاق الصنعاني عن معمر عن الزهري عن عبد الله بن عباس قال: رأيت حسان بن ثابت واقفاً بمنى، والنبي «ص» وأصحابه مجتمعين، فقال النبي «ص»: معاشر المسلمين هذا علي بن أبي طالب سيد العرب، والوصي الأكبر، منزلته مني منزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، لا تقبل التوبة من تائب إلا بحبه. يا حسان قل فيه شيئاً، فأنشأ حسان بن ثابت يقول:

إلا بحب ابن أبي طالب
والصهر لا يعدل بالصاحب

لا تقبل التوبة من تائب
أخي رسول الله بل صهره

أقرئ الظاعنين

*** قال أبو الأسود الدؤلي (ظالم بن عمرو) في رثاء علي (عليه السلام) من قصيدة أولها:

ألا يا عين جودي واسعدينا	ألا فابكي أمير المؤمنين
وتسبكي أم كلثوم عليه	بعبرتها وقد رأت اليقينا
ألا قل للخوارج حيث كانوا	فلا قرت عيون الحاسدينا
وأبكي خير من ركب المطايا	وحت بها وأقرئ الظاعنين ^(١)

القرئ بكسر الراء حسن الضيافة، والبيت الرابع من الشعر يصف الإمام أمير المؤمنين بحسن الضيافة وتألقها بالصورة التي جعلته (عليه السلام) لا نظير له بها في الظاعنين من الناس والراجلين إلى لقاء الله تبارك وتعالى.

وينسب هذا الشعر أيضاً لأم كلثوم بنت الإمام أمير المؤمنين، كما ينسب لأم الهيثم بنت العريان، وكذا ينسب إلى الصحابية الهاشمية أروى بنت الحارث (رحمها الله تعالى).

وأبو الأسود الدؤلي من العقلاء المعدودين، وكان من أجلاء التابعين وأكابر أصحاب علي (عليه السلام)، وقد نصبه ابن عباس خليفة عنه على البصرة، لما سار بجيشه لنصرة الإمام علي في وقعة صفين. وهو القائل قبيل معركة الجمل:

وإن علياً لكم مصحراً يمانله الأسد الأسود

أما إنه أول العابدين بمكة والله لا يعبد^(١)

وكان الدؤلي مستشاراً بارعاً صادقاً مأموناً، يستفيد من آرائه الولاية والأمرء من قبيل عثمان به حنيف الأنصاري، وزيايد بن أبيه وكان له صديقاً^(٢).

أرسل عثمان بن حنيف وهو يومئذ عامل علي (عليه السلام) على البصرة إلى القوم الذين وردوا البصرة من أجل التمهيد لوقعة الجمل أبا الأسود الدؤلي يعلم له علمهم. فجاء حتى دخل على عائشة فسألها عن مسيرها فقالت: أطلب بدم عثمان. قال: إنه ليس بالبصرة من قتلة عثمان أحد. قالت: صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة، وجئت أستنهض أهل البصرة لقتاله. أنغضب لكم من سوط عثمان، ولا نغضب لعثمان من سيوفكم؟ فقال لها: ما أنت من السوط والسيف! إنما أنت حبيس رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» أمرك أن تقري في بيتك، وتتلي كتاب ربك، وليس على النساء قتال، ولا لهن الطلب بالدماء. وإن علياً لأولى بعثمان منك وأمسرحماً؛ فإنهما ابنا عبد مناف. فقالت: لست بمنصرفه حتى أمضي لما قدمت له، أفظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي؟ قال: أما والله لتقاتلن قتالاً أهونه الشديد.

ثم قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويح أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب. وأين هذا المقام

١ ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٢٣٣.

٢ - حكى أبو العباس المبرد قال: قال زياد: لأبي الأسود وقد أسنَّ لولا ضعفك لاستعملناك على بعض أعمالنا. فقال: اللصراع يريدني الأمير! قال زياد: إن للعمل ثونة، ولا أراك إلا تضعف عنه. فقال أبو الأسود:

شيخ كبير قد دنوت من الهلى
نال المكارم من يدب على العصا
فرجته بالحزم مني والذها

زعم الأمير أبو المغيرة إنني
صدق الأمير لقد كبرت وإنما
يا يا المغيرة رب أمرٍ منهم

٣٠٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) من ذلك! فذكر له دم عثمان، قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا. قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول. فذهب إلى طلحة فوجده سادراً في غيئه مصراً على الحرب والفتنة. فرجع إلى عثمان بن حنيف فقال: إنها الحرب فتأهب لها^(١)(٢).

عَلِيٌّ يَشْبَهُ الْفُرَاتَ جُوداً وَسَخَاءً

*** قال عبد الله بن عباس - كما ذكر الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه، وكما روى ذلك ابن حاتم الشامي في خبر ربعي بن حراش العبسي عن ابن عباس - لما سأله معاوية ما تقول في علي بن أبي طالب؟: صلوات الله على أبي الحسن، كان والله علم الهدى، وكهف التقى، ومحلّ الحجى، وبخّر الندى^(٣)... وكان ابن عباس يؤكد على هذه الحقيقة في مقام آخر، فلقد قال فأحسن المقال ووصف فأتقن الوصف: لقد كان أمير المؤمنين يشبه القمر الزاهر، والأسد الخادر، والفرات الزاخر، والربيع الباكر؛ فأشبهه من القمر ضوؤه وبهاؤه، ومن الأسد شجاعته ومضاؤه، ومن الفرات جوده وسخاؤه، ومن الربيع خصبه وحيائه.

١- انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ٦ / ٢٢٦.

٢ - ومن فضائل أمير المؤمنين التي يرويها أبو الأسود الدؤلي ما كان يقوله: لما ظهر علي (عليه السلام) يوم الجمل دخل بيت المال بالبصرة، في ناس من المهاجرين والأنصار، وأنا معهم، فلما رأى كثرة ما فيه قال: غري غيري. مراراً. ثم نظر إلى المال، وصعد فيه بصره وصوب، وقال: اقسموه بين أصحابي خمسمائة خمسمائة. فقسم بينهم، فلا والذي بعث محمداً بالحق ما نقص درهماً ولا زاد درهماً، كأنه كان يعرف مبلغه ومقداره، وكان ستة آلاف ألف درهم، والناس اثنا عشر ألفاً.

٣ - أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه مناقب علي بن أبي طالب الحديث / ٢٤٥، وابن حاتم الشامي الدرر النظيم في مناقب الأئمة اللهايم / ٢٤٣، وفيه طؤد الندى بدل بحر الندى وقد اخترنا البحر بدل الطود، وفي ذخائر العقبى: وغيث الندى، وأحمد الهاشمي، المفرد العلم في رسم القلم / ١٣٢ - ١٣٣.

وابن عباس من أكبر تلاميذ الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وتلاميذ علي (عليه السلام)، وكان في العلم والمعرفة بجرأ لا ينضب، وفي الاستقامة والهدى قمة لا تُطال، وفي الصدق والثقة نجماً لا يُنال. وكان مخلصاً لعلي ومعظماً له طوال عمره الشريف، ذاكراً لفضائله، ناشراً لمناقبه، كثير الحديث في إذاعة مآثره، واضح الصراحة والاعلان في ولائه ومحبته، جريئاً كل الجراءة في بيان أحقيته على كل من خالفوه أو نازعوه سواء في الأمور الدينية أو العلمية أو السياسية، ولم يزل يذود بقوة وحزم ويحامي بذكاء لا يوصف عن صفاء منهج الامام، وصدق نواياه، وصحة مسيرته، حتى تغشته يمين الأجل وهو يقول ببصيرة ثاقبة: اللهم إني على ما كان عليه علي بن أبي طالب.

ومما رواه ابن عباس عن النبي الخاتم «ص» من الأحاديث، وكذا ما قاله بنفسه من تفسير آية أو إدلاء برأي في علي بن أبي طالب: ما جاء عنه في ترجمة علي بن أبي طالب من تأريخ مدينة دمشق: لما نزلت «إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ». قال النبي «صلى الله عليه وسلم»: «أنا المنذر وعليّ الهادي، بك يا عليّ يهتدي المهتدون.

وقال أبو نعيم الحافظ: حدثنا أبو عبد الله محمد بن مخلد قال: حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة: قال: حدثنا إبراهيم بن محمد بن ميمون قال: حدثنا: محمد بن مروان عن محمد بن السائب عن أبي صالح عن ابن عباس: «اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ». قال: هو علي بن أبي طالب. وكذا روى الثعلبي عن ابن عباس: أنها نزلت في علي وأصحابه.

وفي «بناء المقالة الفاطمية» لابن طاووس: روي عن ابن عباس مرفوعاً في قوله جل وعز: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»^(١).

٣٠٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
أن النبي «ص» قال لعلي: تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين، ويأتي
عدوك غضاباً مقمحين. قال: يا رسول الله ومن عدوي؟ قال: من تبرأ منك
ولعنك. ثم قال رسول الله «ص»: من قال: رحم الله علياً رحمه الله.

وما رواه الموفق المكي أخطب خوارزم بإسناده عن ابن عباس قال رسول
الله «ص»: لو أن الغياض أقلام، والبحر مداد، والجن حساب، والإس كتاب، ما
أحصوا فضائل علي بن أبي طالب.

وروى صاحب العمدة عن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي «صلى
الله عليه وآله وسلم» أنه قال: علي مني كرأسي من بدني.

وفي كتاب «المناقب» لابن المغازلي مرفوعاً عن ابن عباس قال: قال
رسول الله: أنا دار الحكمة وعلي بابها، فمن أراد الحكمة فليأت الباب. وقال أبو
عمر القرطبي في كتاب الاستيعاب: حدثنا أحمد بن محمد قال: حدثنا أحمد بن
الفضل: قال: حدثنا محمد بن جرير قال: حدثنا علي بن عبد الله الدهقان قال:
حدثنا مفضل بن صالح عن سماك ابن حرب عن عكرمة عن ابن عباس قال: لعلي
أربع خصال ليست لأحد غيره وهو أول عربي وعجمي صلى مع رسول الله
«ص»، وهو الذي كان معه لواؤه في كل زحف، وهو الذي صبر معه يوم فرّ عنه
غيره، وهو الذي غسله وأدخله قبره.

وفي الاستيعاب عن ابن عباس أنه قال: كنا إذا أتانا الثبت عن علي لم
نعدل به^(١).

١ - ومن العواقف الجليلة لابن عباس التي انتصر فيها لحق الإمام علي من الخلافة وتقدمه
الشرعي فيها ما وقع من الجدل بينه وبين عمر بن الخطاب أيام صفر سنّ ابن عباس فقد روى
عبد الله بن عمر قال: كنت عند أبي يوماً وعنده نفر من الناس فجرى ذكر الشعر فقال: من أشعر
العرب؟ فقالوا: فلان وفلان. فطلع عبد الله بن عباس فسلم وجلس فقال عمر: قد جاءكم الخبير

من أشعر الناس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبي سلمى. قال: فأنشدني مما تستجيده له. فقال: يا أمير المؤمنين إنه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان فقال:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم	قوم بأولهم أو مجدهم قعدوا
قوم أبوهم سنان حين تنسبهم	طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا
أنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا	مرزءون بها ليل إذا جهدوا
محسّدون على ما كان من نعم	لا ينزع الله منهم ماله حسدوا

فقال عمر: والله لقد أحسن وما أرى هذا المدح يصلح إلا لهذا البيت من هاشم لقربابتهم من رسول الله «ص» فقال ابن عباس: وفقك الله يا أمير المؤمنين فلم تزل موقفاً. فقال: يا ابن عباس أتدري ما منع الناس منكم؟ قال: لا يا أمير المؤمنين. قال: لكني أدري. قال: ما هو يا أمير المؤمنين؟ قال: كرهت قريش أن تجتمع لكم النبوة والخلافة فيجحفوا جحفاً فنظرت قريش لنفسها فاختارت ووقفت فأصابته. فقال ابن عباس: أيميط أمير المؤمنين عني غضبه فيسمع؟ قال: قل ما تشاء. قال: أما قول أمير المؤمنين إن قريشاً كرهت فإن الله تعالى قال لقوم: «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرَهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَخْبَطَ أَعْمَالَهُمْ». وأما قولك إنا كنا نجحف فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقربية ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله «ص» الذي قال الله تعالى: «وَأِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ». وقال له: «وَاحْفِظْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ». وأما قولك فإن قريشاً اختارت فإن الله تعالى يقول: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ». وقد علمت يا أمير المؤمنين أن الله اختار من خلقه لذلك من اختار فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوفقت وأصابته قريش.

فقال عمر: على رسلك يا ابن عباس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلا غشاً في أمر قريش لا يزول وحقداً عليها لا يحول. فقال ابن عباس: مهلاً يا أمير المؤمنين شرح لا تنسب هاشماً إلى الغش فإن قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهره الله وزكاه وهم أهل البيت الذين قال الله تعالى لهم: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». وأما قولك حقداً فكيف لا يحقد من غصب شيئه وبراء في يد غيره.

فقال عمر: أما أنت يا ابن عباس فقد بلغني عنك كلام أكره أن أخبرك به فتزول منزلتك عندي. قال: وما هو يا أمير المؤمنين أخبرني به فإن يك باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه وإن يك حقاً فإن منزلتي عندك لا تزول به. قال: بلغني أنك لا تزال تقول أخذ هذا الأمر منكم حسداً وظلماً. قال: أما قولك يا أمير المؤمنين حسداً فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنة فنحن بنو آدم

الجود في الماعون

*** قال عمرو بن سعيد بن العاص^(١): قلت لعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة: يا عمّ لمّ كان صغي الناس إلى عليّ؟

فقال: يا ابن أخي إن علياً كان له ما شئت من ضرس قاطع في العلم، ليس بالسفلة في النسب، وكان له السلطة^(٢) في العشيرة، والقدم في الإسلام، والصهر لرسول الله «ص»، والعلم بالقران، والفقّه في السنة، والنجدة في الحرب، والجود في الماعون^(٣).

المحسود. وأما قولك ظلماً فأمر المؤمنين يعلم صاحب الحق من هو. ثم قال: يا أمير المؤمنين ألم تحتج العرب على العجم بحق رسول الله واحتجت قريش على سائر العرب بحق رسول الله «ص» فنحن أحق برسول الله من سائر قريش. فقال له عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك. فقام فلما ولي هتف به عمر: أيها المتصرف إني عليّ ما كان منك لراع حقاك. فالتفت ابن عباس فقال: إن لي عليك يا أمير المؤمنين وعلى كل المسلمين حقاً برسول الله «ص» فمن حفظه فحق نفسه حفظ ومن أضاعه فحق نفسه أضاع ثم مضى. فقال عمر لجلسائه: واهأ لابن عباس ما رأيته لاحتى أحداً قط إلا خصمه. ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٢ / ٥٢ - ٥٦.

- ١ - وفي بعض المصادر كالاستيعاب: سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص.
- ٢ - في ترجمة الامام علي من تاريخ دمشق، ٣ / ٦٠ (البسطة في العشيرة).
- ٣ - أبو عمر يوسف بن عبد البر النميري القرطبي، الاستيعاب ٣ / ١١٠٧، الرقم / ١٨٥٥، والاربلي كشف الغمة ١ / ١١٧، وابن فهد الحلبي، العدد القوية / ٢٤٩ - نبذة من أحوال أمير المؤمنين، والمجلسي، بحار الأنوار ٤٠ / ١٧٩، وابن حجر الهيتمي، الصواعق المحرقة / ١٢٧، والسيد محمد هادي الحسيني الميلاني، قادتنا كيف نفهمهم ٥ / ٨١.

كأن ما قاله عبد الله بن عياش مقتبس في جملة من حديث مسند عن رسول الله «ص»، عن جبريل (ع) فقد جاء عن جابر بن عبد الله الأنصاري (رضي الله عنه) أنه قال: كنا جلوساً عند رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» إذ أقبل عليّ فلما نظر إليه النبي «صلى الله عليه وآله

وعبد الله بن عياش من رجالات مخزوم، وأعلام قريش، ولكن قد اشتهر عنه أنه كان من المعترضين على رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» في تولية أسامة بن زيد وإمارته على الجيش، وذكر الواقدي أن المعترض على ذلك أبوه عياش بن أبي ربيعة. ويقال: بل هو عبد الله بن أبي ربيعة أخو عياش.

وقد كان أبوه عياش بن أبي ربيعة من قدماء الصحابة الذين أسلموا بمكة المكرمة وعذبوا على الإسلام. وقسى عليه كثيراً في التعذيب أبو جهل وأخوه الحارث بن هشام، مع العلم أنهما أخواه من قبل الأمّ وقريباه من قبل الأب.

ولقد كان عبد الله بن عياش مع عثمان في بعض أيام الحصار المفروض عليه وروى بعض أخباره^(١).

وسلم» قال: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ. قلنا: صدقت يا رسول الله الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ قَدْ ظَنْنَا أَنْكَ لَمْ تَقْلَهَا إِلَّا لِعَجَبٍ مِنْ شَيْءٍ رَأَيْتَهُ. قال: نعم لما رأيت علياً مقبلاً ذكرت حديثاً حدثني حبيبي جبرئيل «ع» قال: إني سألت الله أن تجتمع الأمة عليه فأبى عليه، إلا أن يبيلو بعضهم ببعض حتى يميز الخبيث من الطيب، وأنزل عليّ بذلك كتاباً: «الم أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ». أما إنه قد عوضه مكانه بسبع خصال: يلي ستر عورتك، ويقضي دينك وعداتك، وهو معك على عقر حوضك، وهو متكأ لك يوم القيامة، ولن يرجع كافراً بعد إيمان، ولا زانياً بعد إحصان، فكم من ضرر قاطع له في الإسلام، مع التقدم في الإسلام والعلم بكلام الله والفقه في دين الله مع الصهر والقربة والنجدة في الحرب وبذل الماعون والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والولاية لوليي والعداوة لعدوي، وبشره يا محمد بذلك.

١- روى أبو جعفر الطبري عن عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة المخزومي قال: دخلت على عثمان فأخذ بيدي فأسمعني كلام من عليّ باه من الناس فمنهم من يقول: ما تنتظرون به ومنهم من يقول: لا تعجلوا فعساه ينزع ويراجع، فبينما نحن إذ مر طلحة فقام إليه ابن عديس البلوي فناجاه، ثم رجع ابن عديس فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً يدخل إلى عثمان ولا يخرج من عنده قال لي عثمان: هذا ما أمر به طلحة اللهم اكفني طلحة فإنه حمل هؤلاء القوم وألبهم علي والله إني لأرجو أن يكون منها صفراً وأن يسفك دمه

علي بن أبي طالب قدوة المتصدقين

*** قال جابر الأنصاري: كنا جلوساً عند رسول الله «ص» إذ ورد علينا أعرابي أشعث الحال، عليه ثياب رثة، الفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، فلما دخل المسجد سلم علي النبي «ص» وأنشد يقول:

أتيتك والعذراء تبكي برنة
وقد ذهلت أم الصبي عن الطفل
وأخت وبناتان وأمٌ كبيرة
وقد كدت من فقري أخالط في عقلي
وقد مسني ضرٌّ وعري وفاقة
وليس لنا مالٌ يمرُّ ولا يسحلي
ولسنا نرى إلا إليك فرارنا
وأين مفرُّ الناس إلا إلى الرُّسلِ

قال: لما سمع النبي «ص» كلامه بكى بكاءً شديداً ثم قال لأصحابه: معاشر الناس إن الله ساق إليكم ثواباً وقاد إليكم أجراً، والجزاء من الله غرف في الجنة تضاهي غرف إبراهيم الخليل (عليه السلام)، من منكم يواسي هذا الفقير؟

قال: فلم يجبه أحد، وكان في ناحية المسجد علي بن أبي طالب (عليه السلام) يصلي ركعات تطوعاً وكان قائماً، فأوماً بيده إلى الأعرابي، فدنا منه فدفع الخاتم من يده إليه وهو في صلاته، فأخذه الأعرابي.

ثم إن النبي «ص» غشيه الوحي إذ هبط عليه جبرئيل (عليه السلام) ونادى: السلام عليك يا محمد ربك يقرئك السلام ويقول لك اقرا: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ زَاكِعُونَ * وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»^(١).

فعند ذلك قام النبي قائماً وقال: معاشر المسلمين أيكم اليوم عمل خيراً حتى جعله الله ولي كل مؤمن ومؤمنة؟

قالوا: يا رسول الله ما فينا من عمل اليوم خيراً سوى ابن عمك علي بن أبي طالب فإنه تصدق على الأعرابي بخاتمه وهو في صلته.

فقال النبي «ص»: «وَجَبَّتْ الْوَلَايَةُ لِابْنِ عَمِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْهِمُ الْآيَةَ.»

قال: فتصدق الناس على الأعرابي ذلك اليوم بخمسمائة خاتم فأخذها الأعرابي وولى^(٢).

لقد كان مشهداً مأساوياً للغاية ومنظراً مفعماً يحزُّ نياط القلب حزاً.. أعرابي أشعث الحال، عليه ثياب رثة، الفقر ظاهر بين عينيه، ومعه عياله، مما دفعه أن ينشد أبياتاً مؤثراً محزنةً، ومما دفع النبي «ص» أن يبكي بكاءً شديداً.

فيا لعمق المأساتين معاً: مأساة الأعرابي الذي أناخ الفقر عليه بكل كلكه الغليظ، ومأساة النبي «ص» الذي لذعت قلبه حرارة المصاب الجلل فإذا هو يبكي بكاءً شديداً.

١ - المائدة، الآية / ٥٥ - ٥٦.

٢ - شاذان بن جبرئيل القمي، الفضائل / ٤٨ - ٤٩، وبحار الأنوار، ٣٥ / ١٩٢.

٣١٤..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ولكن ربَّ بعيد أقرب من قريب ، فاذا بذلك الزكي الصالح المتعبد في ناحية
المسجد ينقذ الموقف ويحتم علي لوعة الحالة أن ترحل بلا عودة ، وأنى لها من
عودة بعد أن جرَّ نفعاً كبيراً علي الأعرابي الفقير ، إنها خمسمائة خاتم تساوردت
عليه من كلِّ حدب وصوب بعد أن تأسى أصحابها بصنيع الإمام علي بن أبي طالب
ذلك الجواد الفياض المبادر الي كل خير وفضل ورحمة وكرامة انسانية ، فاستحق
بحسن صنيعه وسماحة يمينه الولاية الإلهية علي كل مؤمن ومؤمنة .

« إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
وَهُمْ رَاكِعُونَ »^(١).

١ - وقد أكثر الصحابي الكبير الفقيه التقي جابر بن عبد الله الأنصاري (٧٨ هـ) من
الحديث عن فضائل الإمام علي وخصائصه العظيمة في القرآن والسنة النبوية، فمن جملة ذلك
علي سبيل الأمثلة:

— عن أبي صالح عن جابر قال: أخبر الله نبيه محمداً أن أمته ستفتن من بعده، ثم أنزل عليه:
«قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيئِي مَا يُوعَدُونَ»، قال جابر: سمعت النبي «ص» يقول في حجة الوداع وركبتي
تمس ركبته وهو يقول: لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، أما لئن فعلتم
لتعرفني في جانب الصف أقاتلكم مرة أخرى. فغمزه جبرئيل فالتفت إليه فقال: يا محمد أو علي.
فأقبل علينا بوجهه فقال: أو علي. الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، الرقم / ٥٦٠.

— قال جابر الأنصاري في تفسير قوله تعالى «وَالشَّائِقُونَ الشَّائِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ»، أن عليا
(عليه السلام) السابق إلى الإسلام. ابن شهر آشوب، متشابه القرآن، ٢ / ٣٢.

— قال جابر الأنصاري وأبو سعيد الخدري: لما نزلت: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ...». قال النبي
«ص»: الله أكبر علي إكمال الدين وإتمام النعمة ورضي الرب برسالتي وولاية علي بن أبي
طالب. ابن شهر آشوب، المناقب، ١ / ٢٨٢.

— قال جابر الأنصاري سألت النبي «ص» عن قوله: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا
الرَّسُولَ..» عرفنا الله ورسوله فمن أولو الأمر؟

قال: هم خلفائي يا جابر وأئمة المسلمين من بعدي أولهم علي بن أبي طالب ثم الحسن ثم
الحسين ثم علي بن الحسين ثم محمد بن علي المعروف في التوراة بالباقر وستدركه يا جابر فإذا
لقينته فاقرأه مني السلام ثم الصادق جعفر بن محمد ثم موسى بن جعفر ثم علي بن موسى ثم

يفطر الناس على اللحم والثريد ويأكل الجشب

*** قال زيد بن وهب الجهني: كان عليٌّ يفطر الناس على اللحم والثريد ويأكل من الجشب من الطعام^(١).

وزيد بن وهب من خيار أصحاب علي (عليه السلام) والحسن بن علي (عليه السلام) وهو صاحب كتاب «خطب علي في الجمع والأعياد وغيرها». وزيد هو الذي روى عن خزيمة بن ثابت ذي الشهاداتتين: أشهد بالله أنني سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم» يقول: «أهل بيتي يفرقون بين الحق والباطل، وهم الأئمة الذين يقتدى بهم. كما روى عن الصحابي الكبير أبي الهيثم بن التيهان الأنصاري عن رسول الله «ص»: إن أهل بيتي نجوم أهل الأرض فقدّموهم ولا تقدّموهم^(٢)».

محمد بن علي ثم علي بن محمد ثم الحسن بن علي ثم سمعي وكني حجة الله في أرضه وبقيته في عباده ابن الحسن بن علي الذي يفتح الله على يده مشارق الأرض ومغاربها ذلك الذي يغيب عن شيعته غيبة لا يثبت على القول بإمامته إلا من امتحن الله قلبه بالإيمان. المناقب، ١ / ٢٨٢.

— عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: قدم وفد أهل نجران على النبي «ص» [و فيهم] العاقب والسيد فدعاهما إلى الإسلام فقالا: أسلمنا قبلك. قال: كذبتما إن شئتما أخبرتكما بما يمنعكما من الإسلام. فقالا: هات أئبئنا. قال: حب الصليب وشرب الخمر وأكل لحم الخنزير. فدعاهما إلى الملاعنة فوعدها أن يغادياته بالغداة فغدا رسول الله وأخذ بيد علي وفاطمة والحسن والحسين ثم أرسل إليهما فأبيا أن يجينا، وأقرا له بالخراج، فقال النبي: والذي بعثني بالحق لو فعلا لأمطر الوادي [عليهما] نارا. قال جابر: فنزلت هذه الآية: «تَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ». شواهد التنزيل، الرقم / ١٧٠.

١ - محمد بن سليمان الكوفي القاضي، مناقب الإمام أمير المؤمنين، ١ / ٧٢.

٢ - بحار الأنوار ٢٨ / ٢١١. وقد روى زيد عن خالد بن سعيد بن العاص الأموي عن

رسول الله «ص»: يوم قريظة أنه قال: معاشر المهاجرين والأنصار أوصيكم بوصية فاحفظوها

سَمَحٌ سَخِي

❖ ❖ قال قنبر مولیٰ علي، والراوي عنه، والمقاتل معه في الجمل وصفين والنهران، والملازم له ملازمة الظل: سيد المسلمين والسابقين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافيين، ناصر دين الله، وولي الله، ولسان كلمة الله، وناصره في أرضه، وعيبة علمه، وكهف دينه، إمام أهل الأبرار، من رضي عنه العلي الجبار، سمح سخي حبي^(١).

وإني مؤد إليكم أمراً فاقبلوه، ألا إن علياً أميركم من بعدي وخليفتي فيكم أوصاني بذلك ربي وربكم، وإنكم إن لم تحفظوا وصيتي فيه وتؤروه وتتصروه اختلفتم في أحكامكم واضطرب عليكم أمر دينكم وولي عليكم الأمر شراركم. ألا وإن أهل بيتي هم الوارثون أمري القائمون بأمر أمتي، اللهم فمن حفظ فيهم وصيتي فاحشره في زمرتي واجعل له من مرافقتي نصيباً يدرك به فوز الآخرة، اللهم ومن أساء خلافتي في أهل بيتي فاحرمه الجنة التي عرضها السموات والأرض. بحار الأنوار ٢٨ / ٢١١.

١ - جاء في الاختصاص ورجال الكشي: إبراهيم بن الحسين الحسيني العقيقي رفعه قال:

سئل قنبر مولیٰ من أنت؟

قال: مولاي من ضرب بسيفين، وطعن برمحين، وصلیٰ القبليين، وباع البيعتين، وهاجر الهجرتين، ولم يكفر بالله طرفة عين، أنا مولیٰ صالح المؤمنين، ووارث النبيين، وخير الوصيين، وأكبر المسلمين، ويعسوب المؤمنين، ونور المجاهدين، ورئيس البكاءين، وزين العابدين، وسراج الماضين، وضوء القائمين، وأفضل القانتين، ولسان رسول رب العالمين، وأول المؤمنين من آل يس، المؤيد بجبرئيل الأمين، والمنصور بميكائيل المثين، والمحمود عند أهل السماء أجمعين، سيد المسلمين والسابقين، وقاتل الناكثين والمارقين والقاسطين، والمحامي عن حرم المسلمين، ومجاهد أعدائه الناصبين، ومطفئ نار الموقدين، وأفخر من مشئ من قريش أجمعين، وأول من أجاب واستجاب لله (رب العالمين)، أمير المؤمنين، ووصي نبيه في العالمين، وأمينه على المخلوقين، وخليفة من بعث إليهم أجمعين، سيد المسلمين والسابقين، ومبيد المشركين، وسهم من مرامي الله على المنافيين، ولسان كلمة العابدين، ناصر دين الله، وولي الله، ولسان كلمة الله، وناصره في أرضه، وعيبة علمه، وكهف دينه، إمام أهل الأبرار، من

وقنبر هذا هو الذي روى بحقه الكليني في الكافي عن محمد بن يحيى عن أحمد بن محمد عن علي بن الحكم عن عبد الرحمن العزمي عن أبيه عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان قنبر غلام علي يحب علياً (عليه السلام) حباً شديداً، فإذا خرج علي خرج علي أثره بالسيف..

وكان الحجاج الثقفي قد قال ذات يوم: أحب أن أصيب رجلاً من أصحاب أبي تراب، فأتقرب إلى الله بدمه.

فقيل له: ما نعلم أحداً أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه.

فطلبه فأتي به فقال: أنت قنبر؟

قال: نعم.

قال: مولى علي بن أبي طالب؟

قال: الله مولاي وأمير المؤمنين علي ولي نعمتي.

قال: ابرأ من دينه.

قال: دلّني على دين أفضل منه؟

رضي عنه العلي الجبار، سمح سخّي حيي، يهلول زكي، مطهر أبطحي، جرىء همام، صابر صوام، مهدي مقدم، قاطع الأصلاب، مفرق الأحزاب، عالي الرقاب، أربطهم عنانا، وأثبتهم جنانا، وأشدّهم شكيمة، بازل باسل، صنديد هزير ضرغام، حازم عزام، حصيف خطيب، محجاج كريم الأصل، شريف الفصل، فاضل القبيلة، نقي العشيرة، زكي الركائفة، مؤدي الأمانة، من بني هاشم، وابن عم النبي صلى الله عليهما، الإمام المهدي الرشاد، مجانب الفساد، الأشعث الحاتم، البطل الجماجم، والليث المزاحم، بدري مكّي، حنفي روحاني شعثاني، من الجبال شواهقها، ومن ذي الهضاب رؤوسها، ومن العرب سيدها، ومن الوغى ليتها، البطل الهمام، والليث المقدم، والبدر التمام، محك المؤمنين، ووارث المشعرين، وأبو السبطين الحسن والحسين، والله أمير المؤمنين حقاً حقاً، علي بن أبي طالب عليه من الله الصلوات الزكية، والبركات السنية.

قال: إني قاتلك فاختر أي قتلة أحب إليك .

قال: قد صيرت ذلك إليك .

قال: لِمَ!

قال: لا تقتلني قتلة إلا قتلتك مثلها، ولقد خبرني أمير المؤمنين (عليه السلام) أن منيتي تكون ذبحاً ظمأً بغير حق . فأمر به فذبح .

كان عوناً للغريب أباً لليتيم حَفِيًّا بأهل المسكنة

** قبل لحبة بن جوين ألا تصف لنا أخلاق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب؟ فوصفه وصفاً بديعاً بليغاً ولا يخلو من تفصيل، من جملته فيما يخص كتابنا: كانَ واللهِ بِشْرُهُ في وجهه، مُسارِعاً في عون الضعيف، غوثاً للهِيف، مُجالساً لأهل الفقر، عوناً للغريب، أباً لليتيم، بعللاً للأرملة، حَفِيًّا بأهل المسكنة^(١).

وحبة بن جوين العُرني (عُرينة بطن من بطون قبيلة بجيلة) من علماء التابعين وعبادهم وفصحائهم المعدودين، وله محلٌّ رفيعٌ لدى علي (عليه السلام)، وكان من الدين والثقة والأمانة بمكان. ومما ذكره حبة من فضائل الإمام علي ما رواه الحسين بن عمر عن رشيد عنه (رض) قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: نحن النجباء، وأفراطنا أفراط الأنبياء، حزبنا حزب الله، والفئة الباغية حزب الشيطان، من ساوى بيننا وبينهم فليس منا^(٢)^(٣).

١ - يوسف بن حاتم الشامي، الدر النظيم / فصل في صفة أمير المؤمنين (عليه السلام) ووصف أخلاقه الرضية / ٢٣٦ - ٢٣٧ .
٢ - بحار الأنوار ٢٣ / ١٠٦ .

٣ - في كشف الغمة ١ / ٢٦٠ . قال حبة بن جوين العُرني: قلت لحذيفة بن اليمان: حدثنا فإننا نخاف الفتن. فقال: عليكم بالفئة التي فيها ابن سمية فإن رسول الله «ص» قال: تقتله الفئة الباغية الناكبة عن الطريق، فإن آخر رزقه ضياح من لبن.

وروى أبو بكر بن مردويه في كتابه « ما نزل من القرآن في علي » عن أبي طالب عن أبي الحمراء وحبّة العرنبي: أن رسول الله « صلى الله عليه وآله وسلم » أمر بسدّ أبواب الحمزة والعباس وأبي بكر وعمر وعثمان وغيرهم، عن المسجد إلا باب علي. فقال رجل يومئذ: ما يألُو يرفع ابن عمه. فعلم رسول الله « ص » أنه قد شقّ عليهم، فدعا الصلاة جامعةً فلما اجتمعوا صعد المنبر فلم يسمع لرسول الله « ص » خطبة قط أبلغ منها تمجيداً وتوحيداً، فلما فرغ قال: « يَا أَيُّهَا النَّاسُ، مَا أَنَا سَدَدُهَا، وَلَا أَنَا فَتْحُهَا، وَلَا أَنَا أَخْرَجْتُكُمْ وَأَسَكَنْتَهُ. ثُمَّ قَرَأَ: « وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ » (١) (٢).

ومما رواه حبة في ذلك أنه سمع علياً (عليه السلام) يقول: أنا أول رجل أسلم مع رسول الله « ص ». رواه أبو داود الطيالسي عن شعبة عن سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل عن حبة بن جوين (٣) (٤).

قال حبة: فشهدته يوم قتل يقول: اتنوني بأخر رزق لي من الدنيا. فأتي بضياح من لبن في قدح أروح بحلقة حمراء، فما أخطأ حذيفة مقياس شعره فقال:

اليوم ألقى الأُحبة محمداً وحزبه

وقال: والله لو ضربونا حتى بلغونا سعفات هجر، لعلمت أننا على الحق، وأنهم على الباطل. ثم قتل (رضي الله عنه).

١ - النجم الآية / ١ - ٤.

٢ - ما نزل من القرآن في علي عن أبي طالب / سورة النجم. وقد جمعت كلام ابن مردويه من روايتين له في الكتاب طلباً للاختصار.

٣ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٣ / ٢٢٩.

٤ - ومن أحاديث حبة في مناقب علي (عليه السلام) ما جاء في تفسير فرات بن إبراهيم معنعنا عن حبة العرنبي: أن ابن الكواء أتى علياً (عليه السلام) فقال: يا أمير المؤمنين آيتان في كتاب الله تعالى قد أعيتاني وشككتاني في ديني. قال: وما هما؟ قال: قول الله تعالى « وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيْمَاهُمْ ». قال: وما عرفت هذه إلى الساعة؟ قال: لا قال: نحن الأعراف من عرفنا دخل الجنة، ومن أنكرنا دخل النار. قال: وقوله: « وَالطُّيُورُ صَافَاتٍ كُلُّ

يُطْعَمُ النَّاسُ وَلَا يَأْخُذُ شَيْئاً

*** قال علي بن ربيعة: إن علياً كان يطعم الناس في أحافين خزف، ثم يجيء فيقول: افرجوا افرجوا، فيهوي بيده هكذا وهكذا ولا يأخذ شيئاً^(١).

وعلي بن ربيعة الأسدي الكوفي من صلحاء التابعين وكان وجيهاً عند السلطان محسناً حتى أتى من يعادونه في العقيدة، ضرب أمير الكوفة عليّ الناس بعثاً وضرب عليّ سهم بن طريف معهم، فقال سهم لعلي بن ربيعة: اذهب إلى الأمير فكلّمه في أمري ليعفيني. فأتى عليّ الأمير فقال: أصلحك الله إن سهماً أعمى فأعفه. قال: قد أعفيت. فلما التقيا قال: قد أخبرت الأمير أنك أعمى، وإنما عنيت عمى القلب^(٢).

روى ابن بطريق رحمه الله في العمدة من مسند أحمد بن حنبل بإسناده إلى علي بن ربيعة قال: لقيت زيد بن أرقم وهو داخل على المختار أو خارج من عنده فقلت له: سمعت رسول الله «ص» يقول: يا أيها الناس، ما أنا سددها، ولا أنا فتحتها. إني تارك فيكم الثقلين؟ قال نعم^(٣).

رَأَيْتَ عَلِيّاً يَدْعُو الْيَتَامَى فَيُطْعِمُهُمُ الْعَسَلَ

*** قال أبو الطفيل كما مر علينا: رأيت علياً يدعو اليتامى فيطعمهم العسل

قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ». قال: وما عرفت هذه إلى الساعة؟ قال: لا.. الخ.

١- محمد بن سليمان الكوفي القاضي، مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢ / ٧٧.

٢- ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ٤ / ١٠١.

٣- بحار الأنوار ٢٣ / ١١٤.

حتى قال بعض أصحابه: لوددت إني كنت يتيماً.

وقد روي عن أبي الطفيل أنه قال: اشتري علي (عليه السلام) ثوباً فأعجبه فتصدَّق به وقال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: مَنْ آثر علي نفسه آثره الله يوم القيامة بالجنة، ومن أَحَبَّ شيئاً فجعله الله قال الله تعالى يوم القيامة: قد كان العباد يكافئون فيما بينهم بالمعروف وأنا أكافيك اليوم بالجنة^(١).

وأبو الطفيل هو الصحابي التقي الزاهد عامر بن واثلة الكناني الليثي الفقيه الفارس الشاعر الفصيح البليغ آخر الصحابة انتقالاً إلى رحمة الله عزَّ وجل، وهو من أخلص الناس لأمر المؤمنين علي وأنصحهم لأولاده وأهل بيته (سلام الله عليهم)، وطالما أثنى على الإمام علي أمام الصديق والعدو وكان يقول: قال بعض أصحاب النبي «صلى الله عليه وسلم»: لقد كان لعلي من السوابق ما لو سبقتة منها بين الخلائق لو سعتهم خيراً^(٢)، ولأبي الطفيل أشعار جسان في مديح الإمام^(٣)، كما له روايات في مناقبه وفضائله منها على سبيل المثال ما ذكره الخزاز في (كفاية الأثر) بالاسناد عن حكيم بن جبير بن عدي، عن أبي الطفيل عامر بن واثلة، عن زيد بن ثابت قال: سمعت رسول الله «ص» يقول: علي بن أبي طالب قائد البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله، الشاكُّ في عليٍّ هو الشاكُّ في الإسلام، وخير من أخلف بعدي وخير أصحابي

١ - الطبرسي، مجمع البيان / في تفسير قوله تعالى «لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا

تُحِبُّونَ...».

٢ - تاريخ مدينة دمشق، ٤٢ / ٤١٨، والنص فيه: لقد كان علي من السوابق..

٣ - مثل قوله رحمه الله:

وآل يس وآل الزمـر
بعد رسول الله خير البشر
من حاد عن حب علي كفر

أشهد بالله و آلائه
أن علي بن أبي طالب
لم يسمعوا قول نبي الهدى

٣٢٢..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
علي، لحمه لحمي، ودمه دمي، وأبو سبطي، ومن صلب الحسين يخرج الأئمة
التسعة، ومنهم مهدي هذه الأمة (١)(٢).

١- بحار الأنوار ٣٦ / ٣١٨.

٢- وروى الصدوق في الخصال عن معروف بن خربوذ عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن
حذيفة بن أسيد الغفاري بما مختصره: لما رجع رسول الله «ص» من حجة الوداع ونحن معه،
أقبل حتى انتهى إلى الجحفة أمر أصحابه بالنزول فنزل القوم منازلهم، فقال: ألا من كنت مولاه
فإن عليا مولاه، وهو هذا. ثم أخذ بيد علي فرفعها مع يده حتى بدت آباطهما ثم قال: اللهم وإلي
من والاه، وعاد من عاداه، ألا وإني فرطكم وأنتم واردون علي الحوض غدا، وهو حوض عرضه
ما بين بصري وصنعاء، فيه أقداح من فضة عدد نجوم السماء، ألا وإني سألتكم غدا ما ذا صنعتم
فيما أشهدت الله به عليكم في يومكم هذا، إذ وردتم علي حوضي، وما ذا صنعتم بالثقلين من
بعدي، فانظروا كيف خلقتهموني فيهما حين تلقوني.

قالوا: وما هذان الثقلان يا رسول الله؟

قال: أما الثقل الأكبر فكتاب الله عز وجل سيب ممدود من الله ومني في أيديكم طرفه بيد الله
والطرف الآخر بأيديكم، فيه علم ما مضى وما بقي إلى أن تقوم الساعة، وأما الثقل الأصغر فهو
حليف القرآن وهو علي بن أبي طالب وعترته، وإنهما لن يفترقا حتى يرث علي الحوض. قال
معروف بن خربوذ فعرضت هذا الكلام على أبي جعفر (ع) فقال: صدق أبو الطفيل هذا كلام
وجدناه في كتاب علي (ع) وعرفناه.

بحار الأنوار، ٣٧ / ١٢٢.

مَواقِعُ الإِشَادَةِ فِي العَصْرِ الأُمَوِي

والعصرُ الأموي واحدٌ من هذه العصورِ المتعددةِ التي جادت
بالمديحِ والاكبارِ والاجلالِ، على مَنْ جادَ بالروحِ والأنفاسِ
والأموالِ.

مواقع الإشادة في العصر الأموي

لم يخلُ دهرٌ من الدهورِ من وهَجِ الشمسِ في الشرق والغرب، ولا زمنٌ من الأزمان من نور القمر في البرِّ والبحر، ولا عصرٌ من العصور من تعطير الأفواه بذكر جود علي بن أبي طالب بين المحبين والمبغضين. والعصرُ الأموي واحد من هذه العصور المتعددة التي جادت بالمديح والاكبار والاجلال، على مَنْ جادَ بالروح والأنفاس والأموال.

وقد ذكرنا قسماً ممن ذكروه بالجود وأثنوا عليه ممن عاش فترة من الزمن في العصر الأموي وكانوا من أصحاب الإمام وأخلائه أو كانوا في سنِّ الشباب والكهولة في أيامه، من أمثال صعصعة بن صوحان وحبّبة بن جوين وزيد بن وهب وعبد الله بن عباس ومعاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة.. والآن نذكر منهم من لم يكونوا في حياته قد بلغوا مبلغ الرجال أو لم يولدوا آنذاك:

أبوك عليّ ذو الندى

*** قال مؤذن الحسين الشهيد السعيد الحجاج بن مسروق الجعفي وهو

يرتجز في يوم كربلاء:

أقدم حسين هادياً مهدياً

فاليوم تلقى جدك النبيا

٣٢٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)

ثم أباك ذا الندى عليا

ذاك الذي نعرفه وصيا

فقتل خمسا وعشرين رجلاً.

وكان الحجاج بن مسروق قد استأذن الإمام الحسين (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ) في القتال فأذن له، ثم عاد إليه وهو مخضب بدمائه فأنشده الرجز المتقدم. فقال له الحسين (عليه السلام): نعم، وأنا ألقاهما على أثرك. فرجع يقاتل حتى قتل (رضي الله عنه) (١).

تلقى علياً ذا الندى

*** قال الشهيد سعيد بن عبد الله الحنفي مرّ جزءاً في كربلاء:

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا

وشيخك الحبر علياً ذا الندى

وحسناً كالبدر وافى الأسعدا

وعممك القرم الهمام الأرشدا

وسعيد بن عبد الله من الأولياء الصديقين والأوفياء الصالحين في زمن صعب شديد قلّ فيه الأوفياء وتندر الصالحون، وحسبه من الصدق في أداء الأمانة ومن الوثاقة والاعتماد عليه أن يكون رسول الحسين (عليه السلام) إلى أهل العراق، ورسول مسلم بن عقيل إلى الحسين. ولقد بعثه أهل الكوفة في شهر

رمضان من سنة ستين هجرية بمجموعة من كتبهم إلى الإمام الحسين، وتلاقت الرسل كلها عنده، فقرأ (عليه السلام) الكتب وسأل الرسل عن الناس، ثم كتب مع هانئ بن هانئ وسعيد بن عبد الله وكانا آخر الرسل: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين والمسلمين أما بعد فإن هانئا وسعيداً قدما علي بكتبكم، وكانا آخر من قدم علي من رسلكم..^(١).

لما حضر مسلم بالكوفة ونزل دار المختار، خطب الناس عابس، ثم حبيب، ثم قام سعيد بعدهما فحلف أنه موطن نفسه على نصرته الحسين، فادله بنفسه، ثم بعثه مسلم بكتاب إلى الحسين، فبقي مع الحسين حتى قتل معه^(٢).

جمع الحسين (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) أصحابه ثم قال بعد دعاء وكلام كثير: وإني قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم مني ذمام، هذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملاً، وليأخذ كل رجل بيد رجل من أهل بيتي وتفرقوا في سوادكم ومدائنكم؛ فإن القوم إنما يطلبونني ولو قد أصابوني للهوا عن طلب غيري.

فأبوا ذلك كلهم وتكلم سعيد بن عبد الله الحنفي وزهير بن القين وجماعة من أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً^(٣).

روي أن سعيد بن عبد الله الحنفي تقدم أمام الحسين فاستهدف لهم يرمونه بالنبل كلما أخذ الحسين (عليه السلام) يميناً وشمالاً قام بين يديه، فما زال يرمى حتى سقط إلى الأرض وهو يقول: اللَّهُمَّ الْعَنِهِمْ لَعْنُ عَادٍ وَثَمُودَ، اللَّهُمَّ أَبْلِغْ نَبِيكَ السَّلَامَ عَنِّي، وَأَبْلِغْهُ مَا لَقِيتُ مِنْ أَلَمِ الْجِرَاحِ فَإِنِّي أُرَدْتُ بِذَلِكَ نَصْرَةَ ذَرِيَّةِ

١ - انظر التفصيل في بحار الأنوار، ٤٤ / ٣٣٤ - ٣٣٥.

٢ - محمد بن طاهر السماوي، إبطار العين في أنصار الحسين / ١٢٥ - ١٢٦.

٣ - انظر التفصيل في المناقب للسروي، ٤ / ٩٨ - ٩٩.

٣٢٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
تبيك . ثم مات رضوان الله عليه فوجد به ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب
السيوف وطعن الرماح^(١) .

ابن علي الخير ذي النوال

*** لما استشهد في كربلاء عثمان بن علي بن أبي طالب (عليه السلام)
شقيق حامل لواء الإمام الحسين (أبي الفضل العباس بن علي) برز أخوه جعفر
بن علي وهو يقول :

إني أنا جعفر ذو المعالي

ابن علي الخير ذي النوال

ذاك الوصي ذو السنا والوالي

رماه خولي الأصبحي فأصاب شقيقته أو عينه^(٢) .

في حومة الحرب وضاوة المعركة مع شدة العطش وحيث ينسى كثير من
الناس كل شيء إلا أنفسهم لم ينس شبل الإمام أمير المؤمنين معالم الخير والنوال
التي تجسدت في شخصية أبيه العظيم تجسداً يفتخر به المحب المخلص ويقرُّ به
العدو الحاقد. وكما ان من حكم الوفاء للراحل العظيم يحتم علي نجله الكريم أن
يذكره بالخير والنوال وغيرها من المواصفات العليا، كذلك فإن من ضروريات
الحرب أن يستذكر الأبطال ما يحركهم نحو النزال ويدفعهم باتجاه التضحية
والفداء وتكران الذات، فإذا بابن علي الخير ذي النوال يستعيد ذكريات أبيه

١ - بحار الأنوار، ٤٥ / ٢٢ .

٢ - انظر ابن شهر آشوب السروي، المناقب، ٤ / ١٠٨ .

مَوَاقِعُ الإِسْهَادَةِ فِي العَصْرِ الأُمَوِيِّ ٣٢٩
وعطاءه الثرة ليجود بدمه وروحه وشبابه عطاءً غَيْرَ مَجْدُودٍ فِي سَبِيلِ المَبَادِيءِ
الإِلَهِيَةِ الخَالِصَةِ . فَسَلَامُ اللّهِ عَلَيْهِ وَعَلَى مَنْ وَاصَلَ مَسِيرَتَهُ الظَّافِرَةَ وَانْتَهَجَ خَطَّهُ
الرِّسَالِي القَوِيمَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

أَنَا ابْنُ ذِي النَّجْدَةِ وَالْإِفْضَالِ

*** برز عبد الله بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) في ملحمة
كربلاء قائلاً:

أَنَا ابْنُ ذِي النَّجْدَةِ وَالْإِفْضَالِ

ذَاكَ عَـلِي الخَيْرِ ذُو الفِعَالِ

سَـيْفِ رَسولِ اللّهِ ذُو النِّكَالِ

فِي كُلِّ يَوْمٍ ظَاهِرِ الأَهْوَالِ^(١)

لا يختلف عبد الله بن علي بن أبي طالب عن جعفر بن علي بن أبي طالب
(ع) طبيعة وجوهرًا؛ فهما أخوان شقيقان وهما معاً قد تلقيا من تربية أهل بيت
النبوة ما يرفعهما إلى مصاف القُدّسين من الأولياء المجاهدين، وإلى مرتبة
الصدّيقين المضحين بالنفس والنفيس.

وإذا كان جعفر ابناً لعلي الخير ذي النوال، فإن عبد الله ابنُ لذي النَّجْدَةِ
والإِفْضَالِ، فهو حريٌّ كشقيقه بالوفاء لأبيه وجدير بالاخلاص الكامل لصاحب
الرسالة «صلى الله عليه وآله وسلم» ولحفيد صاحبها، فأقدم (سَلَامُ اللّهِ عَلَيْهِ)
عَلَى الحَرْبِ أَقْدَامَ الأَبطالِ المَضْحِينِ وَبِذَلِكَ مَا بوسعه بِذَلِكَ الجُودَاءِ الأَكْرَمِينَ،

٣٣٠..... فلسفة الجود والإينار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

واقترح الأهوال بعد الأهوال ، مقتدياً بسيف رسول الله ذي النكال .

دَعِ أَمْوَالَ النَّاسِ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا

*** قال يحيى بن عروة بن الزبير بن العوام: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه . وقال لي مرة: يَا بُنَيَّ وَاللَّهِ مَا أَحَجَمَ النَّاسُ عَنْهُ إِلَّا طَلِباً لِلدُّنْيَا ، لَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ أَنْ ابْعَثْ إِلَيَّ بِعَطَائِي فَوَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ فِي فَمِ أَسَدٍ لَدَخَلْتُ مَعَكَ . فَكَتَبَ إِلَيْهِ : أَنَّ هَذَا الْمَالَ لِمَنْ جَاهَدَ عَلَيْهِ ، وَلَكِنْ لِي مَالٌ بِالْمَدِينَةِ فَأَصِبْ مِنْهُ مَا شِئْتَ . قَالَ يَحْيَى : فَكُنْتُ أَعْجَبُ مِنْ وَصْفِهِ إِيَّاهُ بِمَا وَصَفَهُ بِهِ ، وَمِنْ عَيْبِهِ لَهُ وَإِنْ حَرَّافَهُ عَنْهُ (١) .

حياك الله يا يحيى وبارك بتفكيرك وتحرريك للموضوعية والانصاف، ويا ليت الزمن قد امتد بك لترى بأمر عينيك أضعافاً مضاعفة لما رأيت من تناقض أبيك؛ فما أكثر أمثاله ممن يحملون الأحقاد والضغائن على إمام المسلمين وسيد المظلومين ، ثم تصدر من أفواههم وأقلامهم - من حيث يشعرون أو لا يشعرون - كلمات الاطراء العجيب والثناء والتبجيل بحق صالح المؤمنين والذراع الأيمن للرسول الأمين محمد «ص» .

جود الراكع الخاشع

*** قال المنهال: سألت علي بن الحسين وعبد الله بن محمد (٢) عن قول

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٤ / ١٠٣ .

٢ - الظاهر أنه أبو هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية وكان عالماً عابداً جليلاً القدر .

مواقع الإشادة في العصر الأموي ٣٣١
الله تعالى: «إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا...» قالوا: في علي بن أبي طالب
(عليه السلام) (١).

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) إمام أئمة المُثَلِّ والقيم
الانسانية العليا في النظرية والتطبيق.

عليُّ ذلك الرجل الكريم حقاً والذي امتلأ قلبه الرحيب شهامةً ونبلاً وحباً
متوهجاً للخير والإحسان إلى البعيد والقريب والبغض والحبيب.

عليُّ ذلك الرجل الكريم حقاً والذي أكبر الله تعالى جوده وفضله إكباراً
يدهش الأبواب فكان مما أكبر فيه وهو عابد راعع خاشع أن قال للناس: «إِنَّمَا
وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ
رَاكِعُونَ» (٢).

وهذه ليست المرة الوحيدة التي يتصدى فيها الإمام علي بن الحسين (ع)
إلى تبين فضل الإمام علي وجوده في الكتاب العزيز فقد تحدث مرّة أخرى
بشكل تفصيلي عن ذلك وهو يفسر قوله عز وجل «إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ
كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً». وقد ذكرنا التفصيل والتعليق عليه في بحث «إيثار عليّ
وجوده في القرآن الكريم».

وكان الإمام علي بن الحسين زين العابدين كثير الحديث عن الإمام علي بن
أبي طالب، سواء في تفسيره للآيات المباركة النازلة في حقه، أو ذكره لأقوال
الرسول «صلى الله عليه وآله» عن مآثره وخصائصه العجيبة. أو تبين مواقف
تاريخية مشهودة له (عليه السلام). ونذكر هنا نبذة يسيرة مما كان يقول في

هذا الصدد:

في الأمالي للشيخ الطوسي بإسناد أخي دعبل عن الرضا عن آبائه عن علي بن الحسين (عليه السلام) عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي وفي يومي (أي آية التطهير) وكان رسول الله «ص» عندي فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) وجاء جبرئيل فمدّ عليهم كساءً فدكياً ثم قال: اللهم هؤلاء أهل بيتي اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قال جبرئيل: وأنا منكم يا محمد. فقال النبي «ص»: وأنت منا يا جبرئيل. قالت أم سلمة: فقلت: يا رسول الله وأنا من أهل بيتك؟ (وجئت لأدخل معهم) فقال: كوني مكانك يا أم سلمة إنك إلى خير أنت من أزواج نبي الله. فقال جبرئيل: اقرأ يا محمد:

«إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً». في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين (عليهم السلام) (١).

١ - بحار الأنوار، ٣٥ / ٢٠٨.

ومما يؤكد هذا المعنى ما جاء في الأمالي للشيخ الطوسي: أبو عمرو عن ابن عقدة عن أحمد بن يحيى عن عبد الرحمن عن أبيه عن أبي إسحاق عن عبد الله بن معين مولى أم سلمة عن أم سلمة زوج النبي «ص» أنها قالت: نزلت هذه الآية في بيتها «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» أمرني رسول الله «ص» أن أرسل إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فلما أتوه اعتنق علياً بيمينه والحسن بشماله والحسين على بطنه وفاطمة عند رجله ثم قال: اللهم هؤلاء أهلي وعترتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا. قالها ثلاث مرات قلت: فأنا يا رسول الله؟ فقال: إنك علي خير إن شاء الله.

وفي الأمالي للشيخ الطوسي: أبو عمرو عن ابن عقدة عن الحسين بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد النور بن عبد الله بن سنان عن سليمان بن قرم عن أبي الحجاج وسالم بن أبي حفصة عن ثقيف بن أبي داود عن أبي الحمراء قال: شهدت النبي «ص» أربعين صباحاً يجيء إلى باب علي وفاطمة فيأخذ بعضادتي الباب ثم يقول: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته الصلاة

وفي تفسير العياشي عن حكيم بن الحسين بن علي بن الحسين (ع) قال: والله إن لعلي لاسماً في القرآن ما يعرفه الناس. قال: قلت: وأي شيء تقول جعلت فداك؟ فقال لي: «وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ*». قال: فبعت رسول الله «ص» أمير المؤمنين (عليه السلام) وكان علي (عليه السلام) هو والله المؤذن فأذن بإذن الله ورسوله يوم الحج الأكبر من المواقف كلها فكان ما نادى به: أن لا يطوف بعد هذا العام عريان ولا يقرب المسجد الحرام بعد هذا العام مشرك^(١).

وأخرج ابن أبي حاتم عن حكيم بن حميد قال قال لي علي بن الحسين: إن لعلي في كتاب الله اسماً ولكن لا تعرفونه. قلت: وما هو؟ قال: ألم تسمع قول الله «وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الأَكْبَرِ» هو والله الأذان انتهى ما نقلناه عن السيوطي^(٢).

في الأمالي للصدوق ومعاني الأخبار للصدوق أيضاً بالإسناد عن أبي إسحاق السبيعي قال: قلت لعلي بن الحسين: ما معنى قول النبي «ص»: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ»؟ قال: أخبرهم أنه الإمام بعده^(٣).

يرحمكم الله «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ البَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً».

١ - بحار الأنوار، ٣٥ / ٢٩٧. ٢ - بحار الأنوار، ٣٥ / ٢٩٧.

٣ - بحار الأنوار، ٣٧ / ٢٢٣.

مما يؤكد المعنى المذكور ما أورده الصدوق في معاني الأخبار عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي (ع) عن قول النبي «ص»: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ». فقال: يا أبا سعيد تسأل عن مثل هذا أعلمهم أنه يقوم فيهم مقامه.

وفي أمالي الصدوق ومعاني الأخبار بالإسناد عن علي بن هاشم عن أبيه قال: ذكر عند زيد بن علي قول النبي «ص»: «مَنْ كُنْتُ مَوْلَاهُ فَعَلِي مَوْلَاهُ». قال: نصبه علماً ليعرف به حزب الله عز وجل عند الفرقة.

٣٣٤..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
 في الأمالي للشيخ الطوسي عن الصادق عن أبيه عن جده علي بن الحسين
 (ع) قال: حدثني عمر وسلمة ابنا أبي سلمة ربيبا رسول الله «ص» أنهما سمعا
 رسول الله «ص» يقول في حجته: علي يعسوب المؤمنين والمال يعسوب
 الظالمين، علي أخي ومولى المؤمنين من بعدي، وهو مني بمنزلة هارون من
 موسى إلا أن الله تعالى ختم النبوة بي فلا نبي بعدي، وهو خليفة في الأهل
 والمؤمنين بعدي.

أول من تصدق علي بن أبي طالب

*** قال المفسر الكبير مجاهد بن جبر في تفسير قوله تعالى:

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَجَّيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ
 خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ»^(١). أمروا أن لا يناجي أحد
 النبي «ص» حتى يتصدق بين يدي ذلك فكان أول من تصدق علي بن أبي طالب
 فناجاه فلم يناجه أحد غيره، ثم نزلت الرخصة: «الْأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ
 نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ...»^{(٢)(٣)}.

روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ابن أبي نجيب، عن مجاهد قال: نهوا
 عن مناجاة النبي «ص» حتى يتصدقوا فلم يناجه إلا علي بن أبي طالب قدم
 ديناراً فتصدق به ثم أنزلت الرخصة في ذلك^(٤).

١ - المجادلة، الآية / ١٢.

٢ - المجادلة، الآية / ١٣.

٣ - الحاكم الحسكاني، شواهد التنزيل، الرقم / ٩٥٠.

٤ - المصدر نفسه، الرقم / ٩٤٩.

كما روى الحاكم الحسكاني بإسناده عن ليث عن مجاهد أن علياً قال: إن في القرآن لآية ما عمل بها غيري قبلي ولا بعدي آية النجوى، قال: كان لي دينار فبعته بعشرة دراهم فكلما أردت أن أناجي النبي تصدقت بدرهم ثم نسخت^(١).

ملاحظة: إن قول مجاهد أول من تصدق علي بن أبي طالب. لا يقصد به أن هناك من تصدق بعده في قضية المناجاة لأنه ثبت روائياً وتاريخياً أن لا متصدق فيها غير الإمام علي (عليه السلام)، ويؤيده قوله عز وجل: «أَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ». كما قد قال مجاهد في تمام الخبر عنه: فناجاه فلم يناجه أحد غيره، ثم نزلت الرخصة.

تأكيد المضمون الكريم

هذا شيء مما قاله المجاهد^(٢) مجاهد المكي تـ (١٠٤ هجرية) في سخاء الإمام علي بن أبي طالب وجوده وفضله منتزعاً رأيه من القرآن الكريم ومن حديث الإمام (عليه السلام)، كما قال مجاهد مؤكداً على المضمون ذاته في تفسير قوله تبارك وتعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»: كان عند علي بن أبي طالب أربعة دراهم من الفضة فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سراً وبواحد جهراً فنزلت الآية^(٣) (٤).

١ - المصدر نفسه، الرقم / ٩٥١، وبحار الأنوار، ٣٥ / ٣٧..

٢ - لأنه كان يجاهد الروم ويحارب في سبيل الله تبارك وتعالى بلسانه ولسانه.

٣ - متشابه القرآن، ٢ / ٣٧.

٤ - وما رواه الحاكم الحسكاني في «شواهد التنزيل» من تعظيم وأكبار مجاهد للإمام

أمير المؤمنين أو تفسيره لبعض الآيات المباركة في حقه (سلام الله عليه):

— ما أسنده عن ليث عن مجاهد قال: نزلت في علي سبعون آية لم يشركه فيها أحد. شواهد

التنزيل، الرقم / ٥٠.

— ونحوه ما أسنده عن ليث عن مجاهد قال نزلت في علي سبعون آية ما شركه فيها أحد.

يطعمون المحتاجين ويبيتون جياً

*** قال الإمام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: «هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ...»: مرض الحسن والحسين (ع) فعادتهما رسول الله في جميع أصحابه وقال لعلي: يا أبا الحسن لو نذرت في ابنك نذراً عاقبهما الله. فقال: أصوم ثلاثة أيام، وكذلك قالت فاطمة والحسن والحسين وجاريتهم فضة فبرء؛ فأصبحوا صياماً. ثم يذكر الإمام الباقر اطعامهم للمسكين واليتيم والأسير وإيثارهم لهم علي أنفسهم التي أن يقول (سلام الله عليه): وأعطته ما كان علي الخوان وباتوا جياً وأصبحوا مفطرين وليس عندهم شيء، فرآهم النبي «ص» جياً فنزل جبرئيل ومعه صحيفة من الذهب مرصعة بالدر والياقوت مملوءة من الثريد وعراقا يفوح منه رائحة المسك والكافور فجلسوا فأكلوا حتى شبعوا ونزلت «يُوقُونَ بِالنُّذْرِ». وكانت الصدقة في ليلة خمس وعشرين من ذي

شواهد التنزيل، الرقم / ٥١.

— وما أسنده عن العوام بن حوشب عن مجاهد قال: ما كان في القرآن يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا فَإِن لعلني سابقة ذلك وفضيلته. شواهد التنزيل، الرقم / ٨٤.

— وما أسنده عن عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه في قول الله عز وجل: إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ». قال: محمد المنذر وعلي الهادي. شواهد التنزيل، الرقم / ٤١٦.

— وما أسنده عن منصور عن مجاهد [في قوله تعالى]: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا» يعني صدقوا بالتوحيد. «أَطِيعُوا اللَّهَ» يعني في فرائضه. «وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ» يعني في سنته. «وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: نزلت في أمير المؤمنين حين خلفه رسول الله بالمدينة فقال: أتخلفني على النساء والصبيان؟ فقال: أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى حين قال له: اخلفني في قومي وأصلح. فقال الله: «وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ» قال: [هو] علي بن أبي طالب ولاه الله الأمر بعد محمد في حياته حين خلفه رسول الله بالمدينة، فأمر الله العباد بطاعته وترك خلافه.

شواهد التنزيل، الرقم / ٢٠٣.

الحجة، ونزلت هَلْ أَتَى فِي يَوْمِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْهُ (١).

ومما قاله الإمام الباقر (عليه السلام) عن سخاء الإمام أمير المؤمنين وإيثاره: كان (عليه السلام) ليطعم خبز الثُّر واللحم وينصرف إلى منزله ويأكل خبز الشعير والزيت والخل.

ورودٌ من أضاميم كثيرة

اعتقد الإمام باقر العلم بأمر المؤمنين علي بن أبي طالب إماماً للأئمة جميعاً وقائداً للمسيرة الظافرة ونوراً مبيناً هادياً من الله تبارك وتعالى، إذا كيف لا يكثر الحديث المرکز القويم عن شخصيته الكبرى ومقاماته السامقة وما ثره الباذخة وخصائصه الشامخة، وهو عالم العلماء وسيد الفقهاء وباقر علوم الأولين والآخرين؟ فلهذا أكثر من ذكر مناقبه فأبدع فيما أكثر، واستمر في الحديث عن مزاياه فأحسن الحركة والاستمرار، وأطال الوقوف على تلك الميادين الفيحاء من علومه ومعارفه فأجاد الوقوف وأبدع فيما تأمل واستلهم واستنطق. وهذه ورودٌ عبقة متفتحة من أضاميم كثيرة جداً مما كان يقوله بحق جدّه المرتضى (عليه السلام) نهديها إلى محبي الورد الشذيّة وعاشقي الزهور الجميلة:

روى حنان بن سدير عن الباقر (عليه السلام) قال: ما ثبتَّ الله حبَّ عليٍّ في قلبٍ أحدٍ فزلت له قدم إلا ثبتَّها الله وتثبت له قدم أخرى (٢).

١ - مناقب آل أبي طالب، ٣ / ٣٧٦.

٢ - بحار الأنوار، ٣٩ / ٢٥٧.

وروى الخطيب الخوارزمي وشيروه الديلمي عن جابر بن عبد الله قال النبي «ص»: جاءني جبرئيل (عليه السلام) من عند الله بورقة آس خضراء مكتوب فيها بيباض: إني افترضت محبة علي بن أبي طالب علي خلقي فبلغ ذلك عني.

٣٣٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

في أمالي الصدوق عن أبي جعفر الباقر عن أبيه عن جده (ع) عن رسول الله «ص»: مَنْ سَرَّه أَنْ يَجُوزَ عَلَيَّ الصَّرَاطُ كَالرِّيحِ الْعَاصِفِ وَيَلْجُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ فَلْيَتَوَلَّ وَلِيِّي وَوَصِيِّي وَصَاحِبِي وَخَلِيفَتِي عَلَيَّ أَهْلِي وَأُمَّتِي عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، وَمَنْ سَرَّهَ أَنْ يَلْجُ النَّارَ فَلْيَتْرِكْ وَلَايَتَهُ قَوَّعِزَّةَ رَبِّي وَجَلَالِهِ إِنَّهُ لِبَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يُؤْتَى إِلَّا مِنْهُ، وَإِنَّ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، وَإِنَّ الَّذِي يَسْأَلُ اللَّهَ عَنِ وَلَايَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ^(١).

وفي المجالس للمفيد والأمالي للشيخ الطوسي بالإسناد عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) عن جابر بن عبد الله الأنصاري عن رسول الله «ص»: إِنْ جَبْرَيْلُ نَزَلَ عَلَيَّ وَقَالَ: إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكَ أَنْ تَقُومَ بِتَفْضِيلِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ خَطِيباً عَلَيَّ أَصْحَابِكَ لِيَبْلُغُوا مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ عَنكَ وَيَأْمُرُ جَمْعَ الْمَلَائِكَةِ أَنْ يَسْمَعَ مَا تَذْكُرُهُ وَاللَّهُ يُوحِي إِلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ أَنْ مَنْ خَالَفَكَ فِي أَمْرِهِ فَلَهُ النَّارُ وَمَنْ أَطَاعَكَ فَلَهُ الْجَنَّةُ. فَأَمَرَ النَّبِيُّ «ص» مَنَادِيًا فَنَادَى الصَّلَاةَ جَامِعَةً، فَاجْتَمَعَ النَّاسُ وَخَرَجَ حَتَّى عَلَا الْمَنْبِرَ فَكَانَ أَوَّلَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ أَنَا الْبَشِيرُ وَأَنَا النَّذِيرُ وَأَنَا النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ إِنِّي مَبْلُغُكُمْ عَنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَمْرِ رَجُلٍ لَحْمِهِ مِنْ لَحْمِي وَدَمِهِ مِنْ دَمِي وَهُوَ عِيْبَةُ الْعِلْمِ وَهُوَ الَّذِي انْتَجَبَهُ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ وَاصْطَفَاهُ وَهَدَاهُ وَتَوَلَّاهُ وَخَلَقَنِي وَإِيَّاهُ وَفَضَّلَنِي بِالرِّسَالَةِ وَفَضَّلَهُ بِالتَّبْلِيغِ عَنِّي وَجَعَلَنِي مَدِينَةَ الْعِلْمِ وَجَعَلَهُ الْبَابَ وَجَعَلَهُ خَازِنَ الْعِلْمِ وَالمَقْتَبِسَ مِنْهُ الْأَحْكَامَ وَخَصَّهُ بِالْوَصِيَّةِ وَأَبَانَ أَمْرَهُ وَخُوفَ مَنْ عَدَاوَتِهِ وَأَزْلَفَ مَنْ وَالَاهُ وَغَفَرَ لِشِيعَتِهِ وَأَمَرَ النَّاسَ جَمِيعاً بِطَاعَتِهِ وَإِنَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: مَنْ عَادَاهُ عَادَانِي وَمَنْ وَالَاهُ وَالَانِي وَمَنْ نَاصَبَهُ نَاصَبَنِي وَمَنْ خَالَفَهُ خَالَفَنِي وَمَنْ عَصَاهُ عَصَانِي وَمَنْ آذَاهُ آذَانِي وَمَنْ أَبْغَضَهُ أَبْغَضَنِي وَمَنْ أَحْبَبَهُ أَحْبَبَنِي وَمَنْ أَرَادَهُ

أرادني ومن كاده كادني ومن نصره نصرني .

يا أَيُّهَا النَّاسِ اسْمَعُوا ما أَمَرَكُم بِهِ وَأَطِيعُواهُ فَإِنِّي أَخُوفُكُم عِقَابَ اللَّهِ « يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ ما عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وما عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَها وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ » .

ثم أخذ بيد علي أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: معاشر الناس هذا مولى المؤمنين وحجة الله على الخلق أجمعين والمجاهد للكافرين اللهم إني قد بلغت وهم عبادك وأنت القادر على صلاحهم فأصلحهم برحمتك يا أرحم الراحمين أستغفر الله لي ولكم .

ثم نزل عن المنبر فأتاه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول لك: جزاك الله عن تبليغك خيراً فقد بلغت رسالات ربك ونصحت لأمتك وأرضيت المؤمنين وأرغمت الكافرين . يا محمد إن ابن عمك مبتلى ومبتلى به . يا محمد قل في كل أوقاتك: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ^(١) .

وفي معاني الأخبار والأمالى للصدوق عن سلام الجعفي عن أبي جعفر الباقر عن أبي برزة الأسلمي عن النبي «ص» قال: إن الله عز وجل عهد إلي في علي عهداً قلت: يا رب بينه لي . قال: اسمع . قلت: قد سمعت قال إن علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين . من أحبه أحبني ومن أطاعه أطاعني^(٢) .

نقل السروي في المناقب عن أبي عبيد الله المرزباني وأبي نعيم الأصفهاني

١ - انظر بحار الأنوار، ٣٨ / ١١٣ - ١١٤ .

٢ - المصدر نفسه، ٣٦ / ٥٧ .

٣٤٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) في كتابيهما فيما نزل من القرآن في علي (ع)، والنظري في الخصائص عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، كما روى عن الباقر (عليه السلام) في قوله تعالى: «وَازْكُرُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ» نزلت في رسول الله وعلي بن أبي طالب وهما أول من صلى وركع^(١).

قال ابن عباس وأبو برزة وابن شرجيل والباقر (عليه السلام): قال النبي «ص» لعلي مبتدئاً: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ»، أنت وشيعتك، وميعادي وميعادكم الحوض إذا حُشِرَ الناس جئت أنت وشيعتك غراً مُحَجَّلِينَ^(٢).

العطاء الكيفي الزخار

*** قال اسماعيل السدي في تفسير قوله تبارك وتعالى: «الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً»: كان عند علي بن أبي طالب أربعة دراهم من الفضة فتصدق بواحد ليلاً وبواحد نهاراً وبواحد سرّاً وبواحد جهراً فنزلت الآية^(٣).

لقد أشارت الآية المباركة الى ذلك العطاء الكيفي الزخار لأمر المؤمنين علي بن أبي طالب (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) «يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً» فهل للانسان من الوقت غير ما تكتنزه ساعات الليل والنهار؟ فقد أنفق علي بن أبي طالب فيهما معاً كل ما في يديه لانصفه ولا أكثره، وهل للانسان من استقامة التصرف وصدق النوايا غير ما يعلمه الله تعالى من سرّه وعلنه؟ فقد أنفق علي بن

١ - مناقب آل أبي طالب، ٣ / ١٣. ٢ - بحار الأنوار، ٣٨ / ٨.

٣ - متشابه القرآن، ٢ / ٣٧.

أبي طالب في الحالين معاً كل ما في يديه لا نصفه ولا أكثره. ولو أراد ابن أبي طالب في بسطة يمينه وصدق طوبته أن يصنع أكثر مما صنع وأفضل مما عمل لم يستطع أبداً وذلك لأنه قد بلغ منتهى الغاية التي لا يمكن لإنسان على وجه الأرض أن يتجاوزها قيد أنملة «يُثْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالتَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً».

لم تتحدث الآية المباركة عن اتفاق علي (عليه السلام) مدحاً وتبجيلاً لشخصه الكريم وتمجيداً لفضله وجوده فحسب وإنما ليقتدي به المقتدون في الإنفاق المستمر والتضحية الكبيرة في معونة الفقراء والمستضعفين طلباً لما عند الله عزَّ وجلَّ، إذ أن من المنهاج الثابت للقرآن الحكيم أن يستعرض القضايا التاريخية الكثيرة والمختلفة ليستفيد الناس مما تتطوي عليه من سوامق العبر السنية وفواتن الدروس الراقية؛ تنبيهاً للعقول والأفكار وتصفية للقلوب والنوايا وتحريكاً لمسيرة الحياة نحو السلوك الصحيح والطريق الأفضل والأجمل.

وليست هذه المرة الوحيدة التي يتكلم فيها اسماعيل السدي عن جود الإمام علي وإيثاره في القرآن المجيد فقد قال الحاكم الحسكاني: حدثني أبو القاسم بن أبي الحسن الفارسي، أخبرنا أبي حدثنا أبو عبد الله المحاربي، حدثنا القاسم بن وهيب حدثنا إبراهيم بن الحكم بن ظهير، عن أبيه، عن السدي (في قوله تعالى: «إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ» إلى آخر الآية، قال: حدثني عبد خير عن علي قال: كنت أول من ناجاه: كان عندي دينار فصرفته بعشرة دراهم فكلمت رسول الله «ص» عشر مرات كلما أردت أن أناجيه تصدقت بدرهم. فشق ذلك على أصحاب رسول الله «ص» فقال المنافقون: ما يألو ما ينجش لابن عمه. قال: فنسختها «الْشَفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ» إلى آخر الآية، قال: فكنت أول من عمل بهذه الآية، وآخر من عمل بها، ما أحد عمل بها قبلي ولا بعدي^(١).

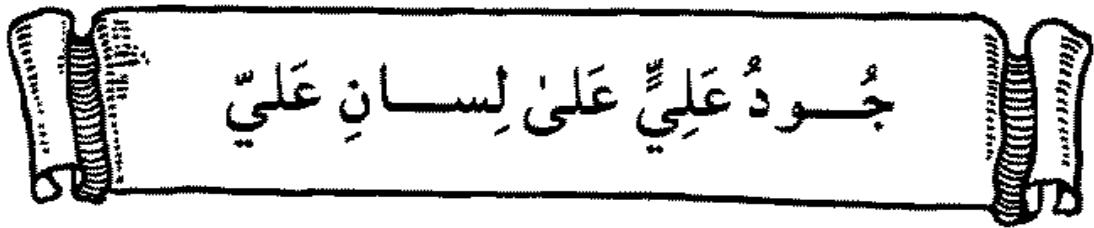
٣٤٢..... فلسفة الجُودِ والإيتارِ لدى الإمامِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ (عليه السلام)

ونحوه ما رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس قال: كان الناس يناجون رسول الله في الخلأ إذا كانت لأحدهم حاجة، فشق ذلك على النبي «ص» ففرض الله على من ناجاه سرّاً أن يتصدق بصدقة فكفوا عنه وشق ذلك عليهم^(١).

وأبو محمد اسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمه السُّدي الكبير^(٢) القرشي «رضوان الله عليه» من أشهر المفسرين في العصر الأموي وقد روى عن الإمامين الباقر والصادق (عليه السلام) وعن عبد خير الهمداني وعطاء بن رباح وعامر الشعبي ومجاهد بن جبر، وروى عنه سفيان الثوري وأبو حمزة الشمالي وشعبة بن الحجاج والحكم بن ظهير وأسباط بن نصر.

١ - بحار الأنوار، ٣٥ / ٢٧٩.

٢ - تمييزاً له عن السُّدي الصغير وهو محمد بن مروان بن عبد الله بن اسماعيل بن عبد الرحمن وكان يروي عن الكلبي.



قال إمامُ الأئمة (ع)

إني لأرفعُ نفسي أن

تكونَ حاجةٌ لا يسعُها جُودي

الكرماءُ يُدَوِّنون ما ثَرَهُم

عرفنا شيئاً كثيراً مما قاله عدد من الصحابة والتابعين المعاصرين للإمام أمير المؤمنين حول تقريظ جوده وإيثاره، والاشادة بذكر صنائعه وآثاره، ونوؤد لو نطلع على أشياء مما يقوله الإمام نفسه عن جوده وإيثاره، فإن في ذلك مزيداً من المعرفة لهذا الموضوع، وتأكيداً على صحة ما يقوله الآخرون بحقه.

لقد دأب كثير من أكابر الجوداء والكرماء على ذكر مجمل معروفهم وإحسانهم أو الافتخار بما سخوا وجادوا، في كلمات منثورة، أو أنهم سجّلوا ذلك في قصائدهم وأشعارهم، لا نعني أنهم يصرّحون باسم من أكرمهم وجادوا عليهم، بل أنهم يذكرون أو يدوّنون ذات الجود بشكل عام من دون النصّ على المنتفين به. ومن يُراجع ديوان حاتم الطائي وديوان عروة بن الورد وديوان عنترة بن شداد وغيرهم يجد الشيء الكثير من ذلك. كما يجد بعضاً منه في مقالات أو كلمات عدد من أجواد السلف. وإذا كان عدد كبير منهم يصدقون بما يحكون لنا من قصص كرمهم وفضلهم أو الإشارة إليها، فإن منهم من لا يتورّعون عن الكذب فيما يقولون، بل يتشبهون بالكرام ويتشبهون بأذيال الكرم زوراً ودجلاً ورتاء الناس، وإن من أخبث العُهر والدّعارة، أن يتشبه بالكرام من يتشبه باللؤم والحقارة.

وأما الأسباب الداعية إلى حثّ أكابر الجوداء والكرماء على ذكر أمور من فضلهم وجودهم فهي كثيرة يشترك فيها الأجواد أحياناً وينفرد ببعضها جماعة منهم أحياناً، فمنها ما يرجع إلى دفع الآخزين وتحريضهم على الاقتداء بهم والتأسي بصنائعهم، ومنها ما يرجع إلى الافتخار بما قدّموا والاعتزاز بما أحسنوا، ومنها ما يرجع إلى منافسة الأقران والأنداد سياسياً واجتماعياً، ومنها

٣٤٦ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ما يرجع إلى الشعور العميق بالقهر والمظلومية فيتعرض الجواد إلى ذكر احسانه
ليقول بشكل أو بآخر: ما هذا جزاء من أحسن وأكرم. ومنها ما يرجع إلى دفع
الشبهات المثارة بالفعل أو المتوقع اثارها من قبل الخصوم والحساد والتي
تتحدث كذباً وافتراءً عن بخل هذا الجواد أو ذاك، ومنها ما يرجع إلى قضايا
طارئة استدعاها مجرى الحديث وتسلسل الكلام... الخ.

التصدّي إلى تعداد مجاميع من المزايا والمحاسن

نظراً لما قام به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب من العمليات الجهادية في
حياة الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» والتي كانت لها مساهمة كبرى في
انكسار شوكة قريش وغيرها من القبائل والاطاحة بأعداد كبيرة من رؤوس
أبطالها وأعلامها، كانت الكثير من القلوب تضجُّ بالأحقاد وتعجُّ بالضغائن عليه
حتى بعد أن أسلمت وأعلنت الشهادتين، إنها دماء اخوانهم وآبائهم وأبنائهم ومن
عليهم المعوّل، هذا اضافة إلى أسباب أخرى ليس الآن محلُّ ذكرها سعى
الكثيرون من أكابر قريش ومن يشاطرهم في التفكير والمشاعر من شتى الناس
إلى محاولة اخماد جذوة الشخصية العلوية بكلِّ اسلوب وطريقة ظاهرة مُعلنة أو
باطنة مُعلّقة، فكان هذا من الأسباب الرئيسية لأن يتصدّي الإمام أمير المؤمنين
إلى تعداد مجاميع من فضائله ومزاياه ومحاسنه الحميدة التي أكرمها الله بها،

فمما كان ينشره من مناقبه ومكارمه - على سبيل الأمثلة والشواهد - تلك
المناقب السبعون التي انفرد بها من بين البشرية قائلاً: لقد علم المستحفظون من
أصحاب النبي محمد «صلى الله عليه وآله وسلم» أنه ليس فيهم رجل له منقبة إلا
وقد شركته فيها وفضلته، ولي سبعون منقبة لم يشركني فيها أحد منهم. ثم شرع
يذكرها الواحدة إثر الأخرى.

كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): لَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفِظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله وسلم» أَنِّي لَمْ أُرِدَّ عَلَى اللَّهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ، وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ وَتَتَأَخَّرُ الْأَقْدَامُ نَجْدَةً أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِهَا، وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ «صلى الله عليه وآله وسلم» وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي وَلَقَدْ سَأَلْتُ نَفْسَهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَزَتْهَا عَلَى وَجْهِي، وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ «صلى الله عليه وآله وسلم» وَالْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي فَضَجَّتِ الدَّارُ وَالْأَفْقِيَّةُ مَلَأُ يَهْبِطُ وَمَلَأُ يَعْجُجُ وَمَا فَارَقْتُ سَمْعِي هَيْئَةً مِنْهُمْ يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرْبِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا^(١)؟

وعلى هذا الأساس فإن ما كان يقوله الإمام أحياناً عن صور من جوده وإيثاره ليس غريباً أو شاذاً - لا في الدافع اليه ولا في طرحه على البساط - عن الخطِّ العام لمناهجه وأساليبه ومخططاته الفكرية والسياسية. بل هو منه بمنزلة الجزء من الكل. ولولا أنه (عليه السلام) إذ أفصح عن بعض مناقبه وخصائصه طوى كشحاً عما هو أكثر وأوسع لبان للعيان ما يثلج القلوب الظامئة إلى الجمال الباهر ويسرُّها، وينعم العيون المستشرقة إلى الحقيقة البيضاء ويجلوها.

مَحَلُّ السَّخَاءِ وَبَحْرُ النَّدَى

كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كثير الجود والايثار لا يطلُّ شروقُ الصباح ولا يحلُّ غَسَقُ الليل إلا وعلى كفيه أريجٌ شديٌّ من عطرهما الطيبِ الزاكي، إلا أنه (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) يتناسى ما يقدم ولم يذكر من ذلك إلا نزرأً ضئيلاً لا يتناسب وحجم أعطياته وأرقام كرمه وانعامه، فما دام عالم الغيب والشهادة

٣٤٨..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
مطلعاً على كل التفاصيل ومجازياً لها أفضل الجزاء وأكرمته، فلا يضر بعد ذلك
أعرفه الناس أم لم يعرفوه، غير أن من الأمور الباعثة على البوح ببعض قصص
الجود أحياناً ما يرضاها الله تبارك وتعالى بعد سلامة النيّة وطهارة القلب من
الرياء والسمعة، كأن يكون للجّهال والمتجاهلين والحساد المعاندين للحقيقة
والأشقياء المنابذين للصواب دور كبير في كبت الفضائل وإطفاء وهج المناقب،
فيتصدى المظلوم المضطهد للدفاع والذبّ عن حرّيات فضائله وفواضله نصره
للحق وتشبيهاً لعناصر الخير والمروءة بصدق من طويته وشفافية من روحه،
فيؤجره الله سبحانه وتعالى أجرين أجراً على سموّ كرمه وفضله وأجراً على
زياده عن الحقيقة المكبلة بأيدي الظالمين. ومن هذا المنطلق فإننا نرى أن أكثر ما
كان يقوله إمام المظلومين والمحرومين عن جوده وإيثاره إنما كان بدافع قويّ
مستعر الجوانب يعبر عن مظلوميّة توجع القلوب الغليظة وتدمي الأكباد القاسية
وتستهمل دموع المآقي الجامدة فضلاً عن غيرها. فمما كان يذكره من ذلك:

- ١- قال الإمام علي (عليه السلام): فَوَاللَّهِ لَأَقُولَنَّ قَوْلًا لَا يَطِيقُ أَنْ يَقُولَهُ
أَحَدٌ مِنْ خَلْقِكَ: أَنَا عَلَّمُ الْهُدَى وَكَهْفُ التَّقَى وَمَحَلُّ السَّخَاءِ وَبَحْرُ النَّدى^(١).
- ٢- وقال علي (عليه السلام): أَنَا أَبُو الْأَرَامِلِ وَالْيَتَامَى^(٢).

٤- نقل الواحدي في أسباب نزول القرآن والوسيط أيضاً، والشعبي في
الكشف والبيان ورواه علي بن علقمة ومجاهد: أن علياً قال: إن في كتاب الله لآية
ما عمل بها أحد قبلي، ولا عمل بها أحد بعدي. ثم تلا هذه الآية: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ
لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ»^(٣). وما جاء في جامع الترمذي وتفسير الشعبي

واعتقاد الأشنهي عن الأشجعي والثوري وسالم بن أبي حفصة وعلي بن علقمة الأثماري عن علي (عليه السلام) في هذه الآية: فبي خفف الله ذلك عن هذه الأمة.

٥ - وقال (عليه السلام) لأحد الزعماء السياسيين: فأنتشدك بالله أليّ الولاية من الله مع ولاية رسوله في آية زكاة الخاتم، أم لك؟ قال: بل لك^(١).

٦ - وقال (عليه السلام): إني لأرفع نفسي أن تكون حاجة لا يسعها جودي، أو جهل لا يسعه حلمي، أو ذنب لا يسعه عفوي، أو أن يكون زمان أطول من زمانني^(٢).

٧ - وقال علي (عليه السلام):

إنا لنمنع من أردنا منعه ونجود بالمعروف للمعتام^(٣)

٨ - وقال (عليه السلام):

وإن أتيت بفخر من ذوي نسب

فإن نسبتنا جودٌ وعلياء

٩ - وقال (عليه السلام) مرتجزاً في حرب خيبر يجيب داؤد بن قابوس

اليهودي:

إني ورَبُّ الحجرِ المُكْرَمِ قد جدتُ لله بلحمي ودمي

١. - كما قال (عليه السلام) أيضاً:

١ - بحار الأنوار ٢٩ / ٨. ٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٢٠٧٥.

٣ - نقلنا هذا البيت وما يليه من ديوان شعر الإمام علي.

٢٥٠ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

وداري مناخ لمن قد نزل
وذاذي مباح لمن قد أكل
أقدم ما عندنا حاضر
وإن لم يكن غير خبزٍ وخَلٍ
فأمّا الكريم فراضٍ به
وأما اللئيم فذاك الويل^(١)

١١ - وأحببنا أن يكون مسك الختام لهذا الموضوع ما قاله الإمام أمير المؤمنين (سلام الله عليه):

إني امرؤ بالله عزي كُله
ورث المكارم آخري من أولي
فإذا اصطنعت صنيعاً أتبعها
بصنيعه أخرى وإن لم أسأل
وإذا يصاحبني رفيق مرمل
آثرته بالزاد حتى يمتلي
وإذا دعيت لكربة فرجتها
وإذا دعيت لغدرة لم أفعل
وإذا يصيح بي الصريح لحادث
وافيته مثل الشهاب المشعل
وأعدُّ جاري من عيالي إنه
اختار من بين المنازل منزلي
وحفظته في أهله وعياله
بتعاهد مني ولما أسعل^(٢)

١ - المجلسي، بحار الأنوار ٣٤ / ٤٣١.

٢ - بحار الأنوار ٣٤ / ٤٣١ - ٤٣٢.

قول الإمام علي (ولما أسعل) لأن الشحيح كثيراً ما يتنحج أو يسعل ليتشاغل بذلك عن قضاء حاجة المحتاج.

الحكمة العلوِيَّةُ في ايقاعاتِها الموسيقية

إنَّ مَنْ يَمْتَلِكُ الأُذُنَ الموسيقيةَ الرهيفةَ والذوقَ الرفيعَ وقد رُزِقَ الانتباهَ والالتفاتَ الدقيقَ، حينما يكثُرُ من السبرِ والمطالعةِ والتجوالِ في كلامِ أميرِ المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه سيجدُ ظاهرةً عجيبةً وبارعةً جداً من حيث وفرةِ الايقاعاتِ الموسيقيةِ المستعدبةِ ذاتِ الحُسْنِ الفائقِ والجمالِ الخلاقِ.

الأُذُنُ المُوَسِيقِيَّةُ الرَّهِيْفَةُ وَالدَّوْقُ الرَّفِيعُ

إِنَّ مَنْ يَمْتَلِكُ الأُذُنَ المُوَسِيقِيَّةَ الرَّهِيْفَةَ وَالدَّوْقَ الرَّفِيعَ وَقَدْ زُرِقَ الانْتِبَاهَ وَالاَلْتِفَاتِ الدَّقِيقِ ، حِينَمَا يَكْثُرُ مِنَ السَّبْرِ وَالمُطَالَعَةِ وَالتَّجْوَالِ فِي كَلَامِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَإِنَّهُ سَيَجِدُ ظَاهِرَةً عَجِيبَةً وَبَارِعَةً جَدًّا مِنْ حَيْثُ وَفَرَةُ الاِيقَاعَاتِ المُوَسِيقِيَّةِ المَسْتَعْدْبَةِ ذَاتِ الحُسْنِ الفَائِقِ وَالجَمَالِ الخَلِاقِ .

وَمِنَ الغَرِيبِ حَقًّا أَنَّ المُوَرِّخِينَ القَدَمَاءَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ إِلَى اليَوْمِ وَكَذَلِكَ البَاحِثِينَ وَالكُتَابَ وَالدَّارِسِينَ عَلَيَّ الرِّغْمِ مِنْ اخْتِلَافِ مَنَاهِجِهِمْ وَمُنْطَلِقَاتِهِمْ الفِكْرِيَّةِ وَالأَدْبِيَّةِ وَالفَنِيَّةِ لَمْ يَلْتَفِتُوا إِلَى هَذِهِ الظَّاهِرَةِ الرَّائِعَةِ الشَّمَاءِ فِي التَّرَاثِ الغَزِيرِ وَالمُتَعَدِّدِ الجَوَانِبِ وَالأَفَاقِ للإِمَامِ عَلِيِّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) . وَلِئِنْ تُغْفَلَ ظَاهِرَةُ الاِيقَاعَاتِ المُوَسِيقِيَّةِ العَذْبَةِ فِي التَّرَاثِ العُلُوِيِّ المَجِيدِ فَكَمْ لَهَا مِنْ نِظَائِرِ وَأَشْبَاهِ كَثِيرَةٍ مِنَ الغَفْلَةِ أَوْ التَّغَافُلِ وَالتَّجَاهُلِ فِي تَرَاثِهِ الوَسِيعِ وَأَفْكَارِهِ الحَضَارِيَّةِ العَامِرَةِ ، بَلْ فِي مَجْمَلِ شَخْصِيَّةِ الإِمَامِ عَلِيِّ وَحَيَاتِهِ السِّيَاسِيَّةِ وَالاِجْتِمَاعِيَّةِ وَمَسِيرَتِهِ العِلْمِيَّةِ وَالعَقَائِدِيَّةِ وَالجِهَادِيَّةِ . وَلِهَذَا فَتَرَانَا - مِنْ مَحَلِّ الصَّدَقِ وَالحَقِيقَةِ بِمَكَانٍ - حِينَمَا نَصِفُ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بِأَنَّهُ يَبْقَى المَثَلُ الأَعْلَى لِلْمُظْلُومِينَ وَالمُضْطَهَدِينَ وَالمَحْرُومِينَ فِي طَوَالِ التَّأْرِيخِ الاِسْلَامِيِّ مِنْذُ أَرْبَعَةِ عَشْرٍ قَرْنًا وَإِلَى حُدِّ هَذَا اليَوْمِ المَائِلِ .

وَتَتَمَثَّلُ ظَاهِرَةُ الاِيقَاعَاتِ المُوَسِيقِيَّةِ الجَمِيلَةِ فِي التَّرَاثِ العُلُوِيِّ فِي عِدَّةِ

مسارات واتجاهات من قبيل ما يلي:

١- المسار الشعري إذ للإمام علي الكثير من القصائد والمقاطع الشعرية في مجال الحكمة والأخلاق والتربية والزهد والقضايا الاجتماعية والسياسية . وتوجد أشعاره مبثوثة في مصادر كثيرة جداً مثل الترجمة المفصلة للإمام علي من تأريخ مدينة دمشق لابن عساكر، وبحار الأنوار للمجلسي، وديوان شعره (عليه السلام) ... الخ

٢- الفواصل المسجوعة سجعاً رائعاً ما فيه شائبة من التكلف والتصنع، وهي موفورة جداً في خطب الإمام ورسائله وعهوده وكلماته القصار وغير ذلك .

٣- الكليم النثرية التي تحتفل بغزارة بإيقاعات موسيقية في أسلوب عرضها . ولها أمثلة وافرة من قبيل خطبة الإمام المعروفة بالقاصعة وهي طويلة جداً وملتقط منها العبارات التالية :

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَىٰ بَنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونَ (ع) عَلِيٌّ فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا
مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ، فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ. فَقَالَ:
أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا يَمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ
الْفَقْرِ وَالذُّلِّ فَهَلَا أَقْبَىٰ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ. إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِيهِ وَاحْتِقَارًا
لِلصُّوفِ وَنُبْسِهِ. وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذَّهَبَانِ
وَمَعَادِنِ الْعِيقَانِ وَمَغَارِسِ الْجِنَانِ، وَأَنْ يَسْخُسِرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ
الْأَرْضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَّا وَجَبَ
لِلْقَابِلِينَ أَجُورُ الْمُبْتَلَيْنِ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ

الحِكْمَةُ العَلَوِيَّةُ فِي إِيقَاعَاتِهَا المَوْسِيقِيَّةِ ٣٥٥
معانيها. ولكنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِبِهِمْ وَضَعَفَهُ فِيمَا تَرَى
الأَعْيُنُ مِنْ حَالَتِهِمْ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمَلُّ الأَلْقُوبَ والعُيُونَ غِنَى، وَخَصَاصَةٍ تَمَلُّ
الأَبْصَارَ والأَسْمَاعَ أذَى^(١)(٢).

٤ - الكَلِمُ الثَّرِيَّةُ الَّتِي تَحْتَفِلُ بِغَزَارَةِ إِيقَاعَاتِ مَوْسِيقِيَّةِ، وَبَعْضُهَا يَشْكَلُ
نِصْفَ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ، وَيَبْلُغُ بَعْضُهَا أَنْ يَشْكَلُ مَا يَقْرَبُ مِنْ بَيْتٍ بَلْ يَكُونُ قِسْمَ مِنْهَا
بَيْتاً كَامِلاً مِنَ الشَّعْرِ صَدِراً وَعَجْزاً. كَمَا فِي قَوْلِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) الآتِي: تَحِبُّبِ
إِلَى خَلِيلِكَ يُحِبُّبِكَ، وَأَكْرَمَهُ يَكْرَمُكَ، وَآثَرَهُ عَلَى نَفْسِكَ يُوَثِّرُكَ عَلَى نَفْسِهِ
وَأَهْلِهِ. فِقَوْلُهُ:

وَأَثَرَهُ عَلَى نَفْسِكَ يُوَثِّرُكَ عَلَى نَفْسِهِ
يُؤَلِّفُ بَيْتاً كَامِلاً صَدِراً وَعَجْزاً. وَهَكَذَا مِثْلُ قَوْلِ الإِمَامِ: جُودُ الْفَقِيرِ يُجِلُّهُ،
وَبِخْلُ الْغَنِيِّ يَذَلُّهُ.

جُودُ الْفَقِيرِ يُجِلُّهُ بِبِخْلِ الْغَنِيِّ يَذَلُّهُ
وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْوِزْنَ وَالْإِيْقَاعَ Rhythm مِنَ الْعَوَامِلِ الْمَفِيدَةِ جَدّاً فِي تَيْسِيرِ
عَمَلِيَّةِ الْحِفْظِ وَالتَّذْكَرِ إِلَى جَانِبِ الْعَوَامِلِ الأُخْرَى الَّتِي يَذْكَرُهَا عِلْمُ النَّفْسِ التَّرْبَوِيِّ

١ - نهج البلاغة / ١٩٢ - ومن خطبة له (عليه السلام) تسمى القاصعة.
٢ - وبعد ذلك مباشرة يقول الإمام في هذه الخطبة: ولو كانت الأنبياء أهل قوّة لا تُرام
وعزّة لا تُضامُ ومُلْكٌ تُمدُّ نَحْوُهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُسَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّجَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الخَلْقِ
فِي الإِعْتِبَارِ، وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الإِسْتِكْبَارِ، وَلَا مَتَّوَا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ، أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ؛ فَكَانَتِ
النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُفْتَسِمَةً. وَلَكِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الأَتْبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ
بِكُتُبِهِ وَالخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالإِسْتِيكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالإِسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةٌ لَا تُشَوِّبُهَا مِنْ
غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ البُلُوْى وَالإِخْتِيَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ المُتَوَبُّةُ وَالجَزَاءُ أَجْزَلَ...

٢٥٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
من قبيل ربط المعلومات الجديدة بمعلومات مرتكزة في الذهن، وتكرار قراءة
المعلومات الجديدة لترسيخها في الذهن، وتقسيم المعلومات الجديدة إلى
وحدات، واستخدام التلفزيون والراديو، وغير ذلك. فلماذا قد وضعنا بين يدي
القراء الأعزاء مجموعة قد لا تكون صغيرة من الحكم القيمة والكلمات القصيرة
ذات الإقاعات الموسيقية الجميلة في التراث العلوي، والتي قد أكرمنا الله
تبارك وتعالى بأن صغناها صياغات فنيّة، في سياق من المقاطع الشعرية.
واخترنا من بينها خصوص الحكم العلوية في اطار السخاء والجود والإيثار
التي هي موضوع الكتاب:

مُفْرَدَاتُ بَهِيْجَةٍ

المعروف لله وحده

— قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: المعروف أفضل الكنوز وأحصن
الخصون، لا يُزهدنك فيه كُفْرٌ مَنْ كَفَرَ، فَقَدْ يَشْكُرَكَ عَلَيْهِ مَنْ لَمْ يَسْتَمْتِعْ فِيهِ مِنْكَ
بشيء، فقد تُدْرِكُ بِشُكْرِ الشَّاكِرِ، مَا يَضَعُ الْجَحُودُ الْكَافِرَ^(١).

لا يُزهدنك في المعروف تصنعهُ

كفّر الكفور فإن الله يرفعه

شَكَرُ الشُّكُورِ لِمَعْرُوفٍ أَجَلٌ عُلَاً
وَمِدْحَةٌ لَكَ مَن نَذَلِ يُضِيعُهُ

روضه الإيثار

— قال الإمام علي (عليه السلام): الإيثار سجية الأبرار وشيعة الأخيار^(١).

سـجـيـةُ الأـبـرـارِ و شـيـمـةُ الأـخـيـارِ
يـبـانـةُ زـاهـرَةٌ فـي رـوضـةِ الإـيـثـارِ

لا فخرَ في المالِ إلا مع الجود

— قال علي (عليه السلام): لا فخرَ في المالِ إلا مع الجود^(٢).

قال الوصيُّ مقالاً أشاعَ فينا صلاحه
لا فخرَ في المالِ إلا مع التَّدبُّرِ والسَّمَاخِ

٣٥٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

الفوز فوز الأكرمين

— قال أمير الحكماء سلام الله عليه : ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحاً وما فاتك منها فلا تأس عليه حزناً^(١).

النصرُ ما تتقدّم الأرواحُ
ويشيعُ فينا العدلُ والاصلاحُ
ما نلت من دنياك لا تكثر به
فرحاً فليس بغالبٍ مفراحُ
فالفوزُ فوزُ الأكرمينَ إذا غدّوا
برضا حبيبِ العارفين وراحوا

النوال قبل السؤال

— روي عن الإمام علي (عليه السلام) : من بذل النوال قبل السؤال فهو الكريم المحبوب^(٢).

من يبذل النوال قبل السؤال
فهو الكريم الفذُّ بين الرجال

إِنْ جَمَالَ الْمَرْءُ فِي بَذَلِهِ
فِي الْخَيْرِ إِنَّ أَكْرَمَ رُوحِ الْجَمَالِ
لَا خَيْرَ فِي جَيْلٍ يَحِبُّ الْعُلَى
لَكِنَّهُ الْقَاعِدُ حِينَ الْفِعَالِ

خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مُسَدِّهِ وَبِأَذَلُّهُ

— قَالَ عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَالٍ: افْعَلِ الْخَيْرَ وَلَا تَفْعَلِ الشَّرَّ فَخَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مَنْ
يَفْعَلُهُ، وَشَرٌّ مِنَ الشَّرِّ مَنْ يَأْتِيهِ بِفَعْلِهِ^(١).

خَيْرٌ مِنَ الْخَيْرِ مُسَدِّهِ وَبِأَذَلُّهُ
شَرٌّ مِنَ الشَّرِّ بَيْنَ النَّاسِ فَاعِلُهُ
وَنَائِلٌ عَظُمَتْ فِي النَّاسِ رَتْبَتُهُ
أَرْبَى عَلَيْهِ وَقَدْ جَلَّى مُنَاوَلُهُ

قَلِيلُ الْخَيْرِ كَثِيرٌ

— قَالَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئاً فَإِنَّ صَغِيرَهُ
كَبِيرٌ وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ

افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَخْتَفِرُوا
مِئْتَهُ شَيْئاً مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ
فَصَغِيرُ الْخَيْرِ لِلَّهِ رِضاً
وَقَلِيلُ الْخَيْرِ فِي اللَّهِ كَثِيرٌ

كم من حريص خائب، ومجمل لم يخب

— روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): أجملوا في الطلب: فكم من حريص خائب، ومجمل لم يخب^(٢).

إِنْ تُجْمَلُوا فِي الطَّلَبِ فَهُوَ دَلِيلُ الْحَسْبِ
كَمْ مِنْ حَرِيصٍ خَائِبٍ وَمَجْمَلٍ لَمْ يَخِبِ^(٣)

في التنظير العلوي المبارك المزيد من التأكيد المركزي على النهي عن
الحرص، والنصيحة الشديدة باجتنابه والابتعاد عن شروره وآفاته، وإيضاح عدد

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٦٦، الحكمة / ٤٣٠.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٠٤.

٣ - وقلنا في ذلك أيضاً:

الحِكْمَةُ العَلَوِيَّةُ فِي إِيقَاعَاتِهَا المَوْسِيقِيَّةِ ٣٦٦
من سيئاته وأخطاره على الحياة الروحية والأخلاقية والاجتماعية. وبين أيدينا
غيض من فيض مما قاله علي صلوات الله عليه حول الموضوع:

* - أَغْنَى الأَغْنِيَاءُ من لم يكن للحرص أسيراً^(١).

* - ليس لحريص غناء.

* - من أدَّرع الحرص اقتقر.

* - الحرص يزري بالمروة.

* - الحرص موقع في كثير العيوب [في كبير الذنوب].

* - طاعة الحرص تفسد اليقين.

* - من كان حريصاً لم يعدم الإهانة.

* - من كثر حرصه قل يقينه.

* - الحريص متعوب فيما يضره.

إِنَّكَ بِالْإِحْسَانِ كُنْتَ الْإِنْسَانُ

— عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: مِنْ شَرَفِ الهِمَّةِ بَدُلُ

١- استقيننا هذه الأحاديث العلوية من كتاب غرر الحكم وفيه أحاديث أخرى كثيرة عن

الحرص أيضاً لم نذكرها روماً للاختصار النسبي.

إِنَّكَ بِالْإِحْسَانِ كُنْتَ الْإِنْسَانُ
تُؤرِّجُ الْحُبَّ وَتُذَكِّي التَّحْنَانَ
تَبْنِي بِنَاءً مُسْتَقِيمَ الْأَرْكَانِ
وَهِمَّةَ الْبِنَانِ بِحَسَنِ الْبِنْيَانِ
مِنْ شَرَفِ الْهِمَّةِ بَدُلُ الْإِحْسَانِ

البخل منبتٌ سوء

— قال الإمام علي: الجود حارس لأعراض الرجال^(٢).

عليك بالجود لا الاقتار والسرف
تزر الحياة كروض زاهر أنف
الجود حارس أعراض الرجال كما
في البخل هتك لأستار من الشرف
البخل منبت سوء ليس يزرعه
إلا الشقي شقي الرأي والهدف

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٧٢٨، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٥٣.

٢ - الحنفي الزرندي، نظم درر السعطين / ١٥٩.

تَحْمَلُ المَغَارِمَ

— قال الإمام أمير المؤمنين سلام الله عليه : من أفضل المكارم : تحمل المغارم ، وإقراء الضيوف ^(١) .

من أفضل المكارم تَحْمَلُ المَغَارِمَ
إن نَامَ عنها شَاكِرٌ فَاللهُ ليس نَائِمٌ
أو ازدرَاهَا جَا حَادٌ أو ادعَاهَا ظَالِمٌ
فَاللهُ يَجْزِي مَحْسَنًا وَيَفْضَحُ المَآثِمَ
يَسْحَكُ فِيهَا عَادِلٌ وَاللهُ خَيْرُ حَاكِمِ

جودوا بالأزكى والأنقى

— قال إمام الأئمة (سلام الله عليه) : جودوا بما يفنى تعاضوا عنه بما يبقى ^(٢) .

جودوا بالأزكى والأنقى تعاضوا عنه بما يبقى
فجمالكم يحيا أبداً حقاً حقاً حقاً حقاً

من أفضل المَبْرَةِ

— عن علي (عليه السلام): من أفضل أعمال البرِّ: الجودُ في العسر،
والصدق في الغضب، والعفو عند القدرة^(١).

من أفضل المَبْرَةِ العفو عند القدرة
والصدق في جمر الغضا والجود حين العُسرة
ثلاثة مانالها إلا جميل العشرة
فحقة في أن يرى فوق سيماك الإمرة

كمال المرء في دين وعرض

— جاء في الرواية عن علي (عليه السلام): وفور الدين والعرض
بابتدال الأموال^(٢).

وفور الدين بالأموال تُبدل
وهل كالمال من وفر يُؤمّل

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد الحكمة / ٤٨٦.

٢ - غرر الحكم / ٨٥٣٧.

وليس بحازمٍ من صانِ أرضاً
إذا ما الدينُ والأعراضُ يُغفلُ
كمالُ المرءِ في دينٍ وعِرضٍ
فإن فاتا فإنَّ القبرَ أكملُ

غَطُّوا مَعَايِبَكُمْ بِالسَّخَاءِ

— يُروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: غَطُّوا مَعَايِبَكُمْ
بِالسَّخَاءِ فَإِنَّهُ سَتْرُ الْعُيُوبِ^(١).

بِالْجُودِ تُحْتَضِنُ النَّفُوسَ
وَيَنْجَلِي كَدْرُ الْقُلُوبِ
غَطُّوا الْمَعَايِبَ بِالسَّخَاءِ
فَإِنَّهُ سَتْرُ الْعُيُوبِ

إِذَا غَضِبَ الْكَرِيمُ فَأَلِنْ لَهُ الْكَلَامَ

— يُروى عن علي (عليه السلام) أنه قال: إِذَا غَضِبَ الْكَرِيمُ فَأَلِنْ لَهُ

٣٦٦..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكلام، وإذا غضب اللئيم فخذ له العصا^(١).

إذا غضبَ الكريمُ عليك يوماً
ألن ما تستطيع له الكلاماً
وإن غضب اللئيم فلا تدعه
بلا زجرٍ وبأدره الحساماً
نعامل مَنْ نراه بما رآه
أنوراً كان ذلك أم ظلاماً

البخل ملتقى دروب العار والنار

— وقال علي (عليه السلام): البخلُ عارٌ والجبنُ منقصةٌ والفقْرُ يُخرِسُ
الفطنَ عن حُجَّتِهِ والمُقلُّ غريبٌ في بَلَدَتِهِ^(٢).

البُخْلُ عَارٌ وَإِنَّ الْجُبْنَ مَنَقَصَةٌ
وَالْفَقْرُ يُخْرِسُ فَاةَ الْعَالِمِ الْفَطِينِ
خُذْهَا إِلَيْكَ أَغَارِيدَ النُّجُومِ إِذَا
مَا كُنْتَ تَفْقَهُ شَيْئاً عَنْ أَبِي الْحَسَنِ

١- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ / ٢٨٥، الحكمة / ٢٥٤.

٢- شرح نهج البلاغة / باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام ٣/.

جود المفتقر

— ويروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال:
أحسنُ المكارم: جودُ المفتقر، وعَفْوُ المقتدر^(١).

إن جود المفتقر ثم عفو المقتدر
أحسن الحُسن المُرجى والربيعُ المزهو

جميلُ الشَّيم

— وقال الإمام علي (عليه السلام): ذو الكرمِ جميلُ الشَّيم، مُسَدِّ النَّعَمِ،
وموَصِّلُ للرحم^(٢).

يا صاحِ هل ذو الكرمِ إلا جميلُ الشَّيمِ
إن قيل من ذاك ينادِ النورُ: مُسَدِي النَّعَمِ
مطاوَعُ للقيمِ وموَصِّلُ للرحمِ
ما زال فذّاً كابرأ يسمو سموً الأنجمِ

١- عيون الحكم والمواعظ الحِكْمَةُ / ٢٥٨٣ وغرر الحكم، الحِكْمَةُ / ٥٠٣٩.

٢- غرر الحكم، الحِكْمَةُ / ٩٢٩٣.

ذالك الذي فعاله مَحْمَدَةٌ فِي الْأُمَمِ

ذالك الذي عداؤه مَجَلَبَةٌ لِلنِّقَمِ

ذالك الذي بموته مَشْكَلَةٌ لِلْيَمِّ

ذالك الذي بعيشه يعيش صفو القيم

تُحْفَةُ الصُّدُقِ

— يروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: ما

استعطف السلطان، ولا استسل سخيمة الغضبان، ولا استميل المهجور، ولا
استنجحت صعبُ الأمور، ولا استدفعت الشرور، بمثل الهدية^(١).

ما استُعِطِفَ السُّلْطَانُ وَاسْتُلَّتِ الْأَضْغَانُ

وَلَا اسْتُلِّينَ نَائِرٌ أَوْ أُسْكِتَ الْغَضْبَانُ

وَلَا اسْتُمِيلَ هَاجِرٌ أَوْ ذُوَّبَ الْهَجْرَانُ

وَلَا الْأُمُورُ اسْتُنْجِحَتْ أَوْ زُدَّتِ النِّيرَانُ

يَوْمًا بِمِثْلِ تُحْفَةٍ بِصَدَقِهَا تَزْدَانُ

أَفْضَلُ النَّاسِ السَّخِيُّ الْمُؤَثِّرُ

— قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: أَفْضَلُ النَّاسِ السَّخِيُّ الْمُؤَثِّرُ (١).

أَيُّهَا الْمُنْدَهَشُ الْمَفْتِكِرُ

حَصْحَصُ الْحَقِّ وَإِنِ الْمَصْدَرُ

أَفْضَلُ النَّاسِ زَكِيٌّ عَابِدٌ

عِنْدَ قَوْمٍ كَابَدُوا وَاسْتَغْفَرُوا

وَعَلِيُّ الْمَرْتَضَى قَالَ لَنَا

أَفْضَلُ النَّاسِ السَّخِيُّ الْمُؤَثِّرُ

حَسْبُنَا بَابُ عِلْمِ الْمَصْطَفَى

أَقْلَلُ النَّاسِ أَمْ قَدْ أَكْثَرُوا

فَجَزَاهُ اللَّهُ عَنَا صَالِحاً

وَلَيْسِيْمُ النَّفْسِ مِنْ لَا يَشْكُرُ

قَدْ شَكَرْنَا وَإِنِ قَدْ فَاتَنَا

نَصْرُهُ يَوْمَ اسْتِطَالَ الْمُتَنَكِّرُ

١ - ذكرنا في المتن المصدر لقول الإمام علي (عليه السلام): أفضل الناس السخي الموقن، ولم ندر هل أن ما كنا نقلناه من قول الإمام: أفضل الناس السخي المؤثر هل هو رواية أخرى قد اطلعنا عليها آنذاك كما هو الظاهر أو من باب احتمال كون موقن تصحيف مؤثر، وعلى كل حال فقد كتبنا صياغة شعرية لكل منهما بفضل الله سبحانه.

٣٧٠..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

إنه الفذ الذي علمنا

أحسن السمعة شكر يُنشر^(١)

علي أنه قد تقدم ما روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام): أفضل

الناس السخي الموقن. وذكرنا في الهامش نظمنا لها بقولنا:

أيُّها السائل عن أفضلنا

أفضلُ الناسِ السخيِّ الموقنُ

ليس مَنْ يُحسنُ للناسِ وقد

آثرَ الحقَّ كمن لا يُحسنُ

كريم النفس محبوب مثاب

— وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): الكريم عند الله محبوب مثاب،

وعند الناس محبوب مهاب^(٢).

كريم النفس محبوب مثاب

وعند الناس محبوب مهاب

بذاك قضى علي ذو المعالي

وكل قضائه أبداً صواب

١ - في كتاب «غرر الحكم» الحكمة / ٦١١٤ عن علي (عليه السلام) أنه قال: أحسن

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٨٢٠

السمعة شكر يُنشر.

المواساة بالمال لا الأسرار

— ذكر أبو عمر القرطبي في كتابه « بهجة المجالس » أن أمير المؤمنين علياً قال: ابذل لصديقك كلَّ المودَّةِ، ولا تبذل له كلَّ الطمأنينة، وأعطه من نفسك المواساة، ولا تفض إليه بكلَّ الأسرار^(١).

ابذل لصديقك ما تهوى
من صفو العشرة والحبِّ
وإذا واسيت بأموالٍ
ومواطن زدت عن القرب
لكنَّ الأسرارَ نياطُ
للقلبِ فصنَّها في القلبِ

هبة وأقوات ستدخل جنَّة

— كما ذكر أبو عمر القرطبي أن أمير المؤمنين علياً قال: البخلُ جلابُ المسكنة، وربما دخل السخيُّ بسخائه الجنَّة^(٢).

١- أبو عمر القرطبي بهجة المجالس / المجلد الثاني من القسم الأول ص ٦٨٧، وغرر الحكم، الحكمة / ٩٦٦٥، وسجع الحمام لعلي الجندي وزميلييه الحكمة / ٧.
٢- أبو عمر القرطبي بهجة المجالس / المجلد الثاني من القسم الأول ص ٦٢٦.

البخلُ جلابُ الهوان ورئما
دخل السخيُّ بفضله الجناتِ
هسبةٌ وأقواتٌ ستدخلُ جنَّةً
سبحان مَنْ قد ضاعف الحسناتِ

الوارثُ والحوادثُ

— وروي أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال: لكلُّ امرئٍ في مالِهِ
شريكان الوارثُ والحوادثُ^(١)

لكلُّ امرئٍ في مالهِ وعقاره
شريكان إن لم يحرز المالَ ثالثُ
حوادثُ تحكي السيلَ أو قطعَ الدجى
توافقيه من هتًا وهتًا ووارثُ
إذا الشعبُ لم يُنفقْ من المالِ قاصداً
لخيرٍ فإن الدهرَ بالمالِ عابثُ

مواساة الرفاق

— قال الإمام علي (عليه السلام): إنَّ مواساة الرفاق، من كرم

مَنْ كَرَّمَ الأَخْلَاقِ مَـبِـرَّةُ الرِّفَاقِ
إِنَّكَ إِذْ وَاسَيْتَهُمْ بِالنَّفْسِ والأَرْزَاقِ
أَصْبَحْتَ مِنْ خَيْرِ الوَرَى بِالجُودِ والأَتْفَاقِ
فَوَاسِيَهُمْ وَدَارَهُمْ بِالبَعْدِ وَالتَّلَاقِ
وَاطْلُبْ إِذَا وَاسَيْتَهُمْ كَرَامَةَ الخَلَاقِ

رَبِيعُ المَجْدِ

— قال أميرُ المؤمنين علي (صلوات الله عليه): إنما المجدُّ أن تعطي في الغرم، وتعفو عن الجرم^(٢).

رَبِيعُ المَجْدِ وَالحِزْمِ بَأَنَّ تُعْطِيَ فِي الغَرَمِ
وَأَنَّ تَسْتَصْلِحَ المَاضِيَ وَأَنَّ تَعْفُو عَنِ الجَرَمِ
فَإِنَّ لَمْ تَسْتَطِعْ يَوْمًا فَأَجَلْهُ إِلَى يَوْمِ
أَلَا إِنَّ مِنَ الغُثَمِ تَخَطُّبِنَا إِلَى الغُثَمِ

١- غرر الحكم، الحكمة / ٩٥٢٢.

٢- غرر الحكم، الحكمة / ١٠٣٠٢، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٣٦٧٠.

سِرَاةُ النَّاسِ

— قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): إنما سِرَاةُ النَّاسِ أُولُوا
الأحلامِ الرغيبية، والهممِ الشريفة، وذوو النبل^(١).

أُولُوا الأَحْلَامِ والهِمَمِ الشَّرِيفَةِ
سِرَاةُ النَّاسِ وَالْقُلُلُ الْمُسْنِيفَةِ

رَبِيعُ الْمَجْدِ قَدْ يَرْدِيهِ غَاوٍ
مَنْ الأَجْيَالِ مَحْتَضُنٌ خَرِيفَهُ

يَهْدُمُ بِالسَّفَاهَةِ وَالتَّعَالِي
صُرُوحَ الْخَيْرِ وَالنَّظْمِ الْعَفِيفَةِ

وَلَمْ أَرَ فِي طَرِيقِ الْمَجْدِ فَخْرًا
كُنْتُ لِدِ^(٢) الْمَجْدِ تُقْرَنُ بِالطَّرِيفَةِ

خَيْرُ الْإِخْوَانِ

— قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): خيرُ إخوانك مَنْ وَاَسَاكَ

١- غرر الحكم ٨٤٩٣/ وعيون الحكم والمواعظ الحكمة ٣٦٩١/.

٢- تلد: تليدات، وهي تقابل كلمة طريفات. قال عمرو بن معدي كرب:
فَكَانَ قِداوَهُ أَلِي بَعِيرٍ وَأَلْفًا مِنْ طَرِيفَاتٍ وَتُلْدٍ

بخيره، وخيرٌ منه من أغناكَ عن غيره^(١).

عمادُ الصَّحْبِ والِإِخْوَانِ مَنْ وَاَسَاكَ فِي خَيْرِهِ

وَخَيْرٌ مِنْهُ مِنْ أَغْنَاكَ فِي الشَّدَاتِ عَنْ غَيْرِهِ^(٢)

مَنْ أَتْبَعَ الإِخْسَانَ بِالِإِحْسَانِ

— قَالَ الإِمَامُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ: مَنْ أَتْبَعَ الإِخْسَانَ بِالِإِحْسَانِ، وَاحْتَمَلَ

جَنَايَاتِ الإِخْوَانِ وَالْجِيرَانَ، فَقَدْ أَكْمَلَ الْبِرَّ^(٣).

مَنْ أَتْبَعَ الإِخْسَانَ بِالِإِحْسَانِ

مَحْتَمِلاً جَنَايَةَ الإِخْوَانِ

وَلَا يَسْزَالُ كَالْحَسَامِ قَائِماً

وَقَاعِداً يَحْمِي عَنْ الْجِيرَانِ

فَذَاكَ مِنْ أَكْمَلِ آفَاقِ التَّدْبِيرِ

وَالْبِرِّ وَالْحَسَنِ مَدَى الزَّمَانِ

١- غرر الحكم / ٩٤٨٤.

٢- وفي رواية: خير إخوانك من أساك وخير منه من كفاك وإن احتاج إليك أعفك.

غرر الحكم / ٩٤٨٣.

٣- عيون الحكم والمواعظ الحكيمة / ٧١٩٣.

المبادرة بالأموال

— قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): يادروا بأموالكم، قبل حلول آجالكم؛ تُزَكِّم وتُزَلِّفكم^(١).

فبادروا بالأموال قبل حلول الآجال
تُزَلِّفكم لرَبِّكم يوم احتدام الأهوال
أمالنا ما تُرتجى حين تخيب الآمال
أعمالنا ما تستوي لما تزيع الأعمال

ما أقبح البخل مع الإكثار

— قال أمير المؤمنين علي: ما أقبح البخل مع الإكثار^(٢).

مَا أَقْبَحَ الْبَخْلَ مَعَ الْإِكْثَارِ
وَإِنَّمَا الْإِكْثَارُ لِلْقُبَّارِ
مَا أَنْفَقُوا الْعُشْرَ مِنَ الْمِيعَارِ
مِمَّا أَرَادَ اللَّهُ لِلْأَبْرَارِ

١- عيون الحكم والمواعظ الحكمة / ٣٩٤٢.

٢- غرر الحكم، الحكمة / ٦٥٢٩.

خلائفِ اللهِ وَظِلُّ الباري
أهلِ النَّدى والجودِ والإيثارِ
بل أصبحوا العونَ بلا استتارِ
على الوَنى والفقيرِ والافقارِ
ومعولِ الهادمِ للأعمارِ
لم يؤمنوا بالواحدِ القهارِ
ايـمانهم بالتَّجْرِ والتَّجارِ
فلم يراعوا حرمةَ الجوارِ
وأنةَ الشيخِ وحُزنَ العاري
ولهفةَ القائمِ كالجدارِ
يسألُ في الليلِ وفي النهارِ
مأ بين أهلِ البخلِ والأعمارِ
يا عاملِ الشَّرِّ مع الأشرارِ
ومانعِ الخيرِ عن الأحرارِ
كيف تُرَجِّي موئلاً الأخيارِ
يا طالبَ الجناتِ والأنهارِ
والحورِ والولدانِ كالدراري
حتى متى تعبتُ بالأفكارِ

أو فيك يلهو ملعبُ الأقدارِ

ظلمتَ في جذبٍ وفي بوارِ

إذ تطلب الأغلَى من الأعمارِ

وجنة العذن بلا دينارِ

خَلَّ الأباطيلَ ولا تُمارِ

وعاشِرِ النارَ وأهلَ النارِ

ليس لغيرِ الزارعِ الكفَّارِ

قطفُ نضيجِ الزرعِ والأثمارِ

أفضلُ الفضائلِ بذلُ الرغائبِ

قال الإمام علي بن أبي طالب: أفضلُ الفضائلِ بذلُ الرغائبِ، وإسعافُ

الطالبِ، والإجمالُ في المطالب^(١).

من أفضلِ المناقبِ بـذُلُكَ للرغائبِ

وعَوْنُكَ الطالبِ والإجمالُ في المطالبِ

إِذَا قَلَّ أَهْلُ الْفَضْلِ -

— قال الإمام علي بن أبي طالب: إِذَا قَلَّ أَهْلُ الْفَضْلِ هَلَكَ أَهْلُ التَّجْمَلِ (١).

إِذَا قَلَّ أَهْلُ الْفَضْلِ مَا بَيْنَ مَعْشَرٍ

فِيَا وَيْلَ مَا يَلْقَاهُ أَهْلُ التَّجْمَلِ

يَحْتَاجُ ذُو النَّائِلِ لِلسَّائِلِ

— قال الإمام علي بن أبي طالب: يَحْتَاجُ ذُو النَّائِلِ إِلَى السَّائِلِ (٢).

يَحْتَاجُ ذُو النَّائِلِ لِلسَّائِلِ

مِثْلُ احْتِيَاجِ الْفَقْرِ لِلنَّائِلِ

أَفْضَلُ الذِّخَائِرِ

— قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: صَدَقَ الْإِيْمَانُ وَصَنَائِعُ الْإِحْسَانِ

أَفْضَلُ الذِّخَائِرِ (٣).

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٦٦٩.

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٦١٠.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٧١١.

٣٨٠..... فلسفة الجود والابتكار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

صدق اهدي وصنائع الإحسان

ذخراً وما كالدخِر للإنسان

الاصطناع ذخراً

— قال الإمام علي بن أبي طالب: الاصطناعُ ذخراً فارتدُّ عندَ من تَضَعُهُ^(١).

يا سائلي عن حبيبٍ رُمِتَ تصطنعُهُ

الجودُ ذخركَ فارتدُّ عندَ من تَضَعُهُ

لم يبينَ بانٍ كإحسانٍ يجودُ به

— قال الإمام (عليه السلام): من أحسنِ الكرمِ الإحسانُ إلى المسيءِ^(٢).

من أحسنِ الكرمِ الإحسانُ للجاني

فليس في الخُلُقِ الأعلى كإحسانٍ

إذا تلُعُست من جاني غُلاً وندى

بأدره بالخير واشغله بتخنان

لا يُكْرَمُ الخُرُّ إِلَّا كَلُّ ذِي كَرَمٍ

مضاعفُ الحُسنِ بَرٌّ غيرُ مَتَّانٍ

لم يَبِنِ بِنَانٍ كَأَحْسَانٍ يَجُودُ بِهِ

عَلَى البَرِيَّةِ مِنْ قَاصٍ وَمَنْ دَانٍ

وقلنا في نظم المعنى المذكور أيضاً:

مَنْ أَحْسَنَ الكَرَمِ الهَنِيءِ حَسَنِي تَقَادِ إِلَى المَسِيءِ

فَلَعَلَّهُ بَعْدَ الأَذَى يَنْحَازُ عَنِ مَرَعِي وَبِيءِ

حُسْنُ المَسْعَى

— قال أمير المؤمنين: مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ، طَابَتْ مَرَاعِيهِ^(١).

مَنْ حَسُنَتْ مَسَاعِيهِ طَابَتْ لَهُ مَرَاعِيهِ

ليس لجميلٍ غير ما يزرعه فيجنيه

إِنْ مَنَعْتَ فإِجْمَالٌ وإِعْذَارٌ

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): أعط ما تعطيه معجلاً مهتأ وإن منعت

٣٨٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فليكن في إجمال وإعذار^(١).

بادرُ بجودك لا يمتنعك إعسارُ
وإن مَنَعَتْ فإجمالٌ وإعذارُ

بالجود يُبتنى المجد

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): بالجود يُبتنى المجد ويُجتلَبُ
الحَمْدُ^(٢).

بالجود يُبْنَى المجدُّ والعلياءُ
وبه يُصَابُ الحَمْدُ والاطراءُ

خيرُ العطاءِ ما كانَ عن غيرِ طلبٍ

— قال الإمام علي (عليه السلام): خيرُ العطاءِ ما كانَ عن غيرِ طلبٍ^(٣).

خيرُ ما أعطى كريمٌ أو وهبُ
للورى ما كانَ عن غيرِ طلبٍ

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٦٣٩ وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٢٠٦١.
٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٥٥١. ٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٥٠٨.

أَخْلَى النَّوَالِ

— قال الإمام علي (عليه السلام): أَخْلَى النَّوَالِ بِذُلِّ بَغِيرِ السُّؤَالِ^(١).

أَخْلَى السَّخَاءِ وَزَيْنُ كُلِّ نَوَالٍ

بِذُلِّ تَقَدُّمِهِ بِبَغِيرِ سُؤَالٍ

تَحِيَّةٌ لِلجُودِ

— قال علي (عليه السلام): مَا أَحْسَنَ الجُودَ مَعَ الإِعْسَارِ^(٢).

مَا أَحْسَنَ الجُودَ مَعَ الإِعْسَارِ

لَطَّالِبِ النَّبْلِ مِنَ الأَخْرَارِ

إِنْ شَعَارَ الجُودِ لَوْ نَعَلِمَهُ

بَيْنَ الوَرَى مِنْ أَجْمَلِ الشُّعَارِ

تَحِيَّةٌ لِلجُودِ مِنْ رَبِّ العَالِي

فِي دَارَةِ الدُّنْيَا وَخَيْرِ دَارِ

إِنَّ لَوَاءَ الفَضْلِ مَا فَوْقَ الذُّرَى

كَالشَّمْسِ فِي رَابِعَةِ النَّهَارِ

٢٨٤..... فلسفة الجود والإيتار أدنى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

العارفة الجميلة

— قال أمير المؤمنين علي (عليه السلام): من صنع العارفة الجميلة، حاز
المَحْمَدَةَ الجزيلة^(١).

إذا أسديت عارفة جميلة
فقد أحرزت مَحْمَدَةَ جزيلة
فيا حسنى الذي أولى جميلاً
وفاز بدرّ تيجان الفضيلة

مَرْبَّةُ المَغْرُوفِ

— قال أمير المؤمنين علي (سلام الله عليه): مَنْ لم يربِّ معروفه فكأنه لم
يصنعه^(٢).

رَبُّ الحِسانِ الرَّائِعَاتِ من السخاء وأبدع
من لم يربِّ عُرفَه فكأنه لم يصنع

كاتمُ الإحسان

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من كتم الإحسان عوقب

بالحرمان^(١).

مَنْ كَتَمَ الْإِحْسَانَ عُوَقِبَ بِالْحَرْمَانِ

ليس له مـ حـيـص عن حكمة الديان

حرمانُ السائل

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ حَرَّمَ السَّائِلَ مَعَ الْقُدْرَةِ

عُوَقِبَ بِالْحَرْمَانِ^(٢).

مَنْ حَرَّمَ السَّائِلَ عِنْدَ الْقُدْرَةِ

عُوَقِبَ بِالْحَرْمَانِ وَالْمُضَرَّةِ

من أكمل الإفضال بَدَلُ النَّوَالِ

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ أَكْمَلَ الْإِفْضَالَ بَدَلُ النَّوَالِ قَبْلَ

السُّؤَالِ^(٣).

بِذَلِكَ لِلنَّوَالِ مَنْ أَكْمَلَ الْإِفْضَالَ

فَبَادَرَ الْمَهْتَاجَ لَا تَحُوجُهُ لِلسُّؤَالِ

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٤١٩.

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٩١١.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٥١٠.

لا حيَّ غير النافع

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): لا يكمل الشرف إلا بالسخاء والتواضع^(١).

الجودُ للكرماء رافع	بين الشوارق والطوالع
جادوا ولم يتكبروا	وتحنتوا والقلب خاشع
لا حيَّ بين الناس ما	حلوا سوى من كان نافع
ما زال يرفع واهناً	ويعينه والله سامع
فيشبهه الحسنى ويرفعه	وما كالربِّ رافع
لا تكمل الأمجاد إلا	بالسخاء وبالتواضع

استنزلوا الرزق بالإحسان والصدقة

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): استنزلوا الرزق بالصدقة^(٢).

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٤٨٨.

٢ - في ظلال نهج البلاغة، الحكمة / ١٣٦، وغرر الحكم، الحكمة / ٩١٣٦.

استنزلوا الرزق بالإحسان والصدقة

ليُسْعِدَ الواحدُ القَيَّومَ من رَزَقِهِ

جودوا بجُذِّ رَبِّكُمْ وارعوا أَحَبِّكُمْ

من البرِّيَّةِ بالتكريم والشفقة

يهبطُ عَلَيْكُمْ بالنعماءِ خالقهم

ولن يضيِّعَ ربُّ الناسِ من خلقه

قال الإلهُ لمن يُعطي خَلِيقَتَهُ

أمست سَمانا عليك اليومَ مندفقة (١)

أَلِهَذَا تُنْفَرُ الأَمْوَالُ

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): افعَلوا الخَيْرَ ما استطعتم فخيرُ

من الخَيْرِ فاعله (٢).

١ - عجز البيت مأخوذ من بيت شعر ينسب للإمام الحسن بن علي كما ينسب للإمام

الحسين سلام الله عليهما:

لو كان في سيرنا الغداة عصا أمست سمانا عليك مندفقة

والظاهر أنه يعني بالعصا الحكم والسلطان أي لو كان لنا ذلك لكان عطاؤنا أضعاف ما أعطيناك من أربعة آلاف دينار. انظر الأبيات في بحار الأنوار ٤٤ / ١٩٠.

٢ - غرر الحكم، الحكمة / ٢٨٨٩.

أَلِـهَذَا تُـشْمَرُ الأَمْوَالُ

شَعْبُكُمْ نَاحِلٌ وَأَنْتُمْ بِغَالٌ

افعلوا الخيرَ ما استطعتم فخيرُ

مَنْ سَنَا الخَيْرِ مِسْمَحٌ فَقَالَ

افعلوا الخيرَ ما استطعتم فما يجدي

مَقَالَ تَمَجُّهُ الأَفْعَالُ

افعلوا الخيرَ ما استطعتم يجازِ الفضل

بِالْفَضْلِ رُبُّنَا الْمَفْضَالُ

رَحِمَ اللّهُ مُفْضِلاً حَاتِماً

جَادَ بِالمَالِ فانتشى الأَطْفَالُ

وتغثتُ مُفَجَّعَاتُ الأَيَامِ

عَمَّهَا الخَيْرُ والنَّدَى والنَّوَالُ

يذهب المَالُ عن قليل ويبقى

واهبُ المَالِ والسنين طَوَالُ

آفَةُ الخَيْرِ

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): لكلُّ شيءٍ آفةٌ، وآفةُ الخَيْرِ قرينُ

لكلِّ شيءٍ آفةٌ قاتلةٌ
وآفةُ الخيرِ قرينُ السُّوءِ
ما لاح طعمُ الخيرِ إلا وانبرى
مثلُ الشَّجَا في الحلقِ والنتوءِ
شرُّ من الشرِّ عُيْبٌ حاقِدٌ
رؤْيُ نِقَاطِ الوضوءِ

المعروفُ جوهرةٌ

٢٨٥ - قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): ظَلَمَ المعروفَ مَنْ وَضَعَهُ
في غيرِ أهله (٢).

ظَلَمَ المعروفَ مَنْ وَضَعَهُ
في نفوسٍ جِدُّ مَتَّضَعَةٍ
إنَّما المعروفُ جوهرةٌ
صانها التقديس عن زُمَعَةٍ

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٩٨٤٣، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٦٧٨٧.

٢ - الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٥٩٧.

مَنْبَتُ الْكَرَمِ مَنْعَقْدًا

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ظَلَمَ الْإِحْسَانَ وَاضْعَعُهُ فِي غَيْرِ

مَوْضِعِهِ (١).

ظَلَمَ الْإِحْسَانَ وَاضْعَعُهُ

فِي سَوَى أَرْضٍ تَشَايَعُهُ

مَنْبَتُ الْكَرَمِ مَنْعَقْدًا

كَيْفَ يَسْهُو عَنْهُ زَارِعُهُ

لَا تُضَيِّعُ رَحْمَةً جَزَلَتْ

ذُلٌّ مِّنْ ضَاعَتْ صَنَائِعُهُ

جَوَاهِرُ الْكَرَمَاءِ

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): عِنْدَ الْإِيثَارِ عَلَى النَّفْسِ تَبَيَّنُ

جَوَاهِرُ الْكَرَمَاءِ (٢).

عِنْدَ الْإِيثَارِ عَلَى النَّفْسِ

يَتَجَلَّى الْمَكُونُ الْقُدْسِي

وَتَبَيَّنُ جَوَاهِرُ أَعْلَامِ

قَدْ بَارَوْا لِأَلَاءِ الشَّمْسِ

١ - الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٥٧٨.

٢ - الليثي الواسطي، عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٥٧٦٩.

خَيْرُ الْإِنْسِ كِرَامٌ جُودٌ
خُلِقُوا لِلنَّفْعِ وَاللُّأْسِ

مَرْحَأُ بَمَوْتِ اللَّئِيمِ

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): مَنْ لَمْ يَدَعْ وَهُوَ مَخْمُودٌ يَدَعُ
وَهُوَ مَذْمُومٌ^(١).

مَنْ لَمْ يَدَعْ وَهُوَ مَخْمُودٌ صَنَائِعُهُ
يَدَعُ مِنَ الْمَالِ مَا تَرَوِي مَنَائِعُهُ
عَبْدٌ يَمُوتُ فَيَا مَرْحَأً بِمَوْتِهِ
لَمَّا اسْتَحَالَتْ كَبِيدَاءٍ طَبَائِعُهُ
نَهْنِئُ الْوَارِثَ الْمَيْمُونَ يَسْنَقُ مَا
قَدْ كَانَ يَبْخُلُ فِي أَدْنَاهُ جَامِعُهُ^(٢)

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٥٢٤ والحكمة / ٨٣٣٣.

٢ - ولنا أيضاً حول مقولة الإمام: مَنْ لَمْ يَدَعْ وَهُوَ مَخْمُودٌ يَدَعُ وَهُوَ مَذْمُومٌ.

مَنْ لَمْ يَدَعْ وَهُوَ مَخْمُودٌ طَرَائِقُهُ

يَدَعُ مِنَ الْمَالِ مَا تُخْشَى بَوَائِقُهُ

عَجِبْتُ لِلْمَرْءِ ذِي اللَّبِّ الْحَصِيفِ يَرَى

مَا يَصْنَعُ الدَّهْرُ إِذَا تَعَرَّى طَوَارِقُهُ

وَيَكْتَرُ الْمَالَ بَعْدَ الْمَالِ مَذْخَرًا

وَإِنَّهُ عَنِ لَيْلَاتٍ يَسْفَرِقُهُ

السؤال تحيةً يجب ردها

— قال إمام الأئمة (عليه السلام): من وجّهه رغبته إليك وجبت معونته عليك^(١).

مَنْ سَأَلَ رَغْبَتَهُ إِلَيْكَ وَجَبَتْ مَعُونَتُهُ عَلَيْكَ
إِنَّ السُّؤَالَ تَحِيَّةٌ فَارْدُدْ تَحِيَّتَهُ لَدَيْكَ

أحسنُ الهمم إنجاز الوعد

— قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أشرفُ الشيم رعاية الودِّ، وأحسنُ الهمم إنجاز الوعد^(٢).

أَشْرَفُ الشَّيْمِ رِيعَايَةُ الْوُدِّ
وَأَحْسَنُ الِّهْمَمِ إِنْجَازُ الْوَعْدِ
تَسَاقُطُ اللَّئِيمِ وَأَكْرَمُ الْجَوَادِ
وَيُغْرَفُ الزُّرَّاعُ فِي سَاعَةِ الْحَصَادِ

ما المسأل إلا رفياً ظلمت تصحبه

لكنه بعد لأي لا ترافقه

إِضَاعَةُ الصَّنَائِعِ

— قال باب مدينة علم الرسول (صلى الله عليه وآله): من أعظم الفجائع
إِضَاعَةُ الصَّنَائِعِ^(١).

من أعظم الفجائع	إِضَاعَةُ الصَّنَائِعِ
المال فسيها بائدٌ	والخير فسيها ضائعٌ
في قاحل مجدودٍ	قد ضاع زرعُ الزارعِ
المالُ مالُ اللهِ فوقَ	الأرض كالودائعِ
فلا تُمكنُ ماله	من اللئيمِ الطامعِ
ولا حقيرٍ جاحِدٍ	لزهررة المَنافعِ

كفَى بِفَعْلِ الخَيْرِ حَسَنَ عَادَةٍ

— قال علي (عليه السلام): كفى بفعل الخير حسن عادة^(٢).

كفَى بِفَعْلِ الخَيْرِ حَسَنَ عَادَةٍ عِبَادَةٌ مِنْ أَجْمَلِ العِبَادَةِ

فِيهَا المُنَى والبِشْرُ والسَعَادَةُ

١ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٨٥١٦، وعرر الحكم، الحكمة / ٨٨٦٦.

٢ - عيون المواعظ والحكم، الحكمة / ٥٦١٢.

البخلُ منسبة

— قال علي (عليه السلام): احذروا البخل فإنه لوئم ومسبة^(١).

احذروا البخل فإنَّ البخلَ لُوْئُومٌ ومَسْبِةٌ
فهو في الغربية قبرٌ وهو في الموطنِ غربة

شُعاعُ الحُسنِ

— قال علي (عليه السلام): على قَدْرِ المُرُوَّةِ تَكُونُ السَّخَاوَةُ^(٢).

على قَدْرِ المُرُوَّةِ يا حَمِيمِي
تَكُونُ سَخَاوَةُ الرَّجُلِ الكَرِيمِ
رَأَيْتُ مَرُوَّةَ الجُودِاءِ تُرْسِي
شُعاعَ الحُسنِ في اللَّيْلِ البَهِيمِ

لا يدخلُ الجنةَ بخيل

— يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال: أوصيكم بالخشية من الله

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٦٥٦٩.

٢ - عيون الحكم والمواعظ الحكمة / ٥٦١٨، و غرر الحكم، الحكمة / ٥٥١٢.

في السرِّ والعلانية... والسخاءِ فإنه لا يدخلُ الجنةَ بخيل، ولا يدخلُ النارَ
سخي^(١).

قال عليُّ بنُ أبي طالبٍ
لا يدخلُ الجنةَ مَنْ يَبْخُلُ
وإنَّ مَنْ كان حليفَ التَّدِي
لا يقربُ النارَ ولا يَدْخُلُ
رَبُّكَ جُودَ مُكْرِمٍ مُفْضِلٍ
يحبُّ مَنْ يُكْرِمُ أو يُفْضِلُ
رَبُّكَ يَسْنَهُ أن يَحِيْطَ امرءٌ
بِخُلٍ وهَلْ يَبْخُلُ مَنْ يَعْقِلُ

رزق اللئام

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): رَضِيَ بِالْحَرَمَانِ، طَالِبُ الرِّزْقِ مِنْ
اللئام^(٢).

شَدَّتْ عَنِ الْأَحْرَارِ وَالْكَرَامِ
لِتَقْصِدَ اللَّوْمَ بِلَا أَثَامِ

١ - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة للعلامة الكبير الشيخ محمد باقر المحمودي،

٢ - غرر الحكم / ١٠٧٠٣

راضية الحرمان والحرام

طالبة الرزق من اللئام

فلتنتظر عاماً بُعِيدَ العام

ولتصطبِرْ صَبْرَ الجريحِ الدامي

حتى ترى الآمالَ كالأحلام

تطيش كالسهم عن السهام

ويصبح النضرُ من الأجسام

كأنه السخْمُ من الرَّمَامِ

سُنَّةُ الكِرَامِ

— قال الإمام علي (عليه السلام): سُنَّةُ الكِرَامِ تَرادُفُ الإنعام (١).

ياسائلي إمامي عن الترابِ السامي

عن خُلُقِي كأنه أنشودةُ السلامِ

كأنكم به حشمتُ عن سُنَّةِ الكِرَامِ

قد رمتموها أفقاً يحلو مدى الأيامِ

فَسُنَّةُ الكِرَامِ تَرادُفُ الإنعامِ

إِغَاثَةُ المَلْهُوفِ

— قال الإمام علي (عليه السلام): مِنْ أَفْضَلِ المَعْرُوفِ إِغَاثَةُ المَلْهُوفِ^(١).

مِنْ أَفْضَلِ المَعْرُوفِ إِغَاثَةُ المَلْهُوفِ
بِالجُودِ حَيْثُ يُبْتَغَى أَوْ فِي ظَبِي السُّيُوفِ
لَا خَيْرَ مِمَّنْ يُرْتَجَى لِلْخَيْرِ وَالضُّيُوفِ
أَوْ أَنْ يَمِينِ غَارِقًا بِدَهْرِهِ العَسُوفِ

مَا اجْتَلِبِ السُّخْطُ بِمِثْلِ البِخْلِ

— قال إمام الأئمة (عليه السلام): مَا اجْتَلِبِ سَخَطَ اللّهِ بِمِثْلِ البِخْلِ^(٢).

مَا اجْتَلِبِ السُّخْطُ بِمِثْلِ البِخْلِ
فَاسْتَغْفِرِ اللّهُ وَلَا تَسُوِّ
مَا إِنْ رَأَيْنَا مِمَّنْ لَنْيَمِ رَذِلِ
كَالْجَاهِلِ البَاخِلِ بِالأَقْلِ

مَا هُنَّا الْعَطَاءَ مَنْ مَنْ بِهِ

— قال علي (عليه السلام): مَا هُنَّا الْعَطَاءَ مَنْ مَنْ بِهِ^(١).

يَا صَاحِبَ الْمَنِّ أَلَا فَاتَبَهُ
مَا هُنَّا الْعَطَاءَ مَنْ مَنْ بِهِ

مَا أَذَلَّ النَّفْسَ كَالْجِرْصِ

— يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام): مَا أَذَلَّ النَّفْسَ كَالْجِرْصِ، وَلَا
شَانَ الْعِرْضَ كَالْبُخْلِ^(٢).

مَا أَحَبَّ النَّاسَ مَحْمُوداً كَمَا
قَدْ أَحْبَبُوا الطَّيِّبَ الْقَلْبَ الْكَرِيمَ
مَا أَذَلَّ النَّفْسَ كَالْجِرْصِ وَلَا
شَانَ عِرْضَ النَّاسِ كَالْبُخْلِ الدَّمِيمِ

مَلَكَ الْمُرُوءَةِ

— ويروى عن الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): مَلَكَ الْمُرُوءَةِ صِدْقُ

مَلاكُ المُرُوَّةِ صِدْقُ اللُّسَانِ
وَبَدَلُ النِّوَالِ بِطِيبِ الجَنَانِ
فقد يَسْبِذُ الكُفُّ ما لا يَشَاءُ
جَنانٌ فيخسر طِيبَ الحَنانِ

مَسَرَّةُ الكِرامِ

— يروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام): مَسَرَّةُ الكِرامِ في بَدَلِ العَطَاءِ (٢).

مَسَرَّةُ الكِرامِ في بَدَلِ التَّدِي
ما لَاحَ للعين وما المَالُ بَدَا
هداهم اللّهُ إلى أَقْصَى المَدَى
ولا يَضِلُّ النَّاسُ ما اللّهُ هَدَى
إِنَّ حِياةَ البِخلاءِ في سُدَى
والعِيشُ للجُودِ على رِغْمِ العِدا (٣)

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٥٢١ والحكمة / ٨٧٣١. وقلنا في ذلك أيضاً: أيضاً:

ملاك المروءة صدق اللسان وبذل النوال لقاصي ودان

٣ - الجود هنا جمع جواد.

٢- غرر الحكم / ٨٥٠٢.

أكرم تُكرم

— قال أمير المؤمنين علي (صلوات الله عليه): تَحَبُّبُ إِلَى خَلِيلِكَ يُحِبُّبِكَ،
وَأَكْرَمُهُ يَكْرِمُكَ، وَآثَرُهُ عَلَى نَفْسِكَ يُوَثِّرُكَ عَلَى نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ^(١).

تَحَبَّبْتُ لَا تَكُنْ فِظًا يَلُوحُ الشَّرْفُ فِي رَأْسِهِ

وَأَكْرَمْنَا وَلَا تَبْخُلْ فَبِخْلُ الْمَرْءِ مِنْ نَحْسِهِ

سَنْجِزِي الْخَيْرَ بِالْخَيْرِ وَنَسْقِي الْمَرْءَ فِي كَأْسِهِ

فَأَكْرَمَ جَنْسٍ مِنْ تَهْوَى فَعَزُّ الْمَرْءِ فِي جَنْبِهِ

وَآثَرُهُ عَلَى نَفْسِكَ يُوَثِّرُكَ عَلَى نَفْسِهِ

أَحَدُ الْخَصِيبِينَ

— روي أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال: اجتماعُ المالِ عندَ
الأسخياءِ أَحَدُ الْخَصِيبِينَ^(٢).

اكتنازُ المالِ عندَ الأسخياءِ

أَحَدُ الْخَصِيبِينَ مِنْ دُونِ التَّوَاءِ

ما يضرُّ الباذلينَ المالَ سَحًّا

أن يموتوا بعد أمواج الثناءِ

١- غرر الحكم / ٩٦٧٤، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤١١٧.

٢- الشرح الحديدي لنهج البلاغة الحكمة / ٨٣٩.

كفَلُ الجُودُ بقاءَ سَرمدياً
لَهُمُ والجُودُ وهَابُ البقاءِ

أحدُ الجَدِيبِينِ

— وروي أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال وهو اتمام للحكمة السابقة: اجتماعُ المالِ عندَ البِخلاءِ أحدُ الجَدِيبِينِ^(١).

اكتنازُ المالِ عندَ البِخلاءِ
أحدُ الجَدِيبِينِ والِداءُ العَياضِ
إنهم شؤمٌ على الناسِ جميعاً
دونما الأجوادِ أربابِ العطاءِ
فبهم يُعرفُ طيبُ الجودِ حقاً
وبهم يُعرفُ حقُّ الجُوداءِ

الاکرامُ للدينِ والایمانِ

— روى الشريف الرضي أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال: إذا أكرمك الناسُ لِمالٍ أو سلطانٍ فلا يُعجبَنَّكَ ذلكُ، فإنَّ زوالَ الكرامةِ بزوالهما،

٤٠٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ولكن ليعجبك إن أكرمك الناس لدين أو أدب^(١).

إذا أكرمك الناس لمالٍ أو لسلطانٍ
فلا تعجب لما تلقى فكلُّ زائلٌ فان
وإن أكرمك الناس لآدابٍ وإيمان
فذاك المَطْمَحُ المعجبُ في سرِّ وعلان

المَحْمَدَةُ الجَزِيلَةُ

— يروى عن الإمام علي (عليه السلام) القول: من صنع العارفة الجميلة،
حاز المَحْمَدَةَ الجَزِيلَةَ^(٢).

مَنْ صَنَعَ العَارِفَةَ الجَمِيلَةَ
حَازَ بِهَا المَحْمَدَةَ الجَزِيلَةَ

البخلُ حقُّ والنَّدَى فضيلة

لا سيادة بلا سماحة

— روي عن الإمام أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: ما أكْمَلَ

١ - ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٣١٣.

٢ - غرر الحكم / ٨٨١٣، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٧٤٥٢.

الحِكْمَةُ الْعَلَوِيَّةُ فِي إِقَاعَاتِهَا الْمُوسِيقِيَّةِ ٤٠٣
السِّيَادَةُ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ (١).

مَا أَكْمَلَ السِّيَادَةَ مَنْ جَانِبَ الْإِقَادَةَ
أَكْرَمَهُمْ تَمَلُّكُهُمْ وَتَبْلَغِ الْقِيَادَةَ
وَابْخَلْ عَلَيْهِمْ فَتَرَى مَهَانَةَ مُعَادَةَ
كُلُّ أَمْرٍ وَسَيَجْتَنِي بِكَفِّهِ حِصَادَهُ

مَا قَدَرُ الثَّرِيِّ الشَّحِيحِ

— روى الشريف الرضي أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال:
وَصَوْلٌ مُعْدِمٌ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ مُكْثَرٍ (٢).

وَصَوْلٌ مُعْدِمٌ خَيْرٌ مِنْ الْجَافِي وَإِنْ أَثْرَى
وَمَا قَدَرُ الثَّرِيِّ إِذَا تَعَاطَى الْمَنَعَ وَاعْتَرَا
يُحَابِي اللُّؤْمَ لَا الْإِنْسَانَ وَالْإِحْسَانَ وَالْبِرَّ

مَعُونَةُ الرَّبِّ الْقَرِيبِ

— روي أن أمير المؤمنين علياً (عليه السلام) قال: على قدر المؤونة،

١- غرر الحكم / ٨٦٢١.

٢- ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغة ٢٠ / ٢٧٠.

٤٠٤ فلسفة الجُودِ والإيثارِ لدى الإمامِ عليِّ بن أبي طالبٍ (عليه السلام)
تكون من الله المعونة^(١).

عليُّ قَدْرِ المؤونةِ يا حبيبي
تكون معونةُ الربِّ القريبِ
فلا تبخلُ بمالكِ واتخذهُ
مَنَاطَ الخيرِ في اليومِ العَصيبِ

الحيُّ في الخلقِ

— روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): من آثر عليَّ نفسه بالغ في
المروءة^(٢).

مَنْ آثرَ النَّاسَ عليَّ نَفْسِهِ
بالغَ في الحسَنِ وفي الخُلُقِ
ماللورى حقُّ عليَّ نفسه
لكِنَّه آثرَ بالحقِّ
مَنْ وهبَ النفسَ وأحيا بها
نفساً فذاك الحيُّ في الخلقِ

١ - غرر الحكم / ٨٢٥، وقد ورد النص في كتاب «سجع الحمام في حكم الإمام أمير المؤمنين، الحكمة / ٥٤٦ بالصورة التالية: تنزل المؤونة عليَّ قدر المعونة.

٢ - غرر الحكم / ٩١٧٣

ذاك الذي ما فوقه سيِّدٌ

في الناس بين الغرب والشرق

لا يترك الفضل إلا الجاهل القاسي

— روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: مَنْ آثَرَ عَلِيَّ نَفْسِهِ

استحق اسم الفضيلة^(١).

مَنْ آثَرَ النَّاسَ عَلِيَّ نَفْسِهِ

فَذَلِكَ الْفَاضِلُ فِي النَّاسِ

لا يترك الفضلَ وهل تارك

للفضل إلا الجاهل القاسي

لا يترك الفضل ولا يدَّعي

ففي كلِّ يومٍ أنه الناسي

يا رحمةَ اللهِ ورضوانه

على الجوادِ الرَّاحِمِ الآسي

الغني بين الطاعة والاضاعة

— وقال علي (عليه السلام) من جمع المال لينفع به الناس أطاعوه، ومن

٤٠٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
جمع لنفسه أضاعوه^(١).

مَنْ جَمَعَ الْمَالَ لِيَحْيِي بِهِ
خَلَقًا مِّنَ النَّاسِ أَطَاعُوهُ
أَوْ جَمَعَ الْمَالَ لِيَلْهُو بِهِ
وَيَشْبِعَ النَّفْسَ أَضَاعُوهُ

قَلْبُ الْغَنِيِّ الْوَالِيهِ

— روي عن علي (عليه السلام) أنه قال: من الواجب على الغني أن لا
يضن على الفقير بماله^(٢).

حتمَّ على كَفِّ الْغَنِيِّ الْوَالِيهِ أَنْ لَا يَضُنَّ عَلَى الْفَقِيرِ بِمَالِهِ

الْمَالُ يَهِينُ الْبَخِيلِ

— روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: المال يكرم
صاحبه ما بذله، ويهينه ما يخل به^(٣).

الْمَالُ يُكْرَمُ صَاحِبَهُ مَا كَانَ يَوْمًا وَاهِبَهُ

٢- غرر الحكم / ٨٤٢١

١- غرر الحكم، الحكمة / ٨٤١٦.

٣- غرر الحكم / ٨٥٤٢.

ويهينُ مَنْ بخلوا وإن كانوا الجبال الراسية

المحسنُ الطيبُ يمشي قُدماً

— روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال : من كافأ الإحسان
بالإساءة فقد برئ من المروءة^(١).

مَنْ كَافَأَ الإِحْسَانَ بِالإِسَاءَةِ
أَبْدَى مِنَ المُرُوَّةِ البرَاءَةِ

تُعْرِضُ عَنْهُ الشَّمْسُ فِي إِشْرَاقِهَا
وَلَا يَحْيِي كَوَكْبٌ بِقَاءَهُ

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ غَنِيٌّ
أَوْ مَصْعَدٌ يَرَى بِهِ ارْتِقَاءَهُ

المحسنُ الطيبُ يمشي قُدماً
حَتَّى يُسَيِّمَ فِي العُلَى بِنَاءَهُ

وَمَنْكَرُ الإِحْسَانِ يَمْشِي القَهْقَرَى
كَأَنَّمَا يَبْحَثُ مَا وَرَاءَهُ

دعه يفكر

— وقلنا في هامش مقولة علي (عليه السلام) اذا سألت كريماً حاجة فدعه يفكر فإنه لا يفكر إلا في خير، واذا سألت لئيماً حاجة فغافسه فإنه إذا فكر عاد الى طبيعه^(١).

وإذا رَفَعْتَ الى كَرِيمٍ حَاجَةً

دَعَهُ يَفْكَرُ وَاسْتَضَىءَ بِشِعَاعِهِ

وإذا رَفَعْتَ الى لَئِيمٍ حَاجَةً

عَجَلَهُ قَبْلَ وَثُوبِهِ لَطِبَاعِهِ

فالموت أدنى خطّة من رفده

واللحد أوسع مجلساً من قاعه

وتقول أيضاً في نظم الكلام العلوي هذا:

دعه يفكر إن سألت كريماً

لترى الذي يهب العطاء جسيماً

إن الكريم إذا تفكر جُسمت

دنياه مروءة خُلِقِه تجسيماً

بإدرو عجل سؤله وطلابه

وخذ التأهب إن سألت لئيماً

إِنَّ اللّٰثِيْمَ إِذَا تَفَكَّرَ سَاعَةً
يَصَلِيكَ أَوْ يَصَلِي لَظِيٍّ وَجَحِيْمًا

وَزْرُ الغَنِيِّ البَخِيْلِ

— روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: لا وزرَ أعظمَ من
وزرِ غنيٍّ منَعِ المحتاجِ^(١).

لا وزرَ أعظمَ من وزر الغني
إذا دَعَى اليَتِيْمَ ولم يجنح لمحتاجِ

ولقد قلنا أيضاً تأكيداً على هذا المضمون، وتركيزاً له في ربوع الحضارة
الانسانية التي طالما ابتليت وتبتلى بنفسيات وتصرفات كثير من الأغنياء
وأصحاب الامكانيات المادية العالية، ممن لا يحفلون بحاجة محتاج ومغلوب
على أمره، ولا تهمهم أو تحرك وجدانهم وعواطفهم وأحاسيسهم البليدة الصلبة
مسكنة ضعيف، أو لهفة كسير، أو أنة مظلوم ومحروم:

لا وِزْرَ أعْظَمَ من وِزْرِ الغَنِيِّ إِذَا
مَا أورد الأرق المحتاج نهر أذى

للمالِ من نَفْحَاتِ الخلدِ نَفْحُ شَدَى
والبخلُ ليس بمُتْبِقٍ للحياةِ شدى

ذو الإفضال مشكور السيادة

— روي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) أنه قال: ذو الإفضال مشكور السيادة. وذو المعروف محمود العادة^(١).

جميلُ الطبعِ أُبْلَغَهم مرادَه
من الإحسان والنعم المُشادة
مرادُ فتى النوالِ أجلُّ قدرًا
من السُّوَالِ ينتظرون زاده
لقد شكروا سيادته جهارًا
وذو الإفضال مشكور السيادة
وقد لاذوا بعادة هاشميّ
وذو المعروف خيرُ الناسِ عادة
أجادو في مديح الجود يترى
وبحرُ الجودِ يستدعي الإجابة

السيادة المشكورة

— وقلنا أيضاً في معنى قول أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه: ذو الإفضال مشكور السيادة..

١- غرر الحكم، الحكمة ٨٨٠٣/ و٨٨٠٤ وقد جمعنا ما بين الحكمتين وكنت ذات مرة قرأتها ضمن حكمة واحدة في بعض المراجع.

تَفْضُلُ مَا اسْتَطَعَتْ بِهَا هَوَادَةٌ

فَذُو الْإِفْضَالِ مَشْكُورُ السِّيَادَةِ

كَفَى بِالْفَضْلِ مَكْرَمَةً تَنَاهَتْ

إِلَى قِمَمِ الْعِلَاءِ وَحَسَنَ عَادَةِ

بَشْرُ مَالِ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَاوَرِثَ

— رَوَى عَنِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) أَنَّهُ قَالَ: بَشْرُ مَالِ الْبَخِيلِ

بِحَادِثٍ أَوْ وَاوَرِثَ^(١).

بَشْرُ عَلِيٍّ رَغْمَ اللَّثِيمِ النَّكَاثِ مَالِ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَاوَرِثَ

مَنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ لَمْ يَنْبَلْ

— رَوَى عَنِ الْإِمَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): مَنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ لَمْ

١ - جواهر المطالب الباب / ٦٦ ضمن قائمة الحكم / ٦٠، وعيون الحكم والمواعظ
الحكمة / ٣٩١، والمناقب للموفق بن أحمد المكي الخوارزمي / ٣٧٥، وسجع الحمام الحكمة
/ ٥٠١، وهي من الحكم المائة التي اختارها الجاحظ لأمر المؤمنين علي، وقد أوردتها جميعاً
الخوارزمي في كتابه «المناقب» في الفصل الرابع والعشرين من الكتاب. ولقد قال رشيد الدين
الوطواط (ت ٥٧٣هـ) في شرح قول الإمام علي: (بَشْرُ مَالِ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَاوَرِثَ): مَالِ
الْبَخِيلِ لَا يُضْرَفُ فِي طَرَقِ الْخَيْرَاتِ، وَوَجْهُ الْعَبْرَاتِ، فَيَكُونُ مَعْرَضاً لِحَادِثٍ يَصْطَلِمُهُ، أَوْ
وَاوَرِثَ يَلْتَقِمُهُ. انظر كتاب «مطلوب كل طالب من كلام علي بن أبي طالب، لرشيد الدين
الوطواط، تصحيح وتعليقات الدكتور محمود عابدي / ٧٥.

٤١٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ينبل^(١).

الباخلُ باغٍ مستفحلٌ ليس بمعذورٍ أو في حلِّ
يستصفي البخلَ على قُصدٍ والبخلُ مسارٌ لا يجمُلُ
ويودُّ السامقة العُليا من رأس المجد ولا يفضُلُ!
قد علم السامقُ والمِكمَلُ مَنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ لَمْ يَنْبِلْ

الحرصُ في العيشِ ردي

— عن علي (عليه السلام): رب حريصٍ قتله حرصُه (٢).

رب حريصٍ قَتَلَهُ حرصٌ وأبكى مُقَلَّهُ
الحرصُ للروحِ سُدًى وفكرةٌ مُضَلَّلةٌ
الحرصُ في العيشِ رديٌّ وللسبيلِ مشفلةٌ
الحرصُ في القلبِ عمى يخبطُ فيه الجهلةُ
مُهاجِرٌ مَنْ وَصَلَهُ مُخَيَّبٌ مَنْ أَمَلَهُ

أَحَقُّ مَنْ بَرَّرَتْ

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أَحَقُّ مَنْ بَرَّرَتْ مَنْ لَا يَغْفَلُ

بِرَّكَ (١).

أَحَقُّ مَنْ بَرَّرَتْ مَنْ لَا يَغْفَلُ

بِرَّكَ مَا أَضْحَى وَأَمْسَى يَذْبَلُ (٢)

قال الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): مِنْ أَعْظَمِ الْفَجَائِعِ إِضَاعَةُ

الصَّنَائِعِ (٣).

مِنْ أَعْظَمِ الْفَجَائِعِ

إِضَاعَةُ الصَّنَائِعِ

مَا بَيْنَ رَذْلِ سَاقِطٍ

أَوْ غَادِرٍ مَخَادِعِ

الِي لَثِيمٍ فَاجِرٍ

يَهْزَأُ بِالشَّرَائِعِ

وَإِنَّمَا الْإِحْسَانُ بَيْنَ

الْخَلْقِ كَالْوَدَائِعِ

٢ - يذبل: من الجبال الشهيرة في نجد.

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٨٤٢.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٨٦٦.

أمانة راجعة

ففي أحسن الروايج

أحسن إلى من شئت تكن أميره

— من كلمات الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام): أحسن إلى من شئت
تكن أميره، واستغن عن شئت تكن نظيره، واحتج إلى من شئت تكن أسيره^(١).

أحسن إلى من شئت من

جيل تكن حقاً أميره

واستغن عن من شئت من

جيل تكن حقاً نظيره

واحتج إلى من شئت من

جيل تكن حقاً أسيره

هذه المسيرة فارعا

في عفة وجمال سيرة

قلل من الحسنى هدتك

إلى التمام جيد التـضيرة

١ - محمد بن أحمد الباعوني الشافعي جواهر المطالب ١ / ١٤٥، وشرح نهج البلاغة
الحكمة الرابعة مما استدركه ابن أبي الحديد على الشريف الرضي من حكم الإمام (عليه
السلام).

شَمُولِيَّةُ الكَرَمِ

— وروي عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) القول: لا تشاتمن أحداً، ولا تردن سائلاً، إما هو كريم تسدُّ خَلَّتَهُ، أو لثيم تشتري عِرْضَكَ مِنْهُ^(١).

لا تشاتِمنَ من الناسِ عَرِيباً^(٢)

واغضض الطرفَ بما تقدِرُ عَنْهُ

أو تردنَّ الذي جاءك يسعى

مستجيراً مستعيناً فأعِنهُ

ذَلكم نَدْبُ كَرِيمِ فَارِعُهُ

أو لثيمُ تشتري عِرْضَكَ مِنْهُ

السيد من تحمّل المؤونة، وجاد بالمعونة

— قال إمام الأئمة (سلام الله عليه): السيد من تحمّل المؤونة، وجاد بالمعونة^(٣).

تَحَمَّلَ المِؤُونَةَ وَجَادَ بِالمِيعُونَةِ

١ - شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٢٠ / ٢٠١ الحكمة ٤٣٣/.

٢ - لا تشاتمن عريباً: لا تشاتمن أحداً.

٣ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ١٢١٨ وغرر الحكم، الحكمة / ٨٤٣٩.

٤١٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

فكان فيهم سيِّداً في خِطَّةٍ ميمونة
مُكْرَماً مُبَجَّلاً بالعزِّ ينعته
على الكريم للورى حقُّ فهُم يَبغونه
أنصفهم بجوده فأكرموا شؤونه

الصنع الجميل

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): من يُسلفِ المعروفَ يكنُ ربحُهُ

الحمد^(١).

نسجت الندى المفراح والخير والبر
جمالاً كالألاء الشمس إذا استشرى
وتابعت معروفاً وخيراً تحبباً
الى الصمد الأعلى الذي قدس الخيرا
ومن يُثبِّع الصنع الجميل بمثله
فذاكم ربيع اللطف والآية الكبرى

١- وردت الحكمة كاملة بهذه الصورة: إذا زلت فارجع وإذا ندمت فاقلع وإذا أسأت فاندم

وإذا منتت فاكنم وإذا متعت فأجمل ومن يسلف المعروف يكن ربحه الحمد.

شرح نهج البلاغة، ٢٠ / ٣١٧، الحكمة / ٦٣٣.

ومن يطلب الرّحمن بالجود يكتسب
ثياباً من الحسنئ ويكتنز الأجر
ومن يأمل الذكر السنئ بفضله
ينل بعض ما يأتي ولا يعدم الذكر
ومن يسلف المعروف والخير والنّدى
يكن ربحه الحمد الموقق والشكرا
ومن يفرح القلب الشجئ بسعيه
فقد أحزن الشيطان وأدخر البشري
ومن يوقد النيران كي يحشد القرئ
فقد أطفأ النار المخوفة والجمرا
ومن يتعاط الفضل بالقول وحده
تردئ بقاع الشخ واستجلب الشرا
ومن يتوخ العذر زياً مموهاً
لينكص عن فضل فليس له العذري^(١)

١ - والبقية من القصيدة:

ومن ظن أن البخل لا ينتقض الهوى
فذلك من أبكى الرسالة والفكرا
ومن حاد بعد البذل والخير عنهما
تضامل في الدنيا وأبعد في الأخرئ

إِنَّ هَذَا الْمَالَ فِيَّ الْمُسْلِمِينَ

— من كلام له (عليه السلام) كلم به عبد الله بن زمعة وهو من شيعته وذلك

ومن لم يكن حُرّاً بَسِيْبٍ ونائِلٍ
فلم يكُ في حَرْبٍ ومَعْرَكَةٍ حُرّاً
ومن يَغْرُ من بذلٍ وحسنِ تَفْضُلٍ
فذاك من العلياء والمرتقى أَعْرَى
ومن يحفظُ المسكين يُحفظُ بنفسه
وأهليه ما والى التفضُّل والبِرّاً
ومن يستزُ بالجود من يطش محنةً
كزحف الوغى وقعاً فقد أحكم السِّترا

صبرنا على بحر الظلِمة والأسى
فهل بعد طول العزم نستشرفُ النصرا
فإن انطلاق الصبح ينتسف الدجى
وحلّو القضاء السمع يختضدُ المرأ
ومثلك من يشفي الجراح تنابعت
فأزقت الحصن الممنع والصبرا
فما زلت للانسان عوناً وناصرأ
وكفأ تهزُّ الأرض أو تكشف الضرا
تراعي القلوب الظامثات فترتوي
وتطفأ نازهم في الأعين العبرى
وإن تطلأ الأرض الفقيرة تزدهز
وتنبث رياحين الرغادة واليسرى
لقد فاز في الدارين من كان دأبه
مطايبة الأرواح والأكبد الحزرى

أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالاً: فَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنَّ هَذَا الْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ قِيٌّ لِلْمُسْلِمِينَ وَجَلَبُ أَسْيَافِهِمْ فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ وَإِلَّا فَجَنَازَةٌ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ^(١).

إِنَّ هَذَا الْمَالَ قِيٌّ لِلْمُسْلِمِينَ

ليس لي منه سوى النزرِ المَهِينُ

لو تصدَّيت لِمَالٍ فَوْقَ حَظِّي

لستُ حَقَّاقًا بِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ

أَنَا لَوْ فَرَّقْتُ مَا بَيْنَ الْبَرَايَا

كَيْفَ أُدْعَى الْوَالِدَ الْبِرَّ الْأَمِينَ

لَا أَرَانِي مَا يَوْمُ النُّجْمِ نَجْمًا

خَطَّاطِبًا بِالْمَالِ وَدَّ الْمُتَرْفِينَ

إِنَّمَا أَتَّبِعُ نَهْجًا أَحْمَدِيًّا

مَنْهَجِ الشَّمْسِينَ بَيْنَ الْعَالَمِينَ

وَعْدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ

— قَالَ إِمَامُ الْأُمَّةِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): وَعْدُ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ، وَوَعْدُ اللَّئِيمِ

٤٢٠..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
تسوية وتعليل (١).

وَعُدُّ الأَكَارِمِ فِي نَقْدٍ وَتَعْجِيلِ
شَقُّوا بِذَآكِ مَسَاراً غَيْرَ ضَلِيلِ
وَاللَّثَامِ وَعودُ المَطْلِ تَكْنِفُهَا
سودُ التَعَالِيلِ مِنْ بَعْدِ التَعَالِيلِ

لَيْسَ مِنَ التَّوْفِيقِ كُفْرَانُ النُّعْمِ

— قال علي (سلام الله عليه): لَيْسَ مِنَ التَّوْفِيقِ كُفْرَانُ النُّعْمِ (٢).

الشكْرُ لِلإنْسَانِ مِنْ خَيْرِ الشُّيْمِ
نَهْرٌ مِنْ الفَضْلِ بِجَنَاتِ الكَرَمِ
وَالكُفْرُ لِلنَّعْمَةِ شَتْمٌ لِلقِيمِ
فَلَعْنَةُ اللّهِ عَلَى مَنْ قَدْ شَتَمَ
قَدْ أَنصَفَ النَّاسَ عَلِيٌّ إِذْ حَكَمَ
لَيْسَ مِنَ التَّوْفِيقِ كُفْرَانُ النُّعْمِ

ما الناس إلا بالمروءة والنُدَى

— قال الإمام علي (عليه السلام): من أفضل الدين المُرُوَّةُ وَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ لَيْسَ فِيهِ مُرُوَّةٌ^(١).

قد استلهم هذا المضمون داؤد الطائي وذلك أنه احتجم فدفق إلى الحجام ديناراً فقيل له: هذا اسراف. فقال: لا عبادة لمن لا مروءة له^(٢).

وما الناس إلا بالمروءة والنُدَى

وإلا فأزهارٌ يغيَّبُ أريجُها

وَلَا خَيْرَ فِي دِينٍ إِذَا لَمْ تَكُنْ لَهُ

مروءةٌ نفسٍ ليس يبلى نسيجُها

مَرْبَّةُ الْمَعْرُوفِ

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): مَرْبَّةُ الْمَعْرُوفِ أَحْسَنُ [خَيْر] مِنْ ابْتِدَائِهِ^(٣).

ما الصقر يخطر في سمائه

يحدو بـعزّة كبريائه

١ - غرر الحكم، الحكمة / ٥٤٧٩.

٢ - ابن الجوزي، الحقائق في علم الحديث والزهديات، ٢ / ٢١٨.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٨٦٧، وعيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٤٨٥.

٤٢٢..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

بأعز من كف امرىء

يحيي المربع في سخائه

يصل العطاء بأخري

كالمزني في عليا أرتمايه

ومرئيه المعروف أحسن

من مزاوله ابتدائه

السؤال يقطر ماء الوجه

— روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): وجهك ماء جامد يقطره السؤال

فانظر عند من تقطره^(١).

وجهك ماء جامد يقطره السؤال

قطره عند ناصح يحثفه النوال

ألُق الكمال

— قال الإمام أمير المؤمنين: مَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عَدُوٌّكَ^(٢).

إرع الإخاء فإنه ألُق يشير إلى كمالك

١ - عيون الحكم والمواعظ، الحكمة / ٩٢٨١.

٢ - نهج البلاغة، الرسالة / ٣١.

وَصَلِ الْأَحَبَّةَ إِنَّهُمْ يَتَحَرَّقُونَ إِلَى جَمَالِكَ
 أَبْكِيهِمْ بِقَطِيعَةٍ وَشَكُوا فَلَمْ تَعْبَأْ بِذَلِكَ
 شَبَّهُ الْعَدُوَّ سَجِيَّةً وَتَرْتُصاً مَنْ لَمْ يُبَالِكْ

حَفْظُ الْإِخَاءِ

— قال إمام الأئمة (سلام الله عليه): لا يكون الصديق صديقاً حتى يحفظ أخاه في نكبتة وغيبته وبعد وفاته (١).

أَنَا لَا أَعُدُّ صَدَاقَةَ بِسْتَبْسَمٍ وَتَمَلِّقٍ
 مَنْ لَمْ يُعَدِّ أَحْسَابَهُ فِي كُلِّ خَطْبٍ مَقْلِقٍ
 وَيَذُدُّ مَقَالَةَ أَلْسِنٍ مِثْلَ اللَّهَيْبِ الْأَزْرَقِ
 مَا كَانَ إِلَّا بَائِعاً بِتِجَارَةٍ لَمْ تَرْزُقِ
 الْكُذْبَ يَهْمُزُ عَيْنَهُ لِخِلَالَةِ الْمُتَحَذِّقِ
 وَالغَشُّ يَطْلُعُ رَأْسَهُ لِصَدَاقَةِ لَمْ تَصْدُقِ
 وَعَلِمْتُ عِلْمَ مُجَرَّبٍ لَا خَلَّ مِثْلَ الْمُتَقِي

١ - أبو عمر القرطبي، بهجة المجالس، المجلد الثاني من القسم الأول / ٦٨٩، وابن شعبة الحرائي، تحف العقول / ١٥٧.

الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ

— قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا

يَنْفَدُ^(١)

إِنَّ الْقَنَاعَةَ مَالٌ لَيْسَ يَنْفَدُهُ

كَرُّ الْعُصُورِ وَلَا زَحْفُ الدَّهَارِ

اللطافة في الحاجة

— قال أمير المؤمنين علي: اللطافة في الحاجة أجدى من الوسيلة^(٢).

قَالَ عَلِيٌّ قَوْلُهُ

كَالدُّوْحَةِ الظُّلَيْلَةِ

لَطَافَةٌ فِي حَاجَةٍ

أَجْدَى مِنْ الْوَسِيلَةِ

لَذَةُ الْكِرَامِ فِي الْإِطْعَامِ

— قال أمير المؤمنين: لَذَةُ الْكِرَامِ فِي الْإِطْعَامِ، وَلَذَةُ اللَّثَامِ فِي الطَّعَامِ^(٣).

١ - الشريف الرضي: نهج البلاغة، الحكمة / ٤٨٣.

٢ - الشريف الرضي، نهج البلاغة، الحكمة / ٤٤٩.

٣ - غرر الحكم، الحكمة / ٨٤٩٩. وقد مر التعليق على الحكمة في موضوع من معالم

الفوارق ما بين الكرام واللثام.

مَا لَذَةُ الْكِرَامِ فِي الْإِطْعَامِ
بِدْعَاءٍ وَتُكْرَافٍ مِنْ خُطِي الْكِرَامِ

أَوْ لَذَةُ اللَّسَامِ فِي الطَّعَامِ
بِدْعَاءٍ وَتُكْرَافٍ مِنْ خُطِي اللَّسَامِ

قَدِّمَ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ جَمِيلاً

— قال أمير المؤمنين (عليه السلام): ما قدّمت اليوم تقدم عليه غداً،
فامهّد لقدمك، وقدّم ليومك^(١).

قَدِّمَ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ جَمِيلاً
وَامْهَدْ لَجَنَاتِ الْخُلُودِ سَيِّلاً

خُذْ مَا أَتَاكَ عَنِ الْإِلَهِ بِخَشْيَةٍ
وَدَعْ اللَّسَجَاةَ بِكُرَّةٍ وَأَصِيلاً

فَلَسَوْفَ تَلْقَى بَعْدَ مَوْتِكَ مَارِداً
غَضَباً عَلَى الْمُسْتَكْبِرِينَ طَوِيلاً

النَّوَالُ قَبْلَ السُّؤَالِ

— قال علي (عليه السلام): مِنْ أَكْمَلِ الْإِفْضَالِ بَدَلُ النَّوَالِ قَبْلَ السُّؤَالِ^(٢).

يَا طَالِبَ الْكَمَالِ
مِنْ أَكْمَلِ الْإِفْضَالِ
بِذَلِكَ لِنُوَالِ
جُوداً بِسُؤَالِ

تُسْتَرَقُّ الْأَعْنَاقُ بِالْإِفْضَالِ

— قال علي (عليه السلام): بِالْإِفْضَالِ تُسْتَرَقُّ الْأَعْنَاقُ^(١).

أَكْرَمُوا بِالنُّوَالِ غُلْبَ الرِّجَالِ
فَالْعُلَى وَالْجَمَالَ عُقْبَى النُّوَالِ
مِثْلَمَا يَجْذِبُ الشَّجَاعُ أَسِيرًا
تُسْتَرَقُّ الْأَعْنَاقُ بِالْإِفْضَالِ

عُودَ عَلِيٍّ بَدءَ

— في بحث وضع المال في مواضعه ذكرنا قول الإمام علي (عليه السلام) أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه، من أهل الإسلام؟! والله لا أطورُ به ما سمر به سميرٌ، وما أمَّ نجمٌ في السماء نجماً.. وعلقنا عليه في الهامش بقولنا: لنا في نظم بعض فقرات كلام الإمام في هذا النص:

لَا أَطْلُبُ النَّصْرَ بِجُورٍ يَوْمًا
مَا أُمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْمًا
لَوْ كَانَ هَذَا الْمَالُ مَلَكَي نَمًا
سَوَّيْتُ فِيهِمْ عَرَبًا وَعُجْمًا
فَكَيْفَ وَالْمَالُ لَهُمْ مَا انْضَمَّا
لَا أَبْتَغِي الْحُكْمَ لِنَفْسِي غُنْمًا
بَلْ أُرْخِصُ النَّفْسَ وَأَبْنِي الْحُكْمًا
نَهَجًا قَوِيمًا وَشُعَاعًا أَسْمَى
لَيْسَ مِمَّنْ الْعَدْلُ إِذَا اسْتَتَمَّا
أَنْ أَحْيِي قَوْمًا وَأُمَيِّتَ قَوْمًا
شَفَيْتُ بِالْعَدْلِ قُلُوبًا تَدْمَى
رَمَيْتُ ظَبِيًّا فَأَصَبْتُ الْمَرْمَى

— كتبنا في هامش موضوع (القناعة بالقليل والجود بالجزيل): ومما قاله علي (عليه السلام) حول القناعة: خرج العز والغنى يجولان فلقيا القناعة فاستقرا. نهج البلاغة الحكمة / ٤٢٨. فقلنا في نضد هذه الحكمة العلوية شعرا:

خَرَجَ الْعِزُّ وَالْغِنَى ذَاتَ يَوْمٍ
يُكْثِرَانِ التَّجْوَالَ بِحَرًّا وَبِرًّا

لم يُصيبا القرارَ في الأرضِ حتى

حظيا في قناعةٍ فاستقرّا

— كنا قد قلنا فيما سبق من التعليق على كلام علي (عليه السلام): (أمسك

من المال بقدر ضرورتك، وقدم الفضل ليوم فاقتك)، هذه الآيات:

أمسك من المال بقدر حاجتك

وقدم الفضل ليوم فاقتك

اللؤم عنوان جهول غافل

والجود عنوانك في إفاقتك

إن الذي يبقى سبيليه الردى

حتى كأن لم يك بين طاقتك

— كما ذكرنا في موضوع (وقود النار يوم القيامة). كلام علي (عليه

السلام): وقود النار يوم القيامة: كل غني بخل بماله على الفقراء، وكل عالم باع

الدين بالدنيا. وعلقنا عليه شعراً في الهامش بهذه الصورة:

وقود النار في يوم القيامة

غني باخل يزوي حطامة

ومختزن العلوم يبيع دنياً

وأخلاقاً ولم يُمسك زمامة

تَرَدِّي فِي مَوَاطِنَ مُخْجَلَاتٍ

تَرَدِّي الْعَنَزِ فِي جُبِّ الْقِمَامَةِ

— كما قد قلنا في الموضوع ذاته :

وَقَوُّدُ النَّارِ يَوْمَ الْفَصْلِ عَبْدٌ

غَنِيٌّ بِأَخْلُ دَعَّ الْفَقِيرَا

وَأَخْرَ عَالَمٌ قَدْ بَاعَ دِينًا

بِدُنْيَا وَأَشْتَرَى تَزْرَأَ يَسِيرَا

— تعليقاً علي كلام أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه : جودُ الفقير يُجِلُّهُ ،

وبخلُ الغني يذله . قلنا كما ذكرنا ذلك في هامش موضوع جود الفقير يجله :

جُودُ الْفَقِيرِ يُجِلُّهُ بَخْلُ الْغَنِيِّ يُذِلُّهُ

فِي ذَلِكَ أَصْحَرَ مُعَلَّنًا مَنْ لَا يُجَارِي فَضْلَهُ

ذَاكُمْ عَلِيُّ الْمَرْتَضَى رُوحُ الْكِتَابِ وَعَدْلُهُ

— قلنا فيما سبق تعليقاً علي كلام الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام) :

أَقْبِحُ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ مَنْعُ عَطَائِهِ .

أَقْبِحُ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ مَنْعُهُ

وَضُمَّهُ لِمَالِهِ وَجَمَعُهُ

ما هكذا قد كان فينا طبعه

وبذله ما يشتهى وصنعه

لكنه لما تناهى زرعهُ

وزاد عما يشتهيه شبعهُ

غرّه سلطان الهوى وخدعه

فضاق منه رخبه ووسعهُ

إن هوى النفس شديد نزعهُ

ذلك أمرٌ مستبدٌ صدعه

— مرّ علينا في موضوع (تبريرات عشوائية يفضحها الواقع السليم). قول

علي صلوات الله عليه: السخاء فطنة، واللؤم تغافل. وقلنا في الهامش: سيأتي

لنا مقطعان من الشعر في نظم هذه الحكمة. والمقطعان هما:

مجد الأواخر والأوائل جود يغرد كالعنادل

قد هزنا ذبل الشفاء وراعنا ضم الأياطل

قسماً سنروي جديهم من سلسل عذب المناهل

لسنا عبيداً غافلين عن الشماحة والفضائل

إن السخاء لفطنة واللؤم من سقه التغافل

إِن السَّخَاءَ فَطَنَةُ الأَفَاضِلِ

وَاللُّؤْمَ قَعَرُ بِوَرَةِ الأَرَادِلِ

أَيَّن سَرَابٌ لَيْسَ يَرُوي ظَامئاً

مَنْ وَايِلُ يَنْهَلُ إِثْرَ وَايِلِ

مَا حَكَمَةُ الطَّهْرِ الإِمَامِ المُرْتَضَى

لَوْ قَد وَعَوْهَا غَيْرَ سَحْرِ بِأَبْلِي

— ذكرنا في هامش موضوع (الكريم يلين إذا استعطف) أن لنا نظماً لهذا

الكلام العلوي (الكريم يلين إذا استعطف، واللثيم يقسو إذا أطف) والنظم هو:

إِنَّ الكَرِيمَ تَلِينُهُ مَا اسْتَعْطَفَا

حَتَّى كَأَنَّكَ مَا جَفَوْتَ وَلَا جَفَا

يَدْنُو كَمَا يَدْنُو الحَبِيبَ وَيَنْشِي

مَسْتَوْدِدًا مَسْتَحْتَنًا مَتَأَلَّفَا

وَتَرَى اللَّثِيمَ كَأَنَّهُ مِنْ صَخْرَةٍ

عَمَلًا وَأَخْلَاقًا إِذَا مَا أُطْفَا

مِن حَوَافِزِ الْجُودِ الْعَلَوِيِّ

رُؤْيٍ حَزِينًا فَقِيلَ لَهُ : مِمَّ حَزْنُكَ ؟
قَالَ : لِسَبْعِ أُمَّتٍ لَمْ يَضْفِ الْيَنَا ضَيْفٌ .

مِن حَوَافِزِ الْجُودِ الْعَلَوِيِّ

إِنَّ الحَوَافِزَ الَّتِي تَكْمُنُ وِرَاءَ جُودِ الإِمَامِ عَلِيِّ (سَلَامَ اللّهِ عَلَيْهِ)، وَتَحْمِلُهُ عَلَى الانْفَاقِ المَتَمِّيزِ فِي سَبِيلِ اللّهِ، قَدْ تَكُونُ حَوَافِزَ كَثِيرَةً وَلَكِنَّا نُرَكِّزُ عَلَى أَهْمِهَا وَأَشَدِّهَا أَثْرًا وَتَأْثِيرًا:

أولاً - إنه جعل الدار الآخرة نصب عينيه، فلا يقوم ولا يقعد ولا ينفرد بنفسه ولا يساور المجتمع، إلا وكان الله تبارك وتعالى، ورضوانه الأكبر، والجنة ونعيمها الدائم، والنار وعذابها الأليم، تخالط تفكيره... لحمه... دمه... مشاعره... أحاسيسه..، في الوقت الذي يعلم فيه علماً يقيناً أن الجود مما يرفع رصيده الفخم الكبير عند الله عزَّ وجلَّ، ويكرمه ويجلِّه غاية الأكرام والجلال في عرصات يوم القيامة ومشاهدها العظام.

إذاً ما قيمة الأموال والممتلكات المنقولة وغير المنقولة إزاء ما سوف يحرزه العبد في جنب الله؟ وما قيمة الحياة الفانية بما فيها من أموال ومُتَعِّ ومقتنيات إزاء ما سوف يحرزه في جنب الله؟ بل ما قيمة الحياة الفانية بما فيها من أموال ومقتنيات وممتلكات إزاء الحياة الباقية والنعيم السرمدي؟

أيسمع مَنْ آمَنَ حق الإيمان - حتى لو كشف له الغطاء ما ازداد يقيناً - بقوله الله سبحانه: «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللّهُ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللّهُ

٤٣٦..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ»^(١). ويقول تبارك وتعالى: «وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»^(٢). ثم لا ينفق في سبيل الله حق النفقة، ويجود في سبيل
الله كل الجود، ويؤثر غاية الإيثار.

وقد أشار القرآن الكريم إلى هذا الدافع العلوي وصرح به أكثر من مرة ومرة
وذلك مثل قوله تبارك وتعالى: «إِنَّمَا نَطَعِكُمْ لَوْجِهِ اللَّهُ لَا تُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا
شُكُوراً»، ومثل قوله تبارك وتعالى: «إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْماً عَبُوساً
قَمْطَرِيرًا» * فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا».

ومن جملة ما يشير إلى الدافع المذكور ما قاله محمد بن الصمّة عن أبيه عن
عمه، قال: رأيت في المدينة رجلاً على ظهره قربة، وفي يده صحيفة يقول: اللَّهُمَّ
ولي المؤمنين، وإله المؤمنين، وجار المؤمنين، إقبل قرباني الليلة، فما أمسيت
أملك سوى ما في صحتي، وغير ما يواريني، فانك تعلم أنني منعت نفسي مع شدة
سغيي، في طلب القربة اليك غنماً. اللهم فلا تخلق وجهي، ولا ترد دعوتي.
فأتيت حتى عرفته، فاذا هو علي بن أبي طالب، فأتى رجلاً فأطعمه^(٣).

ومما يشير إليه أيضاً ما روي من أنه (عليه السلام) روي حزينا فقبل له: مم
حزنك؟ قال: لسبع أتت لم يصف الينا ضيف^(٤).

إن كل ولي من أولياء الله تبارك وتعالى إذا كان ممن وعى روح القرآن ولو
موجزاً، وتشرب خلق الرسالة الإلهية ولو مقتضباً، يمتلك الدافع الأنف الذكر
بدرجة من الدرجات، وأما إذا لم يكن ممتلكاً له بنحو من الأنحاء فقد خرج من
صفة الولي لله تعالى، وإن صلى وصام وحج وأعلن الشهادتين. ويشير إلى ذلك

٢ - الحشر، الآية / ٩.

١ - البقرة، الآية / ٢٤٥.

٤ - المصدر نفسه، ٤١ / ٣٠.

٣ - بحار الأنوار ٤١ / ٣٠.

أكثر من حديث كما في قول النبي الخاتم «ص»: ليس بمؤمن من يات شعبان رِيَّانَ وجارِه جَائِعَ ظَمَانٍ. وقوله «ص»: خَلَّتَانِ لَا تَجْتَمَعَانِ فِي مَوْمِنِ الْبَخْلِ وَسُوءِ الظَّنِّ. وقول أمير المؤمنين علي: حرام على الجنة أن يدخلها شحيح^(١).

ثانياً - لا يغيب عن فكر الإمام علي (عليه السلام) أبداً المفهوم القرآني عن الملكية الخاصة للإنسان وارتباطها الشديد بملكية الله تبارك وتعالى، وأن الإنسان مهما تملك واقتنى فإنه مستخلف لله في الأرض، فعليه أن يقوم بدور الخليفة عن المستخلف له، ويجعل أمواله وممتلكاته حسب ما أراد لها صاحبها الأصلي ومالكها الحقيقي، يقول عزَّ مِنْ قَائِلٍ فِي كِتَابِهِ الْحَكِيمِ: «ءَامِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلِفِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ»^(٢).

ومن أجل المزيد من توضيح الصورة وتركيزها ننقل كلمة جيدة من كتاب «اقتصادنا» للسيد محمد باقر الصدر حيث جاء فيه: الخلافة تضيي طابع الوكالة على الملكية الخاصة وتجعل من المالك أميناً على الثروة ووكيلاً من قبل الله الذي يملك الكون وجميع ما يضمُّ من ثروات، وهذا التصور الاسلامي الخاص لجوهر الملكية متى تركَّز وسيطر على ذهنية المالك المسلم أصبح قوة موجَّهة في مجال السلوك، وقيداً صارماً يفرض على المالك التزام التعليمات والحدود المرسومة من قبل الله عزَّ وجلَّ، كما يلتزم الوكيل والخليفة دائماً بإرادة الموكل والمستخلف^(٣).

١ - قرب الإسناد ١ / ٣٥، الكافي ٤ / ٤٤، مكارم الأخلاق / ١٣٤، وسائل الشيعة ٩ /

٣٥، بحار الأنوار ٧٠ / ٢٩٩. ٢ - الحديد، الآية / ٧.

٣ - السيد محمد باقر الصدر، اقتصادنا / ٥٣٤.

٤٣٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

ويتابع السيد الصدر كلمته المعبرة قائلاً: الخلافة في الأصل هي للجماعة كلها، لأن هذه الخلافة عبّرت عن نفسها عملياً في اعداد الله تعالى لثروات الكون ووضعها في خدمة الإنسان، والإنسان هنا هو العام الذي يشمل الأفراد جميعاً، ولذا قال تعالى: «هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً»^(١).

وأشكال الملكية بما فيها الملكية والحقوق الخاصة إنما هي أساليب تتيح للجماعة باتّباعها أداء رسالتها في اعداد الكون واستثماره قال الله تعالى: «وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْخَلِيفَةَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ»^(٢). فالملكية والحقوق الخاصة التي منحت لبعض دون بعض فاختلفت بذلك درجاتهم في الخلافة، هي ضرب من الامتحان لمواهب الجماعة ومدى قدرتها على حمل الأعباء، وقوة دافعة لها على انجاز مهام الخلافة والسباق في هذا المضمار، وهكذا تصبح الملكية الخاصة في هذا الضوء أسلوباً من أساليب قيام الجماعة بمهمتها في الخلافة، وتتخذ طابع الوظيفة الاجتماعية كمظهر من مظاهر الخلافة العامة، لا طابع الحق المطلق والسيطرة الأصلية وقد جاء عن الإمام الصادق أنه قال: إنما أعطاكم الله هذه الفضول من الأموال لتوجهوها حيث وجهها الله ولم يعطكموها لتكتنروها^(٣).

نقول بكل ثقة وتأکید انه لا يعمل ابن أبي طالب في أمواله وممتلكاته بما يريد الله سبحانه على جهة الأمر والوجوب الشرعي فقط، بل كذلك يعمل بها وينفقها على جهة الاستحباب وبذل أقصى الجهود لاسترضائه تعالى وطلب غاية ولايته ومحبته. حتى وإن تطلب المسألة أن يرهق نفسه الزكّية بالجوع الشديد في شتى الأوقات مراراً وتكراراً حتى يقدم زاده ليشبع الجائع والسائل، ويمنح

أمواله للفقاع والمعتز، ويكسو الثياب الفاخرة للطالب والراغب والمحِب والمبغض، ليظلَّ في مدرعة يقول عنها: وَاللَّهِ لَقَدْ رَقَعْتُ مِذْرَعَتِي هَذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِهَا وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَتَّبِدُهَا عَنْكَ؟ فَقُلْتُ: اعْزُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَخْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى^(١).

ثالثاً - توكلُ الإمام المطلق على الله تبارك وتعالى، وعلمه القطعي وإيمانه الكامل: ان الرزق بيد الله عزَّ وجلَّ (وكأين من دابةٍ لا تحملُ رزقها اللهُ يرزقها وإياكم)^(٢). (إنَّ الله هو الرزاق ذو القوة المتين)^(٣).

فاللهُ تعالى وحده هو الذي يمنح من يشاء، ويوسِّع على من يشاء، ويقدر على من يشاء.

فليس إذا ما أنفق الإنسان نفقة فسببت نقصاناً في أمواله آتياً، إلى النصف مثلاً أو الربع، فسوف لا تزداد مرة أخرى، وترجع إلى نصابها الأوَّل، أو لا تصبح أضعاف ما كانت عليه (وما أنفقتم من شيءٍ فهو يُخلفه وهو خيرُ الرازقين)^(٤). ونلاحظ هذا المعنى بما قاله الرسول «ص»: تَجَاوَزُوا عَنْ ذَنْبِ السَّخِيِّ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَخَذَ بِيَدِهِ كَلِمَا عَثْرَ، وَفَاتِحَ كَلِمَا افْتَقَرَ^(٥). مع التأمل الجيد في عبارة «فاتح كلما افتقر».

وانطلاقاً من هذه الرؤية السليمة المعطاء كان يقول الإمام علي (عليه السلام) لولده الجليل محمد بن الحنفية (رض): يَا بُنَيَّ الرِّزْقُ رِزْقَانِ: رِزْقُ

١ - شرح نهج البلاغة ٩ / ٢٣٤. المدرعة بكسر الميم الجبة والجمع مدارع.

٢ - العنكبوت: الآية / ٦٠. ٣ - الذاريات، الآية / ٥٨.

٤ - سبأ، الآية / ٣٩.

٥ - نزهة الناظر / ١٢، والتذكرة الحمدونية لابن حمدون، ٢ / ٢٥٩ - ٢٦٠.

٤٤٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
تطلبه، ورزق يطلبك، فإن لم تأته أذاك، فلا تحمل همّ سنتك عليّ همّ يومك،
وكفّاك كل يوم ما هو فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن الله عزّ وجلّ سيأتيك في
كل غدٍ بجديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك، فما تصنع بهمّ وغمّ
ما ليس لك، واعلم أنه لن يبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن
يحتجب عنك ما قدر لك^(١).

وعن الإمام أبي عبد الله جعفر الصادق، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)
قال أمير المؤمنين (عليه السلام)^(٢): كنّ لما لا تَرجو أرجى منك لما تَرجو، فإن
موسى بن عمران خرج يقتبس ناراً لأهله، فكلمه الله ورجع نبياً، وخرجت ملكة
سبأ فأسلمت مع سليمان، وخرجت سحرّة فرعون يطلبون العزّ لفرعون،
فرجعوا مؤمنين^(٣).

رابعاً - ما فتأت الغيرة في التفكير والسلوك والتعامل مُحَرِّكاً قوياً لنبل
الإمام علي (سَلامُ الله عليه) وجوده وإحسانه؛ فقد ألهمت نفسه الخير والنبل
والفضيلة وطبعت عليها طبعاً كاملاً، نظير ما طبعت عليه من العدل والانصاف
والشجاعة والاقدام، مما هو معروف بين الخاص والعام. لقد كان الإمام علي
بن أبي طالب يفكر دائماً بنفع الآخرين وحلّ مشكلاتهم وتطوير المستلزمات

١ - الوسائل، ١٢ / ٣١.

٢ - السياق يقتضي أن هذا الحديث يرويه علي بن الحسين (ع) عن جده أمير المؤمنين
(ع) بلا واسطة، ولا عجب في ذلك فقد استقطبت التفاتي عدة أحاديث يرويها علي بن الحسين
(ع) عن جده أمير المؤمنين (ع) بلا واسطة.

٣ - ما ذكره أمير المؤمنين (عليه السلام) من الأمثلة الدالة على صحة مقولته: كنّ لما لا
ترجو أرجى منك لما تَرجو، من قصة موسى بن عمران إذ خرج يقتبس ناراً لأهله، فكلمه الله
ورجع نبياً، وقصة ملكة سبأ حيث خرجت كافرة فأسلمت مع سليمان، ومن خروج سحرّة
فرعون يطلبون العزّ لفرعون فرجعوا مؤمنين، كلها مقتبسة من القرآن الحكيم.

٤٤١ من خوافِرِ الجُودِ العَلَوِي
المعيشية لحياتهم أضعاف ما يفكر لنفسه، بل لا يفكر في نفسه إلا من خلال
مصالح الآخرين ومنافعهم. لقد كان نفع الناس وتنمية حياتهم غاية من
الغايات الرئيسيّة لديه، وقد ترسخ في عقيدتي غَايَةُ الإِحْسَانِ أن يكونَ
الإِحْسَانُ غَايَةً .

وإذا كان الباعث الأول للسلوك يبقى هو الأثانيّة في رأي الفيلسوف
الانجليزي جون ستيوارت مل John Stuart Mill، ويضيف الى ذلك قائلاً: وإذا
بدا وكأن الأمر ليس كذلك وإذا تفنّنى الانسان في سبيل الآخرين بدون أن
ينكفى، على ذاته، فذلك لأن العقل الغيري الذي يكون في أول الأمر مجرد وسيلة
لاشباع الأثانيّة يتحوّل من وسيلة الى غاية في ذاتها^(١). فقد يصحّ ما يقوله جون
ستيوارت مل بشكل عام، غير أن حالات استثنائيّة - على الحدّ الأقل - ليست
كذلك، بل اتجهت نحو الإحسان ابتداءً باعتباره غاية من الغايات .



الجُودُ والإِثَارُ فِي الشَّعْرِ العَلَوِي

سَأَمْنَحُ مَالِي كُلَّ مَنْ جَاءَ طَالِباً
وَأَجْعَلُهُ وَقْفاً عَلَى الْقَرْضِ وَالْفَرْضِ

فَإِمَّا كَرِيمٌ صَنْتُ بِالْمَالِ عِرْضَهُ
وَإِمَّا لَثِيمٌ صَنْتُ عَنْ لَوْمَةٍ عَرْضِي

الجودُ والإيثارُ في الشعرِ العَلَوِي

مُقَدِّمَةٌ

- ١ -

قد رويانا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) أحاديث وأخباراً كثيرة جداً حول الفضل والجود والإيثار كما شاهدنا ذلك، بيد أنه لما كانت اللغة الشعرية معيناً للنثر، وداعمة له في المواطن المتعددة؛ فلهذا نرى أمير المؤمنين علياً كثيراً ما يعزز نظريته السديدة حول الفضل والجود والإيثار بمقاطع شعرية جميلة ومؤثرة، كما سوف نطلع عليها من قريب، ونستمتع بفحواها الأصيل وسلاستها وعذوبتها. وقد نقلتها - كلاً أو بعضاً - عنه (سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ) مختلف المصادر كتأريخ مدينة دمشق لمحدث الشام ابن عساكر، والتذكرة للعلامة سبط ابن الجوزي، وبحار الأنوار للعلامة محمد باقر المجلسي، وجواهر الأدب للأستاذ أحمد الهاشمي، وديوان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، جمع أبي هفان العبيدي المهزومي (من أعلام الأدب إبان خلافة المتوكل في العصر العباسي)، ونسخة ثانية من الديوان جمع السيد محسن الأمين العاملي، ونسخة ثالثة جمع الاستاذ عبد العزيز سيد الأهل، ونسخة رابعة خطية جمع المؤلف، وغير ذلك من المصادر التاريخية والأدبية والأخلاقية والمجاميع الحديثية.

كثيراً ما يحتفي الأكارم بالجود والإيثار، ويحتفلون بأصول الضيافة ورعاية حقوقها وآدابها العالية، وكلهم فرح بما يسدي.. مُستبشراً بما يقدم.. معاوذاً لصنائع الخير والمجد والاحسان.

بيد أن منهم من يتحدث عن هذه الروائع الأخلاقية بالثر والبيان المسترسل، ذاكراً لها ومُعجّباً بسنائها وبهائها، ومنهم من يتحدث عنها بأبيات من الشعر أو بقصيدة يعبر من خلالها عن مكنونات أحاسيسه ومشاعره الجياشة وآرائه وتصوراته عن مثل هذه الروائع وسموها وجمالها الأخاذ. ومنهم من يتحدث عنها بالثر والشعر معاً، وهم قليلون جداً إلى حدّ الندرة حسب ملاحظتنا لذلك بشيء غير قليل من التتبع والبحث والتدقيق.

وكمثال على هذا الأمر أن بين أيدينا مختلف الأشعار فيما يخصّ الجود والإيثار لكلّ من النابغة الذبياني وزهير بن أبي سلمى وحاتم بن عبد الله الطائي وعروة بن الورد وحسان بن ثابت والأخطل والكميت بن زيد وإبراهيم بن هرمة وأبي تمام الطائي والمنتبي وابن هانئ الأندلسي وغيرهم، ولكن أين نشاهد نثرهم حول ذات الموضوع؟

وبين أيدينا مختلف الصور الثرية فيما يخصّ الجود والإيثار لكلّ من أكثم بن صيفي وقيس بن سعد بن عبادة ومعاوية بن أبي سفيان والحسن البصري وإبراهيم بن سيابة والقاسم بن محمد أبي العيناء وغيرهم، ولكن أين تقع على شعرهم حول ذات الموضوع؟

ويقف أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) على رأس قمة الهرم من ظاهرة الجمع بين الشعر والثر فيما يتعلق بالإيثار والإحسان والكرم. وفي

الكتاب الذي بين أيدينا من الأدلة التي تثبت ذلك الشيء الكثير.

ومن الواضحات لدى العلماء والأدباء أن الذين يجمعون بين النثر البارع، وبين امتلاك الأداة الفنية للشعر قليلون، ومع هذا فالأمر الطبيعي أن الأكارم والأجواد من بين هؤلاء الذين يجمعون بين النثر والشعر جميعاً يكونون أقلّ وأنزر،^(١) ولا نعرف أحداً من بين هؤلاء الكبار من الجامعين بين النثر والشعر من لم يكن جواداً مفضلاً بحسب الواقع والفعل وأنه كان يقول الذي لا يعمل أو يطبق.

وأمر المؤمنين علي بن أبي طالب إضافة إلى كونه على رأس قمة الهرم من هذه الظاهرة الايجابية، كذلك هو الرائد الأول لها والقائد لمسيرتها الخلاقة، ومن يُشار إليه فيها ببنان الموضوعية والانصاف.

ومن أوائل الذين سلكوا منهاج إمام الأئمة في هذا المضمار الإمام الحسن بن علي سبط الرسول «صلى الله عليه وآله وسلم» وريحانته^(٢). وأخوه الإمام

١ - بل وثم عدد كبير جداً من الأجواد في أعصار وأزمان كثيرة من لم ينقل عنهم ما يعتد بمقداره من الشعر أو النثر حول الإيثار والنائل. وأولئك مثل هاشم بن عبد مناف، وعبد الله بن جذعان، وخديجة أم المؤمنين، وزينب أم المساكين أم المؤمنين، وعدي بن حاتم، وعبيد الله بن عباس بن عبد المطلب... الخ.

٢ - فمن شعر الحسن (عليه السلام) في الجود قوله المشهور:

إِنَّ السَّخَاءَ عَلَى الْعِبَادِ فَرِيضَةٌ

لِلَّهِ تَقْرَأُ فِي كِتَابِ مُحْكَمِ

وَعَدَّ الْعِبَادَ الْأَسْخِيَاءَ جَنَانَهُ

وَأَعَدَّ لِلْبَخْلَاءِ نَارَ جَهَنَّمَ

مَنْ كَانَ لَا تَنْدِي يَدَاهُ بِنَائِلِ

لِلرَّاغِبِينَ فَلَيْسَ ذَاكَ بِمُسْلِمِ

- ٣ -

إذا ما كان للنشر الفني بالغ الأثر حول الفضل والجود والإيثار وتحريك الناس حول اتخاذ الموقف الصحيح من هذه الظاهرة السنية، فلا ريب أن للشعر من بعض الجهات أثراً أبلغ وأعمق وذلك لتمكنه الخاص من إثارة العواطف واستدرار المشاعر والأحاسيس والتعبير الرهيف عن وصف حالات المآسي والكوارث التي تحل بالفقراء والمساكين والأيتام والمتضررين من الحروب والحصار الاقتصادي وغير ذلك.

هذا من جهة ومن جهة ثانية فإن له مجالاً وسیعاً أيضاً من حيث نعت وتوصيف ما يقوم به الكرماء والأجواد، وتسليط الأنوار الساطعة والزاهية على أدوارهم السامية والمشرقة والبارعة في إكرام الضيوف وحمل المغارم والقيام بالحوادث، وغير ذلك من آيات الكرم والاحسان. منضماً كل هذا إلى الافتخار الكبير والاعتزاز الناهض بالانتساب الجميل والانتماء العملي الأصيل إلى مصاف الكرماء والانسانيين في نزعاتهم وتوجهاتهم.

١ - ومن شعر الامام الحسين في الجود قوله (عليه السلام):

إذا جادت الدنيا عليك فجد بها

على الناس طراً قبل أن تتفَلَّتِ

فلا الجود يقنيها إذا هي أقبلت

ولا البخل يبقها إذا هي ولَّتِ

وفي هذا المعنى يقول الامام جعفر الصادق (عليه السلام) كما في مشكاة الأنوار ص: ٢٣٢: عجبت لمن يبخل بالدنيا وهي مقبلة عليه أو يبخل بها وهي مدبرة عنه، فلا الإنفاق مع الإقبال يضره، ولا الإمساك مع الأدبار ينفعه.

يقول لُبُّ الكَرِيمِ وقلبه وروحه : سأمنح مالي بَدلاً وَعطاءً و ينتفع به الناس ،
ويقول لُبُّ البَخِيلِ وقلبه وروحه : سأمنع مالي لَوْماً وحرصاً و تنتفع به ذاتي . ويقول
لُبُّ الكَرِيمِ وقلبه وروحه : ستشمل دائرة بذلي ورفدي كلَّ من تقدر يميني المديدة
المعطاء من الوصول اليه و نفعه وإكرامه ، وكلَّ من جاء طالباً من شتى الناس ،
ويقول لُبُّ البَخِيلِ وقلبه و لُبُّ نصف الكَرِيمِ وقلبه : سأمنع مالي ، وإذا ما قُدِّر لي
بذلٌ ورفدٌ فإنه لا يناله إلا بعض من جاء طالباً لا من شتى الناس ، بل من الذين
تحسب حساباتٍ طويلة وعريضة وكثيرة لهم ، وللإستفادة من العطاء قبل أن تصل
أيديهم إليهم أو تكساد أن تصل .. وعلى رابطة المَنحِ والمَنعِ يمتاز الأَخيارُ
مِنَ الأشرار والطيبون من الخنازير .

ولا ريب أن المنطق السليم يدعو إلى الالتفات والانتباه إلى الأولوية في
الارفاد والتكريم ، ولكن الأمر لا يبلغ إلى أن يوصف الكَرِيمُ بأنه ذلك البَخِيلُ أو
اللثيم أو ذو اليد المقبوضة Closed Fasted . وأما البخلاء ومن هم على طرازهم
وشاكلتهم فإن الأمر يبلغ بهم إلى الاتصاف برذيلة البخل والشح واللؤم والتجهم
والالتواء في المواعيد المعسولة تلقاء السائلين والمحتاجين ، وإزاء من ينبغي -
بحقٍ وعدلٍ - أن يُحسن إليهم ويكرموا ويُسابوا .

أَمِثْلَةُ خَالِدَةَ

أنا ابنُ ذِي الحَوْضَيْنِ عبدِ المَطْلَبِ

في تاريخ الطبري ، وأغاني الأصفهاني : أنه كان صاحب لواء قريش كبش

٤٥٠..... فلسفة الجود والإيثار أدنى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
الكتيبة طلحة بن أبي طلحة العبدي^(١) نادى: معاشر أصحاب محمد إنكم
ترعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار، ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة؛ فهل
منكم من أحد يبارزني؟

قال قتادة: فخرج إليه علي وهو يقول:

أنا ابنُ ذي الحَوْضَيْنِ عبدِ المطلبِ وهاشمِ المُطعمِ في العامِ السَّغبِ

قال: فضربه علي (عليه السلام) فقطع رجله فبدت سواته، وهو قول ابن
عباس والكلبي، وفي روايات كثيرة أنه ضربه في مقدم رأسه فبدت عيناه قال:
أنشدك الله والرحم يا ابن عم. فانصرف عنه: ومات في الحال، ثم بارزهم حتى
قتل منهم ثمانية^(٢)(٣).

كثيراً ما تفتخر جماهير من الناس بأبائهم وأجدادهم وأهلهم لانتمائهم
اليهم نسبياً، ولا شيء ما وراء ذلك من قيم بناءة ومواصفات خلاقية. أما أمير
المؤمنين علي بن أبي طالب فإنه كإمام في الدين وباب لمدينة علم الرسول
«صلى الله عليه وآله وسلم» وصاحب مدرسة كبرى في التربية والأخلاق
والسلوك، فقد نأى بنفسه وبفكره عن مثل هذا الافتخار الشائن والاعتزاز العقيم،
إنه إذا ما استدعته بعض الملابس والمناسبات الملحة إلى الافتخار بالأباء
والأجداد والأسرة والقبيلة، فإنه يفتخر افتخار العليم، ويصحر عن اعتزازه
الكبير بمن كانوا أفضل الأمثلة المشرقة والأقمار الزاهرة للخير والسمو والمروءة
والشهامه والوفاء والكرم وأعمال البر والاحسان.

١- العبدي: نسبة إلى آل عبد الدار بن قصي وهم فخذ من قبيلة قريش.

٢- حتى قتل منهم ثمانية أي الذين يتعاقبون على حمل اللواء إضافة لما قتل من غيرهم.

٣- بحار الأنوار ٤١ / ٨٢.

أنا علي وابن عبد المطلب نحنُ لَعَنُ اللهُ أولَى بالكُتُبِ

منا النبيُّ المصطفى غير كذب أهلُ اللوائِ والمقامِ والحُجُبِ

نحن نصرناه على جُلِّ العربِ (١).

أو يفتخر على النهج السديد لتلك الأبيات الشهيرة من الشعر الصحيح النسبة إليه، والتي قالها أيام خلافته الإلهية؛ معتزاً بأكرم قبيل وأشرف أسرة وأزكى أصولٍ على وجه الأرض، ومشيداً بقبساتٍ مضيئةٍ من تلك الفضائل السامقة والمناقب الشماء:

محمد النبي أخى وصنوي وحزمة سيد الشهداء عمي

وجعفر الذي أضحى وأمسى يطير مع الملائكة ابنُ أمي

وبنت محمد سكني وعرسي منوطٌ لحمها بدمي ولحمي

وسبوا أحمد ولداي منها فأئكمُ له سهم كسهمي

سبقتكم إلى الإسلام طراً على ما كان من فهمي وعلمي

وأوجب لي الولاء معاً عليكم رسول الله يوم غدير خم

فويل ثم ويل ثم ويل لمن يلقى الإله غدا بظلمي (٢)

لقد افتخر الإمام علي بن أبي طالب في البيت المتقدم (أنا ابنُ ذي الحَوْضَيْنِ ..) باعتزائه نَسَبِيًّا إلى القميتين الشامختين عبدِ المطلب وهاشم بن عبد

١ - نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين / ٢٧٣.

٢ - ذكرت هذه الأبيات في مصادر كثيرة، ونص المتن قد نقلناه من كتاب «الفصول

المختارة» للشيخ المفيد / ٢٨٠.

٤٥٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

مناف. ومجالات الافتخار بهما كثيرة، إلا أنه اقتصر على الصفة العليا التي كان يتصف بها اتصافاً قوياً جداً ويهتز إعجاباً واکراماً لمن يعمل بها ألا وهي صفة الكرم. وأحد القميتين: هاشم بن عبد مناف، ونقول بصدق وموضوعية: هاشم وما أدراك ما هاشم! هاشم العقل الجبار والهمة العظيمة والشباب الممتزن، هاشم المجد الرفيع والشرف الباذخ والعلاء الباسق، هاشم النبل والعطاء والكرم والإيثار والتضحية.

رحل هاشم بن عبد مناف إلى الشام فنزل بقيصر، فكان يذبح كل يوم شاة ويصنع جفنة من ثريد ويدعو الناس فيأكلون، وكان هاشم من أحسن الناس خلقاً وتاماً؛ فذكر لقيصر وقيل له: ها هنا شاب من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرغ عليه اللحم ويدعو الناس. وإنما كانت الأعاجم والروم تصنع المرق في الصحاف ثم تأتدم عليه بالخبز؛ فدعا به قيصر فلما رآه وكلمه أعجب به، وجعل يرسل إليه فيدخل عليه، فلما رأى مكانه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر، وأن يكتب لهم كتب الأمان فيما بينهم وبينه؛ ففعل. فبذلك ارتفع هاشم من قريش^(١).

وكان هاشم إذا أهل هلال ذي الحجة يأمر الناس بالاجتماع إلى الكعبة فإذا اجتمعوا قام خطيباً ويقول: معاشر الناس إنكم جيران الله وجيران بيته، وإنه سيأتيكم في هذا الموسم زوار بيت الله وهم أضياف الله والأضياف هم أولى بالكرامة، وقد خصكم الله تعالى بهم وأكرمكم، وإنهم سيأتونكم شعناً غبراً من كل فج عميق، ويقصدونكم من كل مكان سحيق؛ فاقروهم واحموهم وأكرموهم يكرمكم الله تعالى. وكانت قريش تخرج المال الكثير من أموالهم، وكان هاشم ينصب أحواض الأديم ويجعل فيها ماء من ماء زمزم، ويملي باقي الحياض من

سائر الآبار بحيث تشرب الحاج وكان من عاداته أنه يطعمهم قبل التروية بيوم، وكان يحمل لهم الطعام إلى منى وعرفة، وكان يثرد لهم اللحم والسمن والتمر ويسقيهم اللبن، إلى حيث تصدر الناس من منى ثم يقطع عنهم الضيافة. وكان بأهل مكة ضيق وجدب وغلاء، ولم يكن عندهم ما يزودون به الحاج؛ فبعث هاشم إلى نحو الشام أباعر فباعها واشترى بأثمانها كعكاً وزيتاً، ولم يترك عنده من ذلك قوت يوم واحد، بل بذل ذلك كله للحاج فكفاهم جميعهم، وصدر الناس يشكرونه في الآفاق^(١)(٢).

١ - بحار الأنوار ١٥ / ٣٨ باب ١ - بدء خلقه وما جرى له..

٢ - وتدلنا الأبيات التالية التي رثى بها الشاعر الجاهلي المجيد مطرود بن كعب الخزاعي

هاشما على مدى كرمه وقيض احسانه:

يا عين جودي وأذري الدمع واحتفلي	وابكي خبيئة نفسي في الملمات
وابكي على كل فياض أخي حسب	ضخم الدسيعة وهاب الجزيلات
ماضي الصريمة عالي الهم ذي شرف	جلد النخيزة حمال العظيمات
صعب المقادة لا ينكس ولا وكيل	ماض على الهول متلاف الكريعات
محض توسط من كعب إذا نسبوا	بحبوحة المجد في الشم الرفيعات
فابكي على هاشم في وسط بلقعة	تسقي الرياح عليه وسط غزات
يا عين بكى أبا الشعث الشجيات	يبكيه حسرا مثل البنيات
يبكين عمرو العلاء إذ حان مصرعه	سمح السجية بسام العثيات

ومن شعر أبي طالب بن عبد المطلب في هذا الصدد أثناء مدحه للرسول محمد «صلى الله عليه وآله وسلم»:

أنت النبي محمد	قرم أغر مسود
لمسودين أكارم	طابوا وطاب المولد
نعم الأرومة أصلها	عمرو الخضم الأوحد
هشم الربيكة في الجفان	وعيش مكة أنكد
فجرت بذلك سنة	فيها الخبيزة تسرد
ولنا السقاية للحجيج	بها يماث المنجد

٤٥٤..... فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

والقمة الثانية التي افتخر به الإمام علي: عبد المطلب ذو الحوضين الذي يسقي الناس ويروي الحجيج وهم أحوج ما يكون إلى ما يبيل الأكباد الظامية ويشفي الغليل المتلهب، في أرض خشناء جرداء غليظة مقفرة يباب، لا يقصدها إنسي، ولا يشتاقيها مسافر، ولا يعطف نحوها غريب، ولا يقطنها محب للعيش الرغيد، لولا ما بها من بقعة طاهرة مقدّسة قد آثرها الله عز وجل واصطفاها وبارك لها وفيها وعليها. يؤمّها الناس بوجدٍ ولهفةٍ واشتياقٍ، ويترامون إليها من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم وليطوّفوا بالبيت العتيق.

قال عبد الله بن عباس (رض): والله إنه أول من سقى بمكة ماء عذبا، وجعل باب الكعبة ذهاباً لعبد المطلب^(١).

وقال الزبير بن بكار على الرغم من تعصبه ضد بني هاشم وانحرافه عنهم: ومكارم عبد المطلب أكثر من أن يحاط بها كان سيد قريش غير مدافع نفساً وأباً وبيتاً وجمالاً وبهاءً وكمالاً وفعالاً...

لا تتبع نعم بلا

وقال علي بن أبي طالب (عليه السلام) كما في الديوان وغيره ما يلي:

مَا وَدَّئِي أَحَدٌ إِلَّا بَذَلْتُ لَهُ

صَفْوَ الْمَوَدَّةِ مِنِّي آخِرَ الْأَبَدِ

ولا قلاني وإن كان المسيء بنا

إلا دعوت له الرّحمن بالرّشد

ولا اتّمنت على سرّ فبعت به

ولا مددت إلى غير الجميل يدي

ولا أقول نعم يوماً فأتبعه

بسلا ولو ذهبت بالمال والولد

الأبيات كلها تنصُّ على الوفاء المائز، ولا فرق بين بيت وآخر من حيث المؤدى الأخلاقي الخاص، فمقابلة المودة بالمودة في البيت الأول تدلُّ على الوفاء العميق، ودعوة الرّحمن تعالى لمن قلبي أي بعد المودة المذكورة في البيت الأول تدلُّ على الوفاء العميق، والائتمان على السرّ في البيت الثالث يدلُّ على الوفاء العميق، وعدم اتباع نعم بلا في البيت الرابع يدلُّ على الوفاء العميق كذلك.

إن الاصرارَ الحرَّ في رابع الأبيات على إنفاذ الموعد، والنأي الشجاع عن اخلاف الموعد المقدّس.. إنما هو لون رفيع من ألوان الجود وكرم النفس. وهكذا يكون الجواد المفضل في ميسس الحاجة إلى مقوّمات صلبة ومتعددة لبناء صرح الجود والإيثار، ومن بين تلك المقوّمات: الشجاعة المتقدمة والوفاء الثابت.

سأمنح مالي كلَّ من جاء طالباً

وقال الامام (عليه السلام) كما في الديوان وغيره كذلك:

سأمنح مالي كل من جاء طالباً
وأجعلُه وقفاً على القرض والقرض

فإما كريم صنت بالمال عرضه
وإما لثيم صنت عن لومه عرضي

أخذ أسماء بن خارجة الفزاري (من الزعماء والأدباء في العصر الأموي)
هذا المعنى فقال: ما أحب أن أurd أحداً عن حاجة طلبها إن كان كريماً صنت
عرضه عن الناس، وإن كان لثيماً صنت عنه عرضي^(١).

إنَّ الكَريمَ إذا حباكَ بموعِدٍ

وقال إمام الأئمة علي (عليه السلام):

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله
عوضاً ولو نال المنى بسؤال

وإذا السَّؤال مع النَّوال وزنته
رجح السَّؤال وخفَّ كلَّ نوال

وإذا ابتليت ببذل وجهك سائلاً
فأبذله للمتكرِّم المفضل

إنَّ الكَريمَ إذا حباكَ بموعِدٍ
أعطاكه سلساً بغير مطال

١ - مما يؤسف له جداً أن يشهد أسماء بن خارجة المعركة مع عمر بن سعد مناهاضاً
للحسين بن علي (عليه السلام)؛ فيكون ممن عصى الخالق تبارك وتعالى لإرضاء المخلوق.

كَأَنَّ الأَمِيرَ الكَرِيمَ سَعِيدَ بَنِ العَاصِ الأَمَوِي - وَهُوَ سَيِّدُ أَجْوَادِ بَنِي أُمِيَّةٍ فِي وَجْهَةِ نَظَرِنَا - قَدْ أَخَذَ مَضمُونِ البَيْتِ الأَوَّلِ وَالثَّانِي قَائِلًا: المَعْرُوفُ عَوْضٌ مِنْ مَسْأَلَةِ الرَّجُلِ إِذَا بَذَلَ وَجْهَهُ، فَقَلْبُهُ خَائِفٌ، وَفَرَائِصُهُ تَرَعْدُ، وَجَبِينُهُ يَرشَحُ، لَا يَدْرِي أَيُّرْجَعُ بِنُجْحِ الطَّلَبِ، أَمْ بِسُوءِ المُنْقَلَبِ^(١).

المطلُّ شرٌّ من البخل

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

إذا اجتمع الآفاتُ فالبخلُ شرُّها

وشرٌّ من البخلِ المواعيدُ والمطلُّ

ولا خيرَ في وعدٍ إذا كان كاذباً

ولا خيرَ في قولٍ إذا لم يكن فعلُ

لماذا اعتبر علي (عليه السلام) المواعيدَ والمطلَّ شرّاً من البخلِ؟

والجواب: لأنَّ المواعيدَ التي لا ينجزها صاحبها في حَيِّزِ الممارسة والتطبيق إنما هي بخلٌ وزيادة عليه، وتتمثلُ الزيادة عليه بالأذى والمعاناة التي تلحق بالأفراد أو بالجماعات الموعودة وأحياناً بالشعب أو الشعوب الموعودة بالخير والعطاء والسماحة، فكم من أمةٍ مَعْفَلَةٌ أو مُغْلُوبَةٌ على أمرها قد وعدتها الاستعمار وتجار الضمائر بالنعمة والرفاه وتحسين الأوضاع ورفع مستوى الدخل القومي، ثم لا ترى من المواعيد إلا رسمها ولا تسمع إلا رنين أفاظها المعسولة. ويشكّل ذلك لها انتظاراً لا جدوى معه، وصبراً لا فرج يستتبعه، وأملاً

٤٥٨ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ضبابياً لا منفعةً تتلوه أو تحدوه. وبالتالي لا يرى المنتظرون ما يرتجون، ولا
يشخص أمامهم إلا تمثال البخل قائماً مهيباً كأنه ركن الليل البهيم.

ولا تصدر مثل هذه المواعيد التي لا ينجزها صاحبها ولا ينزلها إلى حيز
الممارسة والتطبيق عن أفاضل الناس وكرامهم والمحسنين منهم، إلا في حالات
شاذة تعتاقهم فيها عوائق الظروف والملابسات الشديدة المستعصية على الحل..

نعم تصدر مثل هذه المواعيد التي لا ينجزها صاحبها عن شأنهم البخل
والمنع، وسجيتهم الرذيلة والكذب والخيانة.

حَقًّا إِنَّ أَكْذَبَ النَّاسِ بَخِيلٌ يُكْثِرُ الْمَوَاعِيدَ. وَأَعْدَرُ النَّاسِ لَثِيمٌ يُتَّقِنُ
الْمُطَاطَلَةَ.

وإذا ما كان الأمر الصحيح هو أن لا خير في وعدٍ إذا كان كاذباً فإن أفاضل
الناس وكرامهم والمفضلين منهم يأنفون من هذه الرذيلة.

وإذا ما كان الأمر الصحيح لا خير في قولٍ إذا لم يكن فعلٌ، أو كما قال رسول
الله «صلى الله عليه وآله وسلم»: يا علي لا خير في قولٍ إلا مع الفعل^(١). فإن
أفاضل الناس وكرامهم والمحسنين منهم يأنفون من هذه الضعة والصغار،
ومسارهم ما قاموا وما قعدوا متمثلاً بقول علي (عليه السلام):

ولا أقول نعم يوماً فأتبعه

بِلا ولو ذهبَت بالمال والولد

وأما البخلاء واللثام فلو كان من ديدنهم الترفع والتسامي عن هذه الضعة
والتسامي عن الصغار، لترفعوا وتساموا ولو إلى حدٍّ قليل عن مرض البخل وداء

ونختم هذا الموضوع بأن نقول : مواعيدك شخصيتك فزيئها بالصّدق
والوفاء . وأن نقول أيضاً : مطلُ المواعيد ترسيم الزانيات .

إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفتنى

- قال الغزالي : قال علي : إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها؛ فإنها لا تفتنى،
وإذا أدبرت عنك فأنفق منها؛ فإنها لا تبقى، وأنشد :

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلَةٌ
فليس ينقصها التبذير والسرفُ

فان تولّت فأحرى أن تجود بها
فالحمدُ منها إذا ما أدبرت خَلْفُ

رفع التعارض

لقد كرر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب النهي عن التبذير والسرف في
العديد من الكلمات والأحاديث تبعاً لنهي القران الكريم والرسول الأمين « صلى
الله عليه وآله وسلم ». إذا فكيف يظهر من قوله (عليه السلام) :

لا تبخلنَّ بدنيا وهي مقبلَةٌ
فليس ينقصها التبذير والسرفُ

الدعوة إلى التبذير والسرف أو على الحد الأدنى عدم المبالاة والاهتمام

بذلك؟

ويقع جوابنا ضمن الفرضيات والسياقات الاحتمالية التالية:

١ - كثيراً ما يشيع بين بعض الطبقات البسيطة من المجتمعات المختلفة وكذا بين كثير من البخلاء والأشحاء كون المراحل المتقدمة والرفيعة من الجود والنوال سرفاً وتبذيراً؛ فالإمام هنا ليس بصدد الحديث عن السرف والتبذير بواقعهما، بل بما ينظر إليهما ويفكر بهما من قبل هؤلاء وهؤلاء.

٢ - ليس الإمام هنا بصدد الحديث عن السرف والتبذير بواقعهما بل يعني بهما ما يقابل البخل والشح، ويدل على هذا المعنى قوله (عليه السلام) في صدر البيت: لا تبخلنَّ بدنيا ...

٣ - يعتبر الامام أن الدنيا اذا أقبلت بخيراتها وسعودها وبركاتها فانه لا ينقصها التبذيرُ والسرفُ على فرض وجودهما في الواقع وبالفعل لدى بعض الناس وإن كان على حساب صحة العمل وسداد التفكير، إذا فكيف ينقصها ما دون ذلك من الإتفاق والبذل والعطاء.

كلامك أحب إلي من عطائك

أتى رجل الى علي (عليه السلام) وقال له: قد عيل صبري فأعطني.

قال: أنشدك شيئاً أم أعطيك؟

فقال: كلامك أحب إلي من عطائك فقال:

إن عَضَّكَ الدَّهْرُ فَانْتَظِرْ فَرَجاً

فَإِنَّهُ نَازِلٌ بِمَنْتَظِرِهِ

أَوْ مَنَّا الضُّرُّ أَوْ بَلَّيْتُ بِهِ

فَاصْبِرْ فَإِنَّ الرِّخَاءَ فِي أَثَرِهِ

مَنْ مَارَسَ الدَّهْرَ ذَمًّا صَحَبَتْهُ

وَنَالَ مِنْ صَفْوِهِ وَمَنْ كَدَّرَهُ

إِنَّ فِي قَوْلِ الرَّجُلِ: كَلَامَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَطَائِكَ، دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ شِعْرَ عَلِيٍّ سِوَاهُ كَانَ فِي الْجُودِ أَوْ فِي غَيْرِهِ كَانَ مَرغُوبًا فِيهِ وَمَحَبَّةً إِلَى نَفُوسِ المَجْتَمَعِ؛ فَلَقَدْ رَجَحَهُ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى المُنْحَةِ والعَطَاءِ عَلَى الرِّغْمِ مِنْ حَاجَتِهِ المَاسَّةِ الَّتِي عَبَّرَ عَنْهَا بِقَوْلِهِ: قَدْ عَيْلَ صَبْرِي فَأَعْطِنِي. وَلَا يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ أَنَّ المَقْصُودَ بِقَوْلِ الرَّجُلِ: كَلَامَكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عَطَائِكَ. نَثَرَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَحَادِيثَهُ؛ وَذَلِكَ يَعْرِفُ مِنْ مَرَاجَعَةِ كَلَامِهِ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) فَإِنَّهُ قَالَ: أَنشَدَكَ شَيْئًا أَمْ أُعْطِيكَ؟ وَإِنْ كَانَ نَثَرَ عَلِيٌّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَأَحَادِيثَهُ فِي قِمَّةِ النَثْرِ والحَدِيثِ وَمِمَّا تُضْرَبُ الأَمْثَالُ فِي طُولِ التَّأْرِيخِ بِفَائِقِ جُودِ تَهُمَا وَقُوَّتَهُمَا، وَبِرَاعَةِ حَسَنُهُمَا وَجَمَالَهُمَا.

الجود نور زاهر وسناء زاهي

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

اللَّهُ أَكْرَمَنَا بِنَصْرِ نَبِيِّهِ

وَبِنَا أَقَامَ دَعَائِمَ الإِسْلَامِ

وَيَزُورُنَا جِبْرِيلُ فِي أَسْيَانِنَا

بِمَفْرَاطِ الإِسْلَامِ والأَحْكَامِ

إِنَّمَا لَنَمْنَعُ مَنْ أَرَدْنَا مَنَعَهُ

وَنَجُودُ بِالمَعْرُوفِ لِلْمُعْتَمَدِ

ذكر كثير من المؤرخين والأدباء ومن بينهم ابن عساكر في المجلد الثاني والأربعين من تأريخ مدينة دمشق، والموفق المكي الحنفي أخطب خوارزم في كتابه المناقب، في روايته عن المفسر المعتزلي العلامة محمود بن عمر الزمخشري بإسناده المتصل عن التابعي الثقة المعتمد عبد خبير أنه قال: اجتمع عند عمر جماعة من قريش فيهم علي بن أبي طالب، فتذاكروا الشرف وعلي ساكت فقال عمر: مالك يا أبا الحسن ساكت؟ وهو ساكت، فكأن علياً كره الكلام. فقال عمر: لتقولن يا أبا الحسن. فقال علي:

الله أكرمنا بنصر نبيّه وبنا أقام دعائم الإسلام

إلى آخر الآيات ومنها البيت التالي:

إننا لنمنع من أردنا منعه وتقيم رأس الأصيد القمقام^(١)

وفي رواية ديوان الإمام علي، وغيره:

إننا لنمنع من أردنا منعه ونجود بالمعروف للمعتم

وقد ذكر ابن عساكر هذا البيت وفيه: ونجود بالمعروف والإنعام، بدلاً عن ونجود بالمعروف للمعتم.

هذا البيت الشعري الجميل الصادق يكشف عن المكانة القدسية المرموقة للجود في النظرية التربوية للإمام علي بن أبي طالب، وعن تسميته الكبير وتبجيله لهذه الصفة الأخلاقية السامية من صفات البيت النبوي الكريم، والتي لم تفارقه أبداً في السراء والضراء والبؤس والنعيم. والعجيب أن الامام ينطق بهذا البيت الشعري وهو يشيد بمناقب الأسرة النبوية وفضائلها، وينشده جنبا إلى

جنب مع المناقب والفضائل العليا لها، مثل التميز بنصرة النبي « صلى الله عليه وآله وسلم » والجهاد بين يديه، ومثل إقامة دعائم الاسلام، ومثل الزيارات الكثيرة التي يتردد بها جبرئيل (عليه السلام) عليهم، ومثل تنزل القرآن العظيم في منازلهم. الأمر الذي يمنح فيه الامام صلوات الله عليه لسجية الجود قوةً خلاقةً .. ومعنويةً كبرى .. وروحيةً سنيّةً .. وشفافيةً قدسيّةً .. ونوراً زاهراً .. وسناءً زاهياً .. ومزيداً وافياً كافياً من الشرف الأصيل المتقدّم وسمو الرتبة والمقام.

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

يَعْرُ غَنِيُّ النَّفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ

وَيَغْنَى غَنِيَّ الْمَالِ وَهُوَ ذَلِيلٌ^(١)

وَلَا خَيْرَ فِي وَدِّ امْرِيءٍ مَتَلُونُ

إِذَا الرِّيحُ مَالَتْ مَالٌ حَيْثُ تَمِيلُ

جَوَادٌ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْ أَخْذِ مَالِهِ

وَعِنْدَ احْتِمَالِ الْفَقْرِ عِنْدَكَ بِخَيْلُ

فَمَا أَكْثَرَ الإِخْوَانَ حِينَ تَعُدُّهُمْ

وَلَكِنَّهُمْ فِي النَّائِبَاتِ قَلِيلُ

١ - هذا الشعر من أبيات الإمام علي الشهيرة في كتب الأدب والسيرة أولها:

صنِّ النَّفْسِ واحْمَلْهَا عَلَيَّ مَا يَزِينُهُ

تَعَشُّ سَالِماً والقول فيك جميلُ

غني النفس وغني المال

يَعزُّ غَنِيُّ النَفْسِ إِنْ قَلَّ مَالُهُ

وَيَغْنِي غَنِيُّ الْمَالِ وَهُوَ ذَلِيلٌ

قد يكون من الواضحات أنه يبقى غني النفس غنياً سواء كثر ماله أو قل، ولكن هل في قول الإمام: يعزُّ غني النفس إن قلَّ ماله ما يدل على أنه يشترط في غني النفس قلة المال (إن قلَّ ماله)؟

الجواب: يعني الإمام أن غني النفس يبقى غني النفس وإن قلَّ ماله، فحذفت «الواو» من أجل إقامة الوزن الشعري لأكثر.

على أنه لا مانع من أن نستفيد من عجز البيت لايضاح المقصود (ويغني غني المال وهو ذليل)، فغني المال إذا كان في حالة مزرية ودنيئة من فقر النفس وضعتها؛ فانه يعيش المذلة والهوان.

ويكون المحصل من البيت صدراً وعجزاً: أن الانسان الكبير القيمة - بحسب الواقع - غني بنفسه، وإن أصبح قليل المال، وأن الفقير فقير بنفسه وإن أصبح كثير المال.

ولأمير المؤمنين علي (عليه السلام) كلمات كثيرة حول الغنى والفقر والتأكيد على معنى غني النفس وفقرها نذكر منها شيئاً يسيراً نقلاً عن كتاب غرر الحكم لعبد الواحد التميمي الآمدي (رض):

- أغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً.

- ليس لحرص غناء.

- الصبر على الفقر مع العز أجمل من الغنى مع الذل.

- الفقر الفادح ، أجمل من الغنى الفاضح.

- أفقر الناس من قتر على نفسه مع الغنى والسعة وخلفه لغيره.

الجودُ الكاذب من سمات التلون

في البيت الثالث من الشعر (ولا خيرَ في ودِّ امرئٍ متلوّنٍ ..) ينصح أمير المؤمنين علي (عليه السلام) بالابتعاد عن الصديق المتلوّن ، وينفي عنه الخيرية والأهليّة للأخوة والصدّاقة . ولعل من الأسرار الأساسية في ذلك أن من المتوقع جداً أن طبيعته التعلبية المتلوّنة قد تحوله إلى عدوّ لدود في الباطن ، أو في الباطن والظاهر ، تبعاً لما يرى من نفعٍ قريبٍ ومصالحٍ شخصيةٍ دانية المنال ، حتى وإن كانت محدودةً وضيئلة الفائدة له .

أما الحديث عن السمات الرئيسية للتلوّن فليس هنا مجال للاسهاب فيه أو التطرق إليه وله مجال آخر ، بيد أنه من الضروري الحديث ولو موجزاً عن إحدى السمات الرئيسية فيه طبقاً لما ورد في الثالث من الأبيات : (جوادٌ إذا استغثت عن أخذ ماله ..) . فالمتلون ليس من تلوّن في أقواله وكلماته وعباراته الجذابة فحسب ، بل من تلوّن في تصرفاته وأعماله ومعاملاته أيضاً ، ولعلها أشدّ وأقبح من الأولى . فمن كان جواداً في ادعائه أمام الأصدقاء في زمان استغنائهم عنه ، وبخيلاً عليهم بالفعل في وقت الحاجة إلى جوده وإحسانه فهو البخيل حقّ البخل ، والمتلون حقّ التلوّن ، والماكر المخادع حقّ المكر والمخادعة .

مِنْ الرِّجَالِ

وقال أمير المؤمنين علي (عليه السلام):

لَنَقُلَّ الصَّخْرُ مِنْ قَلَلِ الْجِبَالِ

أَحَبُّ إِلَيَّ مَنْ مِنْ الرِّجَالِ

يَقُولُ النَّاسُ لِي فِي الْكَسْبِ عَارٌ

فَنَقَلْتُ الْعَارَ فِي ذُلِّ السُّؤَالِ

وَلَمْ أَرَ فِي الْخَطَرِ أَشَدَّ هَوْلًا

وَأَصْعَبَ مِنْ مَقَالَاتِ الرِّجَالِ

لابدّ لمستطلع الفلسفة الأخلاقية والروحية اذا ما تحدّث عن الجود والإحسان والإيثار؛ أن يفحص بقوة وطلاقة منذ البداية عن ضرورة الابتعاد عن الحالة الرديئة العاتمة التي يقال لها المنّ، ذلك السخف الذي يتجافى عنه الكرام والفضلاء، وقد يخجل منه حتى الذين يرتكبونه ويعملون على أساسه من اللثام والأشحاء، ومن ليس يشغلهم شيء كما تشغلهم الأنانية Egoisme والحبّ الشديد للذات المؤكّد عليها بقوة في كل المجالات.

تتأتى ضرورة الابتعاد عن المنّ من الأسباب الرئيسية التالية:

١ - أهمية خلاص الجود والإحسان من كلّ شائبة تكدر صفوه ونقاؤه وزكاته، والمنّ من أشدّ ما يكدر الصفو ويديف العذب بالملح. ومن المعلوم لدى التحقيق أنّ للجود والإحسان والغيريّة Altruisme المكانة المرموقة ما بين الذين يتحلّون به، وما بين الذين لا يتحلّون معاً. والمنّ سبب حادّ لتنقيص أهميته

المرموقة، ومكانته الرفيعة بين الناس. وبمعنى آخر: إن المنَّ إساءةٌ صارخةٌ للجود والإحسان وأعمالِ البرِّ بالذات قبل الإساءة للآخرين.

٣ - المنُّ استردادٌ غير مشروع لبطاقة البرِّ والإحسان. وهل المنُّ إلا الاعتداء الشديد على من تفضلت عليه.

٤ - إنَّ للجود والإحسان مقاماً عليّاً يوم العرض على الله، يثاب عليهما الفاعل الفاضل ثواباً جزيلاً، ويسببان له الجواز على الصراط في مواقف تزلُّ بها الأقدام. بينما يشكُّلُ المنُّ منزلقاً خطيراً في طريق الجزاء الأوفى؛ قال عزَّ من قائل: «يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ»^(١).

وإذا كان السعيد من أخلص الطاعة، على حدِّ تعبير الإمام عليِّ بن أبي طالب. إذا فالمنُّ ليس من الإخلاص لله تبارك وتعالى ولا للناس في شيء.

٥ - المنُّ يعبِّر عن النفسية الضعيفة المتهافتة، والأخلاقية المتردِّية في وحول الدناءة والحقارة والصغار.

إذا لا بدع أن يتحدَّث المنظرُ الالهيُّ الكبيرُ الإمام عليُّ بن أبي طالب (سَلامُ اللهُ عَلَيْهِ) ناهياً عنه نهْيَ العارف الحكيم، رادعاً رَدْعَ الناصح الأمين. ومن جملة ما قاله المنظرُ الالهيُّ الكبيرُ في ذلك:

١ - المنُّ مفسدة الصنعة .

٢ - المنُّ ينكّد الإحسان .

٣ - المنُّ يفسد الإحسان .

٤ - اللثيم من كثر امتنانه .

٥ - ثلاثة لا يكلمهم الله تعالى: المتان الذي لا يعطي شيئاً إلا يمتنه، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالأيمان الفاجرة .

٦ - جمال الإحسان ترك الامتنان .

٧ - خير المعروف ما لم يتقدمه مطل، ولم يعقبه من .

٨ - أحيوا المعروف بإماتته؛ فإنَّ المنَّة تهدم الصنعة .. الخ

« الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتَّبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتَّبِعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ »^(١) .

مجالس اللثام ومجالس الكرام

وقال الإمام علي (عليه السلام):

تَنْزَهُ عَنِ مَجَالِسِ اللَّثَامِ

وَأَلِمُّ بِالْكَرَامِ بَنِي الْكَرَامِ

ولا تحسد على المعروف قوماً

وكن منهم تنل دار السلام

وثق بالله ربك ذي المعالي

رذي الألاء والتعم الجسام

ما هو الفارق الجوهرى ما بين المُجالستين مجالسة اللثام ومجالسه الكرام، الذي حدا بالمربي الالهى الكبير (سَلَامُ اللهِ عَلَيْهِ) أن ينهى أو يزجر عن الأولى، ويأمر أو يدعو الى الثانية؟

الجواب: لا ريب أن لسير المجالس والنوادي في أبعاد سكناتها وحركاتها وأخذها وردّها أثراً بليغاً جداً على الحاضر فيها والمخالط لها، إن حقاً ورشداً وسمواً، وإن باطلاً وضلالاً وانحطاطاً. وهذا الشيء معلوم الصحة والسداد بحكم العقل والمنطق، وبحكم التجارب الاجتماعية والسياسية الكثيرة جداً.

وإذا ما كانت الأدلة العقلية والنقلية مجتمعة على عمق تأثير الصديق والقرين، فتكاد أن تصب كل هذه الأدلة في تأثير وتأثر بوتقة مجالس الكرام واللثام. لا نعني بذلك أن لا تأثير وتأثر للصديق والقرين إلا في حدود مجالس الكرام واللثام، بل نعني أن هذه المجالس بشكل عام تقع وقوعاً ملموساً ضمن السياقات الامتدادية الشاسعة للأصدقاء والقرناء.

فماذا ينتظر المنتظرون ممن يكثر ولو اكتثراً محدوداً نسبياً من الحضور والمشاركة في مجالس اللثام، إلا أن يصبح تلقائياً حلقة من سلسلة سوداء قاتمة من حلقاتهم في الدناءة والحقارة والأثانية والانسانية وكل ما يقبح ويشين ويهين.

وماذا ينتظر المنتظرون ممن يكثر ولو اكتثراً محدوداً نسبياً من الحضور

٤٧٠..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام) والمشاركة في مجالس الكرام، إلا أن يصبح تلقائياً حلقة من سلسلة بيضاء مشرقة من حلقاتهم في السماحة والكرامة والرفعة والانسانية وكل ما يجمل ويزين ويروق.

حقاً إن الفارق الجوهرى ما بين المُجَالَسَتَيْنِ: مجالسة اللئام ومجالسة الكرام، هو قريب الشبه والمماثلة في الفارق الجوهرى ما بين الظلمات والنور، والظُلِّ والخُرور، والأشواك والزهور.

لا حَسَدَ عَلَى الْمَعْرُوفِ

ولنعد الى البيت الثانى من أبيات إمام الأئمة (عليه السلام) شرحاً وتعليقاً:

ولا تحسذ على المعروف قوماً

وكن منهم تنل دار السلام

من المستساغ أن نقسم الحسد الواقع ما بين الناس الى قسمين:

١- الحسد على أشياء تعجبهم وتحسن في أعينهم بيئد أنهم لا يمكنهم الوصول إليها وبلوغ مكائنها المتصورة لديهم. وذلك مثل الحسد على الجمال من قبل من لا يمتلكه أو من قبل من يمتلك دون مستواه، والحسد على الرسالة والنبوة والامامة المنصوصة من الله، من قبل من لم تختره السماء وتصطفه لها...

٢- الحسد على أشياء تعجبهم وتحسن في أعينهم بيد أنهم يمكنهم الوصول إليها وبلوغ مكائنها المتصورة لديهم، ولكنهم إما لا يشعرون بتلك الامكانية، أو يقعدهم الكسل وضعف الهمة عن السعي المناسب والكافي إليها ثم الحصول عليها. وذلك مثل الكثير من حالات الحسد على الدرجة العالية من العلم

والمعرفة ، والحسد كذلك على طيب الكلام وحسن الخلق ..

ويقع معنى البيت الشعري الحالي في اطار القسم الثاني؛ إذ كيف يحسد انسان ما على المعروف والإحسان والجود مع ما في الحسد من الشؤم الديني والديني في الوقت الذي يمكنه تجاوز الذات اللثيمة المنغلقة، والاتسام بالكرم والمعروف، عن طريق مجاهدة النفس وتربية السلوك وتمارين اليمين على الامتداد المحسن المشروع، والانبساط المثمر المحمود في الدين والدنيا.

ذووا الأصول الثابتة ، والفروع النابتة

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده الحسن (ع): يَا بُنَيَّ إِذَا نَزَلَ بِكَ كَلْبُ الزَّمَانِ وَقَحَطَ الدَّهْرُ فَعَلَيْكَ بِذَوِي الْأَصُولِ الثَّابِتَةِ وَالْفُرُوعِ النَّابِتَةِ مِنْ أَهْلِ الرَّحْمَةِ وَالِإِثَارِ وَالشَّفَقَةِ فَإِنَّهُمْ أَقْضَى لِلْحَاجَاتِ وَأَمْضَى لِذَفْعِ الْمُلِمَاتِ، وَإِيَّاكَ وَطَلَبَ الْفَضْلِ وَاكْتِسَابَ الطَّسَابِيعِ وَالْقَرَارِيطِ مِنْ ذَوِي الْأَكْفِ الْيَابِسَةِ وَالْوُجُوهِ الْعَابِسَةِ فَإِنَّهُمْ إِنْ أُعْطُوا مَتُوا وَإِنْ مَنَعُوا كَدُّوا، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

وَإِسْأَلَ الْعُرْفَ إِنْ سَأَلْتَ كَرِيماً
لَمْ يَزَلْ يَعْرِفُ الْعِنَى وَالْيَسَارَا

فَسُؤَالَ الْكَرِيمِ يُورِثُ عِزّاً
وَسُؤَالَ اللَّئِيمِ يُورِثُ عَارَا

وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ الدُّلِّ بُدّاً
فَالِقْ بِالدُّلِّ إِنْ لَقَيْتَ الْكِبَارَا

لَيْسَ إِجْلَالُكَ الْكَبِيرَ بِعَارٍ

إِنَّمَا الْعَارُ أَنْ تُجِلَّ الصَّغَارُ (١)

ملاحظتان ضرورتان

الملاحظة الأولى

وهي في الشرح والتعليق على ما يقوله إمام العلوم والآداب: - فسؤال الكريم يورث عزاً-. فما المراد على الحقيقة من لون هذا العز في سؤال الكريم وكيف يصح ذلك؟

في المفهوم القريب للعز هنا أن من طلب شيئاً معيناً من الكريم فقضى له حاجته؛ فقد نال العزّ بذلك؛ إذ أنه طلب الحاجة من الكريم، والكريم مصدر غني من مصادر العز والكرامة، وقد أعطاه ما أراد، ولم يلقَ بالسؤال أو الطلب لثيماً فيذل ويخزي. ولا نعتقد بصحة المفهوم المذكور في هذا المجال؛ لأن الانسان عادة لا يفتخر بأنه سأل شيئاً فيبلغ المقصود، لأن السؤال بحد ذاته لا يخلو من الذل والانكسار ولو بصورة من الصور؛ ومن هذا المنطلق جاء في صدر البيت الثالث من القطعة الشعرية التي بين أيدينا ما يؤكد تأكيداً واضحاً على صحة هذه الفكرة وسلامة مضمونها:

١ - الديلمي، اعلام الدين / فصل من كلام سيدنا رسول الله «صلى الله عليه وآله وسلم». بالرغم من كون المؤلف (رض) جعل عنوان الفصل - من كلام سيدنا رسول الله «ص» - إلا أن ما جاء فيه من كلام غيره أكثر مما جاء من كلامه «صلى الله عليه وآله وسلم».

وَإِذَا لَمْ تَجِدْ مِنَ الذُّلِّ بَدَأَ

فَالِقَ بِالذُّلِّ إِنْ لَقِيتَ الْكِبَارَا

والمفهوم البعيد للعز هنا هو المتعين في كلام الإمام (عليه السلام)، ونعني به: أن من قضيت حاجته بطريقة من الطرق التي من الممكن أن تحفظ له ماء الوجه فقد عز عن سؤال اللئيم، وصان ميدان كرامته عن الطلب ممن لا يستحق أن يُطلب منه ومن أمثاله. وَمَنْ لَمْ يَصُنْ كِرَامَتَهُ بِمَا أَكْدَى، لَا يَصُنْ كِرَامَةَ غَيْرِهِ إِذَا اسْتَجْدَى.

المُلاحَظَةُ الثَّانِيَّةُ

وهي في شرح البيت الرابع مما يقوله إمام العلوم والبلاغة والأدب علي بن أبي طالب:

لَيْسَ إِجْلَالُ الْكِبَارِ بِعَارٍ

إِنَّمَا الْعَارُ أَنْ تَجْلَّ الصَّغَارَا

مَنْ هُمْ - علي وجه الدقة والتحديد - هؤلاء الكبار الذين أمر الإمام (عليه السلام) بإجلالهم؟ وَمَنْ هُمْ - علي وجه الدقة والتحديد - أولئك الصغار الذين نهى عن إجلالهم، بل اعتبر الإجلال عاراً علي الفاعل؟ وما هو هذا اللون الأبيض الشفاف لإجلال الكبار، وكذا إجلال الصغار؟

تختلف المدارس الفلسفية والاجتماعية الغربية منها والشرقية في تعيين الكبار، فاذا ما كان الفلاسفة أنى تيمّموا من الكبار لدى بعضهم، وإذا ما كان الرؤساء أنى عملوا من الكبار لدى فريق منهم، وإذا ما كان الأغنياء أنى تصرفوا من الكبار في رأي الكثيرين منهم... فإن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) يأبى التقييم إلا علي أساسٍ منهجيٍّ عادل، هاتفاً بالفلسفة الغراء في

٤٧٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
ضمير الوجود (قيمة كل أمرى ما يُحسن). فالعلماء حقاً كبار، والداعون إلى
سبيل الحق والرشاد كبار، والمحسنون إلى القريب والبعيد كبار... إلى ما هنالك
من الأمم والجماعات والأفراد ممن لا ينبغي ولا يصح أن يتم تقييمهم إلا طبقاً لما
يحسنون في القول والعمل والانتاج.. وهم بالنسبة إلى هذا المورد الحالي: (ذووا
الأصول الثابتة، والفروع النابتة، من أهل الرحمة والإيثار والشفقة).

وهكذا تختلف المدارس الفلسفية والاجتماعية الغربية منها والشرقية في
تعيين الصغار وتحديد هوياتهم، ويعود ابن أبي طالب مرة أخرى؛ ليهتف بفلسفته
التي يبلى الدهر ولا تُبلى ليقول عن الصغار ما قاله عن الكبار بعدالته الإلهية
المشهودة وبموازينه السديدة: (قيمة كل أمرى ما يُحسن). فأهل الجهل
صغار، والذين يفتابون الناس ويأكلون لحومهم صغار، والذين يبخلون بما رزقهم
الله صغار. إلى ما هنالك من الأمم والجماعات والأفراد ممن لا ينبغي ولا يصح
أن يتم تقييمهم إلا طبقاً لما يحسنون.. فاذا لم يحسنوا فهم صغار، وهم في هذا
المورد الحالي: (من ذوي الأكف اليابسة، والوجوه العابسة؛ فإنهم إن أعطوا متوا،
وإن منعوا كدوا).

وأما بالنسبة للسؤال الأخير: ما هو هذا اللون الأبيض الشفاف لإجلال
الكبار وكذا إجلال الصغار؟

فالجواب: إن الحالة الاعتيادية لملاقاة الكريم أو اللئيم بالسؤال والطلب
هو إكبار له عن قصد أو غير قصد؛ لأنه لا ينبغي أن يُسأل غير صاحب الأهلية
لقضاء الحوائج كما هو مركز في التفكير العام. ولهذا السبب فإن الحارث (رض)
لما قال: يا أمير المؤمنين عرضت لي حاجة. قال: فرأيتني لها أهلاً؟

أَتَاكَ عَاجِلُ البِرِّ

يُروى أنه بينما كان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) أيام خلافته جالساً في ضواحي المدينة إذ وفد عليه أعرابي يسأله حاجته والحياء يمنعه أن يذكرها له فخط بعصاه على الرمل هذين البيتين :

لم يبقَ عندي ما يُباعُ بدرهمٍ
يكفيك ظاهراً مظهري عن مخبري

إلا بقية ماءٍ وجيهٍ صنَّتهُ
من أن يُباعَ وقد أبحتك فاشترِ

فما قرأهما حتى وافاه رسوله يخبره أن نصيب أمير المؤمنين في الغنيمة من الفضة محمولٌ على أربعة جمالٍ بباب المدينة فقال : هي لهذا الأعرابي وقال :

وَأَفَيْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بِرِّنَا
فَإِهْنَأُ وَلَوْ أَمَهَلْتَنَا لَمْ نَقْتَرِ

فخذِ القليلَ وكن كأنك لم تبع
ماءَ الحيا وكأننا لم نشترِ^(١)

من عطايا ابن أبي طالب

١ - لم يكن هذا الأعرابي الوافد على أمير المؤمنين متسولاً أو شبه متسول ولا شخصية رخيصة مُبتدلةً بدليل أن الحياء يمنعه أن يذكر الحاجة وأن يتكلم بها بل حطَّ ما أراد بعصاه على الرمل بما يعبر عنه البيتان المذكوران اللذان يقصحان عن نفسية عالية وشخصية حرة كريمة قد لوى الزمان عنقها واهتصر بجفائه

٤٧٦..... فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام عليّ بن أبي طالب (عليه السلام)
وعنفوانه ما بقي من شموخها وسمو إرادتها.

٢ - لقد مر هذا الأعرابي الوافد بظرف عصب ومعاناة شديدة فما قصد
أحداً من الكرام لقضاء حاجته وتيسير أمره، ولقد باع من ممتلكاته كل شيء
يمكن أن يباع ويساوم عليه ولو بالسعر الزهيد، ولكن الزمن الصعب قد ألح عليه
فلم يبق عنده ما يُباعُ بدرهمٍ واحدٍ لحل مشكلة من مشاكله المحدقة بساحته
وظاهرٌ مظهره يعرب عن حقيقة مَخبِره، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

٣ - وبعد أن نفذت كل الوسائل المتاحة لدى الأعرابي قصد البحر الزاخر
لينهل منه ما استطاع على حياءٍ ومعاناة نفسية ضاغطة من التلويح بالحاجة فضلاً
عن التصريح بها، فنال من العطاء الثر الشيء الكثير الكثير والذي قد يكون
أضعاف ما يتبغي وما يسد الحاجة.

٤ - فضة محمولة على أربعة جمالٍ هذا هو العطاء للوافد اللهفان،
والتكريم للقاصد الحيران، إنه لمبلغ كبير حقاً بما يكفي لبناء صرح عظيم الشأن.

٥ - قول الإمام (واقيتنا فأتاك عاجلُ برّنا) يتساوق مع كليات آرائه عن
التعجيل في أعمال البر والإحسان والتسارع إلى الجود والاسعاف ومن تلك
الآراء ما أوردناه في هذا الكتاب:

- رأس السخاء تعجيلُ العطاء.

- تعجيل البرّ زيادة في البرّ.

- وَعَدُّ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ.

- خير إخوانك من سارع إلى الخير، وجذبك إليه، وأمرك بالبرّ، وأعانك

عليه. -- لكل شيء ثمرة وثمره المعروف تعجيل السراح.

- تعجيل المعروف ملاك المعروف .

- تبادروا المكارم، وسارعوا إلى تحمل المغارم، واسعوا في حاجة من هو نائم؛ يحسن لكم في الدارين الجزاء، وتنالوا من الله عظيم الجباء.

٦ - يدل قول الإمام (صلوات الله عليه):

وَأَفْسَيْتَنَا فَأَتَاكَ عَاجِلُ بَرِّنَا
فَاهِنًا وَلَوْ أُمَّهَلْتَنَا لَمْ نَسْقُتِرْ

على أن جوده وعطاياه بعيدة كل البعد عن التقدير على الطالب والراغب والوافد والقاصد في جميع الحالات سواء كانت عنده (عليه السلام) بالفعل تلك الامكانية المادية الفورية على الاكرام والانعام وانقاذ الموقف أم لم تمكن واحتياج الأمر إلى فرصة قريبة وشيء من الوقت.

على أنه لا ينبغي أن يقال بصيغة الاعتراض والإيراد أنه لم تكن عطايا الإمام كبيرة القيمة المادية في جميع الأوقات فإنه وإن كان يعطي أحياناً كل ما في يديه إلا أن ما في يديه قد يكون قليلاً.

وذلك لأن التقدير يتضمن البخل أو الشح فهو الحالة المتعمدة من قبض اليد والنزوع إلى الابتعاد عن الفضل والكرم فمن يمنح أو يصرف ديناراً واحداً على الرغم من افتقاره إليه لا يُعد مقتراً ومن يمنح أو يصرف ألف دينار إبان الحاجة إلى أضعافه وهو قد ير على المنح والانفاق فهو المقتّر. ويا لله ولتلك المقولة العلوية الرائعة البهيجة: كُنْ سَمْحاً وَلَا تَكُنْ مُبْتَدِّراً، وَكُنْ مُقَدِّراً وَلَا تَكُنْ مُقْتَرّاً^(١).

١ - ابن أبي الحديد، شرح نهج البلاغة، ١٨ / ١٥٠ باب المختار من حكم أمير المؤمنين عليه السلام، وبيع الأبرار ٤ / ٣٦٩، وبحار الأنوار ٦٨ / ٣٤٤، ومشكاة الأنوار / الفصل الرابع في السخاوة والبخل.

٤٧٨ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٧ - لقد أحسن الأعرابي الأبي الاختيار وألقى رحله في بيت الكرم ومعنى الإحسان والنوال فنجح فيما اختار وأصاب فيما صنع فكان من الأمثلة الصادقة على صحة فكرة الإمام أمير المؤمنين وهو يوجه من لا حيلة لهم على حل مشاكلهم (عليكم في طلب الحوائج بشراف النفوس ذوي الأصول الطيبة فإنها عندهم أفضى وهي لديكم أزكى)^(١).

« إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رِعْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خُشِعِينَ »^(٢).

قبح البخل في الدنيا وفي الدين

وللإمام علي (عليه السلام) كما في الديوان والمناقب للخوارزمي:

لا تخضعن لمخلوق على طمع

فإن ذلك وهن منك في الدين

واسترزق الله ما في خزائنه

فإنما الأمر بين الكاف والتون

إن الذي أنت ترجوه وتأمله

من البرية مسكين ابن مسكين

ما أحسن الجود في الدنيا وفي الدين

وأقبح البخل فيمن صيغ من طين

كما أنَّ حُسْنَ الجودِ ومَحَمَدته راسية في الدنيا وفي الدين؛ فالنصوص الدينية الوافرة جداً تذكره بالتمجيد وتشني عليه تناءً بليغاً وقد وردت في هذا الكتاب مقادير منها، والصالحون من أهل الدين بل وشتى الناس يبجلونه ويرفعون شأنه ويكبرون المتصفين به، فكذلك قبح البخل فإنه مذموم مستهجن، والنصوص الدينية الوافرة جداً تذكره بالتبكيك والازدراء وقد وردت في هذا الكتاب مقادير منها، والصالحون من أهل الدين بل وشتى الناس ينتقصونه ويخفضون شأنه وينظرون إلى المتصفين به على أنهم مرتكسون في وهاد الانحطاط والتدهور، ومنغمسون في مستنقع الرذيلة والتهافت.

فمن هنا يعلم أن من أراد الدنيا من عقلاء الناس وابتغى حسن الذكر فيها فلا ينبغي أن تفوته الفرصة الحقيقية للاتصاف بالنائل والإحسان الحقيقيين. وهكذا من أراد الدار الآخرة من عقلاء الناس وابتغى حسن الذكر فيها والسعادة بين جناتها وأنهاها،

ومن هنا يعلم كذلك أن من أراد الدنيا من عقلاء الناس وابتغى حسن الذكر فيها فلا ينبغي أن تفوته الفرصة الحقيقية للاقلاع الصادق عن الشحِّ والبخل إن اتصف بهما، والنأي الشرود عنهما إن لم يتلبس بهما. وهكذا من أراد الدار الآخرة من عقلاء الناس وابتغى حُسن الذكر فيها، والسعادة بين جناتها وأنهاها^(١).

١ - وقد تقدمت الرواية عن الحسن النصري عن أبي جعفر (عليه السلام): ألا أخبركم بخمس خصال هي من البرِّ والبرِّ يدعو إلى الجنة؟ قلت: بلى. قال: إخفاء المصيبة وكتمانها، والصدقة تعطيتها بيمينك لاتعلم بها شمالك.

كما تقدم عن مجموعة الشهيد، رحمه الله عليه: رُوِيَ عن مولانا جعفر الصادق (عليه السلام) أَنَّهُ قَالَ: طَلِبْتُ الْجَنَّةَ فَوَجَدْتُهَا فِي السَّخَاءِ، وَطَلِبْتُ السَّرْعَةَ فِي الدُّخُولِ إِلَى الْجَنَّةِ فَوَجَدْتُهَا فِي الْعَمَلِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَطَلِبْتُ حَبَّ النَّوْتِ فَوَجَدْتُهُ فِي تَقْدِيمِ الْمَالِ لَوْجِهِ اللَّهِ، وَطَلِبْتُ الْجَوَارِ عَلَى الصَّرَاطِ فَوَجَدْتُهُ فِي الصَّدَقَةِ.

٤٨٠ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
فحتى متى يطمع طمعاً سرايباً بالجنات والأنهار، من طبيعته البخل بالدولار
والدينار!

الإمام علي مَدْحٌ للجواد في نثره وشعره

قد تثار شبهة مؤداها: أنه لما كان الجواد محموداً في السماوات والأرضين
ولدى أهل الدنيا والآخرة، إذ ما بال علي بن أبي طالب في جود يمينه وحبه
الشديد لأعمال الخير والاحسان، وفي إكباره للكرام وذوي الأفضال.. لا يحمده
الجواد الكريم، ويثني على المتفضل الوهاب؟

الحقيقة ان الامام قد قال في ذلك الشيء الكثير كما نجده في هذا الكتاب من
نثره المتقدم وأحاديثه الغزيرة، وأنه قد ذكر ذلك في شعره أيضاً وأول ما يطالعنا
منه حمده وإكباره للجواد الوهاب المطلق تبارك وتعالى كما نرى في القصيدة
الرائعة التي أولها:

لك الحمد يا ذا الجود والمجد والعلنى

تباركت تعطي من تشاء وتمنع

إلهي وخلّقي وحرزي وموثلي

إليك لدى الإعصار واليسر أفزع

ويقول مادحاً لقبيلة همدان اليمانية الأصل والتي جمعت بين الجود والكرم

وبين الشجاعة والاقدام بشكل قليل النظير:

ولَمَّا رَأَيْتَ الخَيْلَ تُقَدِّعُ بِالقَنَا

فَوَارِشُهَا حَمْرَ العَيْونِ دَوَامِي

تَيَمَّمْتَ هَمْدَانَ الَّذِينَ هُمُ هُمُ

إِذَا نَابَ أَمْرٌ جُسَّتِي وَحَسَامِي

يُقَوِّدُهُمْ حَامِي الحَقِيقَةَ مِنْهُمْ

سَعِيدِ بْنِ قَيْسٍ وَالكَرِيمِ مَحَامِي

جَزَى اللهُ هَمْدَانَ الجِنَانِ فَإِنَّهُمْ

سَمَامُ العَدَى فِي كُلِّ يَوْمٍ خَصَامِ

لَهُمْدَانَ أَخْلَاقٍ وَدِينِ يَزِينُهُمْ

وَلِيْنِ إِذَا لَاقَوْا وَحَسَنَ كَلَامِ

مَتَى تَأْتِيهِمْ فِي دَارِهِمْ لَضِيافَةَ

تَبِيْثِ نَاعِمًا فِي غَبْطَةِ وَطَعَامِ

وَيَذَكَرُ الجَوَادَ المَفْضَلَ وَالمُؤَثِّرَ عَلَيَّ نَفْسَهُ نَعْنِي أَبَاهُ أَبَا طَالِبٍ مَأْوِي الصَّعَالِيكَ

ذَا النَّسَدِيِّ فِي مَرَثِيَّةٍ لَهُ فِيهِ أَوْلَاهَا:

أَرَقْتُ لِنَسُوحِ أَخْرِ اللَّيْلِ غَرَّةَا

لَشَيْخِي يَنْعَى وَالرَّئِيسَ المُسَوِّدَا

أَبَا طَالِبٍ مَأْوِي الصَّعَالِيكَ ذَا النَّسَدِيِّ

وَذَا الحَسَلِمِ لَا خَلْفًا وَلَمْ يَكُ قَعْدَا

وَقَالَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) يَرْتِي أَبَاهُ أَبَا طَالِبٍ أَيْضًا فِي هَذِهِ الأَبْيَاتِ:

أبا طالب عصمة المستجير

وغيث المحول ونور الظلم

لقد هدّ فقدك أهل الحفاظ

فصلى عليك ولي النعم

ولقياك ربك رضوانه

فقد كنت للمصطفى خير عم

ويثني أمير المؤمنين علي (سَلامُ الله عليه) على صفتي الفضل والخير بما
هما في نفسيهما صفتان رائعتان ومحبتان، ينبغي المسار بشكل دائم ومؤبد في
أضوائهما المتوهجة فيقول:

الفضل من كرم الطيبه والمن مفسدة الصنيعه

والخير أمنع جانباً من قمّة الجبل المنيعه

ولقد تقدم بعض شعر الإمام (عليه السلام) عن الجود والكرم في أواخر

موضوع (جود عليّ على لسان عليّ) فراجع.

المُحتَوَيَات

الموضوع	الصفحة
نظام الدين انصاف ومواساة.....	٥
مَنْ وَصَلَ أَرْحَامَهُ، فَقَدْ عَمَّرَ أَيَّامَهُ.....	٧
مَنْ أَقْعَدْتَهُ نَكَايَةَ الْأَيَّامِ، أَقَامَتْهُ مَعُونَةُ الْكِرَامِ.....	٩
داووا الفقرَ بالحلِّ الجذريِّ الحاسِمِ.....	١١
ما سألتني أحد حاجةً إلا كان له الفضلُ عَلَيَّ.....	١٤
جواب الخبير الاقتصادي.....	١٦
أفضل المال ما قضيت به الحقوق.....	١٧
عمودا اللؤم	١٨
البخلُ والنفاق من أذمَّ الأخلاق.....	٢٢
أبعد الخلائق من الله تعالى البخیل الغني	٢٤
خيرُ الناس مَنْ كَانَ فِي يُسْرِهِ سَخِيحاً شَكُوراً.....	٢٥
من جادَ فقد أجاد	٢٧

- ٢٨ المعروف أفضل الكنوز وأحصن الحصون
- ٣٠ ساحة الكرم والفر
- ٣٢ كافل اليتيم أثير عند الله
- ٣٣ كفالة اليتيم في السنة
- ٣٤ ينبغي للعاقل أن يكتسب بماله المحمّدة
- ٣٥ قدرة نكبات الدهر في منع تكديس الثروة
- ٣٨ الأخ في الله ظلّ الله فأكرموا
- ٤١ الجواد من بذل ما يضمن بمثله
- ٤٢ من وجّه رغبته إليك وجبت معونته عليك
- ٤٣ اقتصدوا على أنفسكم وجودوا على شعوبكم
- ٤٦ من قابل الإحسان بأفضل منه فقد جازاه
- ٤٨ ليس ليخيل حبيب
- ٥٠ أنفق بسخاء من خزائنه الجاه
- ٥٠ لا ترك المضطّرّ ناحية والضعيف جانباً
- ٥١ سفينة الجاه
- ٥٢ كفى بجزيل الشاء جزاء

- ٥٥ أقبِحُ أفعالِ الكريمِ المنع.
- ٥٦ الإيثَارُ وَتَرُّ الإيْمَانِ العميقِ وَوَتَدُّ السلوكِ العَرِيقِ
- ٥٨ توضيحات الحُبِّ المتوهِّجِ والاخلاصِ الثابتِ
- ٦١ لَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ اليَمَامَةِ مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقَرْصِ
- ٦٤ الإِحْسَانُ للضعفاءِ فِي جميعِ الأحوالِ
- ٦٦ الوُدُّ وَذَانُ: وَدُّ اللسانِ، وَوَدُّ الجَنَانِ
- ٦٩ حقيقة الجودِ
- ٧٠ أَجْزَلُ مَا استدرت به الأرباحُ الباقيةُ الصدقةِ
- ٧١ الكَرَمُ طَبِيعَةٌ
- ٧٣ نَظْرَةٌ فِي النِّفْعِ العامِ
- ٧٦ المحسِنُ مُعَانٌ، المَسِيءُ مُهَانٌ
- ٧٨ مَنْ بذلَ فِي ذاتِ اللهِ مالهَ عَجَلَ لَهُ الخلفُ
- ٧٩ كَمَا تُعِينُ تُعَانُ
- ٨٠ الأولويةُ فِي مسؤوليَّةِ السعيِ فِي الحوائجِ
- ٨٤ زئيرُ الهممِ العاليةِ
- ٨٥ رأسُ السخاءِ الزهدِ فِي الدنيا

- ٨٦ لا سخاء مع عدم
- ٨٧ العدم في اللغة
- ٨٨ المعنى الغالب للعدم
- ٨٨ حاجة أهل المعروف للمعروف
- ٩٠ وضع المال في مواضعه
- ٩٢ شرح وتعليق
- ٩٦ قوام الدين والدنيا
- ٩٦ تحقيق روائي
- ٩٨ السيادة الحقيقية
- ٩٩ إنما النسيء زيادة في البخل
- ١٠١ البخيل غراب ممسوخ
- ١٠٢ الغضب السماوي المزمجر على البخلاء
- ١٠٣ حين تكون اليد السفلى خيراً من اليد العليا
- ١٠٥ جود الفقير يجله وبخل الغني يذله
- ١٠٧ لا تحرم المضطر وإن أسرف
- ١٠٨ من من بمعروفه أسقط شكره

- ١٠٩ كلمات في المنّ والمَنان
- ١١١ أفضلُ الناسِ السخِيُّ الموقن
- ١١٢ الهديةُ تفقاً عينَ الحكيم
- ١١٥ المستوى العقلي
- ١١٧ المستوى الشرعي
- ١١٩ نصائحُ وتوصياتُ عامّةٌ في فلسفةِ الجُودِ والإيثار
- ١٢١ مِمّن تطلبُ الحوائج
- ١٢٤ الأولويّةُ في من ينبغي تقديم حوائجهم
- ١٢٥ صلّةُ الأرحام
- ١٢٥ رعاية الأيتام
- ١٢٦ الاضطرارُ إلى مسألة الأعمار
- ١٢٧ دعوةٌ صريحةٌ إلى أباة الضيم وأحرار العالم
- ١٢٩ بذل ماء الوجه أعظم من قدر الحاجة
- ١٣٠ كفى بالإلحاح مَحْرَمَة
- ١٣١ ازددُ فضلاً وبرا تزددُ ثناءً وشكراً
- ١٣٢ الواقعية في محاولة احراز النتائج المثمرة

- ١٣٢ البرّ في الفلسفة العلوية
- ١٣٥ طبائع الأبرار طبائع محتملة للخير
- ١٣٧ الجواد يحتمل عن الغريب ما لا يحتمله القريب
- ١٣٧ تعليق خاطف
- ١٣٩ ماءٌ ولا كَصَدَاءٍ وَفَتَى وَلَا كَمَالِكٍ وَكَرِيمٌ وَلَا كَالْحَسِينِ
- ١٤٠ البرّ غنيمة الحازم
- ١٤٢ من أفكار الإمام حول الغنيمة
- ١٤٣ أنى لا يكون البرّ غنيمة الحازم
- ١٤٣ الحوائج الغيرية والحوائج الذاتية
- ١٤٥ تحليل غيظ البخيل على الجواد
- ١٤٦ صديق البخيل من لم يجربه
- ١٤٨ خير المعروف ما أصيب به الأبرار
- ١٤٩ أولى الناس بالكرم من عرقت به الكرام
- ١٥١ الكريمة أخت الكريم واللثيمة أخت اللثيم
- ١٥٢ أولى الناس باللؤم من عرقت به اللثام
- ١٥٣ البخيل متحجج بالمعاذير والتعالييل

٤٨٩	المحتويات
١٥٣	الموقف الأول
١٥٤	الموقف الثاني
١٥٩	التفسير المادي والمعنوي
١٦٠	التفسير المعنوي
١٦٠	التفسير المادي
١٦١	أصعب المرام
١٦١	البخل في ميزان العقل
١٦٢	ماهية العقل واختلاف الآراء والمصطلحات فيه
١٦٤	ما أقبح البخل بكل ذي عقل
١٦٦	إن السخاء بالحر أخلق
١٦٧	بذل المال في الحقوق
١٦٨	معنى الحرية والاعتناق
١٧١	الصلة ما بين الكرم والوفاء
١٧٣	دار الوفاء لا تخلو من كريم ولا يستقر بها لئيم
١٧٦	تنبيه
١٧٦	ما أوثق العلاقة ما بين الوفاء وحسن الصداقة!

٤٩٠ فلسفة الجود والإيتار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

١٧٧ مساقط ضياء الوفاء

١٧٨ سنّة الكرام الوفاء بالعهود

١٨٠ الوعد ما لا يستوجب النتيجة العكسية

١٨٥ أداء الزكاة جوداً وسخاء

١٨٥ أسخى الناس من أدّى زكاة ماله

١٨٧ هل تمثل الزكاة لوناً من ألوان الجود والسخاء

١٨٨ الزكاة في القرآن الكريم

١٩١ نبذة من أحاديث الزكاة

١٩٤ الزكاة أبعاد شموليّة في منهج علي بن أبي طالب

١٩٦ الزكاة سمة رئيسيّة من سمات العابد

١٩٧ آكل الربا ومانع الزكاة حرب للإمام علي

١٩٩ تفسير قوله تعالى «وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ»

٢٠٠ الماعون هو الزكاة المفروضة

٢٠١ الماعون في اللغة

٢٠٢ تفسير الماعون في ما روي عن الرسول وأهل بيته

٢٠٤ ملاحظة رئيسيّة

٤٩١	المحتويات
٢٠٥	خلاصة القول
٢٠٧	فصل في القناعة
٢١١	مفهوم الدعوة إلى التزام مبادئ القناعة
٢١٢	انتقم من حرصك بالقنوع
٢١٤	من عقل قنع
٢١٥	مقولة ابكتينوس
٢١٦	القناعة أبقى عز
٢١٧	نال العز من رزق القناعة
٢١٩	من لزم القناعة زال فقره
٢٢٠	القناعة أهنا عيش
٢٢٢	القناعة صيانة تربوية
٢٢٥	البشر وطلاقة الوجه
٢٣٠	فن الطلاقة والبشاشة
٢٣٣	نظام الفتوة
٢٣٦	الفتوة في اللغة
٢٣٧	الفتوة عند قريش

٢٣٨ الفتوة في الاصطلاح التربوي والأخلاقي

٢٤٠ الفتوة في الاصطلاح الصوفي

٢٤٠ الفتوة في الفكر العلوي

٢٤٢ سيّد الفتيان

٢٤٣ الهديرُ الفاصل بين الحق والباطل

٢٤٤ العقل والإيمان واستخدام السلاح

٢٤٥ الشكرُ على الجودِ والإحسان

٢٥٢ لم أرَ عبداً أشكرَ من هذا

٢٥٤ من الحكَمِ العلويّةِ حولَ الشكرِ

٢٥٤ الكريم يشكر القليل، واللثيم يكفر الجزيل

٢٥٦ وجوب شكر المنعم نقداً أو نسيئة

٢٥٧ شكر من دونك بسبب العطاء

٢٥٨ الصيغة الأولى لشكر المنعم:

٢٥٨ الصيغة الثانية لشكر المنعم:

٢٥٨ الصيغة الثالثة لشكر المنعم:

٢٥٩ من لم يشكر الإنعام فليعدّ من الأنعام

الجواب ٢٥٩

المُكَافَأَةُ عَلَى الصَّنِيعَةِ أَدَاءٌ لِلْأَمَانَةِ ٢٦٠

مَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ ٢٦٣

جُودٌ عَلَيَّ فِي كَلِمَاتِ الْمُعَاصِرِينَ لَهُ ٢٦٩

عَلَيَّ أَسْمَحُ النَّاسِ كَفَاءً ٢٧١

أَفَاقُ كَرَمِ عَلِيٍّ ٢٧٣

عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ يَنْفُقُ التَّبِيرَ قَبْلَ التَّبِينِ ٢٧٥

هَلْ رَأَيْتَ حَقًّا كَانَ أَحَقُّ مِنْ عَلِيٍّ كَرَمًا وَجُودًا ٢٧٦

دَعَانِي إِلَى بَيْتِهِ فَأَطْعَمَنِي ٢٧٧

كَانَ عَلِيُّ الخُلُقِيُّ الَّذِي يَحِبُّهُ اللّهُ السَّخَاءُ وَالجُودُ ٢٧٨

مَا رَدَّ سَائِلًا قَطُّ مِنْهُ هُوَ صَبِيٍّ إِلَى أَنْ اسْتَشْهَدَ ٢٨٠

لَقَدْ أُجْزِلَ العَطِيَّةُ وَأَعْظَمَهَا وَوَصَلَ القَرَابَةَ وَحَفِظَهَا ٢٨٢

أَعْطَى جَمِيعَ وَلَدِ المُطَلَبِ وَعَبْدِ المَطَلَبِ ٢٨٥

تَصَدَّقَ خَاتَمَهُ رَاكِعًا ٢٨٨

سَحَابٌ إِذَا قَحَطَ النَّاسَ ٢٨٩

الْبِرُّ الوُصُولُ ٢٩١

- الجواد الحبي ٢٩٦
- علي ذو الندى ٣٠٠
- أول من أدى الزكاة ٣٠١
- أقربى الطاعنين ٣٠٤
- علي يشبه الفرات جوداً وسخاءً ٣٠٦
- الجود في الماعون ٣١٠
- علي بن أبي طالب قدوة المتصدقين ٣١٢
- يفطر الناس على اللحم والثريد ويأكل الجشب ٣١٥
- سَمَحٌ سَخِي ٣١٦
- كان عوناً للغريب أباً لليتيم خفياً بأهل المسكنة ٣١٨
- يُطعمُ الناس ولا يأخذُ شيئاً ٣٢٠
- رأيت علياً يدعو اليتامى فيطعمهم العسل ٣٢٠
- مواقِعُ الإِسَادَةِ فِي العَصْرِ الأَمَوِي ٣٢٣
- أبوك علي ذو الندى ٣٢٥
- تلقى علياً ذا الندى ٣٢٦
- ابن علي الخير ذي النوال ٣٢٨

٤٩٥	المحتويات
٣٢٩	أنا ابنُ ذي النُّجدةِ والإفضالِ
٣٣٠	دَعْ أَمْوَالَ النَّاسِ وَخُذْ مِنْ أَمْوَالِنَا
٣٣٠	جود الراكع الخاشع
٣٣٤	أول من تصدَّق علي بن أبي طالب
٣٣٥	ملاحظة
٣٣٥	تأكيد المضمون الكريم
٣٣٦	يطعمون المحتاجين ويبيتون جِيعاً
٣٣٧	ورودٌ من أضاميم كثيرة
٣٤٠	العطاء الكيفي الزخار
٣٤٣	جودٌ عليّ عليّ لسانِ عليّ
٣٤٥	الكرماءُ يدؤونون مآثرهم
٣٤٦	التصدّي إلى تعداد مجاميع من المزايا والمحاسن
٣٤٧	محلّ السخاءِ وبخْر الندى
٣٥١	الحكمة العلوّية في ايقاعاتها الموسيقية
٣٥٣	الأذن الموسيقية الرهيفة والذوق الرفيع
٣٥٦	المعروف لله وحده

٤٩٦ فلسفة الجود والايثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

روضة الايثار ٣٥٧

لا فخر في المال إلا مع الجود ٣٥٧

الفوز فوز الأكرمين ٣٥٨

النوال قبل السؤال ٣٥٨

خير من الخير مسديه وباذله ٣٥٩

قليل الخير كثير ٣٥٩

كم من حريص خائب، ومجمل لم يخب ٣٦٠

إنك بالإحسان كنت الإنسان ٣٦١

البخل منبت سوء ٣٦٢

تحمل المغارم ٣٦٣

جودوا بالأزكى والأنقى ٣٦٣

من أفضل المبرة ٣٦٤

كمال المرء في دين وعرض ٣٦٤

غطوا معايتكم بالسخاء ٣٦٥

إذا غضب الكريم فالن له الكلام ٣٦٥

البخل ملتقى دروب الغار والنار ٣٦٦

- ٣٦٧ جود المفتقر
- ٣٦٧ جميل الشيم
- ٣٦٨ تحفة الصدق
- ٣٦٩ أفضل الناس السخي المؤثر
- ٣٧٠ كريم النفس محبوب مثاب
- ٣٧١ المواساة بالمال لا الأسرار
- ٣٧١ هبة وأقوات ستدخل الجنة
- ٣٧٢ الوارث والحوادث
- ٣٧٢ مواساة الرفاق
- ٣٧٣ ربيع المجدي
- ٣٧٤ سراة الناس
- ٣٧٤ خير الإخوان
- ٣٧٥ من أتبع الإحسان بالإحسان
- ٣٧٦ المبادرة بالأموال
- ٣٧٦ ما أقبح البخل مع الإكثار
- ٣٧٨ أفضل الفضائل بذل الرغائب

إذا قلَّ أهل الفضل ٣٧٩

يحتاج ذو النائل للسائل ٣٧٩

أفضل الذخائر ٣٧٩

الاصطناع ذخراً ٣٨٠

لم يبين بان كإحسان يجودُ به ٣٨٠

حُسْنُ الْمَسْعَى ٣٨١

إن منعت فإجمالاً وإعذاراً ٣٨١

بالجود يُبتنى المجد ٣٨٢

خيرُ العطاء ما كان عن غير طلب ٣٨٢

أخلى النوال ٣٨٣

تجيةً للجود ٣٨٣

العارفة الجميلة ٣٨٤

مرّة المعروف ٣٨٤

كانم الإحسان ٣٨٤

حرمان السائل ٣٨٥

من أكمل الإفضال بذل النوال ٣٨٥

- ٢٨٦ لا حيي غير النافع.
- ٢٨٦ استنزلوا الرزق بالإحسان والصدقة.
- ٢٨٧ ألهذا تُثمّر الأموال
- ٢٨٨ آفة الخير
- ٢٨٩ المعروف جوهرة
- ٢٩٠ مثبت للكرم منعقد
- ٢٩٠ جواهر الكرماء
- ٢٩١ مزحاً بموت اللئيم
- ٢٩٢ السؤال تحية يجب ردها
- ٢٩٢ أحسن الهمم إنجاز الوعد
- ٢٩٣ إضاعة الصنائع
- ٢٩٣ كفى بفعل الخير حسن عادة
- ٢٩٤ البخل مسببة
- ٢٩٤ شعاع الحسن
- ٢٩٤ لا يدخل الجنة بخيل
- ٢٩٥ رزق اللثام

٥٠٠..... فلسفة الجود والإيمان لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

سنة الكرام ٣٩٦

إغاثة الملهوف ٣٩٧

ما اجتلب السخط بمثل البخل ٣٩٧

ما هتأ العطاء من من به ٣٩٨

ما أذل النفس كالجرص ٣٩٨

ملاك المرؤة ٣٩٨

مسرة الكرام ٣٩٩

أكرم تكرم ٤٠٠

أحد الخصيين ٤٠٠

أحد الجدبين ٤٠١

الاکرام للدين والایمان ٤٠١

المحمدة الجزيلة ٤٠٢

لا سيادة بلا سماحة ٤٠٢

ما قدر الثري الشحيح ٤٠٣

معوثة الرب القريب ٤٠٣

الحي في الخلق ٤٠٤

- المحتويات ٤٠٩
- لا يترك الفضل إلا الجاهل القاسي ٤٠٥
- الغني بين الطاعة والاضاعة ٤٠٥
- قلبُ الغني الواله ٤٠٦
- المالُ يهين البخيل ٤٠٦
- المحسنُ الطيب يمشي قُدماً ٤٠٧
- دعه يفكر ٤٠٨
- وزرُ الغني البخيل ٤٠٩
- ذو الإفضال مشكور السيادة ٤١٠
- السيادة المشكورة ٤١٠
- بشر مال البخيل بحادث أو وارث ٤١١
- مَنْ لَمْ يَتَفَضَّلْ لَمْ يَنْبَل ٤١١
- الحرصُ في العيش ردى ٤١٢
- أحق مَنْ بَررت ٤١٣
- أحسنُ إلى مَنْ شئتَ تكنُّ أميره ٤١٤
- شمولية الكرم ٤١٥
- السيد من تحمّل المؤونة، وجاد بالمعونة ٤١٥

٥٠٢ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)

٤١٦ الصنع الجميل

٤١٨ إِنَّ هَذَا الْمَالَ فِيءُ الْمُسْلِمِينَ

٤١٩ وَعَدُّ الْكَرِيمِ نَقْدٌ وَتَعْجِيلٌ

٤٢٠ لَيْسَ مِنَ التَّوْفِيقِ كُفْرَانُ النُّعْمِ

٤٢١ مَا النَّاسُ إِلَّا بِالْمَرْوَةِ وَالتَّنْدِي

٤٢١ مَرْبِيَّةُ الْمَعْرُوفِ

٤٢٢ السُّؤَالُ يَقْطُرُ مَاءَ الْوَجْهِ

٤٢٢ أَلْقَى الْكَمَالَ

٤٢٣ حَفْظُ الْإِحْيَاءِ

٤٢٤ الْقَنَاعَةُ مَا لَا يَنْفَدُ

٤٢٤ اللَّطَافَةُ فِي الْحَاجَةِ

٤٢٤ لَذَّةُ الْكِرَامِ فِي الْإِطْعَامِ

٤٢٥ قَدَّمَ لِنَفْسِكَ مَا اسْتَطَعْتَ جَمِيلًا

٤٢٥ النُّوَالُ قَبْلَ السُّؤَالِ

٤٢٦ تُسْتَرَقُّ الْأَعْنَاقُ بِالْإِفْضَالِ

٤٢٦ عَوْدٌ عَلَى بَدءِ

- المحتويات ٥٠٣
- ٤٣٣ من حوافز الجود العلوي
- ٤٤٣ الجود والإيثار في الشعر العلوي
- ٤٤٩ من الأشرار والطيبون من الخنازير
- ٤٤٩ أمثلة خالدة
- ٤٤٩ أنا ابن ذي الحوضين عبد المطلب
- ٤٥٤ لا تتبع نعم بلا
- ٤٥٥ سأمنح مالي كل من جاء طالباً
- ٤٥٦ إن الكريم إذا حباك بموعده
- ٤٥٧ المطل شر من البخل
- ٤٥٩ إذا أقبلت عليك الدنيا فأنفق منها فإنها لا تفنى
- ٤٦٠ كلامك أحب إلي من عطائك
- ٤٦١ الجود نور زاهر وسناء زاهي
- ٤٦٤ غني النفس وغني المال
- ٤٦٤ الجواب
- ٤٦٥ الجود الكاذب من سمات التلون
- ٤٦٦ من الرجال

- ٥٦٤ فلسفة الجود والإيثار لدى الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)
- ٤٦٨ مجالس اللثام ومجالس الكرام
- ٤٦٩ الجواب
- ٤٧٠ لا حسد على المعروف
- ٤٧١ ذوا الأصول الثابتة، والفروع النابتة
- ٤٧٢ ملاحظتان ضرورتان
- ٤٧٤ الجواب
- ٤٧٥ أذاك عاجل البر
- ٤٧٥ من عطايا ابن أبي طالب
- ٤٧٨ قبح البخل في الدنيا وفي الدين
- ٤٨٠ الإمام علي ممدوح للجواد في ثره وشعره
- ٤٨٣ المَحْتَوَات

والحمد لله على فضله وتأييده، ولله الشكر دائماً سرمداً، وهو حَسْبُنَا ونعم
الوكيل. وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله الطيبين الطاهرين
وعلى الأنبياء والمرسلين والمخلصين والصالحين جميعاً حتى قيام يوم الدين.



إِنَّهُ لَيَتَّبِعُنِي أَنَا أَمْ لَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الْمَاضِي الْمَشْرِقِيِّ بِمَا أَنَّهُ مُجَرَّدُ فَخْرٍ طَوِيلٍ، وَمَجْدٍ أَثِيلٍ، بَلْ كَذَلِكَ بِمَا أَنَّهُ يَنْفَعُ حَاضِرَ الْبَشَرِيَّةِ وَمُسْتَقْبَلَهَا، وَيُغَيِّرُ مَنَاهِجَ التَّفَكِيرِ وَطَرَائِقَ التَّعَامُلِ فِيمَا بَيْنَهَا نَحْوَ الْأَحْسَنِ وَالْأَفْضَلِ. وَتَأْسِيساً عَلَى هَذَا فَلَيْسَ يَهْدِفُ الْكِتَابُ الَّذِي بَيْنَ أَيْدِينَا أَنْ يُجَسِّدَ إِطْلَالََةً فِكْرِيَّةً وَتَارِيخِيَّةً مِنْ أَخْلَاقِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَأَفْكَارِهِ الْعَصْمَاءِ فَحَسَبَ، وَإِنَّمَا يَهْدِفُ أَيْضاً إِلَى أَنْ يَكُونَ مُخَطَّطاً فِكْرِيّاً وَتَرْبَوِيّاً مِنْ أَجْلِ الْعَمَلِ الْجَادِّ وَالْحَازِمِ عَلَى تَعْمِيقِ الرُّوَابِطِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَتَنْمِيَةِ الْعِلَاقَاتِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَبَثِّ الرُّوحِ الْأَخَوِيَّةِ وَالتَّعَامُلِ عَلَى أَسَاسِ تَقْدِيمِ الْخَيْرِ وَبَذْلِ الْإِحْسَانِ لِلْقَرِيبِ وَالبَعِيدِ، وَتَبْذِيرِ حَالَاتِ الْبَخْلِ وَالشَّحِّ وَاللُّؤْمِ، بِمَعْنَى التَّعَامُلِ عَلَى مَنَهْجِ رُوحِيٍّ بَهِيٍّ سَامِقٍ، فَإِنَّ الشَّحِيحَ اللَّئِيمَ وَجْهٌ آخَرٌ لِلشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. وَإِنَّ الْمُحْسِنَ الْمُعِينَ وَجْهٌ آخَرٌ لِلْمَلَائِكِ الْكَرِيمِ.

من كلمات المؤلف في خاتمة الكتاب / ختامه من تشنيم.



دار الولاء
للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت - برج البراجنة - الرويس - شارع الرويس
تلفاكس: 1 545133 00961 - 3 689496 00961 - ص.ب. 307/25
www.daralwala.com - info@daralwala.com
E-mail: daralwala@yahoo.com